

جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

رامون لول (1232-1316م)

حياته، فكره وجهوده التنصيرية-الصليبية

بديار الإسلام

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
لطيفة بن عميرة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيساً
رشيد تومي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	مُقرراً
عبد العزيز بوكنة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عُضواً
مجاني بوبة	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة	عُضواً
فاطمة بوعمامة	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة (بوزريعة)	عُضواً
خديجة زيتيلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عُضواً

إعداد الطالب:

إشراف الأستاذ الدكتور:

الأغويني برق

أ.د: رشيد تومي

السنة الجامعية: 1437-1438هـ / 2017-2018م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

الإهداء

إلى روح والدتي رحمها الله تعالى.

إلى والدي العزيز الذي سهر بلا كلل ولا ملل على تربيّتي وتكوينني وجعلني أمضي صوب النجاح بفضل دعواته.

وإلى زوجتي الكريمة رفيقة درب التي تحملت نصيبها من المتاعب المحيطة بمراحل انجاز هذا البحث.

وإلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور رشيد تومي الذي آزرني وشجعني.

مختصرات

M.O.G. : Raymundi Lulli Opera Omnia.

P.L. : Patrologia Latina.

P.U.F. : Presses Universitaires de France.

O.E. : Obres Essencials.

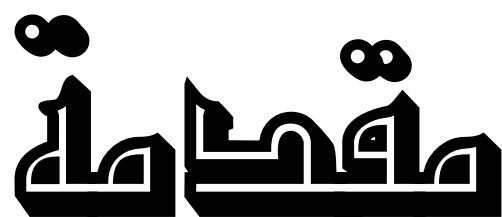
O.R.L. : Obres de Ramon Lull.

O.S. : Obres Selectes de Ramon Llull.

R.O.L. : Raimundi Lulli opera latina.

SP. : Speculum.

S.L. : Studia Lulliana.



أهمية الموضوع.

تُعد هذه الدراسة واحدة من المحاولات العلمية النادرة التي تنبّأها مجال البحث التاريخي بجامعة الجزائر. تناولت موضوعاً يخصّ إحدى الشخصيات الأوربية الدينية الأكثر تميّزاً وإثارة للجدل والفُضُول في العالم المسيحي أبان الربع الأخير من العصور الوسطى، إنه رامون لول Ramon Llull ، ابن جزيرة ميورقة ورائد تجديد الفكر الصليبي في أخطر صوره وأبعد معانيه.

وردت هذه الدراسة بعنوان : "رامون لول 1232-1316م. حياته، فكره وجُهوده التنصيرية الصليبية بديار الإسلام". تتمحور حول موضوعين رئيسيين، أحدهما يتعلق بحياة رامون لول وما تخللها من تكوين متين مُتعدد الأوجه لهذا الأخير ويتناول الثاني انخراط رامون لول في مشروع مُواجهة جديد مع المسلمين طبع مسار الحركة الصليبية حتى مطلع القرن الرابع عشر الميلادي.

تُمثل حياة رامون لول إشكالية مُثيرة إذ كان في تفاصيلها آيات للسائلين، ذلك أنه لم يخطر ببال مُعاصري لول ما سيُحقّقه هذا الشخص من مجد فكري مرموق ومكانة روحية سامقة جعلاه أحد جهابذة الكنيسة ومُنظرها البارزين. وكانت الصورة المُحيرة عندهم، التحول المُفاجئ الذي طرأ على حياة ابن جزيرة ميورقة الإسبانية يكمن جوهره في انتقال لول من مُمارسات صاحبة ملؤها الطيش والمُجون والانغماس في متاع الدنيا إلى حياة نقيضة طافحة بالنشاط الديني والورع الروحي والولع الشديد بعلوم اللاهوت والانكباب على الدراسات العقلية والإسلامية على السواء. وكان أن ذاع صيته في أرجاء أوروبا اللاتينية باعتباره عالماً كنسياً، فيلسوفاً، مُدرساً ومؤلفاً. وسيُشكل زاده المعرفي الفيّاض عاملاً مُحفّزاً ودافعاً قوياً في حركته المُضادة للمسلمين غرباً وشرقاً.

ويأتي الشق الثاني من هذه الدراسة لي طرح إشكالية أكثر إثارة تبحث في جهود رامون لول لتطويق الإسلام والمسلمين بديارهم، لكن باتخاذ وسائل غير تقليدية يعتبرها أكثر نجاعة وفعالية ومضمونة النتائج ألا وهي الدعوة والإرشاد. وما دعا إليه لول في هذا المضمار، يُشكل نقطة تحول فارقة في تاريخ أساليب المُواجهة الإسلامية المسيحية حتى بُعيد منتصف القرن 13م.

وقد انبثق هذا التصور الجديد لدى رامون لول في ظل ظرف دقيق تزامن مع فتور زخم الروح الصليبية عند الأوروبيين اللاتين وكذا انكماش الوجود الصليبي بمصر وبلاد الشام إثر استرداد المماليك لمدينة عكا عام 1291م/690 هـ. على أن فشل الجيوش الصليبية المتعاقبة في تحقيق أهدافها الصليبية بالشرق الإسلامي، قد تركت أثراً سيئاً في نفس رامون لول إلا أنه لم يُثْته عن بعث محاولة شخصية بعيدة الآفاق قصد اقتحام الأراضي الإسلامية وتتنصير سكانها. وضمن هذه المبادرة، أثر لول التركيز على مبدأ التنصير السلمي القائم على الوعظ والإرشاد والإقناع مُعولاً في نجاحه على تجاوب أولي الألباب من المسلمين مع دعوته لقدرتهم على استيعاب مضمونها وفهم أبعادها وانسياقهم وراء الحجة الدامغة.

وهكذا يبقى هذا الموضوع جديراً بالدراسة، مُشوقاً ومُثيراً للكشف والفُصول باعتباره مدخلاً لإحدى أهم وأغرب المحطات في تاريخ الحركة الصليبية إبان العصور الوسطى.

أسباب اختيار الموضوع.

في بداية بحثي وحتى خلال مرحلة مُتقدمة منه، لاحظت نقصاً كبيراً بل ندرة شديدة حول الكتابات العربية الأكاديمية التي تناولت هذه الشخصية. فلم أجد دراسة مُستقلة لها باللغة العربية اللهم إلا الشذرات المُتناثرة هنا وهناك في كتب الحرب الصليبية والتي تتناول باختصار شديد جهد هذا القطلاني في الدعاية الصليبية والتنصير. وفي هذا المقام وفي ظل نقص كبير ومحسوس لمثل هذه الدراسات الشاملة، و الخاصة بالتاريخ الأوربي الوسيط، في العالم العربي و الإسلامي، ستؤدي هذه الرسالة دون شك إلى وضع لبنة جديدة في صرح البحث العلمي بالجزائر و بالتالي إلى إثراء المكتبة العربية التي تعاني نقصاً ملحوظاً في الكتب و الدراسات المُتخصصة.

الواقع أنه منذ أن أشار علي أستاذي المُشرف بمدى أهمية هذه الشخصية واستحقاقها للبحث، تأكدت جلياً أن هذه الدراسة تسمح لي بتحقيق أهداف مُختلفة منها شخصية و أخرى علمية. فإنجاز مثل هذا العمل يسمح لي باكتساب التخصص الدقيق في العصور الوسطى الأوربية، خاصة من خلال البحث والتعمق في المصادر اللاتينية الخاصة بهذا الرجل الذي عاش

في ذلك العصر. إن التطرق لهذا الموضوع يطرح أيضا فرصة للنظر في تاريخ العلاقات الفكرية ولكن من زاوية عربية إسلامية محضة و بروح موضوعية فاحصة هذا و ستمكن هذه المحاولة العلمية من استجلاء غوامض موضوع تميز بصعوبة و تشعب أوصاله مما يُجسد بشكل واضح واقع المرحلة التاريخية الذي عاشته أوروبا في أواخر العصور الوسطى.

في منهج البحث كنت حذراً جداً في استخدام المصادر الأولية الخاصة بحياة رامون لول، خاصة ما تعلق منها بسيرته الذاتية والتي تحمل مسحة مما يعرف في الأدب التاريخي في العصور الوسطى الأوروبية بسير القديسين Hagiography فهذا النوع من الكتابات قائم على أساس مفهوم تقديم المثل الأعلى لا تقديم الواقع، إضافة إلى مؤلفاته التي تحمل وجهة نظره، لذا الغوص في أغوار عقل هذا الرجل، بغية تحليل أفكاره وآرائه التي تعكس حقاً المناخ الذي عاش فيه.

خطة البحث.

تتشكل هذه الرسالة التي يُغطي إطارها الزمني حوالي أربع وثمانين سنة، وهي مدة حياة رامون لول، من مقدمة وخمسة فصول وذيلتها بخاتمة ضمنيتها كل ما توصلت إليه من نتائج.

يحمل الفصل الأول عنوان: "حياة رامون لول 1232-1316م" حاولت عبر مضمونه التعريف بشخصية رامون لول، من خلال محاولة الإحاطة بالتفاصيل التي تتعلق بسيرته التي شابها الكثير من النشاط والتعقيد، ومن ذلك تعرضت لأصول أسرته ومولده ونشأته وتعليمه وتدرجه في حياة البلاط الأراجوني في ميورقة وكذا تحوله المفاجئ الذي غير مسيرة حياته وتهيأ لبداية تكوينه الجديد الذي سطر له هدفين أساسيين: تنصير المسلمين واسترجاع الأراضي المقدسة واقتضى منه هذا المشروع تنظيم أسفار دؤوبة في مختلف بقاع المتوسط .

أعطيت للفصل الثاني عنوان: "فكر رامون لول التنصيري" تطرقت فيه إلى مجمل آراء لول التنصيرية وكشفت عن خلاصة أفكاره التي انصبحت حول طرق الجدل الفكري والديني تجاه

المسلمين، وأشارت بقدر كبير من التفصيل إلى حملته الهجومية ضد الرشدية اللاتينية السائدة في جامعة باريس.

جاء الفصل الثالث تحت عنوان " جهود رامون لول التنصيرية"، تتبعت فيه جهوده التنصيرية في الأماكن التي شدّ رحاله إليها كتونس، بجاية، جنوب إيطاليا، قبرص وأرمينيا بشرق المتوسط، وأشارت أيضاً إلى دوره في تأسيس دير مرامار بجزيرة ميورقة قصد تدريس اللغة العربية وتكوين المنصرين.

وأما الفصل الرابع فكان عنوانه: "مخططات رامون لول الصليبية". تتبعت فيه واقع الحركة الصليبية قبل ولادة لول، ودرست مخططات لول الصليبية عبر الكتيبات التي حررها، وهي تُبرز بحق مدى اهتمامه ونشاطه الحثيث بفكرة الدعاية الصليبية وحرصه الشديد على بعثها كوسيلة ناجعة لتطويق الإسلام بدياره. هذا إلى جانب دراسة مواقفه تجاه الهيئات العسكرية الدينية المسلحة المعاصرة له ودورها في أي نشاط صليبي مُحتمل وكذا موقفه تجاه المغول الذين برزوا على الساحة الدولية باعتبارهم قوة لها تأثيرها على موازين القوى آنذاك.

وقد اخترت للفصل الخامس والأخير عنوان " تقييم مشروع رامون لول التنصيري والصليبي والعلاقة بينهما". ورد هذا الفصل في قراءة نقدية وعُصارة كاشفة للعلاقة بين المخططات التنصيرية والصليبية وأيهما خادم للآخر، وحاولت في بعض من جوانب هذا الفصل إعادة استعراض لبعض الأفكار التي أوردتها في الفصلين السابقين بُغية القيام بعملية مقارنة لتوضيح حقيقة هذه العلاقة.

في الخاتمة خلصت إلى بعض النتائج التاريخية والموضوعية حول فكر رامون لول وكذا نتائج جهوده التنصيرية الصليبية . ثم ذيلت الرسالة بمجموعة من الملاحق و الخرائط الموضحة لمضمونها.

عرض لأهم المصادر اللاتينية البحث:

تحتل مؤلفات رامون لول الحيز الأكبر ضمن مصادر هذا البحث، وهو أمر منطقي نظراً لموضوع الرسالة. حقيق على أن أعمال لول تُجسّد ثقافة العالم الغربي المسيحي نظراً لما اقتبسه من مصادرها المختلفة وبُحُكم اعتماده في تدوينها على اللغتين اللاتينية والقطلانية، لكن جزءاً مهماً من مؤلفاته كذلك يحتل موقِعاً مُتميزاً للغاية نعتَه المُختص في الدراسات اللولية "خواكيم كاريراس أي أرتاؤ Carreras I Artau " بأنه "فلسفة تخومية" ذات تأثيرات عربية⁽¹⁾.

فتحرير لول لبعض النصوص بالعربية أو ترجمتها إلى هذه اللغة، حتى ولو فُقدت جميعها حتى الآن من ناحية وتعلقه الملموس بثُراث العالم الإسلامي والذي أكده لول نفسه مرات عديدة من ناحية أخرى، يُظهران حرصه الشديد على تمرير رسالته للجمهور الذي يخاطبه. لذا فإنه لا يكفي بإدخال بعض عناصر الثقافة العربية كتركيب الجملة، ونظام الإعراب، بل تُلمس عنده تجليات للتيارات الفكرية التي عاصرها مثل النظرية الأشعرية المتعلقة بأسماء الله الحسنى والبرهان الموحي على وجود الله وكذا منطق ابن سبعين وفلسفة المسلمين وغيرها من الأفكار الدينية والفلسفية التي طبعت القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.

وعليه فلإنجاز موضوع هذه الرسالة، اعتمدت على أربعة أنواع من المصادر وهي :

أ- مؤلفات رامون لول.

ب-مصادر لاتينية اخرى.

ج- المصادر باللغة القطلانية القديمة.

د- المصادر العربية.

⁽¹⁾- أنظر:

Armand Llinarès , Ramon Llull: Pròleg de Joaquim Carreras i Artau , Col·lecció Estudis i documents, 12 , Edicions 62, 1968 , p.56.

أ- مؤلفات رامون لول:

تأتي سيرة رامون لول في مقدمة المصادر المُعتمدة في هذه الرسالة، وقد جاءت هذه السيرة على شكل مُذكرة شخصية، التي تُعتبر علامة دالة على التدوين التاريخي في العصور الوسطى. على أن السمة المميزة لهذه الترجمة الذاتية، تتمثل في أن كاتب المذكرات يصف تجاربه كعضو في جماعة بدل اعتبار نفسه محوراً تدور حوله الأحداث التي يرويها. وجُلّ ما يُعرف عن لول يُستمد أساساً من كُتيب له يُسمّى السيرة المعاصرة "Vita Coetanea"⁽¹⁾، يتضمن نصاً لشبه سيرة ذاتية مؤلفة سنة 1311م، كان لول قد قام بإملائها على الرهبان الكارثوسيان في فوفرت Vauvert أحد مناطق مدينة باريس⁽²⁾. وقد ظهرت في البداية ثلاث نسخ منها، جاءت نسختان باللغة اللاتينية، اهتم "توماس لوميزيير Thomas Le Myésier"، وهو أحد تلامذة لول بباريس وعمل كطبيب في البلاط الفرنسي، بإعادة نشرها بعد عشر سنوات من وفاته أي عام 1326م، وهي النسخة المحفوظة الآن في المكتبة الوطنية بباريس، زودها "توماس لوميزيير" برسومات تحاكي بعضاً مما ورد في السيرة. أما النسخة الثالثة من السيرة، فكانت مُترجمة إلى اللغة القطلانية، والتي يبدو أنها أي الترجمة قد أنجزت في أواخر القرن 14م.

من مؤلفات لول التي اعتمدت عليها في هذا البحث روايته المسماة "بلانكرنا Blanquerna"⁽³⁾، والتي تحظى بأهمية تاريخية بالغة، على الرغم من طابعها الأدبي، إذ أنها تحوي جزء كبيراً من أفكار لول التي كان يود أن يراها في الواقع. وهي سيرة خيالية لأحد القديسين المسيحيين المدعو "بلانكرنا"، وفيها يروي قصة الشاب المثالي المتزوج الذي تخطى عن نعم الحياة

⁽¹⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Vita coetanea (A Contemporary Life), ed. and trans. Andiony Bonner , Barcino-Tamesis, Barcelona and Woodbridge, 2010.

⁽²⁾ - Vauvert أو الوادي الأخضر، في سنة 1257م، تنازل عنها الملك لويس التاسع لصالح الرهبان الكارثوسيان الذين أسسوا ديراً لهم هناك (حالياً تقع عليها حدائق لوكسمبورغ في باريس). للمزيد ارجع إلى:

Hugh of Balma , Carthusian Spirituality: The Writings of Hugh of Balma and Guigo de Ponte , translated by Dennis D. Martin , Paulist Press , 1997 , New York , p.9.

⁽³⁾ - توفرت على نسختين اعتمدت عليهما: الأصل القطلاني ضمن سلسلة الأعمال الرئيسية التي احتوت على طبعة نقدية، وكذا ترجمة فرنسية حديثة لهذا العمل. أنظر:

Ramon Llull , Blanquerna , ed. M. Batllori , et al. , O.E. , vol.1 , Barcelona , 1957 ; Idem , Blaquerne , Traduit du Catalan par Patrick Gifreu , editions du Rocher , Monaco , 2007.

الدنيا كي يؤسس ملكوت الرب على الأرض، وعندما استلم بلانكرنا منصب البابا في روما تولى عن مشاغل كرسية الدنيوية واعتزل في جبل قرب روما لعبادة ربه. وقد كان هدف لول منها عرض أفكاره التربوية والاجتماعية والدينية من أجل تحقيق الإصلاح. وهي رواية تربوية تتوازي فيها الأحداث المُفعمّة بالعبر مع سيرة حياة بلانكرنا، وتحتوي الرواية سمات عديدة تشير إلى سيرة حياة المؤلف نفسه.

أما الرواية الثالثة فهي "فيلكس وعجائب العالم" *Fèlix de les maravelles del món* (1289 م)⁽¹⁾، التي سرد فيها لول تجارب الشاب فيلكس المتنوعة والمتعددة مع مختلف أنواع البشر والحيوانات وظواهر الطبيعة، كما يلتقي على طريقه بالناسك الحكيم بلانكرنا، حتى يدرك جمال الخالق فيما خلق. ويعدّ الكتاب السابع من هذه الرواية عملاً فريداً من نوعه تاريخياً، فهو ملحمة متكاملة عن عالم الحيوان تُقارب "كليلة ودمنة" من حيث مغزاها.

كتاب التأمل ويُعرف أيضاً بـ"كتاب التأمل في الله" *Llibre de contemplació en Déu*⁽²⁾، حرّره لول ما بين سنتي 1271-1274م، يعتبر من بين أكبر المؤلفات التي أنتجها لول، ففي الطبعة النقدية لأعماله "O.R.L." يأتي في سبعة مجلدات، وفي طبعة الأعمال الرئيسية "O.E." جاء في حوالي 1200 صفحة. وكلا النسختين جاءتا باللغتين القطلانية واللاتينية، هما حسب لول نفسه، ترجمة من النسخة العربية المفقودة التي ألفها لول.

وكتاب عقيدة الطفل أو النشء *Doctrina pueril*⁽³⁾، تكمن أهمية هذا العمل في أنه يحوي معلومات عن وجهة نظر لول للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وقد حرّره لول بين سنتي

⁽¹⁾ - اعتمدت على الترجمة الإنجليزية الموجودة في أعمال منتخبة لرامون لول . أنظر:

Ramon Llull , Felix, or the book of wonders , in : Selected works of Ramon Llul , edited and translated by Anthony Bonner , Vol.II , Princeton University press , N.J. , 1985.

⁽²⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Llibre de contemplació en Déu , en O.R.L. , Vol.II-VIII , Comissió Editora Lulliana , Palma de Mallorca, 1906.

⁽³⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Doctrina pueril , en : O.R.L. , Vol.I , Palma , 1906 ; Id. , Doctrina Pueril , ed. Gret Schib , Els Nostres Clàssics Col·lecció A , Vol.104 , Barcelona , 1972.

1274-1276م، وهو كتاب تعليمي صرف، سعى فيه لول إلى ترسيخ حقائق الإيمان المسيحي في أذهان الجمهور العادي. واحتوى على كثير من المحاور التي تختص بالتعليم المسيحي وهي: مقالات الإيمان ال 14، الوصايا العشر، الأسرار السبعة، الهدايا السبع للروح القدس، أفراح مريم السبعة، الفضائل السبعة، والرذائل السبع. على أن الأهمية الأخرى التي يتضمنها تأتي في الملاحق المطولة التي تشتمل على معلومات تتعلق بالديانات الثلاث وخاصة الإسلام من أجل معرفة أتباع الكنيسة الكاثوليكية بها، والفنون الحرة السبعة المعروفة باسم التريفيوم والكوادريفيوم وتُشكل التريفيوم علوم النحو والجدل والبلاغة فيما تتكون الكوادريفيوم من علوم الحساب، الهندسة، الموسيقى وعلم الفلك فضلاً عن العلوم السائدة في جامعات العصور الوسطى كاللاهوت، القانون، الطب وفلسفة أرسطو.

ومن الكتب الجدلية المهمة، اعتمدت على "كتاب الوثني والحُكماء الثلاثة The Book of the Gentile and the three wise men"⁽¹⁾، وهو كتاب مُتخصص في علم الدفاع عن العقيدة المسيحية، هدف لول من خلاله إلى إثبات فعالية طرقه الجدلية في تبيان حقيقة أو زيف عقائد الأديان السماوية الثلاث (المسيحية، الإسلام، اليهودية). وقد أظهر لول في هذا الكتاب روح التقارب وأراد أن يبرز النقاط التي يمكن فيها التفاهم بسهولة بين أصحاب الديانتين المسيحية والإسلامية.

كتاب "هيئة الفرسان Llibre de l'orde de cavalleria"⁽²⁾، هو عبارة عن كُتيب وجيز المُحتوى يتضمن القيم الأخلاقية والدينية المرتبطة بطبقة الفرسان ممن يمتنون مهنة حمل الأسلحة. حرره لول بين سنتي 1274-1276م من أجل تعزيز المُثل المسيحية للطبقة العسكرية في القرن 13م، وقد حقق نجاحاً أدبياً كبيراً. والواقع أن القارئ لهذا الكُتيب يلمس بجلاء الخلفية

⁽¹⁾ - اعتمدت على الترجمة الإنجليزية لأنطوني بونر، الموجودة في أعمال منتخبة لرامون لول. أنظر: Ramon Llull , The Book of the Gentile and the three wise men , in : Selected works of Ramon Llul , edited and translated by Anthony Bonner , Vol.II , Princeton University press , N.J. , 1985.

⁽²⁾ - أنظر: Ramon Llull , Libre del Orde de Cavallería , ed. Mateu Obrador i Bennassar, O.R.L., Vol.I , Palma de Mallorca, 1906 .

الإيديولوجية التي توخاها لول لهذا العمل خاصة الصليبية منها وأهمية طبقة الفرسان بالنسبة للتاج الأراجوني والفرنسي.

"كتاب الصديق والمحبيب Llibre d'amic e amat"⁽¹⁾، والذي نجده في بعض المخطوطات جزءاً من رواية بلانكرنا، يحتوي على 366 عبارة بعدد أيام السنة، ونظراً لأهميته من حيث الأسلوب وعمق المعنى صدرت عن منته القطلاني تراجم كثيرة إلى سائر اللغات الأوروبية. ويتميز الكتاب بسمة خاصة وهي استعمال الرموز الصوفية والعشق الإلهي الذي استقاه لول من مؤلفات الصوفية المسلمين.

كتاب "الضيق Desconhort"⁽²⁾، وهو عمل ألفه لول سنة 1295م، ورد مضمونه في شكل قصيدة، تحتوي على تسعة وستين بيتاً. وهي قصيدة يُحاكي خلالها نمط السيرة الذاتية وفق منهج تدوين سير القديسين الأدبية، حيث يتحدث في أبياتها عن رامون الكتيب الذي كرس نفسه لتصوير المسلمين، وأمضى ثلاثين عاماً من حياته في تمجيد الإيمان دون أن يعرف نجاحاً ملموساً. وفيها يستحضر حواراً طويلاً مع ناسك، يدعو رامون لفحص ضميره من أجل معرفة ما إذا كان "الفن العام" قد حقق له النجاح المأمول. وفي القصيدة أبيات عن مدى جدوى الحملات الصليبية.

الكتب التي تُعنى بمُحاربة الرشدية، فقد ألف لول ما يربو عن مائة وخمسين كتاباً منها ثلاثة وخمسون كتاباً فلسفياً وواحد وستون كتاباً لاهوتياً وثمانية عشر كتاباً ضد الرشدية، وكتب معظمها باللغة القطلانية واللاتينية. ونظراً لعددها الكبير، فقد اعتمدت على بعض منها لإبراز

⁽¹⁾ - رغم وجود العديد من الترجمات، إلا أنني آثرت استخدام الطبعة النقدية للنسخة القطلانية التي صدرت بمناسبة ذكرى مرور 700 سنة على وفاة لول عام 2016م، بسبب توفرها على العديد من الشروحات والتعليقات التي تفسر المتن العامر بالاستعارة التي تطغى على لغة لول. أنظر:

Ramon Llull , Llibre d'Amic i Amat , Tres homes de Déu en diàleg , Ramon; Verdaguer, Jacint; Xirinacs, Ramon Balasch editor , Barcelona , 2016.

⁽²⁾ - موجود ضمن سلسلة الأعمال الرئيسية، وكذا في الأعمال اللاتينية الكاملة. أنظر: Ramon Llull , Desconhort , O.E. , vol. I , Editorial Selecta , Barcelona , 1959 ; Idem , Desconort , O.R.L. , VOL.XIX , Diputació Provincial de Balears , Palma, 1936.

بعض من القضايا التي هاجمها لول وأراد دحضها، خاصة في الفترة التي تُعرف في حياته بالفترة الباريسية.

ثمة ثلاث مصادر باللغة اللاتينية لها أهميتها البالغة في هذه الدراسة، خاصة الشق الصليبي، عرض فيها لول بالتفصيل تصوره للحملة الصليبية. المصدر الأول معنون بـ "كتاب الحملة Liber de Passagio"⁽¹⁾، الذي تضمن كتيباً مهماً هو "مزايا طريقة تحويل الكفار Tractatus de moda convertendi infideles" حرره لول بتاريخ 1292م، والثاني مسمى بـ "كتاب الغاية Liber de Fine"⁽²⁾ ألفه لول عام 1305م، وآخر هذه المصادر "كتاب الاستحواذ على الأراضي المقدسة Liber de acquisitione Terrae Sanctae" كتبه لول في عام 1309م³. واعتمدت على مُذكرة خطية أخرى ملحقة بالعمل الأول، معنونة بـ "كيفية استرداد الأراضي المقدسة Quomodo Terra Sancta recuperari potest". تتضمن هذه المصنفات تفاصيل مثيرة للاهتمام تُعالج إعداد الحملة الصليبية وعلاقتها بالبعثات التنصيرية، وإن كانت تحتوي على بعض الاختلافات، خاصة الإستراتيجية منها، فإنها كانت تستجيب في المقام الأول إلى التغيرات السياسية في تلك الفترة.

ب - المصادر اللاتينية الأخرى.

من بين أهم المصادر اللاتينية التي اعتمدت عليها، كتابات الراهب الدومينيكاني "همبرت الروماني Humberto de Romans" (1200-1277م)، الذي ينتمي إلى هيئة الدومينيكان التي أصبح سيّداً لها عام 1254م. كان همبرت مُهتماً كثيراً باللغات، وشجع الدراسات اللغوية

⁽¹⁾ - موجود ضمن سلسلة الأعمال اللاتينية. أنظر:

Ramon Llull , Liber de Passagio , en Raimundi Lulli Opera Latina, Edidervnt Blanca Garí, Fernando Domínguez Reboiras , Volume 28 , Brepols, 2003.

⁽²⁾ - اعتمدت على النسخة القطلانية في طبعتها النقدية. أنظر:

Ramon Llull , Darrer Llibre sobre la conquesta de Terra Santa (Liber de Fine) , Introducció de Jordi Gayà , Traducció de Père Llabrés , Departament de cultura de la Generalitat de Catalunya, Barcelona , 2002.

⁽³⁾ - موجودة في نصها اللاتيني على شكل مخطوط والمحفوظ في المكتبة الوطنية الفرنسية . أنظر:

Ramon Llull , Liber de acquisitione terrae sanctae , Paris , Bibliothèque Nationale , lat 15450, ff.544^v-547^v.

بين المُنتسبين لهيئة الدومينيكان، وركز في المقام الأول على اللغة العربية، من أجل تسهيل عمل الرهبان التبشيري خاصة في أوساط المسلمين بالشرق. وقد اعتمدت على عملين حررهما، الأول بعنوان "المقالة الثلاثية Opusculum Tripartitum" الذي حرره بتكليف من البابا جريجوري العاشر من أجل عرضه على المجمع المسكوني المنعقد بليون عام 1274م. وأفدت منه في مناقشاته لتعزيز البعثات التنصيرية وبعث الحروب الصليبية وعلاقة هذين المشروعين بإصلاحات الكنيسة. أما العمل الثاني فهو المعنون بـ: "رسالة في التبشير الصليبي ضد المسلمين Tractatus de Pradicature contra sarracenos"، الذي قدمه همبرت إلى ملك فرنسا فيليب الرابع وكذا إلى البابا، واعتمدت عليه في تبيان الحالات التي واجهت المُنصرين في مُحاولاتهم التبشيرية مع المسلمين.

وأذكر أيضاً مجموعة من المصادر اللاتينية التي أفادتني في تتبع آراء المُفكرين اللاتين، خاصة كتابات القديس توما الاكويني ومؤلفه في وحدة العقل ضد الرشديين اللاتين De unitate intellectus contra Averroistas"، الذي استقدت منه في آرائه المُضادة للأفكار ابن رشد، وكذا "خلاصة ضد الكفار Summa contra Gentiles" أو "خلاصة في الرد على الأجانب" الذي يردُّ فيه الإكويني على المتكلمين المسلمين مُستعملاً فيه أدواتهم ونظرياتهم.

د- المصادر العربية.

اقتصر استخدامي للمصادر العربية على الجُزئية الخاصة بمؤلفات ابن رشد، وبعض من مؤلفات ابن تيمية. وصحيح أن لول حرّر العديد من مؤلفاته باللغة العربية بحكم دراسته لها ومعرفته إياها، وقيامه بترجمة بعض منها إلى اللغتين القطلانية واللاتينية، إلا أن التاريخ لم يحفظ لنا هذه المؤلفات، ويبقى أمل العثور عليها قائماً في المستقبل.

تجدر الإشارة إلى أن أولى محاولات ترجمة أعمال لول إلى اللغة العربية تعود إلى القرن 16م، حين قام الراهب الماروني "جبرائيل ابن القلاعي" (1447-1516م) بترجمة ثلاثة مؤلفات للول هي: "مُجادلة الحُكماء الخمسة Disputatio quinque hominum sapientium"

و"عريضة رامون المقدمة للبابا سيلستين الخامس من أجل تنصير الكفار Petició de Ramon al papa Celesti V per la conversió dels infidels " وكتاب "موجز الفن Ars brevis". لكن بعد اطلاعي على هذه المخطوطات في مكتبة جامعة الروح القدس والمُسماة أيضا بالكسليك ببيروت، تبين لي أنها مكتوبة باللغة الكرثونية وهي العربية بأحرف سريانية، الأمر الذي جعلني أعود إلى الأصل اللاتيني والقطلاني، وبعض الترجمات إلى اللغات الأوربية الحديثة، خاصة في ظل انعدام أي ترجمة عربية حديثة لأعمال هذا الرجل الذي كانت له علاقات مباشرة مع المسلمين، ويحدوني الأمل في المستقبل لترجمة أهم أعماله إلى اللغة العربية.

من حُسن حظي أنني تمكنت من الحصول على الوثائق والمصادر من خلال رحلة علمية إلى إسبانيا وتحديداً إلى إقليم قطلونية، باحثاً عنها في مركز رامون لول للتوثيق الكائن بكلية فقه اللغة بجامعة برشلونة وكذا بمكتبتها العتيدة، بجانب العديد من المكتبات الأخرى في هذه المدينة التي تجد في أحيائها احتفاء كبيراً بهذا الشخص الذي يعتبر عماد الأدب القطلاني .

لقد دفعتني الضرورة وطبيعة الموضوع وتشابك حيثياته إلى الوقوع في ظاهرة التكرار، هذا على الرغم مما بذلت من جهد في التقليل منها، لكن في الحقيقة ما أوقعني فيها هي مؤلفات لول نفسها، خاصة أنه يعيد كثيراً من أفكاره ويكيفها حسب طبيعة الأوضاع السياسية التي عاش فيها، مما يجعل ظاهرة التكرار كضرورة علمية في دراستي هذه. و الحق أن هذا الموضوع والبحث فيه ليس بالأمر السهل، إذ واجهتني صعوبات و تعقيدات يرجع سببها بالدرجة الأولى إلى قلة المصادر اللاتينية المترجمة إلى اللغات الحديثة وكذا اللغة القطلانية، مما حدا بي إلى دراسة هاتين اللغتين، هذا فضلاً عما كلفتنى عملية الحصول عليها والعمل المضاعف الذي قمت به من قراءة وترجمة النصوص الأجنبية الحديثة والذي كلفني وقتاً طويلاً وجهداً شاقاً، ثم لا أنسى بالذكر ما يتطلبه البحث العلمي من تحقيق دقيق و تحر شديد للاهتمام إلى المادة التاريخية الصحيحة.

ولا يفوتني في ختام هذا العرض أن أتقدم بالشكر والعرفان لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور : رشيد تومي، الذي قاد خطواتي الأولى على درب البحث العلمي فدرست على يديه في

سنوات الليسانس والماجستير ثم وجهني إلى دراسة هذا الموضوع واستفدت كثيرا من ملاحظاته وارشاداته وأدين له بالفضل الكثير في إخراج هذا الموضوع على هذا الشكل.

كما أتوجه بشكري وتقديري للأستاذة المتخصصة في الدراسات اللولية، الأستاذة " لولا باديا Lola Badia " مديرة مركز رامون لول للتوثيق ورئيسة قسم فقه اللغة بجامعة برشلونة على تفضلها بتسهيل إقامتي، ودعوتي للمكتبة القيمة التي يحتويها مركز رامون لول للتوثيق، وتكرمها علي ببعض من الملاحظات القيمة التي تخص الموضوع، وأوجه أيضا شكري الخالص للسادة موظفي مكتبة جامعة برشلونة وكذا العاملين بالمكتبة الوطنية بالعاصمة الإسبانية مدريد، الذين خدموني بلا كلل وتفان كبير ويسروا لي مهمة اقتناء العديد من المخطوطات والمصادر والمراجع الخاصة بالموضوع وشكلت لي كل هذه المساعدة دعماً وعوناً ملحوظين لبلوغ أغوار هذه الدراسة.

و بهذه الدراسة العلمية أرجو أن أكون قد أضفت لبنة جديدة في صرح البحث التاريخي والعلمي بالجزائر و أتمنى أن يحتل هذا البحث أيضاً، ما يستحقه من مكانة في المكتبة الوطنية والعربية.

و الله أسأل أن أكون قد وفقت فيما ذهبت إليه و الله ولي التوفيق و هو حسبي و نعم الوكيل.

الطالب: الأغويني برق

الفصل الأول

حياة رامون لول

1232-1316م.

- 1- أصول رامون لول.
- 2 - مولد رامون لول.
- 3 - التعليم الأول لرامون لول.
- 4- انخراط لول في البلاط الملكي.
- 5- التحول المفاجئ لحياة لول.
- 6- سنوات دراسة لول بعد التحول.
- 7- مُساهمة رامون لول في المجال السياسي.
- 8- رحلات لول إلى مُدن مونبيلييه، روما ، باريس و جنوة.
- 9- صدمة رامون لول بعد سقوط مدينة عكا سنة 1291م.
- 10- رحلات رامون لول خارج إسبانيا (1293-1311م).
- 11- مشاريع رامون لول المُقترحة في مجمع فيين المسكوني 1311م.
- 12 - سنوات رامون لول الأخيرة (1311-1315م).

1- أصول رامون لول.

تتحدّر أصول والد رامون لول من مدينة برشلونة، التي كان أحد مواطنيها الأثرياء. ويُعتبر من المستوطنين الأوائل لجزيرة ميورقة⁽¹⁾. إسمه الكامل "رامون أمات لول Ramon Amat Lull"، وكان الإسم الذي يحمله من بين أقدم الأسماء العظيمة ذات الصفة التشريفية في قطلونية⁽²⁾. أبحر هذا الوالد مع أسطول الملك خايمي الأول سنة 1229م من أجل غزو ميورقة وانتزاعها من المسلمين، وتُشير بعض الروايات أنه كان في حدود الثلاثين من عمره حين مُشاركته في الغزوة⁽³⁾. حصل نظير مشاركته الفعّالة في هذه الحملة الناجحة على ممتلكات وتشريفات⁽⁴⁾، كان الملك خايمي قد تعهد بها لكل نبيل أو تاجر يشارك في الحملة. هذه الإمتيازات جعلت الوالد يستقر في هذه الجزيرة بشكل نهائي.

من اللافت أن حصول هذه الشخصية على مثل هذه الامتيازات، تعني بالضرورة أنه كان على قدر كبير من الأهمية، وترجح فكرة كونه نبيلًا من نبلاء قطلونية⁽⁵⁾. وصلت هذه الملكيات

⁽¹⁾- أنظر :

J.N. Hillgarth , Ramon Lull i el naixement del Lul·lisme , Publicacions de l'Abadia de Montserrat , Barcelona , 1998 , p.28.

⁽²⁾- الصيغة القطلانية القديمة للإسم هي Lull، أو Lul. أنظر :

Keicher (Otto) , Raymundus Lullus und sein Stellung zur arabischen Philosophie , Münster , 1909 , p.I , n.I.

أما عن الصيغ اللاتينية التي ورد بها الإسم فهي Lullus و Lullius و كليهما مستعمل من قبل Beatus في مؤلفاته اللاتينية. ووفقا لقواعد الإملاء القطلانية الحديثة، فإن الإسم يكون بالشكل الآتي Lull . وقد عُرفت تهجئة غير ملائمة لهذا الإسم جعلت حروفه تتحوّل إلى Lully ، ومرد هذا إلى التأثير الذي مارسه بعض من الكتاب الانجليز الذين يجهلون موطن لول ولغته المحلية القطلانية. ولقد تبين في هذه الرسالة الصيغة القطلانية لإسم "رامون لول كاملا Ramon Lull" بدون النبرة، التي تستعمل في اللغة الإسبانية القشتالية بالشكل Ramón.

⁽³⁾- أنظر : Joan (Avinyó) , El Terciari Francescá Beat Ramón Lull , Igualada , 1912 , p.51. يعطي "فيرنون Vernon" وكتاب مبكرون، تاريخ ميلاده بعام 1196م، لكن لا يوجد هناك أي دليل مادي مقنع يدعم هذا الافتراض.

⁽⁴⁾- أنظر :

Hillgarth J.N. , Diplomatarium Lullianum , Edicions de la Universitat de Barcelona , Barcelona , 2001.

⁽⁵⁾- أنظر :

E. Allison Peers , Ramon Lull : A Biography , The Macmillan Co , London , 1929 , p.5. وصفت أسرة رامون لول بأنها أحد العائلات البرشلونية النبيلة قبل غزو ميورقة ، وأيضاً كأحد الأسر البرجوازية الأكثر رغداً في العيش. أنظر :

Rubió i Balaguer (Jordi) , Ramon Lull i el Lul·lisme , Publicacions de l'Abadia de Montserrat , Barcelona , 1985 , p.36 ; Hillgarth J.N. , Diplomatarium Lullianum , p.11.

في سنة 1232م إلى حدود 159 هكتاراً في الجزيرة⁽¹⁾، ويُحدد "كتاب التقسيم" El libre de Repartimiento⁽²⁾، الأراضي التي أقطعها له الملك خايمي، وتشمل "رافال أليبيتي Rafal Aliebbiti"، وهي ليست ببعيدة عن مدينة بالما⁽³⁾، وكذا إقطاعية "بينياترو Biniatro (أطلق عليها فيما بعد Beni-Atron) والواقعة بين منطقتي "كمانيت Campanet" و "بولنسا Pollensa". رصيد آخر من العقارات نجده في "كتاب التقسيم" ممنوح من قبل الملك خايمي لـ "أمات لول" معروفة بأسماء "تل Tell"، "جبلي Gebelli" و "الكاريتكس Alcaritx"⁽⁴⁾، لكن هناك أيضاً شواهد تنسب بعضاً من هذه الممتلكات إلى شخص يُدعى "فيرير لول Ferrer Lull"، الذي قد يكون ابن عمه، أو من المُحتمل كثيراً أن يكون عمّه⁽⁵⁾. من هذا الجانب، يبدو

⁽¹⁾ - أنظر :

Soto i Company (Ricard) , Alguns casos de gestió 'colonial' feudal a la Mallorca del segle XIII , La formació i expansió del feudalisme català , Actes del col.loqui organitzat pel Col.legi Universitari de Girona , 8-11 de gener de 1985 , a cargo de J. Portella , p.349.

⁽²⁾ - أصدر الملك خايمي الأول خلال حملته الثالثة والأخيرة على جزيرة ميورقة وانتزاعها من المسلمين، كتاباً بتقسيم أراضي الجزيرة، إقطاعيات له ولكبار قادة الحملة الصليبية، بعد أن قضى نهائياً على آخر معقل المقاومة الإسلامية في جزيرة ميورقة. وما زال "كتاب التقسيم El libre de Repartimiento" محفوظاً حتى اليوم في "أرشيف بلدية بالما دي ميورقة" وهو يتألف من جزئين، أحدهما باللغة اللاتينية، والقسم الآخر باللغة العربية. "والنصان يكمل أحدهما الآخر، ويتناول كلاهما تقسيم جزيرة ميورقة بعد انتزاعها من حكم المسلمين 629هـ/1232م، على يد ملك قطلونية وأراجون خايمي الفاتح الذي تدعوه المصادر العربية بالطاغية البرشلوني جاقا "جاقمة". وقام بتحرير كتاب التقسيم في مطلع شعبان 629هـ/أوائل يوليو 1232م، الكاتب وموثق العقود "بيدرو دي ميليو". وللنص العربي قيمة كبرى في توضيح معالم جزيرة ميورقة بعد استيلاء القوات الصليبية عليها. ويشتمل على عدد كبير من الأعلام الجغرافية، كما يُلقى الأضواء على شتى نواحي العمران في الجزيرة، خاصة في مدينة ميورقة العاصمة. وبالإضافة إلى ذلك يمكن للباحث من خلال دراسة هذه الوثيقة الفريدة معرفة اللغة العربية الدارجة في ميورقة آنذاك التي كان لبعض ألفاظها مدلول خاص. أنظر: بوسكيتس موليت (خايمي)، المخطوط اللاتيني العربي حول تقسيم جزيرة ميورقة، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، ج. 4، مدريد، سنة 1377هـ/1956م، ص ص. 217-219؛ محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ص ص. 133-136؛ محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني، ص. 408؛ سيسالم (عصام سالم)، جزر البليار المنسية (708م-1287م)، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص. 412.

⁽³⁾ - حالياً، لم تعد هذه الأرض موجودة بمسماها الذي عُرفت به في كتاب التقسيم، ولا يعرف حتى اتجاهها انطلاقاً من مدينة بالما دي ميورقة. وعلى أي حال، تعتقد السلطات الميورقية بأنها كانت موجودة في الضواحي الشمالية الغربية لعاصمة الجزيرة. وفي هذه الجهة، توجد مزرعة تدعى باسم "So'n Lull"، تؤيد فرضية وجود بعض من ممتلكات عائلة لول في هذه الانحاء. أنظر:

E. Allison Peers , op.cit. , p.11 , n.4.

⁽⁴⁾ - في الوقت الحالي، هذه الأماكن بالكاد معروفة للعامة. فجبلي Gebelli (أو Al-gebelli "كثيرة التلال" كما كانت تسمى في الأصل) لم تكن بعيدة عن Beni-Atron. وعلى مقربة من مزرعة تدعى "Huatel" أو "Tell". أما بالنسبة لإقطاع "الكاريتكس Alcaritx"، فيوجد في موضع "رافال" السابق الذكر مكان يدعى بـ "Alxaritx"، وآخر يسمى بـ "Alhoririx". وبالقرب من منطقة "Algaida" المعروفة حالياً، وبالضبط في أقصى شرق بالما، كانت توجد ضيعة تعرف باسم "Lancarix". أنظر: Pasqual , Antonio Raymundo , Vida del Beato Raymundo Lulio mártir y Doctor iluminado , Arqueológica Luliana , Palma , 1890 , Vol.I , p.3.

يتبع "باسكوال" في كتابه هذا ما درج عليه "داميتو Dameto" في مناقشاته لممتلكات لول في هذه الأماكن، ويتخذ وجهات نظر حذرة بعض الشيء.

⁽⁵⁾ - أنظر :

Joan (Avinyó) , op.cit. , pp.50-51.

يورد "خوان أفينييو" نقلاً عن "داميتو"، أنه كان لفيرير هذا ولد، وأن رامون، ورث أملاكه كلها، أو جزء منها. وفي هذه الرواية تشويش كثير لأنه لم يحسم شكل وحجم الوراثة بالضبط.

أن رامون لول كان يحوز أملاكاً كبيرة في برشلونة وفي أجزاء أخرى من قطلونية⁽¹⁾، لكن بعد أن أنفق عدة أشهر في جزيرة ميورقة، وشهد الإستسلام التدريجي للمسلمين الذين يعيشون خارج مدينة "بالما"، من المحتمل أنه ضم ملكيات أخرى إلى حوزته أكثر من تلك التي أغدقت عليه⁽²⁾، وعلى ما يبدو فقد قرّر الإستقرار هناك لتوفر كل من الأمن ووجود أحد من إخوته في الجزيرة⁽³⁾.

في حدود سنة 1231م، انضمت إليه زوجته "Elisabet d'Erill إيريل"⁽⁴⁾، التي كانت حاملاً بولده، وتمنّت هي الأخرى الاستقرار الدائم في ميورقة لكي تضع مولودها هناك. ومن الملاحظ أن هناك تبايناً في ضبط تاريخ استقرار عائلة لول في بالما دي ميورقة، إذ أنه بخريف سنة 1231م، وبين آخر مناسبتين عاد فيهما الملك خايمي إلى الجزيرة، لاستكمال عملية الغزو وإنهاء وجود المسلمين في آخر معاقلهم، يرى بعض الدارسين بأن تاريخ الاستقرار النهائي لعائلة لول كان في بدايات العام 1232م، لكن ولدوافع أخرى يبدو مُحتملاً بأن إستقرارهم كان في فترة مُبكرة قبل ذلك التاريخ⁽⁵⁾.

تُشير بعض الدراسات إلى إحتمالية أن ينحدر والد رامون لول وأمه اليزابيت من أصول عريقة في النبالة. ويُقال أن إسم الأسرة الدال على النسب مشتق من لفظة "Lolius" التي عرفت في روما القديمة، ومع ذلك فهو محض تخمين وحسب إذا ما وضعنا في الإعتبار أننا نسمع عن هذا الإسم Lull ، لشخص عيّنه شارلمان في سنة 792م، ليكون حاكماً لقلعة برشلونة⁽⁶⁾. في هذا الصدد أيضاً، يشير "كوادرادو" "Quadrado" بأنه ما من دليل مادي يؤكد وجود فرد من

⁽¹⁾ - يستشهد "باسكوال" ودارسون آخرون، بوثائق مؤرخة سنة 1257م، تفيد بأن "بلانكا بيكاني Blanca Picany" زوجة رامون لول، طلبت من موكلها أن يذكر في الميراث جميع أراضي رامون لول (في حالة غيابه أو حضوره) التي يملكها في مدينة برشلونة وضواحيها وكل الممتلكات الأخرى في قطلونية. وهذا دليل على الكم الهائل من العقارات التي كانت تحوزها عائلة لول. أنظر: Pasqual , Antonio Raymundo , Vindiciae Lullianae , sive demonstratio critica immunitatis doctrinae, Avignon , 1778 , Vol.I , p.22.

⁽²⁾ - أنظر: Pasqual , Vida del Beato Raymundo Lulio , Vol.I , pp.3-4.

حسب "باسكوال" فإن والد رامون تملك أرضاً جديدة تدعى بـ "Cavalleria d'en Lull" على مقربة من "ماناكور Manacor" التي تسمى اليوم بـ "So'n Llull" وقد ألحقها بالأملاك التي كانت ذات التزام دائم بتزويد جيش الملك بالأحصنة ، إضافة إلى كونها درع حامي للجزيرة. كما كانت هناك أرض أخرى له تحمل نفس الإسم "Cavalleria d'en Lull" تقع بالقرب من "كمانيت Campanet". وواضح بأن الأراضي السابقة الذكر، لم يحز عليها والد رامون لول عن طريق الغزو.

⁽³⁾ - أنظر: Pasqual , op.cit. , p.3.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ibid , p.6.

⁽⁵⁾ - أنظر: E. Allinson Peers , op.cit. , p.6.

⁽⁶⁾ - أنظر: Pasqual , Vida del Beato Raymundo Lulio , Vol.I , pp.16-17.

النبلاء يُدعى لول في القرن الثالث عشر الميلادي، وهو يدعو إلى الظن بأن والد لول كان من طبقة التجار⁽¹⁾.

الاستنتاج السابق، بالكاد له ما يُبرره على ضوء شيوع مهنة التجارة في قطلونية، وهي المهنة التي عُرف بها أي مواطن في هذا الإقليم الذي بدأت توسعته في المتوسط إنطلاقاً من التجارة، على الرغم من أن "نيقولا أيمريك" في مؤلفه "دليل المحققين" *Directorium inquisitorum* يدعو رامون بالتاجر القطلاني⁽²⁾، أما عن أصول أمه "إيزابيل إيريل" فالكثير يجنحون إلى كونها تنحدر من نسب نبيل⁽³⁾.

2- مولد رامون لول.

تاريخ ميلاد رامون لول غير مؤكد، وأقترحت بسبب ذلك عدة تواريخ لمولده، يتراوح معظمها بين سنتي 1231 و 1235م، ومن الصعب في ضوء المصادر التقرير بينها. فالسيرة الذاتية المعاصرة لا تورد تاريخاً مُعينا ومحدداً، ووسط هذا الغموض فإننا نميل إلى الإحتمال الذي رجّحه الكثيرون وهو تاريخ سنة 1232م⁽⁴⁾. أما عن اليوم والشهر بالضبط، فغير معروف، هذا على الرغم من وجود يوم يُحتفى به بالقدّيس رامون لول، إلا أن الرّيبة تشوب جميع أيام القدّيسين

⁽¹⁾- أنظر:

J.M. (Quadrado) , Primeros años y conversión de Ramón Lull , in Museo Balear , Vol.I , 1875 , p.388.

⁽²⁾- أورد أيمريك ما نصه "Raymundi Lulli, Catalani, Mercatoris, de Civitate Majoricarum oriundi ..". ومعناه "رامون لول، القطلاني، التاجر، وأصله من مدينة ميورقة..". أنظر:

Eymerich (Nicolas) , Directorium Inquisitorum , Collectio Iudiciorum De Novis Erroribus , Vol.I , Duchesne, 1755 , p.248.

E. Allison Peers , op.cit. , p.7.

⁽³⁾- أنظر:

⁽⁴⁾- من أمثلة هذا التضارب في تحديد التاريخ الدقيق لميلاد رامون لول، ما دونه "غابرييل لول" وهو مؤلف لسيرة ذاتية لرامون ظهرت سنة 1606م، الذي سجل تاريخاً مغايراً للميلاد المتداول للول وهو عام 1239م ويضبطه بعد بداية غزو الملك خايمي لجزيرة ميورقة بقوله: "ولد السعيد (أي رامون لول) بعد عشر سنوات من بداية غزوة الملك لميورقة". أنظر: B.S.A.L. , Vol.III , pp.262-264. لكن، هذه المعلومة التي أوردها غابرييل تفتقر إلى الدقة. مثلها مثل التواريخ التي أوردها "داسا Daça" الذي يعطي سنة 1240م، وكذا "وايدينج Wadding" الذي سجل العام 1236م. بينما تتراوح التواريخ التي أوردها "بلانش Blanch" وآخرون بين سنتي 1231م و 1232م. في حين أن باسكوال يعطي الأسباب، التي أدت بالكثيرين إلى الاقتناع بسنة 1231م، وهي السنة التي اتخذها مولدا لرامون لول. أنظر: Pasqual , Vida del Beato Raymundo , Vol.I , pp.7-14. وبالنسبة لمؤلفين أكثر عصرية، يتخذ كوادرادو تاريخ 1235م، ويتبعه في ذلك عدة نقاد مؤثرين لعل أبرزهم "مينيندث Menéndez و بيلايو Pelayo. على أية حال، يتأرجح كتاب السير المعاصرون، على ضوء المعطيات و المعارف الجديدة حول أجزاء من حياة رامون لول، إلى تواريخ مبكرة، وفي الواقع سيكون من الصعب، إن لم يكن مستحيلاً، تصنيف جدول زمني مبني على أي سنة ميلاد متأخرة على عام 1233م.

البارزين، ويُجمع الكثيرون على الإعتقاد بأن يوم ولادة رامون لول هو نفسه يوم تحول القديس بول، الذي ثبت الآن بأنه غير موثوق تماماً⁽¹⁾.

يقع الموقع التقليدي لمسقط رأس رامون لول فيما يعرف الآن بـ Plaça Major في مدينة بالما، أين يوجد نقش مؤرخ في سنة 1888م، الذي يُشير إلى الرأي القائل أن: " في هذا المكان شُيد البيت الذي ولد فيه الحكيم الأعظم والشهيد المقدس رامون لول 1232 - 1315م "⁽²⁾. وهناك من يُخالف هذا الرأي، ويرى أن مكان مولده كان في أبرشية القديس نيقولا، وأن آباءه دفنوا في أبرشية القديسة أولاليا "St.Eulalia"⁽³⁾.

أثناء طفولة رامون لول، استمر توسع التاج القطلوني-الأراجوني فيما يعرف بحركة الاسترداد، فبين عامي 1238م و1245م غزا الملك خايمي الأول مملكة بلنسية⁽⁴⁾، في الوقت الذي تسرب الضعف وأوهن الدولة الموحدية⁽⁵⁾. كما قام التاج الفرنسي المدعوم من طرف الكنيسة⁽⁶⁾، بضم إمارات أوكسيتانية صغيرة إليه، وفي تلك الفترة كانت اهتمام الكنيسة مُنصبا على إزالة هرطقة الكاثاريين Catharisme⁽⁷⁾. ولهذا لم يشأ خايمي الأول أن يفتح جبهة إضافية في الصراع ضد الفرنسيين من جهة، ومن جهة أخرى تعرض لضغوطات كبيرة وتهديدات بالحرمان

E. Allison Peers , op.cit. , p.8.

⁽¹⁾- أنظر:

⁽²⁾- ورد في النقش بالقطلانبة العبارات الآتية:

" En aquest lloch estava, segons tradició, la casa natalicia del gran savi y benaventurat martir " Ramon Lull 1232-1315".

Cronicón Mayoricense , Palma , 1881 , p.5.

⁽³⁾- أنظر:

⁽⁴⁾- أنظر:

Pau Cateura Bennàsser , Mallorca en el segle XIII , Mallorca : El Tall Editorial , 1997 , pp.19-22.

⁽⁵⁾- عبد الله عنان (محمد)، دولة الإسلام في الاندلس، العصر الثالث: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، القسم الثاني : عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط.2 ، 1990 ، ص ص.388- 465.

⁽⁶⁾- أنظر:

Bonner (Anthony) , Historical background and life , in Selected works of Ramón Llull (1232-1316) , Princeton University Press , 1985 , Vol.I , p.04.

⁽⁷⁾- أنظر:

Martin (Sean) , The Cathars: The Most Successful Heresy of the Middle Ages , Chartwell books , 2009 , Great Britain , p.11.

الكنسي من قبل البابا هونوريوس الثالث Honorius III (1216-1227م) في حال تدخل في منطقة اللانجدوك Languedoc⁽¹⁾.

يُعتبر تحول أنظار خايمي الأول نحو الجنوب، جزءاً من اتجاه جديد في السياسة القطلونية، فقد تخلّى التاج عن مزاعمه في منطقتي البروفانس واللانجدوك بعد هزيمة القوات القطلانية-الأراجونية في معركة "موريه Muret" سنة 1213م⁽²⁾. خلفت هذه الهزيمة بصماتها على الملك خايمي الأول حيث لم ينس أبدأً تلك الموقعة، ونتيجة لذلك فقد التاج الأراجوني إهتمامه بما وراء البرانس(*)، الأمر الذي جعل المنطقة التي تعج بالتعقيد الثقافي اللغوي القطلاني، تذهب إلى حوزة التاج الفرنسي، بينما تبقى للقطلانيين مونييايه فقط ، وهي المدينة المحلية للملك⁽³⁾.

عاش لول في زمن اتجهت فيه السياسة الأراجونية نحو البحر المتوسط، فبعد أن تمّ لهذه المملكة الاستيلاء على بلنسية، بقيت مجموعة كبيرة من سكانها المسلمين واليهود فيها، تابعين بذلك للتاج الأراجوني، وقدّرت المصادر المعاصرة عدد سكان المدينة من غير المسيحيين بربع مجموعهم⁽⁴⁾. ولم يعد في مقدور التاج الأراجوني القيام بمزيد من التوسعات في شبه الجزيرة الإيبيرية، بسبب كل من فرنسا ومملكة قشتالة اللذين عرفا نمواً سكانياً متزايداً في تلك الفترة. هذا الدافع، جعل أراجون توجه أنظارها نحو التوسع في البحر المتوسط، وذلك من خلال تنشيط حركتها التجارية وتكثيفها مع إفريقية حتى مصر.

⁽¹⁾ - أنظر : Jaime , El Rey Jaime I de Aragón y la política internacional del siglo XIII , Engels (Odilo) , I y su época , Congreso 10 de Historica de la Corona de Aragón , pp.225-226.

⁽²⁾ - في هذه المعركة قُتل بيدرو الثاني (1196-1213) المعروف بالكاثوليكي ، عندما دافع عن أتباعه الشماليين المتورطين بالهرطقة الألبجنسية. أنظر :

Alvira (Martín) , Muret 1213 : la Batalla decisiva de la Cruzada contra los Cátaros , Editorial Ariel , Barcelona , 2008 , pp.205-221.

^(*) - يقابل ماوراء البرانس كامل منطقة اللانجدوك الحالية، نصف جاسكونيه وجزء من "دوفيني Dauphiné" والساحل المتوسطي حتى نيس. للمزيد ارجع إلى:

William W. Kibler , Medieval France: An Encyclopedia , Garland Publishing, Inc. New York & London, 1995 , pp.981-985.

⁽³⁾ - أنظر :

Robert D.F. Pring-Mill , Estudis sobre Ramon Llull , Publications de l'Abadia de Montserrat , Barcelona , 1991 , p.38.

⁽⁴⁾ - هناك تحديد لعدد السكان في الوثائق يقدر بأكثر من 250 ألفاً من أصل عدد الاجمالي البالغ 900 ألف . أنظر : Hillgarh J.N. , Los Reinos Hispánicos , 1250-1516 , Vol.I : 1250-1410 Un equilibrio precario , Grijalbo , Barcelona , 1979 , pp.51-53.

عرف التوسع التجاري نجاحاً باهراً، بفضل غزو أراجون لكل من صقلية عام 1282م، سردينيا عام 1323م وجنوب إيطاليا خلال القرن 15م⁽¹⁾. وقد صاحب هذا التوسع، وعي بالهوية الثقافية، وشعور بتأدية مهمة إلهية، والحقيقة الهامة أن اللغة القطلانية نفسها خلت من التأثير الثقافي الأوكسيتاني⁽²⁾. في حدود سنة 1300م، كانت اللغة القطلانية لغة دولية في غرب المتوسط، واستخدمت على نطاق واسع في العلاقات التجارية وحتى العلاقات الدبلوماسية⁽³⁾.

بدورها تميزت جزيرة ميورقة مسقط رأس رامون لول، بخصائص ثقافية فريدة طبعت جميع مؤلفاته. حيث عاشت فيها مجموعات متنوعة من المهاجرين الذين وفدوا إليها من مختلف أنحاء أوروبا⁽⁴⁾، شكّل المسلمون فيها ما نسبته أربعون بالمائة من مجموع سكانها⁽⁵⁾، كما كان هناك قدر معتبر من اليهود الذين تقلد بعضهم وظائف حسّاسة كالشخصيات التي شغلت منصب سفير للملك في بلاطات ملوك المغرب، على الرغم من القانون الذي أصدره الملك خايمي الأول سنة 1228م، والقاضي بمنع اليهود من تقلد المناصب الأكثر منزلة من تلك التي يتقلدها المسيحيون⁽⁶⁾.

في منتصف سنة 1280م، وحتى عندما انتشرت موجة من معاداة المسلمين واليهود في كامل الجزيرة، فإن عددا من المصادر تذكر أن جزيرة ميورقة شهدت حياة أكثر تسامحا في جميع

⁽¹⁾ - أنظر :

Hillgarh J.N. , Vida i importancia de Ramon Llull en el context del segle XIII , Anuario de Estudios Medievales , 26 , Barcelona : Consejo Superior de Ivestigaciones Científicas , 1996 , p.968.

⁽²⁾ - حول تأثير شعر التروبادور الأوكسيتاني على القطلانية ، أنظر : Martín de Riquer , Història de la literatura catalana , Edicions Ariel , Vol.I, Barcelona , 1964 , pp.21-196.

⁽³⁾ - يعود الفضل في جعل اللغة القطلانية لغة دولية للتجارة والدبلوماسية خلال القرن 14م، أساسا إلى الجهود التوسعية التي قام بها الملك خايمي الثاني. أنظر :

Hillgarh J.N. , El problema d'un imperi mediterrani català 1229-1327 , Editorial Moll , Palma de Mallorca , 1984 , p.121.

⁽⁴⁾ - من بين هؤلاء يبرز التجار من بيزا وجنوة. أنظر :

Hillgarh J.N. , El problema d'un imperi mediterrani català 1229-1327 , p.47.

⁽⁵⁾ - أغلب مُسلمي الجزيرة كانوا أسرى، وقد تم استعبادهم نتيجة لغزو خايمي الأول . أنظر :

Bonner (Anthony) , Historical background and life , p.07.

⁽⁶⁾ - لم يتم احترام تطبيق هذا القانون أبداً في عهد خايمي الأول، إذ أن الملك كان يعتمد بدرجة كبيرة على الموظفين اليهود، بسداد قروضهم ودفع ثمن خدماتهم كوكلاء للمدن الكبرى في أراجون ، قطلونية وبلنسية مع امتيازات وعقارات، وحماية اليهود من ملوكهم. كما كان اليهود أيضا وسطاء لتجارة الذهب في الطريق الممتدة من شمال افريقيا وميورقة. أنظر :

Hillgarh J.N. , Los Reinos Hispánicos , 1250-1516 , Vol.I , p.276.

مجالات الحياة الاجتماعية⁽¹⁾. وقد هيمنت فئة البرجوازيين (يقصد بها بالمعنى المتعارف عليه في العصور الوسطى "المقيم في البلدة") على غالبية السكان، وطبعت ما يسمى بالتناضح الطبقي، حيث قدمت هذه الفئة للأفراد فرصاً كبيرة في تحقيق التقدم الاجتماعي من خلال العمل في التجارة⁽²⁾.

احتل ميناء ميورقة موقعاً استراتيجياً هاماً، حيث تمركز في نقطة تقاطع الطرق الملاحية. فمن أوروبا، يقصده تجار مدن مونبيلييه وجنوة وبيزا، ومن هناك يعبرون إلى جزيرة منورقة⁽³⁾. ومن إفريقية يأتيها البحارة من خمسة مدن أشهرها بجاية ووهران. بالإضافة إلى ذلك، مارست ميورقة الملاحة على امتداد ساحل إفريقية من المغرب وقناة سردينيا وصقلية، مع التوقف في تونس⁽⁴⁾. هذه المسحة العالمية التي تميزت بها الجزيرة، زودت رامون لول برؤية غنية للثقافات الإسلامية واليهودية، لتتحول فيما بعد إلى واحدة من أهم وسائله في تحضير الكتابات التي شاعت في العصور الوسطى، والمُختصة في مجال الحوار والجدال بين الأديان⁽⁵⁾. كما تُترجم هذه البيئة الثقافية أيضاً، القلق الديني العظيم الذي ساور لول، سواء باهتمامه بتحويل الكفار، أو البحث عن

⁽¹⁾ - تأسس في جزيرة ميورقة بعد الغزو مجتمع مسيحي في الظاهر، كان مسموحاً فيه الزواج بالعناصر الغير مسيحية لكلا الجنسين، وحتى استعمال اللغات الاخرى كلغات توثيق رسمية كان مسموحاً به هو الآخر. أنظر :

Santa María (Alvaro) , Ejecutoria del Reino de Mallorca 1230-1343 , Ajuntament de Palma , Mallorca , 1990 , p.283.

⁽²⁾ - يعتمد الكثير من المؤرخين الاسبان إلى وصف المجتمع في ميورقة بعد الغزو بنموذج المجتمع الطبقي المفتوح، وهو وصف يعني عدم وجود تقسيمات صارمة بين الطبقات الاجتماعية في الجزيرة، حيث تنفخ الحيوية فيه عن طريق اتجاهين من الديناميات الاجتماعية، من أجل تعزيز وتحقيق التقدم الاجتماعي في زمن النظام. أنظر :

Santa María (Alvaro) , Ejecutoria del Reino de Mallorca , p.316 ; Domínguez Reboiras (Fernando) , Introducción General : La vida de Ramón Llull alrededor del año 1300 , R.O.L. , Vol.XIX , 1993 , pp.XXIV-XXVII.

⁽³⁾ - أنظر :

Abulafia (David) , El comercio y el reino de Mallorca 1150-1450 , En : Abulafia David y Garí Blanca , En las costas del Mediterráneo Occidental , Las ciudades de la Península Ibérica y del reino de Mallorca y el comercio Mediterráneo en la Edad Media , Ediciones Omega , Barcelona , 1997 , pp.115-154.

⁽⁴⁾ - أنظر :

Dufourcq (Charles-Emmanuel) , L'Espagne Catalane et le Maghrib aux XIII et XIV siècles : De la bataille de Las Navas de Tolosa 1212 à l'avènement du sultan mérinide Abou-l-Hasan 1331 , P.U.F. , Paris , 1966 , p.665.

⁽⁵⁾ - أنظر :

Pardo Pastor (Jordi) , Diálogo Interreligioso en la Edad Media Hispánica : Consideraciones históricas a partir del Concilio Vaticano II , Estudios Eclesiásticos, 309 , 2004 , pp.217-260 ; Idem , Diálogo Interreligioso y Edad Media Latina , Boletín de la Real Academia de Buenas Letras de Barcelona , 2004.

توحيد جميع الفئات المنشقة عن الكاثوليكية⁽¹⁾. وهذان الجانبان كانا أساسيين في تشكيل وصياغة رؤية لول.

في هذا الصدد، ساهم التوسع الأراجوني بشكل رئيسي في تشكيل وتكون الهوية الثقافية القطلانية، خاصة فيما يتعلق بظهور أول لغة عامية مكتوبة، مثلما هو الحال في "الحوليات Crónicas"، خاصة Libre dels feyts لخايمي الأول ملك أراجون⁽²⁾، وكذا مؤلفات لول، مما يجعل الطابع الفردي أحد المُسببات المسؤولة عن تطوير وازدهار اللغة القطلانية. وفي أوائل القرن 14م، أصبحت القطلانية أيضاً، لغة دولية تجارية ودبلوماسية⁽³⁾، وحقيقة، بالإمكان تصور الأهمية الكبيرة للنصوص التي تركها لول، خاصة من الناحية التاريخية بطبيعة الحال⁽⁴⁾.

شكل هذا الحيز الكبير الذي شمل قطلونية وميورقة، العالم الذي عاش فيه رامون لول، وشغل النصف الأول من حياته الطويلة على الأقل، خاصة متوسط عمر الرجل في العصور الوسطى، حيث تجاوز رامون لول مُعاصريه حينما وصل عمره إلى 84 سنة.

3- التعليم الأول لرامون لول.

الأخبار الغامضة عن أيام لول في صغره، لا تهتم بطريقة واضحة عن سير دراسته، ونظرا للصلة القوية بين والد رامون لول والملك خايمي، فقد قام الوالد بالتخطيط بعناية لتربية وتعليم ولده

Robert D.F. Pring-Mill , Estudis sobre Ramon Llull , p.38.

⁽¹⁾ - أنظر :

⁽²⁾ - أنظر :

Jaume I , Crònica o Libre dels feits , a cargo de Ferran Soldevila , Edicions 62 , Barcelona , 1982 .
هذا الحولية من تأليف الملك خايمي الأول نفسه، حيث كتبها (أو أملاها) في سنوات 1244-1274م ، بين شاطبة وبرشلونة، شجعه في ذلك غزوه لميورقة، والذي اعتبر آنذاك حدثاً غير عادي، يقول خايمي عنه : " الشيء الأكثر عدلا وحسنا قمنا به وهو يعادل المائة سنة .." (ص.06) ، "... يتحدث خايمي الأول عن الشخص الأول (بصيغة نحن) ويقدم للأجيال القادمة حسابا واسعا ومفصلا في بعض الأحيان لحكمه الطويل يروي الأحداث التي كانت من قراراته، ويكشف نواياه الحميمة، ويكشف الحالة المزاجية له ولأصدقائه، حتى في الليالي الطويلة التي عاشها، ويعطي عناصر لفهم سياسته ، حتى أنه يدافع ويجادل عن حالات النشوة التي يمكن أن نحكم بالسلب عليه من جرائمها ...". أنظر :

Martín De Riquer , El mundo cultural en la Corona de Aragón con Jaime I , Jaime I y su época , Congreso X de Historia de la Corona de Aragón , p.306.

⁽³⁾ - أنظر :

Hillgarh J.N. , El problema d'un imperi mediterrani català (1229-1327) , Palma , 1983 , p.121.

⁽⁴⁾ - حول مسألة الأهمية الأدبية للنصوص التي تركها رامون لول، أنظر :

Badia (Lola) , Teoria i pràctica de la literatura en Ramón Llull , Edicions dels Quaderns Crema , Barcelona , 1991.

دينيا وعلمانيا، ونفذ هذا المخطط بصرامة، أملاً في أن يكون ولده مُستقبلاً، أحد رجالات البلاط المُهمين.

قضى لول مطلع حياته في جزيرة ميورقة، حيث عُنِيَ أهله بتربيته وتنقيفه بالعلوم الدنيوية المعروفة بالفنون السبعة الحرة، التي كانت تُدرس في عهده وانقسمت هذه العلوم إلى مجموعتين : الأولى ثلاثية شملت النحو والبلاغة والجدل، والثانية رباعية ضمت الموسيقى والحساب والهندسة والفلك، و تلقى في بلاط الملك بميورقة تربية الفرسان، وتشبع بأخلاق الشعراء التروبادور، وهي من الأمور التي كان يعج بها بلاط الملوك في تلك الأقاليم⁽¹⁾. ولا يمكن الجزم بأن الجزيرة على أيامه كانت تعرف دراسات مسيحية ذات تقاليد، أو مدارس حسنة التنظيم، يمكن أن يتعلم فيها المرء الفلسفة.

4- انخراط لول في البلاط الملكي.

كان مسعى والد لول في تعليم ولده ناجحاً إلى حد كبير، فقد صار رامون لول "غلاماً Paje" للملك خايمي الأول، وهو في الرابعة عشر من عمره فقط⁽²⁾. وقبل إحدى عشر عاماً، كان الملك خايمي قد تزوج من "فيولانتي Violante"، ابنة "أندريه الثاني Andrew II" ملك المجر وله قبل ذلك ولد يدعى "ألفونسو"، الذي ولد له من زواج سابق مع "إليانور Eleanor" القشتالية، ورزق من "فيولانتي" بولدين "بيدرو" و "خايمي" وكلاهما ورثا حكمه من بعده. وبحكم أن لول

⁽¹⁾ - حول التعليم الذي تلقاه رامون لول فيما يخص الفروسية، أنظر :

Carreras y Artau (Tomás) , L'esprit cavalleresc en la producció lulliana , La Nostra Terra, Palma de Mallorca, 1935, pp. 319-321.

ويقدر الباحث في الدراسات اللولية "هيلجارث" أنه من المحتمل بأن السيرة الذاتية Vita Coetania توفر لنا قدراً من المعلومات في هذا الشأن لمنصب أمين الملك أو رئيس الخدم في بلاط الملك خايمي الثاني الذي شغله لول ولو كان الأمر كذلك لكان خاطئاً، لأنه لم يكن صاحب المال ولا النسب المطلوب ينفعان فقط لشغل ذلك المنصب، ويشاطره في هذا الرأي "ألفارو سانتاماريا". أنظر: Hillgarth J.N. , Diplomatarium Lullianum , p.12 ; Álvaro Santamaría , Ramon Llull y la Corona de Mallorca , Sobre la estructura y elaboración de la Vita Raimundi Lulli , Mallorca , 1989.

⁽²⁾ - يتفق جميع كُتاب السير على هذا الحدث، على الرغم من أنه يبدو ضعيفاً بعض الشيء بسبب قلة الأدلة، وهناك احتمال ضئيل على صحته نظراً لوجود أدلة تؤكد صحة هذا الحدث يعود إلى تاريخ 1373م. أنظر :

Pasqual , Vindiciae Lullianae , I , p.21.

أحد رجالات بلاط ملك أراجون، فقد أختير في سنة 1246م، مُرافقاً ومُرشداً للأميرين الصغيرين بيدرو وخايمي ابني الملك خايمي الأول⁽¹⁾.

فضلاً عن ذلك، عُيّن لول وهو شاب صغير، مُربياً لخايمي وأصبح بمثابة الأخ الأكبر له، حيث قضى معه أكثر من عشر سنوات ولهذا السبب أصبح محبوباً لديه. وطوال حياته المهنية في البلاط تلقى رامون لول مؤشرات دائمة بأن تلميذه السابق لن ينساه، ومن الأمور المؤكدة أنه أيده بكل تقان ضد خصومه في البلاط ومن أهمهم "بيتر المستبد"، وسيأتي لاحقاً كيف أن لول يصف أسعد التجارب التي مر بها يوم أن غمره الملك خايمي بكرمه الكامل.

في صيف سنة 1256م، نودي بابن الملك وريثاً للعرش⁽²⁾، وكذا حاكماً على جزيرة ميورقة، حيث رافقه رامون من مدينة مونبيلييه إلى بالما دي ميورقة، وتلقى ولي العهد التحية من رعاياه المستقبليين ووعدهم بمواصلة الامتيازات التي مُنحت لهم من قبل والده. ولما بلغ رامون لول العشرين سنة، مُنح لقب رئيس القصر وجنرالاً لدى ولي العهد هذا. وفي عهده قام لول بالعديد من المهام التي تطلبت سفره إلى العديد من البقاع في قطلونية و قشتالة وفرنسا⁽³⁾، خاصة وأن مملكة أراجون بدأت في التوسع منذ صغر لول، وامتدت إلى بلنسية جنوباً وسرقسطة غرباً. وساهمت هذه المُهام في توسيع خبرته وتجاربه⁽⁴⁾، وقد تكون أسفاره هذه هي من زرعت فيه بذور النشاط في وقت لاحق.

من خلال بعض الفقرات في السيرة الذاتية لرامون لول وبعض كتاباته المتأخرة، وأحياناً بعض المصادر الإضافية، يمكننا معرفة القليل عن حياة وعادات لول في سنوات خدمته الملكية.

⁽¹⁾ - ولد بيدرو سنة 1236م. وتحوم بعض الشكوك حول تاريخ مولد خايمي، فزوريتا و باسكوال يعطيان تاريخ 1240م، بينما يتخذ "سويفت" من تاريخ 30 ماي 1242م مولداً له، أما عن حولية "Thalamus Parvus" المشهورة في مونبيلييه، ويحاكيها العديد من المؤلفين، فيضعون تاريخ 20 ماي 1243 "En l'an de M e CC e XLIII , la vigilia de Pantacosta , nasquet a Montpellier En Jaeme lo bon rey"

أنظر : J. Martel , Thalamus Parvus , publié pour la première fois d'après les manuscrits originaux , ainé , Montpellier , 1840 , p.334.

⁽²⁾ - أنظر : Miret i Sans Joaquim , Itinerari de Jaume I El Conqueridor , Barcelona , 1918 , p.253.

⁽³⁾ - أنظر : Bouvelle , Vita Raymundi Lulli , Paris , 1511 , p.37.

⁽⁴⁾ - يصف لول نفسه في "كتاب التأمل" قائلاً : " كنت رجلاً قام بالعديد من الرحلات، جبت التلال والسهول، ووصلت إلى أراضي مأهولة بعدد كبير من السكان، وأخرى خاوية، وخضت أسفاري برا وبحرا ، وشهدت العديد من الملوك ... والبارونات وغيرهم".

أنظر : Lull , Libre de Contemplació , chap.101 , obres.III , p.230.

ففي "كتاب نظام الفروسية" يذكر أنه كان سعيدا في البلاط، إلا أن إهتمامه الرئيسي انصب على فن الشعراء المتجولين ⁽¹⁾، الذي كان في أوج ازدهاره، في مناطق قطلونية وبروفانس واللانجدوك. الأمر الذي جعله ينظم هذا الشعر باللغتين البروفنسالية والقطلانية ⁽²⁾.

يشيع المجون والفجور في شعر لول، وأحيانا يميل إلى عادة الشعراء التروبادور في نظم أغاني الحب العذري. لكن تمتلئ مواضيع الجنس والخلاعة في ثانيا قصائده. وقد عُدَّت القصائد التي ألّفها أحد أفضل قصائد الشعر الرومانسية في الأدب القطلاني التي يظهر فيها تأثير اللغة البروفنسالية بشكل كبير جدا. وقد أغرته حياته المترفة هذه على أن ينغمس في الفسق والفجور، واستمر في قرض الشعر بالقطلانية على نهج شعراء التروبادور. وفي سنة 1257م، تزوج لول من فتاة نبيلة النسب تدعى "بلانكا بيكاني Blanca Picany" ⁽³⁾، وقد رتب هذا الزواج الملك خايمي نفسه، و أنجبا طفلين هما "دومينيك" و"ماجدولين". لكن الحياة الزوجية هذه لم تكن لتغير من نمط حياة لول الماكن ⁽⁴⁾. حتى أنه كان في بعض الأحيان يجاهر بشهواته ويسخر من الرموز المقدسة ويُجذف بإسم المسيحية ⁽⁵⁾.

5- التحول المفاجئ لحياة لول.

في السيرة الذاتية، يُشير لول إلى النصف الأول من حياته الماجنة، ويصف نفسه بأنه كان مُنغمسا في الشهوات والعادات السمجة، ومُنكبا على نظم القصائد والأغاني التافهة ⁽⁶⁾. ويصف في مؤلفه "كتاب التأمل Libro de la contemplación" صورة عن تلك الفترة من

Llull ,Vida Coetania , p.47.

⁽¹⁾- أنظر :

⁽²⁾- من أمثلة الشعر الذي نظم لول هناك قصيدتين في كتابه "بلانكورنا"، انظر :

Llull , Blanquerna , pp.529-530.

E. Allinson Peers , op.cit. , p.15.

⁽³⁾- أنظر :

Ibid. , p.16.

⁽⁴⁾- أنظر :

⁽⁵⁾- يتحدث لول بعد توبته في "كتاب الضيق" عن هذه الحياة بقوله : " عندما بدأت أكبر ذقت طعم الغرور ، وانحرفت نحو الخطيئة، واقتربت كل شر، ونسيت إلهي المجيد، حينما وجدت الشهوات بلا ثمن". حتى أنه يذكر في "كتاب التأمل" أنه في حياته المترفة، أعطى لنفسه كلمة أن لا يترك أبدا حياة المتعة هذه. أنظر :

Lull , Desconort , II ; Ibid , Libre de Contemplació , chap.106 , obres IV , p.25.

⁽⁶⁾- أنظر :

Ramon Llull , Vita coetanea (A Contemporary Life), ed. and trans. Andiony Bonner , Barcino-Tamesis, Barcelona and Woodbridge, 2010 , p.31.

حياته بالقول: " أه سيدي وإلهي أنا أحد الذين هجرو وضللو الكثير من عبادك، أنا أحد الذين لفقو الأباطيل والأكاذيب واقترفت الكثير من المظالم. كل هذا لأنني لم أكن أعرف، بدون تأمل حقيقتها، أو فضيلتها أو نبلها والتي وجدت في جوهر حقيقتها"⁽¹⁾، ويقول في مقطع آخر: " كما كانت مشيئتك يا رب، فإن مساعدة الملائكة، وكتب الأنبياء المقدسة، والمواعظ الدينية، حولتني إلى رجل بحياة جديدة، وبدون تلك المساعدة كنت أرزخ في الخطيئة، رجلاً سيئاً وأعظم مذنب في هذه المدينة، وأكبر الغاوين"⁽²⁾، " رباه إني ظلمت جيراني، أقاربي وأصدقائي بحسدي لثروتهم ونسائهم، تلك الخطايا، يا رب، لم تكن سوى إهانات لروحي، وإني أحاول عبثاً أن أكون جديراً بتملك المجد السماوي"⁽³⁾. تُبرز هذه الشهادات، السلبية الكبيرة التي كانت عليها حياة رامون لول قبل تحوله، ويُخصّص لول في بضعة أسطر فقط للثلاثين عاماً الأولى، في كتابه " Vida Coetanea".

في سنة 1263م، وبعد أن بلغ لول سنّ الثلاثين، حدث له "تحول" ديني حاسم غير مجرى حياته كلها، حيث تزعم الروايات أن يسوع المسيح تجلّى له مصلوباً خمس مرات⁽⁴⁾، وأصابه تكرّر التجربة بالرعب على نحو متزايد، فأصبح يسائل نفسه لئلا يذنب، وأيقظ تفكيره وضميره للعمل. كما دعاه إلى ترك حياة الترف والشهوات والتهتك والخلاعة، والانصراف إلى الزهد، والصلوات. ونذر نفسه لخدمة المسيحية⁽⁵⁾، وانتهى به الأمر إلى العزم على إمضاء بقية حياته في تحويل غير المسيحيين إلى المسيحية، وخصوصاً المسلمين الذين تعايش معهم على جزيرة ميورقة. فقد أحسّ بعد تجربة التوبة هذه، أنه مدعو إلى قضاء ما بقي من حياته الطويلة في تعليمهم، وتعليم المسلمين وغير المؤمنين الآخرين الدين الحق وتحويلهم إلى خدمة المسيحية.

⁽¹⁾ - أنظر : Ramon Llull , Libro de la contemplación , Cap.XXIII , 23 , p.149.

⁽²⁾ - أنظر : Ibid. , Cap.XXXVII , 26 , P.177.

⁽³⁾ - أنظر : Ibid. , Cap. LXXV , 11 , p.259.

⁽⁴⁾ - يقول لول في "كتاب الضيق" : "Plac a Jesucrist per sa gran pietat , que es presentá a micinc vets crucifigat per ço que el remembrás e en fos enamorat tan fortque eu tractás com ell fos preicat per tot lo món..." ولكن يسوع المسيح، صاحب الرأفة العظيمة تراءى لي خمس مرات على الصليب، وذلك لأنني اعتقدت أنه عطف علي وأمرني بحمل اسمه إلى العالم كله...". أنظر : Lull , Desconort , II.

⁽⁵⁾ - ورد في السيرة الذاتية ما نصه : "... وخز الضمير قال لي أن يسوع المسيح يطلب منك أن تتخلّى عن كل شيء في هذا العالم وأن تكرس نفسك لخدمته". أنظر : Vida Coetania , p.3 ; Pasqual , Vida del Beato Raymundo , I , pp.48-49.

أما السبب الحقيقي لهذا التحول فهو غير معروف بالضبط، وتزعم المصادر الغربية أن سبب هذا التحول، حدث للول بينما كان في إحدى الليالي يكتب قصيدة غرامية باللغة العامية لإحدى صديقاته التي كان يُحبها بشدة⁽¹⁾. التفت يمينه فرأى هيئة السيد المسيح معلقة على الصليب ففرع وهرع إلى فراشه ينشد الأمان. وفي اليوم التالي شك في الرؤية وأبعدها من خاطره، ولكن حدث أن تكررت نفس الرؤية في الأسبوع التالي في نفس المكان والساعة التي حدثت فيها الأولى حينما كان ينظم الشعر أيضاً، وعندما تكررت بعد ذلك ثلاث مرات أخرى⁽²⁾، إعتقد أن المسيح أراد أن يهجر حياته تلك ويتفرغ لخدمته. وبعد صراع مع نفسه أعلن التوبة ونذر نفسه لخدمة المسيحية.

تتكرر هذه الرواية في مؤلفات لول المتأخرة، ففي أواخر سنة 1295م، في قصيدة مُعنونة بـ"الضيق Desconsuelo"، يُشير لول إلى هذه الرؤى بقوله : "عندما كبرت وشعرت بعالم الغرور، بدأت في الأذية ومشيت طريقاً محفوفاً بالشر، ناسياً بذلك إلهي المجيد وبعدت عنه بالشهوات، ولكن اليسوع جمعني برحمته العظيمة، وتمثل لي خمس مرات مصلوباً، وغمرني بحبه إذ ذكرني وحفظني بمحاولته الحثيثة بالوعظ في جميع أنحاء العالم، والحق أقول، أن الثالوث كان متجسداً، ولأنه ألهمني إرادة كبيرة والتي لولاها لم أخدم في صفه أبداً"⁽³⁾. من غير المُستبعد أيضاً أن لول شعر كأبناء عصره، بمرارة الفشل الذي منيت به الحركة الصليبية في تلك الفترة مما جعله يتأثر بما كان يدور من حوله ويدرك أنه لابد للحركة الصليبية من اتباع أسلوب جديد. وفي سبيل ذلك عزم على تأليف كتب يردّ فيها على الإسلام وأهله، توطئة لتحويل المسلمين إلى المسيحية.

فسّر رامون لول هذه الرؤى الخمس للمسيح كتصميم من الإله : على وجوب تخليه عن حياته العقيمة وأن يُكرس نفسه لخدمة المسيح⁽⁴⁾. وكان موضوع الاستشهاد عند المسيحيين،

Ramon Llull , Vita Coetanea , I , 2 , p.31.
Loc.cit.

⁽¹⁾ - أنظر :
⁽²⁾ - أنظر :
⁽³⁾ - أنظر :

Ramon Llull , Desconhort , O.E. , vol. I , Editorial Selecta , Barcelona , 1959 , p.1309.
Ramon Llull , Vita Coetanea , I , p.33.

⁽⁴⁾ - أنظر :

محبوباً جداً لدى الكاثوليك في العصور الوسطى خاصة في الأندلس⁽¹⁾. هذا الموضوع بالذات كان جزءاً من أهداف لول، بالإضافة إلى تحويل المسلمين إلى النصرانية، فبالنسبة إليه كان المسلمون محيطين بالمسيحيين وبأعداد مهولة في كل مكان⁽²⁾. وقد عُرف القرن الثالث عشر عند الدارسين بعصر الحيرة بالنسبة للعالم المسيحي : حيث الخبراء العارفون قلة في العالم، وسرت موجة بين المسيحيين لنشر كلمة المسيح في كل أرجاء المعمورة. لهذا السبب ظهرت هيئات المتسولين، وقد عبّر الموقف التبريري لرامون لول بشكل بارز عن شعور بالقلق والحيرة والذي بدوره حوّل العمل الجماعي إلى تفاؤل لا مثيل له، غرس لدى الكثير من المسيحيين اليقين والثقة بقدرتهم على تنصير جميع الأمم. وبسبب الأخير، تم وسم القرن الثالث عشر الميلادي بحقبة التفاؤل⁽³⁾.

أما الهدف الثاني الذي توخاه لول والذي يراه مفسراً للرؤى السابقة، هو مُطالبته⁽⁴⁾ بتأليف "أحسن وأفضل كتاب في العالم ضد أخطاء ومثالب الكفار"⁽⁵⁾، وهو في الأصل "كتاب التأمل" الذي شكّل جوهر كل ما قدمه فكره، ومن ثمّ يمكننا توضيح نظامه الفني المعروف بالـ "Ars" أو "الفن"⁽⁶⁾. وأخيراً تمثل الهدف الثالث في اللجوء إلى البابا، والملوك والأمراء المسيحيين لتشجيعهم على بناء الأديرة وتدريب لغة السراسنة⁷ (المسلمين) فيها، وكذا لغات الكفار الآخرين، من أجل

⁽¹⁾ - بلغ التوتر بين المسيحيين الإسبان المُنقسمين في شأن التعامل مع الحكم الإسلامي وشيوع الثقافة الإسلامية، ذروته في قرطبة فيما يُعرف في النصوص المسيحية بحركة شُهداء قرطبة في منتصف القرن التاسع، والذين جُدفوا على الإسلام ونبهوا. وتفاصيل القصة موجودة عند الكاهن "أولوجيوس Eulogius" الذي شارك في الحدث لكونه أحد رجال الدين الذين أُيدوا حركة الشُهداء خلافاً لرأس الكنيسة المسيحية الأندلسية التي عارضتها معارضة شديدة. ارجع إلى: عيتاني (حسام) ، الفتوحات العربية في روايات المغلوبين ، دار الساقى ، بيروت-لندن، 2011 ، ص.231.

⁽²⁾ - أنظر : Ramon Llull , Vita Coetanea , I, p.35.

⁽³⁾ - نجد هذا المصطلح "عصر التفاؤل" عند المؤرخ "ريتشارد سوزرن" في كتابه المهم "النظرة الغربية للإسلام في العصور الوسطى". أنظر: سوزرن (ريتشارد) ، مرجع سابق، ص ص.87-122.

⁽⁴⁾ - أنظر : Ramon Llull , Vita Coetanea , I, p.35.

⁽⁵⁾ - أنظر : Ibidem.

⁽⁶⁾ - أنظر :

Ramon Llull , Libre de contemplació en Déu , en O.R.L. , Vol.II-VIII , Comissió Editora Lulliana , Palma de Mallorca , 1906-1914.

حول كتاب التأمل في الله، أنظر على وجه الخصوص :

Carreras I Artau, Tomás y Joaquín. Historia de la filosofía española. Madrid, 1939, vol. I, p.548-576.

⁽⁷⁾ - Sarrasins، المشتق من اليونانية sarakenos، هو مُصطلح تحقيري شاع في العصور الوسطى. استعمله البيزنطيون والصليبيون للإشارة إلى العرب المسلمين المشاركة تمييزاً لهم عن مسلمي شمال إفريقيا وإسبانيا الذين كانوا يسمّون "المور Maures". على أن لول استخدم اللفظة ليعني بها جميع المسلمين. وعن أصول الكلمة يرى "ريتشارد سوزرن" أن المؤلفين الإغريق يرجعون الكلمة إلى لعبة كلامية من بعض الأقوال المنسوبة لسارة وهاجر في العهد القديم، أما المؤلفون اللاتين الذين لم يكونوا يعرفون المصادر الإغريقية، فقد حاولوا الوصول إلى حلول خاصة تتركز في أحد القولين، فحسب "إيزيدور الإشبيلي Isidore de Séville": فإن السرازانيين كانوا يدعون التحدر من هاجر فيما يُفيد القول الثاني بأنهم سُموا بذلك بسبب أصلهم=

تدريب الأشخاص الملائمين ليتم إرسالهم فيما بعد للوعظ وتبليغ حقيقة الإيمان الكاثوليكي، وهو الهدف المقترح في السابق من قبل هيئة الدومينيكان وزعيمها "سان رامون دي بينيافورت Ramon de Penyafort" (1).

من المُحتمل أن المشاريع الثلاث قد تَمَّت صياغتها خلال الفترة التأملية لرامون لول، وذلك كما يعتقد "ميجيل باتلوري Miquel Batlori" (2). بينما يُشكك المؤرخون الغربيون دائما بعبارات مُقتضبة في فقرات معينة من سيرته الذاتية (3). على أن هناك حقيقة مفادها أن لول بعد سماعه لموعظة وخطبة أسقف عن حياة القديس فرانسيس (4)، جاء فيها: "كيف أن فرانسيس تخلي عن جميع المتع الدنيوية، ووهب نفسه بشكل كلي لخدمة الصليب"، وأخيراً قرّر رامون لول تغيير حياته للأبد.

6- سنوات دراسة لول بعد التحول.

بعد تحوله المفاجئ، عمِد لول إلى بيع جزء كبير من مُمتلكاته، وتخلي عن مُعظم ثرواته مُغادراً ميورقة، تاركاً جزء صغيراً فقط لزوجته وأولاده. وكان أول عمل قام به بعد مغادرته للجزيرة هو الحج المسيحي إلى الأماكن المقدسة في اسبانيا، حيث حجّ إلى كنيسة القديس جايمنس وضريح "مونتسيرات Montserrat"، وتذكر السيرة الذاتية أنه قام بالحج أيضاً إلى "روكا مادورا Rocamadour"، وهو مكان الحج المشهور والمُفضل لدى المسيحيين في العصور الوسطى

=السرياني. وبين سارة وهاجر جرى تحويل لاسمهم. ولا يزال لقب السراسنة يُستخدم حتى الآن أحياناً، ويُعتقد، حسب الرأي الشائع، أنه مُحرّف عن كلمة "شرقيين". وورد عن المسعودي حول هذا المصطلح: "...وأُنكر على الروم تسميتهم العرب سارقينوس، تفسير ذلك عبيد سارة...". للتوسّع في الموضوع أنظر: المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي)، التنبيه والإشراف، عُنِي بتصحيحه ومراجعته: عبد الله إسماعيل الصاوي، مطبعة الشرق الإسلامية، القاهرة، 1938، ص. 143؛ سوزن (ريتشارد)، مرجع سابق، ص. 72؛ ممدوح عدوان، حول اسم العرب في اللاتينية، في دراسات قدمس، 6، بيروت، 2001، ص. 35-46.

(1) - "رامون البينيافورت" (1180-1275م)، قطلوني مختص في القانون الكنسي، نظم حوالي سنة 1245م، مدارس لتعليم العربية واليهودية للمنصرين، في كل من تونس، مرسية في الأندلس وجزيرة ميورقة. للمزيد حول هذه الشخصية ارجع إلى: لودفيج (هاجمان)، مسيحية ضد الإسلام: حوار انتهى إلى الاخفاق، ترجمة محمد جديد، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، 2004، ص. 93-94.

(2) - أنظر: Batllori (Miquel), Ramon Llull i el lul.lisme, Obra complete, Vol. II, València, Biblioteca d'estudis i investigacions, 1993, pp. 09-10.

(3) - أنظر على سبيل المثال: Hillgarth J.N., Diplomatarium Lullianum, pp. 11-12.

(4) - جاءت هذه الخطبة بمناسبة حفل مخصص للقديس فرانسيس، في الرابع من شهر أكتوبر.

الواقع جنوب فرنسا⁽¹⁾، و"سانتياجو دي كمبوستيلا Compostela" المعروفة بشنت يعقوب في كتب الجغرافيا العربية، كان الهدف من زيارته لهذه المناطق المقدسة، طلب مساعدة الرب في تحقيق أهدافه الثلاثة المُسطرة في حياته. دام حجه في هذا المكان حتى سنة 1263م، وهي نفس السنة التي حدثت فيها المنازعة الشهيرة في مدينة برشلونة⁽²⁾. ويُحتمل أن لول قد زار جميع الأماكن المسيحية المقدسة المعروفة في غرب أوروبا اللاتيني⁽³⁾.

لا يُمكن الجزم على وجه اليقين، بأن لول عاد إلى ميورقة بعد حجه، ويُحتمل أنه عاد في شتاء عام 1264م، ليهجر كل شئ في حياته، مُتخلّياً عن حياته الأولى المُترفة وما اعتراها من مظاهر الأبهة، كما ارتدى البالي من اللباس إلى الدرجة التي تشير فيها فقره من سيرته الذاتية Vita Coetanea بـ"ارتدائه لباسا دون الفلاحين، واقتربه من مثالية الفرنسيسكان" حيث كان التركيز على لباس وهيئة الفقراء سمة من سمات الفرنسيسكان الروحيين⁽⁴⁾، ويرد في المصادر أن لول أصبح مثار احتقار وازدراء العامة بعد ظهوره بهذا الشكل الذي لم يعهده عليه⁽⁵⁾.

بعد عودة لول من الحج، بدأ دراساته الفلسفية واللغوية واللاهوتية، في الفترة المُمتدة من سنة 1265م إلى 1274م. وحتى يتفرغ لهذه المهام كان لا بد له أن يُعيد تكوين نفسه من جديد، فمهّد لفترة تكوينه بالإقبال على اللغة اللاتينية، عاكفاً على إتقان قواعدها وغيرها من العلوم المُصاحبة لها من الفلسفة والطب، في جزيرته المحلية. وقد عزم على الذهاب إلى أفضل مركز للتعليم في

⁽¹⁾ - أنظر : Anon , A Life of Ramon Lull , p.52.

⁽²⁾ - في هذا النزاع، جادل الحاخام اليهودي موسى بن نحمان "Nahmânides" قضايا الإيمان مع الأخ بابلو كريستيان (منتسب لهيئة الدومينيكان دينية) خاصة مسألة تحويل اليهود إلى النصرانية، ودار هذا الجدل المحتدم في القصر الملكي لخايمي الأول. للمزيد عن هذا الجدل أنظر :

Roth (Cecil) , The Disputation of Barcelona (1263) , The Harvard Theological Review, Vol. 43, No. 2 , Apr., 1950 , pp. 117-144.

⁽³⁾ - يُعزز هذا الاحتمال ما أورده لول نفسه في "كتاب التأمل" بقوله : " نحن نرى رجالا يذهبون إلى الحج، اه إلهي، من أجل حبك و إليك الجلال، بحثت عن الأماكن المقدسة والكنائس حيث باركت المعجزات . ذهبت إلى كنيسةك المقدسة في روما ، والقديس خايمي الرسول الكريم، وغيرها من الأماكن حيث الحواريون المقدسون ، وغيرهم من القديسين رجالا ونساء " . أنظر :

Lull , Libre de Contemplació , chap.113 , Vol.IV , p.63.

⁽⁴⁾ - يعتبر الكثير من الدراسين الكنسيين المعاصرين، بأن رامون لول ينتمي إلى مُنظمة الفرنسيسكان، ويصفونه بالإبن الشرعي للقديس فرانسيس، لأنه يشبهه في سيرة حياته وما أقدم عليه من ترك مُمتلكاته وثورته وأهله والتفرغ لخدمة المسيحية. أنظر :

Ray C. Petry , Late Medieval Mysticism , Westminster John Knox Press , Kentucky , U.S.A. , 1957 , p.143.

Ramon Llull , Vita Coetanea , II , p.39.

⁽⁵⁾ - أنظر :

أوروبا آنذاك وهي جامعة باريس⁽¹⁾، ولكن أحد معارفه وأكثر المُقربين منه وهو الراهب الدومينيكاني "رامون البينيافورتى"⁽²⁾ نصحه بعدم الذهاب، والبقاء في جزيرة ميورقة.

كان "سان رامون دي بينيافورت" يبغي من وراء ذلك، تجنيد كل شخص لمُحاربة الهرطقة في قطلونية، وكان هو نفسه مسؤولاً عن محاكم التفتيش في هذا الإقليم ومُنصراً، له من الطرق ما أثار بها إعجاب الملك خايمي الفاتح نفسه⁽³⁾، و هدف أيضاً من إبقاء لول في "بالما" أن يواجه اليهود والمسلمين المتبقين فيها. اتجه لول بعد ذلك إلى دراسة اللغة العربية بشراء أحد الأسرى المسلمين، ليلقنه أيضاً الثقافة الإسلامية وقواعدها الأساسية، وكان سواد أهل جزيرة ميورقة يتكلمونها، لكن لول كان يجهلها⁽⁴⁾.

لما بلغ رامون لول سن الأربعين، اعتزل في جبل رنده⁽⁵⁾، على مقربة من مُمتلكاته، جرياً على عادة المُتسكين المسيحيين لمُناجاة الله، والجدير بالذكر، أن الاعتزال الروحي في موقع مرتفع، كان نموذجاً للمُتأملين في ذلك الوقت، حيث أن البحث عن علو المدى المادي يوازيه عند الكاثوليك علو المدى الروحي⁽⁶⁾. خلال خلوته الروحية، يزعم لول أن رؤيا ثانية صادفته، حيث رأى الكون كله مُنعكسا في صفات الإله المقدس، وأدرك ضرورة إيجاز جميع المعارف في مبادئ أولية، تُبين حتمية تقاربها في نقطة اتحادها. بعد ذلك انصرف إلى حياة التأمل، أين جاءه إلهام آخر، ذكره لول في وصف جميل في سيرته الذاتية Vita Coetanea يقول: "... صعد رامون إلى جبل لايبعد عن بيته كثيراً للتأمل في الله بأكثر روية وهدوء. حتى أنه لم يمض أسبوع كامل

⁽¹⁾ - أنظر : Ramon Llull , Vita Coetanea , II , p.39.

⁽²⁾ - أنظر : Anon , A Life of Ramon Lull , p.8.

⁽³⁾ - تشير المصادر المسيحية أن رامون البينيافورتى كان صديقا لحاكم تونس المسلم، وكانت له طرق سلمية للتحويل إلى المسيحية، وتزعم المصادر أيضاً أنه في سنة 1256م قدم تقريراً يفيد بأنه تقدم إليه حوالي الألفين من السراسنة (المسلمين) للدخول في الديانة النصرانية. أنظر :

Touron (Antoine) , Histoire des hommes illustres de l'ordre de Saint Dominique , Tom.I , Torras i Bages , Paris, 1743, p.179.

⁽⁴⁾ - تصف "السيرة المعاصرة la vita coetanea " حقيقة محاولة هذا الأسير قتل سيده في وقت لاحق . أنظر :

Ramon Llull , Vita Coetanea , II , pp.39-41.

⁽⁵⁾ - رنده Randa هذه هي غير رنده Ronda الموجودة في ملقة، وهي قرية صغيرة في جزيرة ميورقة أصبحت مزاراً ومحجاً للمسيحيين، بداية من سنة 1275م. أنظر :

Morey Mora, G., El primitivo ermitorio de Ramón Llull sobre el monte de Randa, in Estudios Lulianos 3/3 (1959), p.279-284.

Loc.cit.

⁽⁶⁾ - يبلغ علو جبل رنده حوالي 700م. أنظر :

هناك، حدث أن تطلّع باهتمام إلى السماء، فأضاء الرب فجأه عقله، وأعطاه شكل وطريقة الكتاب ضد أخطاء الكفار"⁽¹⁾.

تضمّن التنوير حسب زعم لول، شكل وطريقة الفنّ الذي ابتكره، حيث تشتمل الكلمة أساساً، حسب هذا الفن على ثلاثة عناصر، وهي التي تُميز وبشكل دقيق، فلسفة لول : العنصر الأول هو تلقي مجموعة المعارف والحكم، والعنصر الثاني هو تلقي الاستعارات (الشخصيات) والمجازات المتوازية التي توضح المحتويات النصية (الشخصيات الشهيرة لرامون لول)، وأخيراً التمجيد الشخصي (أي أن توضيح ذلك، يجعلك شخصاً ممجداً، ويشرح المعرفة المنقولة). علاوة على ذلك فإنه كان تنويراً إلهياً. تُشير النقول المسيحية أنه من الثابت تلقيه الوحي والإلهام من الله مباشرة، الأمر الذي يجعلها حقيقة صوفية وروحانية⁽²⁾. وظهر من هذا الإلهام لقب "الدكتور المنور Doctor Iluminado" في الأدبيات المسيحية⁽³⁾.

من هناك، رحل لول إلى دير سيسترشيانى يدعى Monastério de la Real بالقرب من بالما، بهدف تعميق معارفه اللاهوتية. وكان قبل ذلك قد درس في مدرسة "بالمان Valmagne وهي تابعة لهيئة الستسرشيان أيضاً والواقعة في مدينة مونبيلييه، وحرّر أولى أعماله الفنية: "كتاب الفن الموجز للعثور على الحقيقة Arte abreviada de encontrar la verdad"، في عام 1274م⁽⁴⁾، وحتى الرmq الأخير من حياته، أعاد لول كتابة فنه الاندماجي بشكل موسع ومطور،

⁽¹⁾ - أنظر : Ramon Llull , Vita Coaetanea , II , p.41.

⁽²⁾ - اعتمد مفهوم التصوف في أوروبا العصور الوسطى، أساساً على إمكانية الاعتقاد بالاتصال المباشر بين الإنسان والله . وكان المتصوفة من الأوروبيين يعتمدون على فلسفة الأفلاطونية المحدثة في تصوفهم خاصة أعمال بروكلس وديونيسيوس . أنظر :

C. Petry , Late Medieval Mysticism , p.21.

⁽³⁾ - تُمكننا إعادة بناء الأحداث في حياة رامون لول (1232- 1316م) ، من العثور على الظروف التي تؤثر في الغالبية العظمى من شخصيات العصور الوسطى الأوروبية. ففي حياتهم، عادة ما يكون هناك حدث يُترجم كقصة في مرحلة غامضة ليتطور فيما بعد في تسلسل زمني، ليصبح حقيقة يؤمن بها الكثير من الكاثوليك ويلصقون بها صفة القداسة على الشخص الذي حدثت له . أنظر :

Gayà, J. Estelrich, Biografia de Ramón Llull , Palma 1999 , p.46.

⁽⁴⁾ - يُعرف الفن اللولي بشكل جد محدد، كنظام للفكر المطبق على أي قضية أو مشكلة، وكمحاوله لتوحيد كل أفكار وثقافة العصور الوسطى وأداة للبحث في حقيقة المخلوقات ، مع موازنة أولوية حقيقة الإله، والهدف الرئيسي من إنشاء الفن هو تحويل الكفار. والفن حسب لول إذن أشمل وأكبر من العقيدة، فهو أسلوب ونظام بطريقة عرض علمية . ووفقاً لمبتكره فإن لديه خمسة استخدامات، أولها : معرفة الله ومحبيه . ثانيها : دمج وتوحيد الفضائل ورذائل الكراهية ، وهي حسب لول ، العملية التي يتم عن طريقها دمج المشاعر مع فضيلة الاعتدال . ثالثها : مواجهة الآراء الخاطئة للكفار بواسطة "الحجج المقنعة" أو "الضرورية" . رابعها : صياغة وحل المسائل. خامسها : أن يكون الفن قادراً على اكتساب العلوم الأخرى في وقت قصير واستخلاص النتائج اللازمة على النحو المطلوب في الموضوع . هذا ما يجعل "الفن اللولي" بمثابة "علم العلوم" ، وموفراً للمعايير التي تضمن ترتيباً دقيقاً وعقلياً لجميع المعارف. أنظر : Ramon Llull , Vita Coaetanea , III , p.43 ; Id. , Ars compendiosa inveniendi veritatem , Vol. II. , en: M.O.G. , Francfort , 1965.=

ودائماً ما كان يهدف تقديمه إلى معاصريه، بصفته فلسفة تقوم أساساً على عملية التحويل، وتركز عملها من أجل تكريسها إلى واقع ملموس.

في تلك الفترة الأولى من الإنتاج، حرّر لول "كتاب التأمل في الله Libre de Contemplacion en Dios" ⁽¹⁾، اعتبره الكثير من الدارسين الخلاصة الصوفية للعصور الوسطى ⁽²⁾، وأحد أهم وأعظم المؤلفات الدينية الكاثوليكية، بعد اعترافات القديس أوغسطين، وأحد أفضل الأعمال الغنائية التي أنتجتها عقول المفكرين المسيحيين في العصور الوسطى. وسيأتي ذكر تفاصيله فيما بعد، لأنه يحتوي على الكثير من الفقرات الهامة، التي يكتب فيها لول للمرة الأولى انطباعاته حول الفروسية، الحروب الصليبية والأراضي المقدسة.

حينما بدأ لول تحرير نصوصه الأولى، حدث له تغير كبير في حياته الشخصية. وقد عانت زوجته كثيراً جراء حياته التأملية، ففي سنة 1275م ، طلب استصدار حكم يقضي بتعيين وصي لإدارة ممتلكاته والإعتناء بأهله، تذكر المصادر ما نصه : " من المؤكد والظاهر أن بلانكا زوجة رامون لول شهدت الحكم ، رفقة بيدرو كالديس والقاضي وغيرهم ... أكد القاضي حكمه بالقول أن زوج بلانكا (يعني لول) أصبح كثير التأمل ولم يعد في مقدوره التعامل مع إدارة ممتلكاته الزمنية ، وبذلك سيخسر هذه الممتلكات. ولهذا توجب عليه طلب وصي لها ولأبنائه، ليدافع عنهم ويحفظ الممتلكات من الضياع". يضيف المصدر : " ... نحن، بيدرو كالديس، بعد سماعنا لهذا الالتماس، وحتى نحقق هدف هذه الحياة، وفي حال بقاء رامون لول في حياته التأملية ، ناقشنا هذه القضية وأشارنا إلى بيدرو جالثيران، وهو مواطن ميورقي وقريب لبلانكا، بأن يتولى دون أجر

=حول "الفن اللولي" ، أنظر :

Carreras I Artau, Tomás y Joaquín, Historia de la filosofía española, Madrid, 1939, vol. I, pp.345-389.

Ramon Llull , Vita Coetanea , III , p.45.

¹ - أنظر :

² - أنظر :

Batllori (Miquel) , Ramon Llull i el lul.lisme , Obra completa, Vol. II , Biblioteca d'estudis i investigacions, València, , 1993, p.11.

إدارة هذه الممتلكات، وعيناه مسؤولاً عن كل ما حازه رامون لول، وخولناه صلاحية كاملة لحفظ هذه الممتلكات ... ويشهد على هذا الحكم جميع من حضر هذه الجلسة"⁽¹⁾.

لا نجد في *vita coetanea* أية إشارة لهذه المأساة العائلية⁽²⁾، حتى أن لول لم يتحدث عنها أيضاً في مؤلفاته الأخرى، بل لم يأت على ذكر زوجته أبداً فيما تركه من نصوص، وقد خصّ ذكراً ضئيلاً لابنه "دومينيغو" في بعض الكتابات. على أن قصة تنازل لول عن ممتلكاته، لها مغزاها، حينما يتعلق الأمر بتكريس الرهبان لحياتهم للمسيح. إذ أن التفرغ لحياة تقية ورعة في العصور الوسطى الأوروبية، كان يعني التخلي عن كل شيء وحتى إعتاق العبيد، وأن مؤسسة العبودية ليست هي العقبة في وجه الحياة القدسية بقدر ما إن العقبة هي حيازة ممتلكات بشرية أو مادية⁽³⁾.

يُعتبر خايمي الثاني أول ملك يُظهر اهتماماً واضحاً بكتابات رامون لول. ولأنه كان عارفاً لسمعة وشهرة لول، فقد استدعاه في بلاطه في مدينة مونبيلييه ليستمع إليه رفقة الإخوة الرهبان الفرنسيين (من بينهم "برتران بيرنجير Bertrán Berenuer"، الذي كان في السابق، أستاذاً لللاهوت المقدس في مدينة مونبيلييه)، لقراءة أعماله وضمّان المعتقد القويم لديانته. تورد "السيرة المعاصرة" في هذا الإطار ما نصه: "عندما وصل رامون إلى هناك (أي مدينة مونبيلييه)، تفحص الملك كتبه عن طريق بعض الرهبان، خصوصاً تلك التأمّلات التي قمت بها إخلاصاً وتقوى في كل يوم من أيام السنة، مُسجلاً فقرات خاصة لكل تأمل في الشهر، تأملات لا تخل من الإعجاب، تجد فيها عبق النبوة والورع الكاثوليكي"⁽⁴⁾، وهم يشيرون بذلك إلى كتاب التأمل في الله.

Hillgarth J.N. , Diplomatarium Lullianum , p.37.

⁽¹⁾ - أنظر :

Rubió i Balaguer (Jordi) , Ramon Llull i el Lullisme , p.38.

⁽²⁾ - أنظر :

⁽³⁾ - أنظر :

Youval Rotman, Les esclaves et l'esclavage : De la Méditerranée antique à la Méditerranée médiévale VIe-XIe s , Les Belles Lettres , Paris , 2004 , pp.183-189.

Ramon Llull , Vita Coetanea, III , p.45.

⁽⁴⁾ - أنظر :

عندما بلغ رامون لول عامه الرابع والأربعين، توسّل إلى الملك خايمي الثاني الذي دعاه للحضور إلى مدينة مونبيلييه جنوبي فرنسا، وطلب منه "... بناء دير في مملكة ميورقة، وأن يهب مُمتلكات حسنة، بحيث يمكن أن يعيش فيها ثلاثة عشر راهباً، يعكفون على تعلم لغة السراسنة من أجل تحويل الكفار، وأن يعمد الملك كل سنة على إغداق خمس مائة فلورين ذهبي لمعيشتهم"⁽¹⁾. ومن المُفترض أن طلب رامون لول وصل إلى الملك عام 1275م، وأن الفرانسسكان بدأوا الدراسة هناك عام 1276م. وبالفعل حصل من ولي العهد خايمي الثاني، على قرار بتأسيس كلية ميرامار Colegio de Miramar في ميورقة، ليقم فيها ثلاثة عشر راهباً فرانسيسكانياً ليتعلمو اللغة العربية، ابتغاء التمكن من السفر إلى البلاد الإسلامية والقيام بالتبشير بالمسيحية بين المسلمين. وصدّق على تأسيسها في 17 أكتوبر 1276م، من طرف مرسوم البابا "يوحنا الحادي والعشرون Jean XXI (بابا برتغالي 1276-1277م) ، كما مُنحت الحبوس ريعاً سنوياً مقداره خمسمائة فلورين ذهباً⁽²⁾. وهناك أيضاً ألف لول كتابه "فن البرهان Art Demostrativa".

في سنة 1277م، سافر لول إلى روما، ليحصل من البابا على تأسيس كليات أخرى عديدة لتكوين المنصرين، على غرار كلية ميرامار. ثم قام فيما بين سنة 1277م وسنة 1282م برحلات طويلة جعلته، على حد تعبيره، يعرف المعلوم من العالم آنذاك تقريباً، من البرتغال حتى بلاد التتار، ومن بولندا حتى بلاد الحبشة. ولا توفر "Vita Coetánea" أي معلومات عن حياة لول في الفترة بين 1275 و 1285م. في نهاية تلك الفترة، يلج رامون لول الساحة الدولية، هذه الفترة بالذات شهدت وقوع سلسلة من التغيرات السياسية الهامة والتي كان لها بالتأكيد أهمية كبيرة في تاريخ تلك الحقبة. وسنبحث الآن في السياق السياسي في النصف الثاني من القرن 13م، عندما يدخل رامون لول المشهد السياسي الأوروبي.

Ramon Llull , Vita Coetanea, III , p.45.

⁽¹⁾ - أنظر :

⁽²⁾ - أنظر :

Cruz Pontes (J.M.) , Miramar en sus relaciones con Portugal y el lulismo medieval portugués , Actas del II congreso internacional de Lulismo , Palma de Mallorca , Maioricensis schola Lullistica , vol.I , 1979 , pp.261-277 ; Garcias Palou S. , El Miramar de Ramon Llull , Palma de Mallorca , Instituto de Estudios Baleáricos , Consejo superior de Investigaciones Científicas , 1977.

7- مُساهمة رامون لول في المجال السياسي.

مع وفاة خايمي الأول في نفس السنة، أصبح ابنه خايمي الثاني منخرطاً في حرب كبرى مع أخيه "بيدرو الثالث" ملك أراجون (1276-1285م)⁽¹⁾، وهي الحرب التي حشدت القوى السياسية الرئيسية في تلك الفترة وهي : البابوية والملكية الفرنسية. لسوء حظ رامون لول فإن هذه الحرب أثرت بشكل مباشر على حياته، وفي وجود معهد ميرامار، وربما أيضاً على أفكاره المتمحورة حول دور النظام الملكي وأهمية السلام باعتباره عاملاً للوحدة الداخلية للعالم المسيحي.

بدأ هذا الصراع عندما أظهر الملك خايمي الأول، عام 1272م، نيته تقسيم مملكته بين ولديه⁽²⁾: حيث كان ضمن ممتلكات خايمي كل من مونبيلييه، جزر البليار ومقاطعات روسيون وسردينيا والمناطق الحدودية " فالسبير Vallespir وكونفلنت Conflent"، في حين أخذ بيدرو ملك أراجون إمارتي قطلونيا وبلنسية⁽³⁾. ومع وفاة خايمي الأول سنة 1276م، توج خايمي الثاني ملكاً على جزيرة ميورقة. على الرغم من ذلك، لم يكن بيدرو الثالث راضياً عن هذا التقسيم، وفي عام 1279م، بموجب معاهدة "بربينيان Perpiñán" أجبر أخاه خايمي الثاني وبقوة السلاح على الاعتراف بإدارة الجزيرة بوصفه "فصلاً تابعاً للملك" أي باعتباره تابعاً. وبهذا تحولت ميورقة إلى سلسلة من المناطق الإقليمية المندمجة من الناحية القانونية في اتحاد كونفيدرالي⁽⁴⁾.

شكّل العمل الذي أقدم عليه بيدرو الثالث، جزءاً من خطة توسعية كبرى لأراجون، تسعى لبسط وهيمنة الاتحاد الأراجوني-القطلاني على البحر المتوسط، وكانت الجزائر البحرية نقطة

⁽¹⁾ - بيدرو الثالث الأراجوني حمل أيضاً لقب "نبيل قطلونيا condal del Cataluña"، لذا من ذلك الوقت كان بيدرو الثاني.
⁽²⁾ - أنظر :

Santa María (Alvaro), Creación de la corona de Mallorca : las disposiciones testamentarias de Jaime I, Mayurqa, N.19, Universitat Palma de Mallorca, Facultat de Filosofia i Lletres, 1979-1980, pp.127-130.

⁽³⁾ - أنظر : Giménez Soler A., La Edad Media en la Corona de Aragón, Barcelona, 1930, p.176.
⁽⁴⁾ - أنظر :

Riera Antonio, Mallorca 1298-1311 un ejemplo de planificación económica en la época de plena expansión, Estudios Históricos y documentos de los Archivos de Protocolos V. Miscelánea en honor de Josep Maria Madurell i Marimon, Barcelona, 1977, p.199.

استراتيجية للتحكم في التجارة البحرية⁽¹⁾. تلك المطالبات القطلانية-الأراجونية أجّبت مُعارضة البيت الملكي الفرنسي، والذي كان محميا بدوره وبشكل علني من قبل البابوية، التي أصبحت في عاته الفترة تحت نفوذه⁽²⁾. في نفس سنة معاهدة بربينيان، غادر رامون لول جزيرة ميورقة، وعاد إليها فقط بعد تنصيب خايمي الثاني كملك، بعد عشرين سنة، وهو ما يشير بوضوح إلى موالاته السياسية وموقفه المُنحاز والداعم لخايمي الثاني، ضد فرض التبعية من قبل بيدرو الثالث، مُضيفاً أن البابا داعم لخايمي الثاني⁽³⁾.

بفضل السياسة التي اتبعتها البابوية في صقلية، تواصل التوسع الأراجوني⁽⁴⁾. ولمُواجهة نفوذ الإمبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة في إيطاليا، عرض البابا "أوربان الرابع Urbain IV" (1261-1264م) تاج مملكة الصقليتين على شارل أنجو كونت بروفانس، شقيق لويس التاسع ملك فرنسا (1226-1270م) وعم الملك الذي خلفه فيليب الثالث الجريئ (1270-1285م). قام شارل بغزو إيطاليا مع جيشه، ولم تواجهه أية مقاومة وتم تتويجه عام 1266م. وبوحشية منقطعة النظير، واصل جيشه مسيرته، ليصل إلى مدينة نابولي، لكن نتيجة هذه السياسة البابوية كانت على قدر كبير من الكارثية. فقد اتسم حُكم شارل أنجو لمملكة صقلية بالقسوة وبنظام ضريبي شديد الوطأة على سكانها، وألغى حقوق المؤسسات وأصاب النشاط التجاري بالشلل بشكل كبير. على صعيد آخر، أعلن الإمبراطور "كونرادينو" الفتى ذي الأربعة عشر ربيعاً وآخر فرد من أسرة الهوهنشتاوفن، نفسه ملكاً لصقلية، لكنه هُزم من قبل شارل أنجو في موقعة "تالياكوزو

⁽¹⁾ - أنظر : Domínguez Reboiras (Fernando) , Introducción general : la vida de Ramón Llull alrededor del año 1300 , R.O.L. , Vol.XIX , 1993 , p.XX.

⁽²⁾ - بداية من فترة البابا الفرنسي أوربان الرابع (1261-1264م)، بحثت البابوية عن دعم وحماية الملكية الفرنسية، ذلك أن الصراعات الخطيرة بين البابوية والامبراطورية -خاصة في عهد فريديريك الثاني- حملت البابوية على التقرب من فرنسا، وأيضاً بسبب جلوس لويس التاسع على العرش الفرنسي (1223-1226م)، الذي سيصبح لويس التقي في المستقبل. أنظر :

Garcia Villoslada (Ricardo) , Historia de la Iglesia Católica II Edad Media (800-1303) , Madrid , Biblioteca de Autores Cristianos , 2003 , p.520.

⁽³⁾ - تمثل موقف رامون لول، على الرغم من كونه معتدلاً، في رفض الضريبة القاسية للولاء لبيدرو الثالث والسياسة النفعية التي انتهجها والتي تعني في الواقع حرمان واستبعاد ملك ميورقة من أي حق في العرش. أنظر :

Domínguez Reboiras (Fernando) , Introducción general , p.XXXVI.

⁽⁴⁾ - أنظر : Salabert V. , La expansión catalana-aragonesa por el Mediterráneo en el siglo XIV , Anuario de estudios medievales , N°7 , 1970-1971 , pp.17-38.

Tagliacozzo" سنة 1268م، وبناء على أوامر شارل قطع رأسه في ساحة السوق بمدينة نابولي⁽¹⁾.

طلب "روجر دي لوريا Roger de Lauria" الأدميرال المستقبلي لنابولي، المساعدة من أراجون، مُذكراً بأن بيدرو الثالث لديه حقوق في مملكة صقلية بحكم زواجه من "كونستانس Constance" ابنة مانفرد، ملك صقلية (1258-1266م). في غضون ذلك، حدث في عيد الفصح من سنة 1282م، أن تمرّد سكان صقلية ضد شارل أنجو، بعد تجاوزات جنوده على باب كنيسة "الروح القدس"، في بالرمو. وفيما بين 30 مارس و 21 أبريل 1282م، أعمل القتل في كل الفرنسيين الموجودين في المدينة. وأعلن سكان صقلية أن جزيرتهم أصبحت خالية من أي أثر للحكم الفرنسي، وعرفت هذه الثورة بحرب المساء الصقلية⁽²⁾.

على الرغم من ذلك، واصل البابا مارتين الرابع (1281-1285م) دعمه لشارل أنجو، وحرمانه الكنسي لأي معارض له. وعلى هذه الشاكلة، انحاز سكان صقلية إلى بيدرو الثالث ملك أراجون، وقدمو له تاج مملكتهم. ووفقاً للمصادر القطلانية، فإنهم أشادوا بيدرو الثالث ووصفوه بـ"أعطية وهبها الله لهم على الأرض"⁽³⁾. وقام بغزو الجزيرة سنة 1283م، بعد هزيمة شارل أنجو في البر والبحر معاً⁽⁴⁾. لكن البابا مارتين الرابع تدخل وأعلن حرمان بيدرو الثالث من رحمة الكنيسة، وحرّر رعاياه من فروض الولاء والتبعية التي قطعوها له، كما قام بتعيين شارل فالوا، ابن فيليب الثالث ملك فرنسا (1270-1285م)، ملكاً على قطلونيا.

عقب ذلك، أقدم شارل فالوا على غزو قطلونية رفقة جيشه، بنية الاعتراف به كملك (مثله مثل البابا، فقد كانت هذه الحرب "حرباً صليبية مقدسة" ولهذا السبب، حشدت هذه الحملة

⁽¹⁾ - أنظر :

Garcia Villoslada (Ricardo) , Historia de la Iglesia Católica II Edad Media (800-1303) , p.525.

⁽²⁾ - للمزيد عن حرب صلاة المساء الصقلية، ارجع إلى :

Runciman (Steven) , The Sicilian Vespers , Cambridge , 1957.

⁽³⁾ - أنظر : Hillgarth (J.N.) , Los reinos hispánicos 1250-1516 , 1250-1410 : Un equilibrio precario , Vol.I , p.296.

⁽⁴⁾ - أنظر :

Garcia Villoslada (Ricardo) , Historia de la Iglesia Católica II Edad Media (800-1303) , pp.542-543.

وصحبت معها جحافل من الفلاحين، ورجالا ونساء وأطفالا ممن رغبوا في تحصيل البركات الروحية الخاصة بهذه الحروب الصليبية⁽¹⁾. وهناك رأى خايمي الثاني فرصته في استعادة استقلال مملكة ميورقة وسمح بمرور الجيش الفرنسي عبر "روسيون Rosellón". على الرغم من ذلك، منحت مقاومة مدينة "جيرونا"، وقتاً كافياً لروجر دي لوريا وأسطوله في الوصول وهزيمة الأنجليبيين في مالطا وخليج نابولي سنة 1284م. وحدث أثناء انسحاب الجيش الفرنسي بعد تفشي وباء التيفوس، أن توفي الملك الفرنسي فيليب الثالث عام 1285م⁽²⁾.

الواقع أن الوفاة المفاجئة لبيدرو الثالث ملك أراجون، في نوفمبر 1285م، جعلت ابنه الفونسو الثالث (1285-1291م) يفرض سلطته على جزيرتي ميورقة ويااسة (نوفمبر 1285م)، حيث لم يبد حينها سكان ميورقة أي مقاومة⁽³⁾. كما قام الفونسو الثالث أيضاً بغزو جزيرة منورقة واستخلاصها من المسلمين لتعميرها بالقطلاتيين⁽⁴⁾. وهكذا استمرت الحرب بين العم وابن أخيه في "روسيون" و "إمبوردان Empordán" خلال أكثر من 13 عاماً (1282-1295م)، حتى تمّ التوصل إلى اتفاق بوساطة البابا بونيفاس الثامن بتوقيع معاهدة "أنانيي Anagni" في 24 جوان 1295م⁽⁵⁾، ويرجع الفضل في ذلك جزئياً إلى موت الفونسو الثالث عام 1291م والطبيعة التي اتسم بها الملك الجديد الذي كان يجنح للسلم كثيراً، وأخيه خايمي الثاني العادل (1291-1327م)⁽⁶⁾.

(1) - ساهم انضمام هذه الفئات في عرقلة وتأخير تقدم الحملة الفرنسية، أنظر :

Hillgarth (J.N.) , Los reinos hispánicos , pp.300-301.

(2) - أنظر :

Domínguez Reboiras (Fernando) , Introducción general, p.XX.

(3) - أنظر : Riera Antonio , Mallorca 1298-1311 un ejemplo de planificación económica en la época de plena expansión , p.200.

(4) - أنظر : Domínguez Reboiras (Fernando) , Introducción general : la vida de Ramón Llull alrededor del año 1300 , p.XX.

(5) - ضمت المعاهدة الخصوم المتنافسين (خايمي الثاني ، فيليب الرابع ، شارل الثاني أنجو من نابولي) يتقدمهم البابا بونيفاس الثامن. أنظر :

Santa María (Alvaro) , Ejecutoria del Reino de Mallorca , Mallorca , Ajuntament de Palma , 1990 , p.562.

(6) - ملك صقلية (1285م-1291م) وملكا لأراجون (1291م-1327م).

يُشَدّد العديد من الدارسين على فكرة أنه خلال هذا الجوّ السياسي المشحون، بدأ رامون لول تأليف النصوص الأولى التي تُعالج الحروب الصليبية في الأراضي المقدسة وكذا عن هيئة فرسان المعبد Les Templiers⁽¹⁾. وبالتالي، تُعتبر تأملاته حول دور الهيئات العسكرية وأهمية السلام والعدل كواحدة من الأهداف التي يمكن تحقيقها بواسطة القوى السياسية المذكورة سابقا من أجل استعادة السلام بين ملوك ميورقة وأراجون وعودة خايمي الثاني إلى ميورقة (كان حتى ذلك الحين في مدينة مونبيلييه)⁽²⁾. وجرى في وقت لاحق تأكيد مُعاهدة أنانيي باتفاقية "أرجيليس Argelès" بتاريخ 29 جوان 1298م. وقد استردّ خايمي الثاني جزيرة ميورقة في 26 أكتوبر 1298م، لكنه وفي مقابل ذلك اضطر إلى التصديق على معاهدة "برينيان" وبالتالي خضوعه للتاج الأراجوني⁽³⁾.

خلال كل تلك الفترة التي خسر فيها خايمي الثاني الجزيرة، أسّس خايمي بلاطه في برينيان ومونبيلييه (على الحدود بين فرنسا وإسبانيا) ، وهي المدن التي بدأ لول في التردد إليها وزيارته⁽⁴⁾. وبالفعل، كان رامون لول مُتواجدا في مونبيلييه عام 1283م، ومن المُحتمل أنه بين سنتي 1283م و1287م -عندما تستأنف vida coetánea سرد سيرته⁽⁵⁾- لم يعد لول إلى ميورقة ثانية (قام فقط بزيارة قصيرة عام 1294م لرؤية ابنه). وقد عاد فقط إلى الجزيرة بعد نحو عام من عودة خايمي الثاني كملك (1299م).

⁽¹⁾ - فرسان الهيكل أو الداوية، كانوا أعضاء في جماعة عسكرية دينية من جماعات الفروسية النصرانية. وأسس الجماعة في القدس عام 1119م الفارسان الفرنسيان هيو دي بينز وجودفري من سانت أومر. وسيأتي ذكر علاقة لول بهم في فصل قادم. لمزيد من التفاصيل عن هيئة فرسان المعبد ارجع إلى: قمعون (عاشوري)، نشاط هيئة الداوية في بلاد الشام وغرب أوروبا (513-710 هـ/1119-1311م)، مذكرة ماجستير غير منشورة، إشراف أ.د. موسى لقبال، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 1994.

⁽²⁾ - فضلا عن هذه الحرب، كانت هناك حرب أخرى، بين فرنسا وإنجلترا، ففي عام 1294م، استولى فيليب الوسيم على جاسكونيا، والتي كانت بحوزة ادوارد الأول، الفصل التابع له. وانتهت هذه الحرب فقط في عام 1299م، مع التدخل الحاسم للبابا بونيفاس الثامن، الذي أنهى الصراع بموجب معاهدة "Montreuil". أنظر :

Garcia Villoslada (Ricardo), Historia de la Iglesia Católica II Edad Media (800-1303), p.588.

⁽³⁾ - أنظر : Martínez Ferrando (J.E.), La tràgica història dels reis de Mallorca, Barcelona, 1979, pp.63-111.

⁽⁴⁾ - أنظر :

Badia (Lola), Bonner (Anthony), Cronología de Ramón Llull, Randa, N°.19, Lògica, ciència, mística i literatura en l'obra de Ramón Llull, Barcelona, Curial, 1986, p.200.

⁽⁵⁾ - الفترة التي أهملتها السيرة الذاتية لرامون توافق السنوات بين 1276م و 1287م، تتطابق مع عمر 44 و 55 سنة لرامون، وهي تماما فترة بداية الحرب بين أراجون وفرنسا. أنظر :

Ramon Llull, Vita Coetanea, IV, pp.45-47.

مع ذلك، وعلى الرغم من قرب هذه السياسة القوية، وحقيقة أن خايمي الثاني كان قد خسر جزر البليار، فمن المرجح، أنه جعل رامون لول يضع في إعتباره إمكانية أن يكون تحت حماية ملك آخر، ومن المحتمل أن أول رحلة له إلى باريس سنة 1287م، كانت تحمل في طياتها هذه النية. بالإضافة إلى ذلك، بدا واضحاً أنه التمس من فيليب الوسيم (1285-1314م)، إنشاء مدارس على غرار ميرامار في فرنسا، حيث يتعلم المنصرون اللغات الشرقية بغية تحويل الكفار إلى الديانة النصرانية الكاثوليكية⁽¹⁾. وينبغي أن نضع في اعتبارنا أنه من المهم التأكيد على أن باريس ليست هي المكان الوحيد الذي زاره لول في تلك الفترة⁽²⁾. من ناحية أخرى، كان ملك فرنسا حليفاً لخايمي الثاني صاحب ميورقة (وكذلك ابن أخيه) وعدواً لملك أراجون.

في أغلب فترات القرن الثالث عشر الميلادي، وجدت الملكية الأراجونية نفسها في خلافات واشتباكات متواصلة مع نبلاء أراجون وقطلونية (1226-1227-1264م)، متحالفة أحياناً مع حكومات النخبة الحضرية (الأوليغاركية)، خاصة في مناطق "هويسكا Huesca" وسرقسطة. وطالبت فئة الأوليغاركية من النظام الملكي، احتراماً أكثر لامتيازاتها واتهموا العاهل الملكي صراحة بدعمه للقصور الملكية على حساب الأرستقراطية. أما فيما يتعلق بقرار الحرمان الكنسي الذي تعرض له بيدرو الثالث (بعد غزوه لصقلية)، فقد تمردت ضده الأوليغاركيات (والمعروفة بـ La Unión) بطبيعة الحال، بعد أن توفر لها الغطاء القانوني، وعارضت الأرستقراطية بذلك تعيين الأجانب (قطلان وصقليين) في الوظائف على مستوى مملكة أراجون⁽³⁾. قام بيدرو الثالث بتسوية وعقد الاجتماعات مرة واحدة في السنة، والتي عقدت لأول مرة بين سنتي (1283-

⁽¹⁾ - أنظر :

Hillgarth (J.N.) , Lull and Lullism in fourteenth century France , Clarendon Press , Oxford, 1971 , p.50.

⁽²⁾ - تمثل خط سيره في المدن التالية، من باريس إلى مونيبلية وميورقة، ثم مباشرة إلى بجاية (في شمال إفريقيا) ، ومن المرات الفريدة التي سافر فيها بداية من الآن إلى الغرب : زيارة قصيرة إلى برشلونة عام 1294م (للبقاء في بريبيان وبرشلونة في عام 1299م، ولبضعة أشهر في برشلونة عام 1305م). من الواضح أن شبه الجزيرة الأيبيرية لم تمارس أي دور في حياة رامون لول لاحقاً. أنظر :

Bonner (Antoni) , Ambient Històric I vida de Ramon Llull , O.S. , vol. 1 , Palma, Moll, 1989 , p.29.

⁽³⁾ - أنظر :

Hillgarth (J.N.) , Los reinos hispánicos 1250-1516 , 1250-1410 : Un equilibrio precario , Vol.I , p.298.

1284م) في بلنسية وبرشلونة. وفي عام 1287م، أثار هؤلاء Unionistas حرباً أهلية وحصل الفونسو الثالث على امتيازات هذه الفئة⁽¹⁾.

بالعودة إلى الحرب، وموقف رامون لول منها، حدث أن توفي بيدرو الثالث عام 1285م، وتوج خايمي الثاني بعرش أراجون، وإثر هذه الأحداث تغير موقف لول، ونشأت علاقة ودية له مع هذا الملك، حتى أنه في ذلك الوقت كرّس وقته لتأليف عملين⁽²⁾. بدوره، منح الملك خايمي الثاني لرامون لول بتاريخ 30 أكتوبر 1299م، إذنًا بالوعظ في المساجد الإسلامية والمعابد اليهودية في كامل ربوع مملكته، وكذلك في جزر البليار (خايمي الثاني صاحب ميورقة كان في ذلك الوقت فصلاً تابعاً لملك أراجون)⁽³⁾. يرجع هذا التقرب إلى حقيقة أن خايمي الثاني ملك أراجون، كان منذ بداية حكمه متبنياً لموقف أكثر اعتدالاً بشأن الصراع مع عمّه، كما أنه على الأرجح، ساهم في نهاية الحرب، حتى أنه شعر بالقلق عندما تمّ إحلال السلام مع مملكة بني نصر في غرناطة⁽⁴⁾.

من الصعب جداً تفسير هذا التقارب الذي قام به لول تجاه خايمي الثاني، في نفس الوقت الذي كان فيه الأخير وهو صديقه وحاميه قد حصل فيه على الجزيرة مرة أخرى سنة 1298م⁽⁵⁾. قد يكون أحد التفسيرات المُحتملة، مُحاولة رامون لول الحفاظ على وجود وسيرورة دير ميرامار.

⁽¹⁾ - أنظر :

González Antón (Luis) , El reino de Aragón durante los siglos XIII y XIV, Historia de Aragón , vol.I , Generalidades , Resumen de las lecciones impartidas en el Curso 1986-1987 , Institución Fernando el Católico, Zaragoza, 1992, pp. 175-176.

⁽²⁾ - كلا العملين " Dictat de Ramon " و " Libre de oracions " تمت كتابتهما في مدينة برشلونة عام 1299م (وتم نشرهم في مجموعة الأعمال اللاتينية الكاملة 436-455 y 327-406 p. , Vol.XIX, 1993, R.O.L.) ، وخصص مؤلف Dictat de Ramon أيضا للملك الفرنسي لويس المعروف بالقديس. ومن المحتمل أن لول كان قد تأثر من إضفاء صفة القداسة على الأخير من قبل البابا بونيفاس الثامن سنة 1297م. ويورد هيلجارث ما نصه : " إذا لم يكن لول قد تأثر من خلال الضغط الحالي للبعثات الدينية من طرف الملكية الفرنسية فإنه كان على الأقل قد قرر بأن هذه كانت النقطة التي يؤكد فيها على تقربه من الملك فيليب الوسيم". أنظر:

Hillgarth (J.N.) , Ramon Llull and Lullism in Fourteenth-Century France, p. 50.

⁽³⁾ - أنظر :

Domínguez Reboiras, Fernando , El Dictat de Ramón y el Coment del Dictat , Texto y contexto, S.L. , 1996, vol. XXXVI, p. 50.

⁽⁴⁾ - أنظر :

Del Estal , Juan Manuel , Reafirmación de Jaime II en su política de paz con el reino nazarí de Granada (Junio 1298), Miscelánea de Textos Medievales , 7, 1994, p. 71-77.

⁽⁵⁾ - أنظر :

Domínguez Reboiras, Fernando , El Dictat de Ramón y el Coment del Dictat , p.52.

بينما من المحتمل أن معهد ميرامار قد اندثر سنة 1295م⁽¹⁾ - ويرجع ذلك أساساً إلى أن لول غادر ميورقة عام 1279م، بعد ثلاث سنوات من تأسيسها، لانعدام الوسائل المادية والدعم المالي، في الوقت الذي خسر فيه خايمي الثاني الجزيرة - أبقى رامون لول على محاولاته، مع خايمي الثاني، للحفاظ على وجود وعمل الدير. ويظهر هذا بوضوح في الهبة (10 فيفري 1291م) التي أغدقها خايمي الثاني على الدير والتي بلغت قيمتها خمسة آلاف فلورين كراتب سنوي، يدفعها شقيقه ألفونسو من مقره في مدينة بلنسية⁽²⁾.

من المهم ملاحظة أن كل النشاطات التي قام بها رامون، إلى جانب الملوك الأيبيريين لأراجون وميورقة، لا تعني أنه شارك بشكل مباشر في الصراع بين الأسر الملكية. ومن المثير للاهتمام أنه على الرغم من عدم وجود أي نفي في المنطقة المحظورة نسبياً (غرب شبه الجزيرة الأيبيرية ، باريس، إيطاليا، إفريقية). فإنه كان لرامون لول رؤية عالمية للمشاكل السياسية في عصره، والذي انعكس بجلاء في كتاباته عن الحروب الصليبية⁽³⁾. كانت وجهات نظره أوسع وأشمل، وفوق أي أطماع سياسية، لقد غطى مشروعه الإصلاحي كامل المجتمع المسيحي في عهده⁽⁴⁾.

يميل عدد من المؤرخين إلى الاعتقاد بأنه غداة ظهور رامون لول، وبزوغ نجمه في السياسات الأوروبية بين سنوات 1286-1287م، سار إلى البلاط البابوي ومدينة باريس، وقد

⁽¹⁾ - "... وتم ختم اختفائها في عام 1301م مع تسليم الممتلكات إلى دير السسترشيان الملكي". أنظر : Domínguez Reboiras, Fernando , Introducción General. La vida de Ramón Llull alrededor del año 1300, p. XLI.

⁽²⁾ - أنظر : Garcias Palou (Sebastián) , El Miramar de Ramon Llull , Palma de Mallorca: Instituto de Estudios Baleáricos, Consejo Superior de Investigaciones Científicas, 1977, p. 250.

⁽³⁾ - " كان رامون لول عدواً لكل مصلحة خاصة... إن السياسة التي تخدم فقط المصالح المباشرة والطارئة للمواطنة مهددة بخطر الموت ... وبسبب هذه السياسات القصيرة النظر سيتدمر عالم المسيحية...". أنظر:

Domínguez Reboiras, Fernando , In civitate pisana, in Monasterio Sancti Domnini: algunas observaciones sobre la estancia de Ramón Llull en Pisa (1307-1308), Traditio , Studies in Ancient and Medieval History, Thought, and Religion , New York: Fordham University Press, 1986, pp.428-429.

⁽⁴⁾ - في إنتاجه الأدبي، لم يذكر لول تقريباً أية إشارات محددة للمشاكل السياسية المحترمة آنذاك، فقط ما يمكن تأكيده هو إيديولوجيته السياسية التي كانت تعارض المصلحة والمنفعة الخاصة. أنظر:

Domínguez Reboiras, Fernando , Introducción General , La vida de Ramón Llull alrededor del año 1300, p. XXXVIII.

كانت رؤيته السياسية وأفكاره حول العلاقة بين البابوية والسلطات الملكية الزمنية قد تشكلت بالفعل. كان حقاً رجلاً عجوزاً بمقاييس العصور الوسطى، كان له من العمر تقريباً حوالي 54 عاماً، وعبر في عدة فقرات من مؤلفاته عن قلقه الصادق من أجل الوحدة المسيحية والحاجة الماسة لاسترداد الأراضي المقدسة في الشرق، بمشاركة فعّالة للهيئات الرهبانية العسكرية.

8- رحلات لول إلى مدن مونبيلييه، روما ، باريس و جنوة.

في ظلّ هذا المشهد السياسي المضطرب، الذي اضطرت بنيرانه كل من قطلونيا وفرنسا، كان من الطبيعي أن تترك هذه الأحداث أثرها على حياة وكتابات رامون لول. فبعد أن ذهب خايمي الثاني للعيش بين برينيان ومونبيلييه بداية من سنة 1285م، وعاد فقط إلى جزر البليار عام 1298م، رافق لول حاميه وولي نعمته في حله وترحاله. وبالفعل في عام 1283م تواجد لول في مدينة مونبيلييه وحرّر روايته الأدبية الخالدة Blanquerna ، كما بدأ الدورة الثانية في تدوين فنه الأعظم.

في سنة 1287م، زار لول للمرة الأولى البلاط البابوي بروما، وفي ذلك يقول : "...لأرى إن كنت أستطيع الحصول من البابا والسادة الكرادلة على تأسيس أديرة مماثلة (على غرار ميرامار بميورقة) من أجل العالم، لتدريس اللغات المختلفة"⁽¹⁾. ومع ذلك، حينما وصل إلى روما، توفي البابا هونوريوس الرابع Honorius IV (أفريل 1287م) الذي كان لول ينوي عرض مشروعاته عليه، ولم يظفر لول على ما ابتغاه في البلاط البابوي⁽²⁾، فولى وجهه بعد ذلك إلى مدينة باريس كما يقول: "... من أجل إبلاغ العالم بفنه الذي وهبه الإله إياه"⁽³⁾.

كانت رحلاته هذه هي الأولى من نوعها، وكان له من العمر حينها حوالي 53 عاماً. قبل ذلك، اقتصرت تجربته الأكاديمية في جامعة مونبيلييه على عدد قليل من الفصول الدراسية بعد بضع سنوات، لكن من خلال Vita Coetanea يُفهم جيداً أنها سلّطت الضوء على طريقه إلى

⁽¹⁾ - أنظر : Ramon Llull , Vita Coetanea , IV, pp.45-47.

⁽²⁾ - البابا هونوريوس الرابع اسمه العلماني جاكومو سافيلي، دامت فترة بابويته من 02 أفريل 1285 إلى غاية 03 أفريل 1287م.

⁽³⁾ - أنظر : Ramon Llull , Vita Coetanea , IV, p.47.

باريس، حيث كانت كل من المدينة والجامعة، في القرن 13م، مركزاً فكرياً للعالم المسيحي. وعلى الرغم من ذلك، آلت فصوله الدراسية في باريس إلى الفشل. إلى جانب المشاكل الطبيعية للتواصل، حيث اعتذر مثلاً عن طريقته في النطق بالعربية⁽¹⁾. كما أن فنه في هذه الفترة احتوى على العديد من الشخصيات والمصطلحات الفلسفية العقلية الصعبة (مثل المتلازمة اللولية الشهيرة)⁽²⁾، حتى على طلاب الفلسفة في جامعة باريس.

طلب مستشار جامعة باريس Bertaud de Saint-Denis ، من لول أن يُقدم في فصله الدراسي تعليقاً على فنه العام، وهو إجراء عام مُتبع للطريقة الأكاديمية (طريقة الفلسفة المدرسية الشهيرة)، وما زاد لول خيبة كما يقول هو : "... سلوك الطلبة وردة فعلهم"⁽³⁾. بعد ذلك، عاد رامون لول إلى مونبيلييه سنة 1289م، ولكن ليس قبل أول لقاء له مع الملك الفرنسي فيليب الرابع الوسيم (1285-1314م) ، يقول لول أن مهمته في فرنسا كانت أن يلتبس من ملك فرنسا ومن جامعة باريس أن ينشئ هناك (في فرنسا وباريس بخاصة) أديرة تُدرس فيها لغات غير المسيحيين. لكن يبدو أن الدومينيكان في باريس لم يعيرو مشروعاته أي إهتمام، شأنهم شأن الفرانسكان في مونبيلييه، كما حصل له في وقت سابق في البلاط البابوي⁽⁴⁾.

إلى جانب رواية Blanquerna ألف لول رواية أخرى موسوعية هي "فيليكس أو كتاب الأعاجيب Félix o el libro de las maravillas"، يصف فيها بطل الرواية مجازياً أسفاره حول العالم بالبحث عن الحقيقة، ويأسف لعدم وجود الحب الذي يجب أن يحوزه الرجال من أجل

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull , Vita Coetanea , IV, p.47.
⁽²⁾ - نظرية المتلازمة هذه هي أساس الفكر اللولي كله : فهي تشرح وتعرض الثالوث المقدس على عموم المخلوقات في العالم، وموضوعها (الملكية الايجابية) وهو الأب (المكافأة)، وهدفها (الملكية السلبية) وهو الإبن (bonificatividad) والفعل (الملكية الضامة) هو الروح القدس (bonificar). أنظر :

Domínguez Reboiras, Fernando , Entrevista concedida en el día 22.10.99 en el Raimundus Lullus Institut.

وحسب لول، فإن أي فرد قادر على فهم مخطط هذه المتلازمة، لأنه مثل العالم المخلوق، نحن مرآة عاكسة للثالوث المقدس. وقد ألف لول جميع أعماله على أساس فكرة هذه المتلازمة. ووفقاً لأنطوني بونر (O.S., vol. I, p. 35, n. 118) يمكن للفرد أن يفهم على نحو أفضل المتلازمة إذا قام بربط تصورات القوى الثلاث، الهدف والفعل، أو الوكيل والصبر والعمل. للمزيد أرجع إلى: GAYÀ, Jordi , La teoría luliana de los correlativos: Historia de su formación conceptual , Palma, 1979 y PRING-MILL, Robert D. F. , Estudios sobre Ramon Llull , Publicacions de l'Abadia de Montserrat, Barcelona, 1991, pp.94-110.

Ramon Llull , Vita Coetanea , IV, pp.46-47.

⁽³⁾ - أنظر :

Hillgarth (J.N.) , Ramón Llull I el naiximent del lul.lisme , p.77.

⁽⁴⁾ - أنظر :

الخالق. في فقرة واحدة يظهر هذا العمل نمط السيرة الذاتية، حيث يشرح لول مقارنته لفليب الوسيم: "قال ابن الناسك، أن الرجل الذي كان يعمل لوقت طويل لصالح الكنيسة الرومانية، وفد إلى باريس، وطلب من ملك فرنسا وجامعة باريس بناء أديرة يتم فيها تدريس تلك اللغات التي يتحدث بها الكفار، إن هذه اللغات ترجمت "مظاهر الفن" والتي تركت في التتار، وتدرس هذا الفن، سوف يستغرق بعض الوقت في باريس، وتعليم الكفار لغتنا وكتاباتنا (يعني بها اللغة اللاتينية)، ثم إعادتهم إلى أوطانهم"⁽¹⁾.

ويمضي لول ليضيف: "كل هذه الأشياء وغيرها كثير مما حاول الحصول عليها هذا الرجل من الملك ومن جامعة باريس، مؤكداً أنهم كانوا يبحثون عن الأب المقدس وعن الأعمال الدائمة"⁽²⁾. بهذه الطريقة أيها الابن، بإمكانك أن تنمي وتقوي الإيمان الروماني، وبواسطة تنصير التتار، وآخرين من قونية"⁽³⁾، وشعوب أخرى بإمكانهم تدمير السراسنة (يعني المسلمين). وبالتالي فإن طريق الاستشهاد ومن أجل عظمة الحب، يمكن أن يمنح العالم بأسره هبة المسيحية"⁽⁴⁾.

هناك فقرة أخرى ذات منظور أدبي، مأخوذة من "كتاب الأعاجيب"، تصف باقتدار الحيرة والارتباك التي اعترت المجتمع الباريسي المثقف، إثر تلقيه تعاليم رامون لول، في محاولة من الأخير التوفيق، على الأقل بحد معقول، بين الواقع والأدب، وقد مثل رامون لول في روايته أحد شخوصها، باعتباره واحداً من الأبطال والشخصيات البارزة، وأحد الأمثلة التي يتحدث على لسانها هي شخصيتي فيليكس والناسك (النموذج الكلاسيكي في العصور الوسطى كان قصة قصيرة

⁽¹⁾ - أنظر:

Ramon Llull , The Book of the Gentile and the three wise men , , in : Selected works of Ramon Llull , edited and translated by Anthony Bonner , Vol.II , Princeton University press , New Jersey , 1985 , p.982.

Loc.cit. ⁽²⁾ - أنظر:

من المؤثر، أكثر من ذلك، أن هذا العمل على شاكلة Arte demonstrativa، أوصى به لول للدفاع عن المسيحية وكذا الرغبة في تأسيس مدارس لتعليم اللغات الشرقية على غرار مرامار التي أنشئت لذات الهدف. كما أتى على ذكر التتار (المغول)، ولم يكن ذكره لهم خالياً من أي قصد، كما يبدو للوهلة الأولى. فخلال عدة سنوات، كان هناك نشاط دبلوماسي كبير بين الممالك الأوربية والخان الأعظم ملك المغول في فارس، والذي أبدى تعاطفاً واضحاً مع المسيحية وأراد تشكيل جملة من التحالفات مع الغرب المسيحي بغية طرد المسلمين من بلاد الشام، وكذا طرد المماليك من مصر. وبطبيعة الحال ، أثار هذا الحراك الدبلوماسي اهتمام رامون لول. وقبل فترة وجيزة من تأليفه لـ Fèlix o el Libre de Meravelles كان قد حرر "كتاب التتار والمسيحيين " .

Liber Tartari et Christiani [=Liber super Psalmum "Quicunque.)

⁽³⁾ - Iconia قونيا حالياً تقع في آسيا الصغرى. ربما يشير لول إلى السلاجقة الأتراك ، التي كانت موجودة باعتبارها محمية من طرف الخان الأعظم المغولي في بلاد فارس.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ramon Llull , The Book of the Gentile and the three wise men , p.982.

وصادقة لإدراجها في خطبة أو موعظة ذات خلفية لاهوتية، بهدف إقناع الجماهير عن طريق درس أخلاقي⁽¹⁾. ومن البلاغة الكلاسيكية القديمة، خاصة من أرسطو (الشاهد : دعاه أرسطو بـ paradigmata وسماه اللاتين Exemplum)⁽²⁾، هذا النموذج الشائع في أوربا إبان العصور الوسطى هو بنية أدبية جامدة إلى حد ما ومتكررة، وموجهة بشكل عام إلى جمهور العامة من الأميين.

تؤكد الإشارة الموجزة لهذا النموذج الأدبي، على تفرد الرواية الخاص برامون لول. والملاحظ أن الاقتباس المذكور مُختلف تماماً عن النموذج الكلاسيكي للعصور الوسطى : فنموذج لول أبداً ليس واقعياً جداً، وليس القصد منه تقييد قيمة الوثيقة التاريخية، على الرغم من أن لول في الكثير من المرات يستخدم رواياته الخاصة للإشارة إلى سيرته الذاتية، على النحو الذي سيأتي ذكره.

اتجاه لول في تحويل النموذج إلى أمثال رائعة، يوضح أيضاً شكل انتقال الكلمة المكتوبة، والاستعداد لإمتاع المُستمع والقارئ معاً⁽³⁾. ويبرز ذلك جلياً في الفقرة التالية من "كتاب الأعاجيب" : " من جملة ما قصّه الصديق، الذي أدعوه بالفيلسوف أن الملك رفقة عدد من الفرسان كانوا في وليمة. وعند انهماك الملك في الأكل، وفد عليهم في القصر رجل صدف أن كان في وقت سابق مُمثلاً للكفار⁽⁴⁾، انتهى به الأمر إلى العثور على طريق الخلاص. توجه هذا الرجل

⁽¹⁾ - أنظر:

Bremond, Claude , L'Exemplum médiéval est-il un genre littéraire? I. Exemplum et littérarité, Berilos, Jacques y Polo DE Beaulieu, Marie Anne, Les exempla médiévaux: nouvelles perspectives, Gregg, Joan Young , Devils, women and : وأنظر أيضاً : Honoré Champion, París, 1998, p. 21-28. jews: reflections of the other in the medieval sermon stories , Albano: State University of New York Press, 1997 ; Le Goff, Jacques, Saint Louis , University of Notre Dame Press, 2009 , pp.324-344.

في السيرة الأخيرة يناقش جاك لوجوف بعض الأمثلة في العصور الوسطى المتعلقة بالقديس لويس.

⁽²⁾ - أنظر : Curtius, Ernest Robert , Literatura Européica e Idade Média Latina, p.97.

⁽³⁾ - أنظر:

González Casanovas, Roberto J. La novela ejemplar de Ramón Llull: interpretaciones literarias de la misión, Ediciones Jucar , Madrid, 1998, p.64.

⁽⁴⁾ - كان هذا الشخص "نائباً للكفار Procurador de los infieles " وهو وصف أعطاه لول نفسه في مقاطع وفقرات مختلفة من مؤلفاته. على سبيل المثال، في مقدمة "كتاب المظاهرات Libro de las Demonstraciones"، وفي رواية "بلانكرنا"، وفي "كتاب مجادلة المؤمنين والكافرين"، وفي "كتاب أسماء الله المائة". أنظر: Ramon Llull , Libro de las Demonstraciones (Libro IV, Prólogo) ; Blaqueria (capítulo 61 y 90) ; la Disputa entre Fieles e Infieles (M.O.G. IV, 377) ; los Cien Nombres de Dios (capítulo 94, estrofa 9).

لجموع الحاضرين بداية من الملك، والفرسان ورجال الدين وهم مُنغمسون في الوليمة في ذلك القصر، لقول كلمة فحواها أنه يجب إنشاء إقامة للكفار يفدون إليها ويتعلمون فيها العقيدة الرومانية⁽¹⁾. انفعّل الرجل وصرخ وحاول إظهار الطريقة التي من خلالها يجب أن تعطى معرفة الحقيقة لأولئك الذين هم على غير هدى، كما هي موجودة في كتابي "فن الإشارة Arte Demonstrativa" و"كتاب القواعد Libro de los Artículos".

يمضي لول في السرد: "لقد أراد كل من في القصر قتله، وسخرو مما قاله واحتقروه. بكى الرجل ومزق ثيابه وشعره. في غضون ذلك، بدأ المغنون في الضرب بآلاتهم وأطربو كل من حضر المأدبة⁽²⁾. وبعد أن أسرفوا في أكلهم وسكرهم، وعند مغادرة الملك للقصر، فاجأته سيدة وركعت عند قدميه متوسلة إياه طالبة للرحمة من أجل إنقاذ رأس ولدها الذي سبقت إدانته بالموت. وقد تدخل أحد السادة وقبل أن يطلب من الملك أن يعفو عن ابنها أعطاهها مبلغا من المال، ولم يكن هو الوحيد الذي استجدى عطف الملك، فقد طلب فرسان آخرون من الملك أن يصفح عن ابن هذه السيدة. وما كان من الملك إلا أن عفا عنه، وهو الذي كان سيموت بموجب القانون. وأمام هذا الموقف، صرخ الرجل مُمثل خلاص الكفار⁽³⁾، ويكى بصوت عال، قائلا هذه الكلمات: المرأة استخدمت المال من أجل تحويل إرادة الفارس، ونجاح الفارس والرجال الذين ساعدوا في خلاص ابنها من عقاب الملك المحتوم، في تحويل إرادة الملك. تمثيل هذه الوصايا هي الجشع،

⁽¹⁾ - أراد لول في هذه الفكرة الإشارة إلى مدرسة تلقن فيها ثقافات المسلمين واليهود، وتدرس فيها جنبا إلى جنب العقيدة المسيحية. كانت هذه الفكرة أحد أهم ثلاثة أهداف حملها لول على عاتقه في مسيرته كلها. وفي مقطع شهير من "سيرته المعاصرة" أعرب لول عن هذه الرغبة: "... معتبرا أنه كان وحيدا في هذه العملية الكبيرة، لذا فإنني أعتقد أنني سوف أبدأ في رؤية البابا وأمراء المسيحية لأطلب منهم بناء الأديرة المختلفة حيث يعكف رجال حكماء ومتعلمون على تدارس وتعلم اللغة العربية الخاصة بالسراسة وجميع لغات الكفار الأخرى حتى يتمكنوا من الوعظ وتوضيح حقائق الإيمان الكاثوليكي المقدس لهذه الشعوب". أنظر: Ramon Llull , Vita Coetanea , I, p.35.

⁽²⁾ - لاعب الخفة أو ما يعرف بالـ Juglar - كلمة أصلها من البروفنسالية- كان في العصور الوسطى يسمى بالتروبادور أو مترجم للقصائد أو الأغاني ذات الطابع الملحمي أو الرومانسي أو الدرامي. وفي بعض الأحيان كان الشاعر المتجول نفسه هو الذي يؤلف ويفسر، وأحيانا أخرى يتم انجاز الترجمة والتفسير من طرف شخص يتلقى أتعابه. كان لاعب الخفة راقصا ومغنيا ومدرّبا للحيوانات في نفس الوقت. كان المغنون في كثير من الأحيان من أصحاب المكانة الرفيعة والسمعة السيئة، وفي أحيان أخرى، ينحدرون من أصول متواضعة: " في بعض الأحيان ... كانوا رجالاً ذوي طبيعة خشنة، وقحين فاسدين ووحشين ... ولو أن أصولهم متواضعة، فإنهم ارتقوا في مستواهم الاجتماعي ... وتم معاملتهم على قدم المساواة مع من هم أعلى منهم مرتبة ... كما دخل بعض المغنين في خدمة شعراء متجولين مشهورين ، حيث تبعوهم في تجوالهم، وغنو شعرهم الذي نظموه وصاغوه وفق أساطير حولهم ... واستمروا في مغامراتهم...". للمزيد ارجع إلى:

Simon Gaunt , The Troubadours : An Introduction , Cambridge University Press , U.K. , 1999.

⁽³⁾ - يتحدث رامون لول هنا عن نفسه.

السب، الخيلاء، الشراهة". المجنون⁽¹⁾ صرخ وقال: "لا يوجد أحد هنا في هذه القلعة أحب ابنك حقاً"⁽²⁾. يتضح من خلال هذه الفقرة بأن الأسلوب في النموذج الأدبي المطور لرامون لول يملك ديناميكية يميزها كثيراً عن "النموذج الكلاسيكي: الذي كان دائماً "نموذجاً خارقاً Phantasticus exemplum".

قبل وصول لول إلى مدينة مونبيلييه، حضر مجلس الفرانسكان المُنعقد في "Rieti" كما زار روما مرة أخرى. وعند وصوله إلى مدينة خايمي الثاني، قرر تغيير مخطط وهيكَل فنه، والتقليل من عدد الشخصيات: "... لمحبة ضعف العقل البشري، كما عهدته وجربته في باريس..."⁽³⁾. ومن الجلي أن خبرته في جامعة باريس، وعدم تقبل الطلاب بسبب بُعد وقلة تأثرهم، جعلت رامون لول يُقرر تبسيط فلسفته. هذا العمل الجديد "كتاب فن ابتكار الحقيقة Ars inventativa veritatis" حرره في أوائل سنة 1290م، وكان يقرأ علناً في جامعة مونبيلييه.

حينما كان لا يزال في المدينة، تلقى لول خطاب توصية من رئيس هيئة الفرانسكان "رامون جوفريدي Ramon Gaufredi" وكلمات ملؤها المديح والتقريظ موجهة لرامون لول، أذن له جوفريدي بتدريس فنه في أديرة الفرانسكان بإيطاليا (أبوليا وجنوة) ، الأمر الذي يُظهر البطء لكن ثبات القبول في كتاباته. ومن المُحتمل أن تعود نفس هذه الفترة إلى أولى اتصالاته مع تيار الفرانسكان الروحيين⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ - في رواية "بلانكرنا" (حررها لول سنة 1283م بمونبيلييه)، يطلق لول على نفسه بـ "رامون المجنون"، وفي "كتاب الصديق والحبيب Llibre d'Amic i Amat" يشير إلى الصديق بالمجنون. أنظر:

Llull , Blaquerne , cap. 79, p.326 ; Llibre d'Amic i Amat , Tres homes de Déu en diàleg , Ramon; Verdaguer, Jacint; Xirinacs, Ramon Balasch editor , Barcelona , 2016 , p.103.

⁽²⁾ - وفقاً للمتخصص في الدراسات اللولية "أنطوني بونر Anthony Bonner"، يعتبر هذا المقطع سيرة ذاتية. أنظر:

Anthony Bonner, O.S. vol. II, Editorial Moll , Palma de Mallorca , 1989, p. 104, nota 7.

⁽³⁾ - أنظر : Ramon Llull , Vita Coetanea , IV , p. 47.

⁽⁴⁾ - حول الفرانسكان الروحيين أنظر:

Garcia Villoslada (Ricard), Historia de la Iglesia Católica II. Edad Media (800-1303), p. 804-808 ; Burr (David) , Spiritual Franciscans: From Protest to Persecution in the Century After Saint Francis, Penn State Press , Pennsylvania , 2010.

وحول علاقة لول بالفرانسكان الروحيين أنظر:

GAYÀ, Jordi, Biografia de Ramon Llull, p.33.

من مدينة مونبيلييه، ولّى لول وجهه شطر مدينة جنوة، أين ترجم "كتاب فن ابتكار الحقيقة Ars inventiva veritatis" إلى اللغة العربية، مما يدلّ على أنه كان يستعد للقيام برحلة إلى إفريقية (الرحلة التي حدثت عام 1292م). لكن قبل أن ينتقل إلى روما للمرة الثانية، ودائماً للهدف ذاته وهو جعل الباب يصدر مرسوماً لإنشاء المدارس في العالم لتعليم اللغات المختلفة⁽¹⁾. كان لول يعلق آمالا كبيرة على البابا الجديد، نيكولاس الرابع (1288-1292م)، وهو أول بابا من الفرنسيين، وبالفعل كانت فلسفته قد نالت قبولا واستحسانا لا بأس بهما في أوساط هيئة الفرنسيين.

9- صدمة رامون لول بعد سقوط مدينة عكا سنة 690هـ/1291م.

عند وصوله إلى روما، أصبح لول على بينة من أمر سقوط مدينة عكا الساحلية، آخر معاقل الصليبيين في الشرق التي سقطت بتاريخ ماي 1291م. تحت تأثير هذه الصدمة الكبيرة التي سببت الألم والغضب في العالم المسيحي بأسره⁽²⁾، كتب لول أولى أطروحاته حول هذا الموضوع، حملت عنوان "كتاب الحملة Libro del pasaje". في هذه الأطروحة، يتناول لول قضية استرداد الأراضي المقدسة بشكل مباشر، ومسألة هيئة فرسان المعبد بصورة غير مباشرة، وهي المسألة التي عالجها من قبل بشكل متقطع في مؤلفاته.

شكّلت المخاوف الجديدة والعاجلة التي انتابت لول، جزءاً من الاهتمامات الثقافية لذلك العصر، مع ذلك، لا أحد من الباباوات واصل دفع أوروبا مرة أخرى لتجيش حملة صليبية جديدة، ويفسر السياق السياسي الأوربي الجديد ذلك (مع البابا نيكولاس الرابع تغرب شمس العصور الوسطى)⁽³⁾. المفارقة أن هذه الفترة شهدت ظهور نصوص ذات صبغة دعائية وعلى قدر كبير من الأهمية تدور مواضيعها حول استعادة الأراضي المقدسة. في هذا الصدد، فإن كلا من "كتاب

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull , Vita Coetanea , IV , p. 49.

⁽²⁾ - ستيفن رنسيمن ، تاريخ الحملات الصليبية ، مملكة عكا والحملات الصليبية المتأخرة، تر. نور الدين خليل، ج. 3 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، 1994 ، ص. 476.

⁽³⁾ - أنظر : Garcia-Villoslada (Ricardo) , Historia de la Iglesia Católica II. Edad Media (800-1303), p. 547.

الحملة" والأعمال اللاحقة بشأن هذا الموضوع، تتاغم رامون لول معها، أي مع قلق ومخاوف عصره.

في نهاية هذا القرن، كان الاختلاف الشاسع بين هؤلاء الدعاة الجدد وبين الصليبيين الأوائل يتمثل في كون الفئة الأولى من الأدباء: منذ "فيدانتسيو البادوفي Fidenzio de Padua" و"تاديو من نابولي Tadeo de napoli" حتى "بيتر دو بوا Pedro dubois"، مروراً برامون لول، جميع الكتاب الذين حررو نصوصاً في هذه الفترة بين عامي 1291م و1315م، كانوا من فئة المتعلمين الناشطين في البيئات الأكثر ثقافة في أوروبا المسيحية⁽¹⁾. وقد تمثل الفرق الذي اعتبره كثير من الدارسين كبيراً جداً بين كتابات هؤلاء وكتابات رامون لول، في حقيقة أن مقترحات الفيلسوف الميورقي كانت أكثر تشبّعاً بالمعارف والخبرات (العسكرية والجغرافية) من المعارف الأخرى⁽²⁾.

بعد زيارته الثانية لروما، لم يُصادف لول ذلك النجاح الذي كان يأمله بعد طلبه في البلاط البابوي. وبعد طول تأمل في هذا الفشل، يروي لول بأنه ذهب إلى مدينة جنوة بهدف العبور إلى أراضي السراسنة (المسلمين)، والاستعانة بحكمته لاختبار: "... تجسّد المسيح والثالث المبارك للأشخاص المقدسين"⁽³⁾. توجي فقرة من السيرة المعاصرة "la Vida coetanea" بأن لول كان معروفاً بشكل جيد بين السكان الجنوبيين: "... على أمل أنه من خلاله (أي لول) يرعى الإله عمله بين السراسنة (المسلمين)، والجنويون يتعهدون بخدمة رامون نفسه، بعد تحوله إلى التكفير عن الذنب، الذي تلقاه عن طريق الإلهام الإلهي في جبل ما، وتلقى العلم المقدس لتحويل الكفار"⁽⁴⁾. بعد استعلامه عن السفن التي ستبحر من المدينة وعثوره على واحدة مُجهزة على نحو مناسب

⁽¹⁾ - ستيفن رنسيومان ، مرجع سابق ، ص ص. 492-493.

⁽²⁾ - أنظر :

DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando. "Ramón Llull y la cruzada. Consideraciones preliminares a un tema controvertido". En: Liber de sancta Maria in Monte Pessulano anno MCCXC. Corpus christianorum. Continuatio Mediaevalia CLXXXII. Turnhout: Brepols Publishers, 2003.

Ramon Llull , Vita Coetanea , IV , p. 49.

⁽³⁾ - أنظر :

Ibidem.

⁽⁴⁾ - أنظر :

للإبحار، وضع لول جميع كتبه واستعد لتحقيق أحد أهدافه بعد تحوله وهو الاستشهاد بالطريقة المسيحية.

مع ذلك، فقد استحوذت على لول "محنة وأزمة كبرى" ، وكما في سفر أعمال الرسل حينما يختبر⁽¹⁾ ومثل بطرس، حينما خاف على حياته الخاصة⁽²⁾ : "... لهذا، خاف رامون على جلده كبطرس الرسول في آلام المسيح في وقت آخر، ونسي هدفه الذي كان قد قرره وهو أن يموت من أجل المسيح محولاً الكفار إلى دينه وعبادته، وبقي في جنوة، لقد تخلت عن الخوف حينما أهملت نفسي، وسخرت نفسي للمسيح"⁽³⁾. هذا المقطع المثير للاهتمام من السيرة الذاتية، سمّاه كثير من الدارسين باسم "أزمة جنوة" (1292-1293م)، أزمة "قلق حزين"⁽⁴⁾ عندما بلغ رامون لول الستين من العمر. يظهر الجانب الذي بالكاد يمكن العثور عليه في وثائق السير الذاتية للعصور الوسطى السابقة للقرن 11م، أي المسائل الأكثر حميمية للضمير، الأمر الذي يقود إلى مرحلة جديدة، ظهور الأنا للإنسان الباطن⁽⁵⁾. يُعبّر عن هذا بشكل جيد في أدب القرن 11م، نوع السيرة الذاتية مع "راؤول جلابر Raúl Glaber" (ت1044م) و"جيلبرتو النوجنتي Gilberto de Nogent"

⁽¹⁾ – الكتاب المقدس، العهد الجديد، سفر أعمال الرسل، 7، 17-18، منشورات دار المشرق، بيروت، ط.3، 1994، ص.391.

⁽²⁾ – نفسه، متى: 26، 69-75، ص.113.

⁽³⁾ - أنظر : Ramon Llull , Vita Coetanea , IV , p. 49.

⁽⁴⁾ - أنظر :

⁽⁴⁾ - أنظر : Juan I Valentí , Dues crisis en la vida de Ramón Llull , La Nostra Terra , Vol.7, Palma de Mallorca, 1934, pp.341-356.

⁽⁵⁾ – يتصل مفهوم الإنسان الباطن أساساً مع ظهور الفرديات في القرن الثالث عشر –التي تتوافق مع تلك الفترة التي ظهرت فيها مصطلحات من قبيل "الروح Anima" و "نعم seipsum"- في وقت كان مفهوم الجماعة يتعارض مع مفهوم الفرد. للمزيد ارجع إلى:

Bynum (Caroline) , Did the Twelfth Century discover the individual?, Journal of Ecclesiastical History, 31, 1980.

اعتمد "جاك لوجوف" هذه الفكرة لاحقاً. أنظر:

Jacques Le Goff , Saint Louis, p.447.

(1053-1124م)⁽¹⁾، وهو النوع الأدبي الذي اختفى في غرب أوروبا على الأقل منذ "اعترافات القديس أوغسطين"⁽²⁾.

بناءً على ذلك، تصف الـ: "vita coetanea"، مُعضلة وجود رامون لول بطرحها للسؤال التالي : هل ينبغي له أن ينضم إلى هيئة المتسولين؟ تجيب السيرة الذاتية بأن لول كان متردداً في الانضمام إلى الفرانسكان أو هيئة الدومينيكان، واختار في الأخير الرهبنة الفرانسكانية. لكن رئيس الدير وعده بأنه حينما يكون قريباً من الموت، سوف يتولاه⁽³⁾.

10- رحلات رامون لول خارج إسبانيا (1293-1311م).

بعد عدة فقرات تتضمن مظهره النفسي ومزاجه المكتئب، والتي يُعرب لول فيها عن شكوكه فيما إذا كان ينبغي إنقاذ روحه أو فنه⁽⁴⁾، خصّصت Vita coetanea مساحة كبيرة في روايته لسرد المصائب والنكبات التي اعترضته في أول رحلة له إلى تونس (1293م) لتتصير المسلمين (تصمهم الرواية بالكفار). حيث حُكم عليه بالإعدام، ثم تمّ طرده من المدينة⁽⁵⁾. عاد بعدها إلى مدينة نابولي (1294م) لقراءة فنه، وهناك حضر انتخاب البابا سلسنتين الخامس في نفس السنة. لكن قبل ذلك، حصل لول على إذن من الإمبراطور فردريك الثاني، للتصير في المستعمرة الإسلامية المعروفة بلوتشيرا Lucera (على مقربة من فوجيا Foggia) وبتاريخ 12 ماي 1293م تلقى الإذن بزيارة السجناء المسلمين في قلعة البيضة بنابولي⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ - أنظر:

Chaurand, J. , La conception de l'histoire de Guibert de Nogent (1053-1124), Cahiers de Civilization Médiévale, pp.381-395.

⁽²⁾ - أوريليوس أغسطينوس هيبونيسييس (القديس أوغستينوس) ، إعتراقات ، نقله من اللاتينية: إبراهيم الغربي ، ط.2، دار التنوير، بيروت، 2015.

Ramon Llull , Vita Coetanea , V , pp.51-53.

⁽³⁾ - أنظر :

Id. , pp.53-55.

⁽⁴⁾ - أنظر:

Id. , VI-VII , pp.57-63.

⁽⁵⁾ - أنظر:

Batllori (Miguel) , El lulismo en Italia , Revista de Filosofia, II, 1943, p.266.

⁽⁶⁾ - أنظر:

بعد ذلك، قدّم رامون لول مرّة أخرى عريضة للبلاط البابوي وأرسل أخرى للبابا سلسنتين الخامس، يعرض فيها مخططاته لتتصير الكفار⁽¹⁾. ففي العريضة المعنونة بـ "Petitio Raymundi pro conversione infidelium ad Coelestinum V papam" تستند مقترحات لول على ثلاثة نقاط: الأولى تأسيس مدارس لتعليم اللغات الشرقية، الثانية: الاستيلاء على الأراضي المقدسة والثالثة توحيد الهيئات العسكرية تحت قيادة واحدة. هذا المشروع السياسي سيظهره في وقت لاحق في "كتاب الغاية" (Liber del fine) (1309م).

حدث أن تنازل سلسنتين الخامس عن البابوية، بعد فترة وجيزة، بتاريخ 13 ديسمبر 1294م، مُحبطاً بذلك ليس فقط آمال لول، بل كل آمال العالم المسيحي، فمُنذ بداية عُهُدة "البابا الناسك" كما كان يُسمى، أسّس جماعة الأخوة الرهبان المنتسكين المرتبطة بقوة الفرانسكان المتشددين، والتي زادت في وتيرة أمل تهذيب وإصلاح أخلاق الكنيسة. لكن العكس هو الذي حدث، ففي فترة بابويته الوجيزة، أصبح سلسنتين دمية ساذجة وألعوبة في يد شارل أنجو. لهذا السبب، وضعه "دانتي أليجييري" في الدائرة الأولى من الجحيم في ملحمة الشعرية "الكوميديا الإلهية"⁽²⁾. ولم يحل شهر جانفي من سنة 1295م حتى انتخب في نابولي البابا الجديد، بونيفاس الثامن (1294-1303م). شجّع رامون لول هذا الاختيار، ورافق البابا الجديد من نابولي إلى روما، حيث قدّم له عريضة أخرى بعنوان: "Petitio Raymundi pro conversione infidelium ad Bonifatium VIII"، اشتملت تقريباً على نفس مقترحات العريضة التي سبقتها.

على الرغم من ذلك، وخلافاً لسلسنتين الخامس، كان البابا الجديد، المنتمي لأسرة جاييتاني Gaetani (أعداء أسرة كولونا)، رجلاً عجوزاً ناهز من العمر 64 عاماً، ضليعاً في القانون المدني والكنسي، وذا خبرة طويلة في المعاملات الخاصة بالبلاط الروماني، لكن قبل كل شيء،

RUBIÓ I Balaguer, Jordi. Ramon Llull i el lul.lisme, p.39.

⁽¹⁾ - أنظر:

⁽²⁾ - دانتي أليجييري، الكوميديا الإلهية، النشيد الثالث، الجحيم، ج.1، ترجمة حسن عثمان، دار المعارف، القاهرة، ط.3، 1988، ص.105.

كان عدواً للفرانسيسكان الروحيين، بسبب ميلهم لمعاداة التسلسل الهرمي الكنسي⁽¹⁾. لهذا السبب أيضاً، طارد بونيفاس الثامن سلسيتين بعد استقالته، وأبقاه سجيناً في ظروف بائسة حتى وفاته في التسعين من عمره⁽²⁾.

يُرجح الدارسون أن الأسباب الآتية الذكر، هي التي دفعت بونيفاس الثامن إلى تجاهل العريضة التي قدمها له لول، كما ذكر الأخير في سيرته الذاتية: "بعد مرور بعض الوقت، خلف البابا سلسيتين الخامس السيد البابا بونيفاس الثامن. في هذا البابا، توسّل رامون بكل قوته، إرضاء بعض الأشياء المفيدة للدين المسيحي. على الرغم من أنه غالباً ما عانى من العديد من المشاكل بترده إلى الحبر الأعظم، لم يتوقف عن محاولته، على أمل أنه لن يتردد في تفضل الشخص الذي توسّل له علناً وباستمرار، ليس لذاته أو لرفع معنوياته، ولكن من أجل الصالح العام للعقيدة الكاثوليكية. في الأخير، رأى أنه لم يستطع الوصول إلى الحبر الأعظم، فذهب إلى مدينة جنوة، حيث ألّف بعض الكتب"⁽³⁾.

يُمكن تصور الحالة العميقة من الاكتئاب التي كان عليها رامون لول بعد تجربته مع البابا الجديد. فبالنسبة لشخص كان متيقناً من تلقي الفن من الله، كانت مثل هذه الاخفاقات عسيرة على الفهم عليه. لذلك، غرق لول في حالة من الحزن العميق، أو ما يُعرف بأزمته الثانية⁽⁴⁾. وإثر خيبة الأمل هذه، انتابته محنة روحية عنيفة أثمرت واحدة من أجمل مؤلفاته الأدبية، وعنوانها "الضيق Desconhort" التي ألّفها في روما سنة 1295م⁽⁵⁾. في هذا الرثاء العميق، يشكو إخفاقاته ونتائجه الهزيلة بعد ثلاثين سنة من العمل من أجل الصالح العام ومن أجل المسيحية، يقول:

"أيها الناسك، كيف يمكنك أن تعتقد بأنني أود أن أخفي مثل هذه المعرفة

⁽¹⁾ - أنظر: De Orella y Unzué (Jose L.) , Partidos Politicos en el Primer Renacimiento (1300-1450) , Fundacion Universitaria Española, Madrid ,1976, p. 27.

⁽²⁾ - أنظر: Eamon Duffy, Santos y Pecadores: História dos papas, p. 119.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull , Vita Coetanea , VIII , p. 65.

⁽⁴⁾ - أنظر: Joan I Vaienti , Dues crisis en la vida de Ramón Llull , pp.341-356.

⁽⁵⁾ - أنظر: Ramon Llull , Desconort, en: O.R.L. , Vol.XIX , p.220.

مع رجل يختبر إيماننا

رجال ضالون تمت هدايتهم بواسطة الله

حتى أتمكن من حب الجميع

قبل أن تظهر كنت متأكدا من هذا

ولكن إذا كان الرجال في كتبي متعلمين جدا، ودون أن ننسى المعارف الأخرى

سيكون معروفاً، لكنهم يقرأون مثل هذه الأدعية مثل مرور القط، بسرعة على الجمر

لأشياء تقريبا من عملي، ولكن إذا كان هناك من يتفقدون معي

فأولئك هم من يفهمون ولا يشكون

يمكن للرجال من خلال كتبي، أن يضعوا العالم في حالة جيدة⁽¹⁾.

تفرغ لول فيما بعد، لكتابة مؤلفه : "شجرة فلسفة الحب" وهو تنمة لـ "شجرة العلم Árbol de la ciencia" (1295-1296م) ، وهو عمل موسوعي آخر، سعى فيه إلى الكشف عن فنه ومصطلحاته العلمية في ذلك الوقت⁽²⁾. من جنوة، واصل رامون لول الرحلة لمُقابلة خايمي الثاني في مونبيلييه أو بريينيان، لأن الملك آنذاك لم يستعد بعد جزر البليار. بعد تلك المقابلة، ذهب لول إلى باريس، حيث قام مرة أخرى بـ "...قراءة فنه على العامة وألف الكثير من الكتب"⁽³⁾. كما التقى

⁽¹⁾ - أنظر : Ramon Llull, Lo Desconhort , O.E., vol. I, 1957, Cap. XXII, 253-276, p. 1314-1315 ; Bonner (Anthony) , Ramón Llull: Autor, Autoritat, I Il.luminat, Actes de l'Onzè Col.loqui Internacional de Llengua i Literatura Catalanes, Palma (Mallorca), Publicacions de L'Abadia de Montserrat, 8-12 de septiembre de 1997, pp.35-60.

⁽²⁾ - أنظر:

Badia (Lola) i Bonner (Anthony) , Ramón Llull: Vida, pensament i obra literària, p. 114.
يصف "جاك لوجوف" القرن الثالث عشر بالقرن الموسوعي بامتياز، ويقول: "أن القرن الثالث عشر ليس فقط قرنا لاهوتيا رائعا، لوجود علم لاهوت مبتكر، ولكن أيضا، وبكل تواضع، هو قرن موسوعي عظيم، لأنه تلقى كتلة هائلة من الحقائق والأفكار التي تم إنتاجها خلال القرنين السابقين، ولا سيما من القرن الثاني عشر الصاحب والمبدع ، ولهذه المعرفة الجديدة ، التي كانت بمثابة ذخيرة، في تصنيفه". أنظر: Le Goff (Jacques), Saint Louis, p.521.

Ramon Llull , Vita Coetanea , VIII , p.67.

⁽³⁾ - أنظر:

مرة ثانية بالملك الفرنسي فيليب الوسيم، وتوسل إليه أن يقوم ببعض الأعمال العظيمة لصالح كنيسة الإله المقدسة⁽¹⁾.

في الواقع، لم يُلاقِ لول نجاحاً يذكر في هذا الصدد، فارتحل بعدها إلى ميورقة. وكان من قبل في برشلونة، حيث حصل على إذن وترخيص من ملك أراجون لـ "... يبشر بالمسيحية في مجامع اليهود يومي السبت والأحد، وفي مساجد السراسنة (المسلمين) يومي الجمعة والسبت، في جميع أراضيها، وفي جميع ملكياتنا"⁽²⁾. عاد بعده في سنة 1299م، إلى ميورقة، وقبل ذلك في أوت من سنة 1298م عادت الجزر إلى ملك خايمي الثاني. عند عودة لول إلى مسقط رأسه، وجد دير ميرامار مهماً بالكامل. ومع خيبة الأمل التي قاربت معه الستين عاماً، نظم لول واحدة من أكثر القصائد إثارة للمشاعر في الأدب القطلاني، عنونها "أغنية رامون Canto de Ramón" حوالي العام 1300م⁽³⁾، التي يُعرب فيها عن خيبة أمله وحزن الفشل الذي اعتراه، يقول في أبيات منها:

أنا رجل عجوز، فقير، غير ذي بال

لم أحصل على مساعدة من أحد

ولقد قمت بإعلاء شأن الأعمال العليا

متجولاً باستمرار حول العالم

ولقد تصرفت بمثالية، لكن لم أكن معروفاً جيداً ومحبوفاً

لهذا أريد أن أموت في بحر من الحب⁽⁴⁾.

Ramon Llull , Vita Coaetanea , VIII , p.67.

⁽¹⁾ - أنظر:

Hillgarth J. N , Diplomatarium Lullianum , p.71.

⁽²⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Del Cant de Ramon, O.R.L. , Vol.XIX .

⁽³⁾ - أنظر:

⁽⁴⁾ - جاءت هذه الأبيات شعراً بالقطلانية :

"Som hom vell, paubre, menyspreat, / no hai ajuda d'home nat / e hai trop gran fair emparat, / Gran res hai de lo món cercat; / man bon exempli hai donat: / poc som conegut e amat. / Vull morir en pèlag d'amor."

Ramon Llull , Del Cant de Ramon, O.R.L. , Vol.XIX, pp.258-259.

أنظر:

مُعتقداً بأنه لا يستحق تكريم الإله وخدمته كما اقترح، فقد خبر لول شعور اليأس والخراب، وكان قلقاً حول مآله ووجهته النهائية⁽¹⁾. في ديسمبر 1299م، وقع حدث جديد على حدود العالم المعروف الذي يؤثر على الغرب اللاتيني وهو اعتناق الزعيم المغولي "غازان خان محمود" (1295-1304م) للإسلام، ويعتبر أول زعيم مغولي إيلخاني يعتنق الإسلام، وسيطر على معظم أجزاء سوريا (حلب وحمص ودمشق)، وطرد المصريين المماليك من المنطقة⁽²⁾. كانت المملكة المغولية في بلاد فارس قريبة من التحول إلى الديانة المسيحية، ووفقاً لتعبير أحد المتخصصين، فإنه إذا حدث ذلك، فإن مصيراً آخر كان سيحدث للأراضي المقدسة⁽³⁾.

في العديد من الإنتصارات التي حققها غازان، كان ضمن جيشه قوات مسيحية صغيرة، الأمر الذي كَوّن فكرة انتشرت في الغرب اللاتيني، مؤداها أنّ أوربا كانت وحدة واحدة، وأنها عادت لشنّ حملة صليبية ظافرة. من خلال العديد من الرسائل، أبلغ بلاط الملك خايمي الثاني بهذه الحادثة، أحدها كتبت من طرف "جاك دي مولاي Jacobo de Molay" شخصياً، وهو آخر سادة فرسان المعبد. وقد كتب الملك نفسه رسالة إلى الخان الأعظم⁽⁴⁾. وعلى الرغم من هذا التفاؤل المتجدد،

⁽¹⁾ - أنظر: Romeu I Figueras (Josep), Poesies; Introducció, O.E., vol. I, 1957, p.1279.

⁽²⁾ - حين استولى غازان خان على السلطة، وضع بعض التعديلات الهيكلية في بلاد فارس. منها على سبيل المثال، إعلان لقب "الخان" وألغى بشكل نهائي لقب "الإيلخان". مما يعني حقاً، نهاية أي نفوذ أو تأثير امبراطوري على موقعه كخان. إضافة إلى تغيير آخر على قدر كبير من الأهمية، يخص الطبيعة الدينية لمملكته، وهو اعتناقه للديانة الإسلامية مما استوجب ترسيخها في البيت الحاكم ومنها إلى عشيرته. واندمج هؤلاء المغول بقوة مع الاتراك، ومع مرور الوقت غابت لغتهم المغولية من الوثائق واستبدلت بالتركية بسبب ذوبانهم في المجتمع. كما حاق بالبوذيين الاضطهاد، ومن النساترة من فر بجلده إلى مناطق يصعب الوصول إليها. ومن بين أشهر وزراء الخان شخصية "رشيد الدين فضل الله الهمذاني" العالم الفارسي الذي تقلد منصب رئيس الوزراء، وقد ألف أشهر أعماله في التاريخ العالمي المعنون بـ: "جامع التواريخ". لذا وبعد ما يقرب من مائة عام من سياسة المغول القائمة على الحروب والدمار، حرضت السياسات التي أقامها رشيد الدين على ظهور فترة قصيرة من السلام والازدهار. مما ساعد الإمبراطورية المغولية الواسعة على عملية تسهيل تبادل الأفكار والسلع التجارية بين الصين والهند وبلاد فارس. للمزيد ارجع إلى: رشيد الدين فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ: تاريخ غازان خان، دراسة وترجمة فؤاد عبد المّعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2000.

⁽³⁾ - أنظر:

Garcia-Villoslada (Ricardo), Historia de la Iglesia Católica II. Edad Media (800-1303), p.549.

⁽⁴⁾ - أنظر:

GAYÀ (Jordi), Ramón Lull en oriente (1301-1302): circunstancias de un viaje, S.L., XXXVII, 1997, pp.58-60.

أجبر غازان فيما بعد على الإجماع بالقوة من سوريا والعودة إلى تركستان، مما ترك المجال مفتوحاً للمماليك لإعادة إحكام سيطرتهم عليها⁽¹⁾.

على أية حال، دفعت كل هذه الظروف لول إلى أن يقرر الذهاب إلى قبرص، التي احتلها المسيحيون (كان هنري الثاني هو الملك الذي حكم هذه الجزيرة، 1285-1324م، المنحدر من أسرة فرنسية من آل لوزجنيان). ومع ذلك، ولدى وصوله إلى قبرص، عرف لول إلى ما آل إليه "المشروع المغولي المسيحي" من الفشل. فقرر بعدها أن يبحث عن هنري الثاني، تورد السيرة الذاتية ما نصه: "...توسل مع كثير من المودة في حث بعض من يسمون بالمؤمنين الكفار والمنشقين، أي اليعاقبة والنساطرة⁽²⁾ لسماع الوعظ والجدال معه، في نفس الوقت، وبعد القيام بما في وسعه من أجل تحقيق ما ورد أعلاه، توسل إلى ملك قبرص الذي تمنى أن يذهب للسلطان، الذي كان من السراسنة، وأيضاً ملكي مصر وسوريا، من أجل إرشادهم إلى العقيدة الكاثوليكية المقدسة، لكن الملك لم يكن مهتماً بهذه المقترحات"⁽³⁾.

في غضون ذلك، وأثناء تواجده في قبرص، تذكر السيرة الذاتية أن لول تعرض للتسميم من قبل رجل دين وموظف خدم في دير القديس "خوان كريستومو دي بوفافنتو San Juan Crisóstomo de Buffavento"، بالقرب من نيقوسيا (سبتمبر 1301م). ليتوجه لول بعدها إلى "فاماغوستا Famagusta"، أين استقبله هناك سيد هيئة فرسان المعبد، "جاك دي مولاي"، الذي كان في مدينة "ليماسول Limassol". بقي لول في قبرص يعيد فيها تأسيس حاله ووضعه. وفي وقت لاحق، غادر قبرص وأبحر إلى جنوة "...حيث حرر عدداً من التآليف"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ - أنظر: Bonner (Antoni) , Ambient Històric I Vida, O.S., vol. I, p. 39, n.134.

⁽²⁾ - بسبب معرفة لول بالعربية، أورد تسمية أخرى للمسلمين وهي الـ"المؤمنون" وجاءت باللاتينية : Momminos. أنظر: Ramon Llull , Vita Coetanea , VIII , p.68.

⁽³⁾ - أنظر: Loc.cit.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ibid. , p.71.

قبل رحلته إلى باريس، "... أين قرأ فنه بنجاح وألف العديد من الكتب" (الرحلة التي ليست لدينا عنها أية معلومات في السيرة الذاتية Vita coetanea)⁽¹⁾، ارتحل رامون لول أخرى إلى ميورقة، جنوة ومونبيلييه (1303م) أين انهمك في تأليف عدد معتبر من الكتب. من المحتمل أنه ذهب إلى بيت المقدس في تلك الفترة (هناك فقرة في "كتاب الغاية" يمكنها أن تبين وتثبت هذا الأمر)⁽²⁾، والملاحظ أنه كلما تقدمت العمر بلول كلما زاد ترحاله وهمته للتأليف، على الرغم من تجاوزه السبعين⁽³⁾. حتى أن إنتاجه الأدبي وأسفاره ولقاءاته مع السلطات (الملوك والأمراء وحكام المدن والباباوات)، تجمعت مع مرور الوقت، لتخلق ظاهرة "تيه الانتشار" للكتابة، لذا أصبح من الصعب اتباع الترتيب الزمني لهذا الإنتاج المختلف والمتنوع في سنواته الأخيرة⁴.

في سنة 1305م، تواجد لول في مدينة مونبيلييه، شاهداً للقاء جمع خايمي الثاني ملك ميورقة والبابا كليمنت الخامس، وهو الاجتماع الذي كان موضوعه الرئيسي إقطاعية سردينيا والتزامات ملك أراجون تجاه البابا. أعلن خايمي نفسه إينا مُنقاداً للكرسي الرسولي، وأكد استعداداه

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull , Vita Coetanea , VIII , p.71.

⁽¹⁾ - أنظر:

⁽²⁾ - أنظر:

Fernando Dominguez Reboiras , Ramon Llull : El mejor libro del mundo , Arpa editores , Barcelona , p.250.

⁽³⁾ - بين عامي 1301م و 1307م، حرّر لول العديد من الكتب بشكل متتابع منها:

Rhetorica nova, Liber de natura, Libre què deu hom creure de Déu (Liber quid debet homo de Deo credere), Mil Proverbis, Lògica nova, Disputatio fidei et intellectus, Liber de lumine, Liber de regionibus sanitatis et infirmitatis, Ars de jure, Liber de intellectu, Liber de voluntate, Liber de memoria, Liber ad probandum aliquos articulos fidei catholicae per syllogisticas rationes (=Liber de syllogismis), Liber de significatione, Liber de consilio, De investigatione actuum divinarum rationum, Liber de praedestinatione et libero arbitrio, Liber de praedicatione (=Ars magna praedicationis), Liber de ascensu et descensu intellectus, Liber de demonstratione per aequiparantiam, Liber de fine, Liber praedicationis contra judaeos (=Liber de erroribus judaeorum, o Liber de Trinitate et Incarnatione), Liber de Trinitate et Incarnatione, Lectura Artis quae intitulatur Brevis practice Tabulae generalis, Ars brevis (Art breu), Ars brevis juris civilis (=Ars brevis quae est de inventione mediorum juris civilis), Liber de venatione substantiae accidentis et compositi, Ars generalis ultima, Disputatio Raymundi christiani et Hamar saraceni (=De fide catholica contra sarracenos), Liber de centum signis Dei, Liber clericorum (Libre de clerecia). BONNER, OS, vol. II, p.564-569.

أنظر:

⁽⁴⁾ - أنظر:

GALMÉS (Salvador), Lul.lisme , Publicacions de l'abadia de Montserrat, Barcelona, 1997, pp.43-44.

لاسترداد الأراضي المقدسة⁽¹⁾. وفي تلك المدينة ألف لول "كتاب الغاية" عام 1305م، أحد الوثائق الرئيسية اللولية التي تحوي نصوصاً عن الحروب الصليبية و فرسان المعبد.

سافر لول بعدها إلى مدينة ليون، أين كان مع البابا كليمنت وتذكر السيرة الذاتية في هذا الصدد: "... إن التوسل والتضرع لدى البابا شيء مهم لصالح الإيمان، وهذا هو، السيد البابا نفسه مُشيد الأديرة حيث يتم فيها تجميع المصلين وأين يصلح فيها تعليم الرجال لغات الشعوب المختلفة للتبشير بالإنجيل لجميع الكفار، وفقاً لوصية الرب القائل: الذهاب لكل بقاع العالم والتبشير بالإنجيل للخليقة كلها"⁽²⁾، لكن هذا النداء ليس من المصلحة الشخصية للبابا وكرادته"⁽³⁾.

في ربيع عام 1307م، ومع اقتراب لول من سن 74 عاماً، عاد هذا الرجل الذي لا يعرف الكلل إلى ميورقة ومن ثم شدّ رحاله إلى مدينة بجاية الساحلية في إفريقية، والتي كانت آنذاك معقل تجارة سكان ميورقة، وهدفاً لكثير منهم ممن أراد الاستشهاد على الطريقة المسيحية⁽⁴⁾. في بجاية مكث لول سنة واحدة، ثم سجنه خلالها لمدة ستة أشهر، ومن ثم تم طرده منها من طرف حاكمها⁽⁵⁾. في رحلة العودة إلى الأراضي المسيحية، وعندما كان على بعد عشرة أميال من ميناء

⁽¹⁾ - أنظر:

DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando, In civitate pisana, in Monasterio Sancti Domnini: algunas observaciones sobre la estancia de Ramón Llull en Pisa (1307-1308), p.405.

⁽²⁾ - الكتاب المقدس، العهد الجديد، متى: 16 ، 15 ، ص.82.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull , Vita Coetanea , IX, p.71.

⁽⁴⁾ - سيأتي ذكر تفاصيل وملابس هذه الرحلة في الفصل المتعلق بالجهود التنصيرية لرامون لول.

⁽⁵⁾ - هذا الحاكم هو السلطان أبو البقاء خالد (1302-1311م)، من الأسرة الحفصية، والحفصيون فرع من الدولة الموحدية التي دخلت إفريقية تحت سلطانتها سنة 555هـ، 1160م، على يد عبد المؤمن بن علي. وأول من تولى إمارة إفريقية من الحفصيين الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص (603-618هـ) الذي نصبه الخليفة الموحد الناصر والياً على تونس سنة 603هـ، 1207م. وأصبحت لعقبه من بعده، ومن أشهرهم أبو زكرياء يحيى (626-647هـ). تولى الإمارة وأمر الموحدين في تراجع، فأعلن استقلاله وجعل الخطبة لنفسه سنة 626هـ، 1229م. قضى على الحركات المناوئة، واستولى على الجزائر، وبايعته تلمسان وسجلماسة وسبتة ومكناسة. وخطب له بنو مرين في أول أمرهم بعد أن استولوا على مراكش، وأتته الوفود من شرقي الأندلس مستجدة، وخلفه المستنصر (647-675هـ)، فذاع صيته وعظم شأنه، حتى أرسل له أمير مكة المكرمة وأهل الحجاز ببعثهم بالخلافة سنة 657هـ، 1259م، إثر سقوط الدولة العباسية ببغداد. وقد عظم شأن الدولة الحفصية في عهدي السلطانين أبي زكريا والمستنصر، وأصبحت تونس من أهم مراكز الثقافة العربية، فاشتهر بها علماء أجلاء منهم الرياضي الفلصادي، والفلكي ابن القنفذ، والطبيب الصقلي، والفييه ابن عرفة، والجغرافي التيجاني، والمؤرخان الزركشي وابن خلدون. كما ارتبطت معظم الدول الأوروبية معها بمعاهدات تجارية وقنصليات. بيد أن عوامل الضعف والتفكك بدأت تعمل في تلك الدولة بعدهما، فانقسمت الدولة إلى إمارتين: واحدة بتونس وأخرى ببجاية، امتد حكمها لغاية سنة 1573م. للمزيد ارجع إلى : برانشفيك (روبير) ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م ، تر.حمادي الساحلي ، جزآن ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988.

مدينة بيزا، ضربت عاصفة عنيفة السفينة التي تقله، وتسببت في غرق ووفاة البعض، لكن لول ورفيقه تمكنا من النجاة شبه عراة، وضاعت كل الكتب التي كانت في حوزته⁽¹⁾.

عند وصول لول إلى بيزا سنة 1308م، استقبله سكانها بكل إجلال. ويذهب "فرناندو دومينجيز" إلى الظن بأن هؤلاء المواطنين الذين رحبو بلول بحرارة لابد وأن يكونو سكاناً قطلانيين أو ميورقيين مقيمين هناك، خاصة وأن الجمهورية التوسكانية كانت تربطها علاقات تجارية وثيقة الصلة بالدول القطلانية⁽²⁾.

في بيزا، أقام لول بدير القديس دونينو San Donino⁽³⁾، انتهى خلالها من تأليف خمسة كتب، من ضمنها "الفن النهائي العام Última Arte General"⁽⁴⁾، وقد التقى لول مع ممثلي السكان في مدينة بيزا، المعروفين بـ: "خدمة المسيح". وعن مقترحه للسكان، الذي أنجزه في بيزا وجنوة، تصف فقرة موجزة من السيرة الذاتية: "...اقتراح (أي لول) على مجلس المواطنين أن الشيء المثالي هو أن على الفرسان الدينيين المسيحيين أن يجتمعوا في هيئة واحدة، تُكرس نفسها باستمرار لمحاربة السراسنة الغادرين، لتصل في النهاية إلى استرداد الأراضي المقدسة. ونظراً لاستسلامهم لبلاغته ولعتابه اللطيف، كتبوا رسائل إلى الحبر الأعظم وإلى الكرادلة حول الأعمال القويمة. وبعد الحصول على هذه الرسائل من مدينة بيزا، ذهب (لول) إلى جنوة، حيث تسلّم رسائل مماثلة. وهناك قصده العديد من السادة المتدينين والنبلاء وأهدوه 25 ألف فلورين ووعدوه بتقديم العون للأراضي المقدسة"⁽⁵⁾. وهذه المرة الأولى التي تشير فيها "الحياة المعاصرة" إلى الهيئات

Ramon Llull , Vita Coaetanea , X, p. 77.

⁽¹⁾ - أنظر:

⁽²⁾ - أنظر:

DOMÍNGUEZ REBOIRAS (Fernando) , In civitate pisana, in Monasterio Sancti Domnini: algunas observaciones sobre la estancia de Ramón Llull en Pisa (1307-1308), p.391.

⁽³⁾ - حتى عام 1385م، كان إعتقاد دير القديس بابلو San Pablo على "ريبيا أرنو Ripa d'Arno" (يقع داخل أسوار مدينة بيزا والمحافظة عليه حتى اليوم). وكان كل من دير القديس باولو San Paulo ودير القديس دونينو ينتميان إلى الإصلاحية البينيدكتية في "فايومبورسا Vallombrosa". أنظر:

DOMÍNGUEZ REBOIRAS (Fernando) , In civitate pisana, in Monasterio Sancti Domnini, p.393.

⁽⁴⁾ - بدأ تحريره في مدينة ليون بتاريخ نوفمبر من عام 1305م وأنهاه في مدينة بيزا شهر جانفي عام 1308م. أنظر: Ramon Llull , Ars generalis ultima , en : R.O.L. , Vol.33 , Brepols, 1986.

Ramon Llull , Vita Coaetanea , X, p.79.

⁽⁵⁾ - أنظر:

العسكرية وتدعوها بالفرسان الدينيين المسيحيين. يُعتبر الاقتراح الأخير، هدفاً جديداً يُضاف إلى الأهداف الثلاثة في حياة رامون لول، الاستشهاد، تحرير "أحسن كتاب في العالم" وإنشاء أديرة مع مدارس أين تعلم فيها لغات الكفار. على أن النقطة الأخيرة هي الأكثر استشهاداً في مؤلفاته. أما الاقتراح الجديد وهو توحيد الهيئات العسكرية، فيُفسر ظهوره بالظروف التاريخية التي كُتبت كتابات لول.

بداية من سنة 1291م، أصبح لول يحرر رسائل موضوعها الأساسي استرداد الأراضي المقدسة. حتى ذلك الحين، ظهرت مسألة الحروب الصليبية فقط بشكل مُتقطع في كتاباته⁽¹⁾، كما أسلفنا سابقاً. في الفترة الممتدة ما بين ظهور "كتاب الحملة Libro del Pasaje" و"كتاب الغاية Libro del Fin (1305م)".

مع ذلك، كانت جنوة واحدة من أكثر المراكز المتحمسة لإنتاج النصوص الدعائية للحروب الصليبية. ففي عام 1295م، كتب الطبيب الجنوي المدعو "جالفانو دي ليفانتو Galvano de Levanto" أطروحة موجزة حول هذا الموضوع⁽²⁾، على الرغم من معرفته الضئيلة جداً بالأراضي المقدسة. رغم ذلك، لقي هذا العمل استحساناً من كل من "بيتر دوبا" و"ويليام نوجارات" بعد قرائتهم له، ومن المحتمل أيضاً أنه وقع في يد "بوسري فيليبي Felipe Busseri". هذا الأخير، كان واعظاً فرانسيسكانياً، استيقظ على وعظ روح بعض السيدات الجنوبيات النبيلات، اللاتي وعدنه بتمويل حملة صليبية، والتي أصبحت تعرف بـ: "صليبية السيدات cruzada de las damas".

يعتقد الباحث في تراث لول، "فرناندو دومينجيز"، بإمكانية أن تكون هؤلاء السيدات هن نفسهن المُشار إليهن في "الحياة المعاصرة"، تلك "السيدات الملتزمات المتدينات" اللاتي حصلن جنباً إلى جنب مع نبلاء المدينة مبلغاً معتبراً من المال قدره 25 ألفاً من الفلورينات. في جميع

DOMÍNGUEZ REBOIRAS (Fernando), In civitate pisana , p.416.

⁽¹⁾ - أنظر:

⁽²⁾ - أنظر:

Galvano da Levanto , El Libre sancti passagii chisticolarum contra sarracenos pro recuperatione Terrae sanctae , ed. KÖHLER, G., Revue de l'Orient latin, 6, 1898, pp.343-369.

الأحوال، لم تعقد البابوية النية أبداً للمُضي في تنفيذ هذه العملية، وأعلنت في سنة 1300م اليوبيل الذهبي للبابا بونيفاس الثامن، ومن المعروف أنها أول سنة مقدسة في تاريخ الكنيسة⁽¹⁾. وحل الحج إلى روما خلال اليوبيل محل الحج إلى القبر المقدس في القدس⁽²⁾.

بعد هذه الاجتماعات التي قام بها لول في إيطاليا، من المحتمل أنه التقى مرة أخرى بالبابا كليمنت الخامس والملك الفرنسي فيليب الوسيم في مدينة بواتييه، عندما عرض على كل منهما كتابه "الفن الإلهي Arte divina"⁽³⁾. وفي الرابع من شهر سبتمبر، تذكر رسالة بعث بها "كريستيانو اسبيندولا Cristiano Espíndola"، وهو تاجر جنوي صديق مقرب للول، إلى الملك خايمي الثاني، بأن لول كان في ذلك الفترة بمدينة جنوة، ومن المرجح أنه ذهب بعدها إلى مدينة مرسيليا أين التقى بأرنو فيلانوفا. وفي الفترة الممتدة من أكتوبر 1308م وأفريل 1309م، كان لول متواجداً مرة أخرى في مونبيلييه، أين أَلَف العديد من الكتب⁽⁴⁾، من بينها الدراسة المهمة المعنونة

⁽¹⁾ - حول هذا اليوم المشهود، جاء في موسوعة الكنيسة الكاثوليكية ما نصّه: "...جاء الحُجاج من جميع البلدان المسيحية في شكل موجات بشرية، وأغرقوا جميع الطرقات بالغناء والابتهالات باللغة اللاتينية، وأنشد آخرون بلغاتهم المحلية ... ونظم الحبر الروماني بشكل تام الإقامة للوافدين الذين كانت أعدادهم هائلة حيث دخلت الحشود من جميع أبواب المدينة. وأبرز المؤرخون بأن الجميع لم يعزه شئ في هذا اليوم، من خبز وخمر ولحوم وأسماك وشوفان للخيول، على الرغم من أن بعضهم اعتقد أن ذلك كان مكلفاً للغاية". أنظر:

Garcia-Villoslada (Ricardo), Historia de la Iglesia Católica II. Edad Media (800-1303), p.591.

⁽²⁾ - أنظر:

DOMÍNGUEZ REBOIRAS (Fernando), Ramón Llull y la cruzada. Consideraciones preliminares a un tema controvertido, Liber de sancta Maria in Monte Pessulano anno MCCXC. Corpus christianorum. continuatio Mediaevalia CLXXXII. Turnhout: Brepols Publishers, 2003, pp. 286-287.

⁽³⁾ - حرره لول في ماي من عام 1308م في مدينة مونبيلييه. أنظر:

Ramon Llull , Ars Dei (=Ars divina) , en : R.O.L. , Vol.37 , Brepols, 1983.

⁽⁴⁾ - المؤلفات التي كتبها لول في مدينة مونبيلييه هي كالتالي:

Liber de novis fallaciis (out. 1308), De aequalitate potentiarum animae in beatitudine (nov. 1308), De investigatione vestigiorum productionis divinarum personarum (nov. 1308), Liber de experientia realitatis Artis generalis (nov. 1308, que contiene la Epistola Raymundi ad christianum), De refugio intellectus (dez. 1308, que contiene la De conversione syllogismi opinativi in demonstrativum cum fallacia vicesima), Excusatio Raymundi (dez. 1308 - fev. 1309), Proverbis d'ensenyament (1309), Epistola Raymundi ad Regem Aragoniae (19 fev. 1309), De majori agentia Dei (março 1309), Liber de con venientia fidei et intellectus in objecto (março 1309), Liber de duodecim syllogismis concludentibus duos actus finales (março 1309), Liber de acquisitione Terrae Sanctae (março 1309), Liber de exemplo unissimae unitatis et volissimae voluntatis (abril 1309), Liber de propriis et communibus actibus divinarum rationum (abril 1309), Liber de esse Dei (abril 1309), Liber de= potestate divinarum rationum (abril 1309), Liber de trinitate in unitate permansive in essentia Dei (=De nominibus personarum divinarum) abril 1309), y Liber de probatione quod in Deo sunt tres personae (abril 1309).

ب"كتاب الاستحواذ على الأراضي المقدسة Libro de la dominación de Tierra santa". والتي سيأتي ذكر تفصيلها في فصل لاحق.

في مدينة أفينيون، التقى لول بالبابا أكثر من مرة، لكنه لم يلق آذانا صاغية منه. وقد صمم على السفر إلى باريس للمرة الرابعة والأخيرة. أين من المرجح أنه وفد المدينة في النصف الثاني من عام 1309م. وهناك مرة أخرى : "... قرأ على العامة فنه وكتبا أخرى كان قد كتبها في وقت سابق"⁽¹⁾. وكان له من العمر حوالي 76 سنة. مكث لول في باريس حتى شهر سبتمبر من سنة 1311م. حيث أقام في شارع "La Boucherie" مقابل كاتدرائية "Notre-Dame".

لكن خلاف محاولاته السابقة للاستيلاء على الثقافة الباريسية العامة، تذكر "الحياة المعاصرة" أنه في وقت ما : "... حشد من الناس، مُعلمين وطلاب على حد السواء، أصغو إلى قراءته. ولم يعرض عليهم فقط العقيدة التي تدعمها دوافع فلسفية ولكن عرض عليهم كذلك الحكمة مُدعمة بشكل مُثير للإعجاب وفقا للمبادئ السامقة للإيمان المسيحي. لكن كما عرف من خلال كتابات أرسطو المعلق، أن ابن رشد، انحرف ليس قليلا عن استقامة الحقيقة، وبشكل أساسي عن العقيدة الكاثوليكية، قائلا أن الإيمان المسيحي كان مستحيلا من حيث طريقة وكيفية الفهم، لكن للاعتقاد بأن ذلك صحيح أي كيف نعتقد ، أفكاراً مزروعة في تجمعات المسيحيين، سعى رامون لول لدحض مفهومه من خلال البرهنة وبطريقة علمية، وبطرق كثيرة وصل إلى التناقض: لأنه إذا كان الإيمان الكاثوليكي غير مرجح وفقا للفهم، فإنه من المستحيل أن يكون صحيحاً. وحول هذا الموضوع أَلَف الكثير من الكتب"⁽²⁾.

في الواقع، خلال هذين العامين في باريس، أَلَف لول 35 كتاباً، كرسهم لدحض عقائد الرشدية⁽³⁾. وهكذا، فإن كل الإنتاج النهائي لكتابات لول، بالإضافة إلى تلك التي تتمحور حول

Ramon Llull , Vita Coetanea , X, p.79.

Ibid. , X, p.81.

⁽¹⁾ - أنظر:
⁽²⁾ - أنظر:
⁽³⁾ - كان أبو الوليد ابن رشد (1126-1198م) المترجم الرئيسي لأرسطو في الفلسفة العربية، ولم يكن شارحاً ومعلقاً فحسب بل مثل فكره الإنجاز الفلسفي العربي الأكثر توفيقاً ونجاحاً وتأثيراً على الفلسفة اليهودية والمسيحية. وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر، تشكل في العالم اللاتيني الفلسفي ما أصبح يصطلح عليه بتسمية "الرشدية اللاتينية"، والتي دافعت، من بين أطروحات أخرى، على نظرية الحقيقة المزدوجة (واحدة موافقة للعقيدة والإيمان، والأخرى موافقة لممارسة العقل)، وخلود العالم، وحدة العقل عند النفس البشرية والحرمان من الخلود الفردي والإرادة الحرة، الأمر الذي أدى إلى إدانتها من طرف الكنيسة الكاثوليكية. =

مشاريعه لتتصير الكفار (وكذا موضوع الحرب الصليبية)، أضيف لها هدف جديد، هو القتال والمواجهة المباشرة ضد الأطروحات الرُّشدية في جامعة باريس⁽¹⁾.

ظهر ذلك واضحاً في تقانيه في العروض التي قدمها للملك الفرنسي فيليب الوسيم في هذا الصدد، خاصة كتابه الموسوم بـ: "ولادة السيد المسيح Liber natalis pueri parvuli Christi Jesu" (1310م)⁽²⁾، يقول في فقرة منه: "تلك الرؤية قد رآها رامون في باريس، ولم تمض فترة طويلة بعدها، ومن أجل صالح الشعب المسيحي والشرف المُعلّى للسيد المسيح، هل تتوقف عن الكتابة، سوف أكتبها وأنها في باريس، في عيد ميلاد التجسد لسنة 1310م، وانتهيت من العرض للملك المجيد والمعلّى فيليب، ملك فرنسا، الذي أمر ببعض القرارات التي تتم عن تواضعه الشديد... كان الطلب الثاني الذي يُبَّهَج مُعظم مسيحيي جلالته هو حظر هذه الكتب وطرد الرُّشدية وإبعادها من باريس كلها، بحيث لم ولن يجروا أي أحد من الآن وصاعداً على ذكرها، أو تسميعهم يقرأونها، أو يعلقون عليها، بالنظر إلى أن مُعظم هذه الأخطاء المُتعمّنة ضد إيماننا المقدس، و(ما هو أكثر خطورة) في هذه النقول، هو الأخطاء الجديدة والخطيرة. لأنه شيء خطير تلهج به السنة مسيحيي ديانتنا المقدسة أكثر من الاحتمال، وعدد لا يحصى من السخافات الأخرى التي تنتشر بكل وقاحة من أولئك الذين يعتنقون هرطقة الرُّشدية"⁽³⁾.

=ومن النظريات التي قال بها الرُّشديون أخذهم بوحدة العقل أو النفس، تلك النظرية التي أثارت علماء اللاهوت أكثر من غيرها لما يترتب عليها من هدم للشخصية الإنسانية، ومن إنكار للمسؤولية الفردية، وكذا نظرية إنكار العناية الإلهية والحرية الإنسانية في المجال الأخلاقي كما أنها تتمثل في القول بوحدة العقل وقدم العالم وقدم الحركة والزمان. وقد نسب خطأ لابن رشد الكثير من هذه النظريات التي لا تعبر أبداً عن الحقيقة الأصلية في مؤلفات فيلسوف قرطبة. للمزيد ارجع إلى: زينب محمود الخضيرى، أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار التنوير، بيروت، 2007، صص. 92-99. وأنظر:

RAMÓN GUERRERO (Rafael) , Filosofías árabe y judía, Editorial Síntesis, Madrid s/d, pp.215-246.

وسياًتي ذكر موقف لول من ابن رشد والرُّشديين اللاتين وسجله الحامي الوطيس في جامعة باريس، وحصر جميع مؤلفاته.

⁽¹⁾ - أنظر: JAULENT (Esteve) , Os problemas enfrentados por Lúlio en París: A cruzada e a luta contra o averroísmo, RAIMUNDO LÚLIO. Escritos Antiaveroístas, pp. 09-28.

⁽²⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Liber lamentationis Philosophiae seu De Duodecim pricipiis Philosophiae , en : R.O.L. , Vol.VII , Maioricensis Schola Lullistica, 1975.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull , Liber natalis pueri parvuli Christi Jesu , en : R.O.L. , Vol.VII , Brepols, 1975 , pp.50-51

في دراساته المستفيضة والتي نشرت حديثاً، يعالج الباحث الفرنسي "كونستانت تيلنو Constantin Teleanu" رفض لول للرُّشدية التي انتشرت في باريس. أنظر: Constantin Teleanu , Raymundista et Averroista , La réfutation des Averroïstes de Paris chez Raymond Lulle , Schola Lulliana , Paris , 2014 , pp.325-435.

كانت لرامون لول فصول دراسية في باريس، ارتادها حسب "الحياة المعاصرة" العديد من الطلبة والأساتذة. إلى جانب هذه السيرة الذاتية، توجد ثلاثة وثائق تشهد على نشاطات لول، تُثبت هذه الوثائق بأنه قرب نهاية حياة لول، حصل أخيراً، على اعتراف من جامعة باريس بتدريس فنه فيها. وبتاريخ 10 فيفري 1310م، أدلى أربعون مُعلماً وخريجاً من كُليتي الفن والطب بشهادتهم التي تتضمن مُوافقتهم على قراءة "الفن الموجز Arte Breve" (1308م) الخاص برامون لول⁽¹⁾.

على الرغم من تواجده في باريس، حافظ لول، على اتصالاته مع كلية الطب بمدينة مونبيلييه، والتي كانت ثابتة وسلسة. ومن الشخصيات التي تواصل معها، "رامون دي بيزيه Ramón de Beziers" مُترجم كتاب "كليلة ودمنة"، الذي يعتبر النص الشرقي الذي كان أساساً لتأليف "كتاب الوحوش Libro de las bestias" (الفصل السابع من كتابه عجائب الدنيا Libro de las Maravillas)⁽²⁾. هناك أيضاً رسالة الملك فيليب الرابع الوسيم المؤرخة بـ 02 أوت 1310م، مما يدل على دعم النظام الملكي الذي ساهم في تلك المؤتمرات التي توجت النجاح الذي يستحقه.

أخيراً، تلقى لول خطاب توصية من مستشار الجامعة "فرانشيسكو كاروتشولي Francesco Caroccioli"، بتاريخ التاسع من سبتمبر من نفس السنة، قبل أيام قليلة من رحيله عن باريس⁽³⁾. وقد ساهمت فلسفته التعليمية من ناحية، والنظام النقابي الصارم لأساتذة جامعة باريس من جهة أخرى، في إذكاء حماس الطلاب والأساتذة لحضور محاضراته التي لاقت استحساناً ونجاحاً كبيرين⁽⁴⁾. وهذا ما برّر التعجب الكبير الذي أبداه كل من الدارسين المحدثين "أنطوني

⁽¹⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Ars Brevis , in : Selected Works of Ramon Llull (1232-1316), edited and translated by Anthony Bonner, Vol.I , Princeton, N.J. , Princeton University Press , 1985.

⁽²⁾ - أنظر:

Badia (Lola) i Bonner (Anthony) , Ramón Llull: Vida, pensament i obra literària, p.49.

⁽³⁾ - أنظر:

Bonner (Anthony) , Ambient Històric I Vida, O.S. , vol. I, p. 48, n. 160.

⁽⁴⁾ - حول بيئة الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى وتنظيمها وهيكلها بشكل عام، وجامعة باريس بشكل خاص، ارجع إلى: Daniel Poirion , Milieux Universitaires Et Mentalite Urbaine Au Moyen Age, Colloque Du Departement D' Etudes Medievales de Paris- Sorbonne Et de l'universite de Bonn , Presses Paris Sorbonne , 1992 ; Jacques Verger, Les universités françaises au Moyen Âge, BRILL, 1995.

بونر" و"لولا باديا" بقولهما: "في نهاية حياته، كسر المبارك Beato (وهو اللقب الديني لرامون) بنجاح الدوائر المغلقة في جامعة باريس"⁽¹⁾ أخيراً.

11- مشاريع لول المُقترحة في مجمع فيين⁽²⁾ المسكوني 1311م.

تتوقف السيرة الذاتية "الحياة المعاصرة"، التي أملاها رامون لول على راهب دير فوفرت في باريس، سنة 1311م. لذا، فإن المعلومات حول حياة لول تنتهي في سبتمبر 1311م، عندما غادر مدينة باريس باتجاه المجمع المسكوني الذي انعقد بمدينة فيين الفرنسية (المجمع الذي استمر من 16 أكتوبر 1311م حتى 06 ماي 1312م).

تُلخص "الحياة المُعاصرة"، رواية لول عن الأجندة التي رغب في تقديمها إلى المجمع كالتالي: "مع معرفة رامون بالأب المقدس، السيد البابا كليمنت الخامس، الذي عقد مجعاً عاماً في مدينة فيين، في سنة الرب 1311، من شهر أكتوبر، واقترح الذهاب إلى هذا المجمع من أجل الحصول على ثلاثة أشياء لإصلاح العقيدة القويمة (الأرثودوكسية). الشيء الأول كان تأسيس مكان مُناسب يُكرس لرجال ذوي قدرات فكرية هائلة لدراسة اللغات المختلفة، بحيث يمكن أن نعرف بواسطة وعظ الإنجيل كل مخلوق على هذه البسيطة. والشيء الثاني إصدار أمر قضائي لجميع هيئات الفرسان الدينية المسيحية لدعم الحرب المتواصلة ماوراء البحار ضد المسلمين لاسترداد الأراضي المقدسة. والشيء الثالث، أنه خلافاً لآراء ابن رشد، الذي يعد في أوجه كثيرة منتقناً للحقيقة، فإن على السيد البابا أن يأمر وبسرعة طرح العلاج الذي من شأنه أن يعثر على رجال كاثوليكيين متصفين بالذكاء والذين لا يسعون لمجدهم الشخصي، ولكن لمجد المسيح فقط"⁽³⁾.

⁽¹⁾ - أنظر:

Badia (Lola) i Bonner (Anthony), Ramón Llull: Vida, pensament i obra literària, p. 49.

⁽²⁾ - تقع "فيين Vienne" في جنوب شرق فرنسا (منطقة رون ألب وهي تابعة لإقليم إزار Isère حالياً). ازدهرت فيها المؤسسات الدينية خلال القرنين 11 و 12م، حتى اجتمعت فيها كبرى الشخصيات في الغرب اللاتيني في المجمع المسكوني سنة 1311م. للمزيد ارجع إلى:

William W. Kibler, Medieval France: An Encyclopedia, p.1804.

Ramon Llull, Vita Coetanea, XI, pp.81-83.

⁽³⁾ - أنظر:

تعكس هذه النقاط الثلاثة التي كانت مُقترحة على مجمع فيبين الكنسي، فكر لول، ورغبته في السعي إلى مصلحة العالم المسيحي بأسره. وقد عبّر عن هذه الفكرة بشكل دقيق في كتاب سبق تحريره لسيرته، وكذا سبق أعمال المجمع، وهو المعروف بعنوان "النزاع بين رجل الدين بيدرو ورامون المذهل Disputa entre el clérigo Pedro y Ramón, el Fantástico" وهي قطعة أدبية فنية⁽¹⁾، كتبها أثناء رحلته باتجاه فيبين. في هذا الخلاف أو النزاع الفكري، يوجد واحد من أكثر النصوص إثارة للاهتمام في أعمال لول، فمن الناحية النفسية والروحية⁽²⁾، يقدم لنا لول صورة دقيقة جداً لتصوره ومنظوره الخاص، ونظرة معاصريه له.

عن المُقترحات التي قدمها في هذا المجمع والتي أنت "الحياة المعاصرة" على ذكرها. يؤكد لول في بداية "كتاب المذهل أو الخيالي Fantástico" ما مضمونه: "حدث في وقت ما أن التقى رجلان في طريقهما إلى المجمع العام، أحدهما رجل دين، والآخر علماني. سأل رجل الدين عن اسم العلماني فأجاب: رامون لول⁽³⁾. قال رجل الدين: رامون إذا، سمعت الكثير من الكلام عنك وبأنك عظيم القدر⁽⁴⁾. قل لي: ماذا ستطلب من المجمع؟ أجاب رامون: أن أبحث عن ثلاثة أمور. أولاً، السيد البابا والكرادلة الراغبين في بدء وإنشاء الدراسات التي تهتم بتعلّم اللغات المختلفة، بحيث يمكن في وقت لاحق أن ينتشر الطلاب في جميع أنحاء العالم، للاضطلاع بمهام الوعظ وفقاً لما كلفوا به في الأناجيل المقدسة، وأن مثل هذا التنظيم من شأنه جلب جميع الكفار إلى الإيمان المسيحي. والأمر الثاني، أن يضع البابا والكرادلة نظاماً عاماً وهيئة واحدة موحدة تشمل جميع الرهبان الفرسان، وتسمح بعبور الجميع إلى ما وراء البحر، مقاتلين بذلك الكفار، حتى تسترد

⁽¹⁾ - أنظر: Badia (Lola), Teoria i pràctica de la literatura en Ramón Llull, pp.31-42.

⁽²⁾ - أنظر:

Badia (Lola) i Boner (Anthony), Ramón Llull: Vida, pensament i obra literària, p. 52.

⁽³⁾ - كان للول آنذاك سبع وسبعون سنة من العمر تقريباً.

⁽⁴⁾ - مفهوم الخيال هنا يأتي مرادفاً للجنون والحماسة. ففي العصور الوسطى، يرادف الخيال fantasia نفس كلمة "الشبح fantasma الطيف والصورة معاً. والفعل "fantasear" يعني تشغيل الخيال في مجال الوهم. وفي النص المشار إليه في المتن، غالباً ما يُستخدم الفعل "يتوهم" بمعنى "معرفة الخطأ". وفي الأخير، في كتاب لول المعنون بـ "عقيدة الطفل Doctrina pueril"، يوضع لول جسدياً، الخيال في منتصف الرأس، في منتصف الطريق بين "المعرفة وفقاً للحواس والخيال والمعرفة الفكرية". أنظر:

Ramon Llull , Doctrina pueril, en : O.R.L. , Vol.I , 1906 , pp.159-204.

الأرض المقدسة للمسيحيين. والأمر الثالث، أن يعمد البابا والكرادلة إلى تحريم أخطاء ابن رشد، ومنعها وحضرها في باريس، وإلغائها تماماً، ذلك أنه بسبب هذه المعتقدات عانى إيماننا المقدس من العلل والشوائب الكثيرة. وبعد سماع رجل الدين لهذه الكلمات انفجر بالضحك وبصوت عال قال: وصفوك بالعظيم، لكن الآن، حقاً ومن خلال كلماتك أرى أنك لست عظيماً فقط بل جد مذهل"(1).

من الواضح أن لول علّق آمالاً كبيرة على هذا المجمع المسكوني، خاصة وأنه كان من الممكن بالنسبة له، أن تكون هذه فرصته الأخيرة من أجل تحقيق بعض من أهدافه. ففي النهاية، قد شارف على الثمانين عاماً، مرة أخرى بالرجوع إلى مزيد من التفاصيل في كتاب " al Fantástico " لتحليلها بعمق. في مقدمة أحد أعماله المعنونة بـ: " Liber de ente quod simpliciter est per se et propter se existens et agens "(2) الذي كتبه قبل شهر من المجمع، يقول: " آمل أن يبارك هذا المجمع من طرف الرب ومن أجل الرب، حتى يتسامى الإيمان الكاثوليكي المقدس ويُدمر الأخطاء التي ترتفع ضده. وأما خلاف ذلك، فإن المجمع يُصبح عبثاً ومهزلة بلا معنى، والذي من شأنه أن يجلب أضراراً بالغة وسيكون مذموماً مُستهجناً أمام الإله، ومنظموه سينتظروهم عقاب جهنم. إن هذا ما سيحدث"(3). وبالإطلاع على العرائض العشر التي حضرها لول من أجل تقديمها في المجمع نجد :

1- إنشاء ثلاث كليات خاصة بتدريس اللغات، في روما، باريس وطليلة.

2- توحيد الهيئات العسكرية.

3- تخصيص ضريبة العشر لتمويل الحملات العسكرية الهادفة للاستيلاء على الأراضي المقدسة، وجميع الأراضي المحتلة من طرف المسلمين.

(1) - أنظر: Badia (Lola), Versió catalana de la Disputa del clergue Pere I de Ramón, el Fantàstic, Teoria i pràctica de la literatura en Ramon Llull, p.211.

(2) - أنظر:

Ramon Llull , Liber de ente quod simpliciter est per se et propter se existens et agens (De perseitate et finalitate Dei) , en : R.O.L. , Vol.VIII , H. Harada (ed.) , 1982.

Ibid. , p. 191.

(3) - أنظر:

4-تنظيم وضبط الامتيازات الكنسية.

5-تنظيم العادات الكهنوتية والدينية.

6-إيقاف الفلاسفة الأكاديميين الذين يهاجمون اللاهوت.

7-فرض عقوبات شديدة على المرابين.

8-برمجة دروس وخطب ومواعظ في المساجد والمعابد اليهودية يومي الجمعة والسبت، على التوالي.

9-إصلاح الدراسات القانونية.

10-إصلاح الدراسات الطبية⁽¹⁾.

عن طريق هذه العرائض، يُحذر لول من أهمية وحساسية هذه اللحظة التاريخية على العالم المسيحي. ولهذا الغرض أُلّف كتاباً بعنوان "El Concilio" سنة 1311م⁽²⁾، وهو بمثابة تحذير، وقصيدة قوية وواضحة، خاصة عندما تكون موجهة للبابا، وإلى الأساقفة والأمراء⁽³⁾. في الواقع، سجّل لول بعض النجاح عند اختتام أعمال مجمع فيين المسكوني. فمن بين الأهداف الثلاثة التي ناضل من أجلها وكرّس لها مُعظم حياته، نجد على الأقل الهدف الثالث الذي لم يوله أي أحد أي اهتمام وهو مُشكلة الرشدية. أما الهدف الأول، والخاص بتأسيس مدارس لتعليم اللغات الشرقية، فقد تم الموافقة عليه.

وقد نصّ مرسوم بابوي بإسم "الأولويات القصوى Inter sollicitudines"، على إنشاء هذه الكليات في البلاط البابوي بروما وفي باريس، أكسفورد، بولونيا وشلمنقة. واللغات التي يجب

⁽¹⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Petitio Raymundi in concilio generali ad acquirendam Terram Sanctam , in Wieruszowski (Helene) , Politics and Culture in Medieval Spain and Italy , Ed. di Storia e Letteratura, 1971 , pp.165-170.

⁽²⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Del concili , en O.R.L. , Vol.XX , T.II , Patrons: Diputació Provincial de Balears, Palma de Mallorca, 1938.

⁽³⁾ - أنظر:

Romeu I Figueras (Josep) , Poesies : Introducció, O.E., vol. I, 1957, p.1280.

أن تدرس هي العربية والعبرية والكلدانية⁽¹⁾. كما يجب على المعلمين أيضاً ترجمة أعمال ومؤلفات هذه اللغات إلى اللاتينية. على أن تكون النفقات الخاصة بهذه النشاطات ممولة ومدعومة من طرف البلاط البابوي، وملك فرنسا (فيما يخص باريس)، إضافة إلى كنائس المناطق في المدن المتبقية⁽²⁾.

أما عن الهدف الثاني، تصف "السيرة الذاتية" ما معناه: أنه لا توجد سوى هيئة عسكرية دينية واحدة تستحق الدعم : "... في الحرب المستمرة ما وراء البحار ضد السراسنة (المسلمين) لاسترداد الأرض المقدسة"، حيث تحققت رغبته بشكل جزئي، لأنه على الرغم من عدم تأسيس النظام الجديد الذي نشده لول، فإن أصول ومصادر هيئة فرسان المعبد، التي تم حلّها قبل خمس سنوات، جرى نقلها وتحويلها لصالح هيئة الاسبتارية التي انبثقت عنها، كأكثر حل مقبول بالنسبة لرامون لول وحتى بالنسبة لملك فرنسا⁽³⁾.

في شهر ماي، تواجد لول في مدينة مونبيلييه، أين أُلّف " الخطاب الملائكي De locutione angelorum"⁽⁴⁾. في مقدمته، يؤكد لول على أنه قدّم هذه العرائض الثلاث شخصياً إلى البابا والكرادلة في مدينة "فبين"، وأن اثنتين منها تمّ منحهما المصادقة. يقول لول في هذا الصدد: "وجد رامون ملقى به في السرير الخاص به، وبدأ التفكير فيما حدث في المجمع العام بفبين، وبشكل خاص على اثنين من الالتماسات التي قدمها إلى الحبر الأعظم ورعيته. وجدت مدارس حيث تلقن فيها لغات الكفار مُكرّسة لرجال أتقياء، يعرفون تعليم الفلسفة واللاهوت، رجال مستعدون للموت والمعاناة من أجل المسيح، وتمجيد الإيمان المقدس، والذهاب للتبشير في جميع بقاع العالم بحقيقة الإيمان، بطريقة يكون فيها مفهوما الخطأ والصواب. أما الإجراء الثاني فهو أن تُسلم أموال فرسان المعبد لهيئة فرسان الاسبتارية للقديس سان خوان، من أجل تعزيز قدراتهم على

⁽¹⁾ - أنظر: Bonner (Antoni) , Ambient Històric I Vida, O.S., vol. I, p. 50.

⁽²⁾ - أنظر : Ramon Llull , Petitio Raymundi in concilio generali ad acquirendam Terram Sanctam , pp.165-170.

⁽³⁾ - أنظر: Bonner (Antoni) , Ambient Històric I Vida , O.S., vol.I , p.51.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ramon Llull , Liber de locutione angelorum , en : R.O.L. , Vol.XVI , Brepols , 1988.

إبقاء قواتهم مجهزة بشكل دائم ضد المسلمين. أسعد اتخاذ هذين القرارين رامون، لأنه كان من السهل إذ ذاك التغلب على المسلمين واستعبادهم، مرة واحدة، وسيكون من اليسير تحويلهم جميعاً، لأنهم كانوا يعرفون كل شيء⁽¹⁾.

هكذا، سجّل رامون لول في نهاية حياته بعضاً من النجاح. ولقي فنّه "أحسن كتاب ضدّ أخطاء الكفار *mejor libro del mundo contra los errores de los infieles*" قبولاً واستحساناً، كما حصل على تأكيد من أساتذة جامعة باريس لتدريسه، وكذا تأسيس مدارس اللغات حاز على موافقة البابا نفسه. من هذه الأهداف الثلاثة التي شغلت عقله وأوحاها له المسيح مصلوباً حسب زعمه، لم يتبقى له سوى الاستشهاد على الطريقة المسيحية، وهي آخر لحظة للمؤمن المسيحي الحقيقي.

12- سنوات لول الأخيرة (1311-1315م).

حتى مع بلوغه سن الثمانين، استمر النشاط الدؤوب للول دون كلل. ففي جوان من سنة 1312م تواجد مرة أخرى في جزيرة ميورقة، حيث بقي سنة واحدة. وفي مسقط رأسه، ألف رامون 17 كُتِيباً⁽²⁾، واستعد لترك الإرث المُتمثل في كتاباته للأجيال التي ستأتي بعده، من أجل خلاص النفوس التي تقرأ، يقول لول: "أنا رامون، المُتمتع بكامل صحتي، وسلامة حواسي وذاكرتي، والقيام

Ramon Llull , Liber de locutione angelorum , p.246.

⁽¹⁾ - أنظر :

⁽²⁾ - هذه المؤلفات هي :

IV.54. Liber de participatione christianorum et sarracenorum (jul. 1312); IV.55. Liber de differentia correlativorum divinarum dignitatum (jul. 1312); IV.56. Liber de quinque principiis quae sunt in omni eo quod est (agost 1312); IV.57. Liber de novo modo demonstrandi (set. 1312); IV.58. Ars confessionis (=Liber qui continet confessionem) (set. 1312); IV.59. De secretis sacratissimae Trinitatis et Incarnationis (= Liber de Trinitate et Incarnatione) (set. 1312); IV.60. Sermones de decem praeceptis (oct. 1312); IV.61. Liber de septem sacramentis Ecclesiae (oct. 1312); IV.62. Expositio super Pater noster (=Sermones de Pater noster) (oct. 1312); IV.63. Expositio Super Ave Maria (=Sermones de Ave Maria) (act. 1312); IV.64. Vejam IV.65.bis; IV.65. Liber de virtutibus et peccatis (=Liber de vitiis et virtutibus); Art major de predicació. (janeiro 1313); IV.65.bis. Liber de septem donis Spiritus sancti (feb.1313); IV.66. Liber de operibus misericordiae (=Sermones de operibus misericordiae) (feb. 1313); IV.67. Ars brevis praedicationis; Art abreviada de predicació (feb. 1313); IV.68. Liber per quem poterit cognosci quae lex sit magis bona, magis magna et etiam magis Vera (feb. 1313); IV.70. De virtute veniali et vitali, insuper de peccato veniali et mortali ((abril 1313

بتصرفاتي تحت إرادتي، اخترت كلا من بيدرو سينتيمات Pedro de Sentmenat زوج ابنتي، وجيرلمو أرنو اجليسياس Guillermo Arnau d'Eglésies، و فرانسكو رونوفارد Francisco Renovard وخايمي دايس Jaime Daise شهودا لوصيتي. إلى هؤلاء طلبت وفوضت كامل السلطات في حالة حدوث أمر لي، لتقسيم وتوزيع جميع ممتلكاتي، كما تجدونها مكتوبة ومُرتبة في وصيتي، دون الإضرار بهم أو بممتلكاتهم. وأنا راض تماماً بأن أترك إرثاً من نسخ لمؤلفاتي المكتوبة بالرومانسية واللاتينية التي حررتها في الآونة الأخيرة⁽¹⁾... والخطب التي جمعتها. وهي في مجملها عددها مائة وعشرون، وكذا كتاب جنس المنطق. وتذهب وصيتي إلى باريس في دير الكارثوسيان في فوفارت Vauvert محبة في الله. وترسل مجلدات أخرى إلى جنوة، في دير برثوبال سبينولا Perceval Spínola. ونفس الكتب الموجودة في الدير الملكي المحتوية على بعض المؤلفات التي أودعتها في بيت Pere de Sentmenat ...⁽²⁾.

لكن صياغته لوصيته لم توقفه عن مواصلة مشاريعه، على الرغم من افتقاره للطاقة اللازمة، إذ ناهز عمره 81 عاماً. ففي شهر ماي من سنة 1313م، ارتحل لول إلى ميسينا في جزيرة صقلية، التابعة لفرديريك الثالث ملك صقلية (1296-1337م) أخ خايمي الثاني. هذا الملك رحّب بأرنو فيلانوفا والفرانسكان الروحانيين، المطرودين من قبل مجمع فيين. وقد لمّح لول إلى الخطط الإصلاحية لفرديريك الثالث، أحدها كان التحضير لبعثات تنصيرية موجهة لأراضي المسلمين⁽³⁾. وقبل رحلته تلك، كان لول قد أرسل بالفعل، ثلاثة كتب لهذا الملك من خلال صديقه "برثيال سبينولا Perceval Spínola"، وفيما بين شهري ماي وسبتمبر لعام 1312م، ألف خمسة

⁽¹⁾ - هذه المؤلفات هي : De vitiis et virtutibus, De novo modo demonstrationis, De quinque principiis, De differentia correlativorum, De secretis sacratissime trinitatis et incarnationis, De participatione christianorum et saracenorum, De locutione angelorum, De virtute veniali et vitali et de peccatis venialibus et mortalibus, i De arte abbreviata sermocionandi.

Hillgarth, J. N. , Diplomatarium Lul. lià, p. 89.

Ibid. , pp.89-90.

Bonner (Antoni) , Ambient Històric I Vida, O.S., vol. I, p. 51.

أنظر:

⁽²⁾ - أنظر :

⁽³⁾ - أنظر :

أعمال⁽¹⁾. أمضى لول في ميسينا سنة كاملة، اشتدت فيها قريحته لتأليف الكتب، حرّر فيها 37 كتاباً تعليمياً "obras cultas"⁽²⁾.

في عام 1314م، أبحر لول مرة أخرى إلى تونس، في رحلته الأخيرة، واختلفت تماماً عن ظروف رحلته الأولى التي قام بها سنة 1292م. فالسلطان الموحيدي الجديد "أبو يحيى ابن اللحياني"، الذي كان قد أطاح بالسلالة الحفصية سنة 1311م، احتاج العديد من الحلفاء لمحاربة الحفصيين الذين استقروا في مدينة بجاية لتوحيد إفريقية. لهذا السبب عبّر ابن اللحياني عن اهتمامه بالارتداد عن الإسلام إلى المسيحية، حسب الروايات المسيحية، وبدأ اتصالاته مع ملوك صقلية وأراجون (الملاحظ أن القطلانيين بالتأكيد ساعدوه على اغتصاب العرش)⁽³⁾.

في هذا الجو السياسي أبحر لول نحو تونس. ولجعلها أكثر راحة، وتمكين لول من أن يصبح سفيراً محتملاً للملك خايمي الثاني، بعث خايمي برسالة توصية إلى ملك تونس، وأخرى إلى مترجم السلطان وثالثة للول نفسه يُعلمه فيها أن عليه كتابة الرسالتين الأخيرتين. في الرسالة المرسلة إلى السلطان، يقول خايمي الثاني: "نحن خايمي ملك أراجون بنعمة الرب، إلى أمير المؤمنين زكرياء، النبلاء الممجدون، إلى ملك تونس، أخ الأمير أبي بكر، تحية لك. أيها الملك، نحن نعلم أن رامون لول وهو أحد مواطنينا متواجد في مدينتك تونس، في المكان الذي تعيش به. لذلك، الملك التقى برامون لول، هذا الرجل جيد، حكيم وحسن السيرة، ونحن مقربان، أطلب منكم أن ترغبوا بالاستماع إليه وبلاستمتاع بما يقوله لكم رامون، لنا الشرف، إن كرمتموه وأقدر لكم

⁽¹⁾ - الأعمال هي :

Liber de locutione angelorum, Liber de participatione christianorum et sarracenorum, Liber de differentia correlativorum divinarum dignitatum, Liber de quinque principiis quae sant in omni eo quod est y Liber de novo modo demonstrandi.

Bonner (Antoni) , Ambient Històric I Vida, O.S., vol. I, p.51.

أنظر :

⁽²⁾ - اختلفت الميادين التي حرر فيها هذا الإنتاج في الطب والقانون والفلسفة واللاهوت، وأيضا أصول التدريس. بلغ عدد الكتب التي نسبت إلى رامون لول حوالي 4000 أربعة آلاف كتاب ذكر منها "بيروكي A. Perroquet" 488 كتابا، في حين أعد "زويمر Zwemer" قائمة تحتوي على 321 كتابا، أما "باربر Barber" فأعد قائمة أصغر احتوت على 282 كتابا علاوة على 16 كتابا آخر مفقوداً، واحتوت القائمة التي أعدها "بيرز Peers" على 328 كتابا فقط بمعدل صفحات بلغ 27000 صفحة . ويعتبر رامون لول أعظم كتاب العصور الوسطى الأوروبية بعد القديس ألبرت الكبير.

Bonner (Antoni) , Ambient Històric I Vida , O.S., vol.I , p.52.

⁽³⁾ - أنظر :

ذلك. كتب في لاردة، بعد أربعة أيام من شهر نوفمبر من سنة سيدنا 1314. برناردو أبرثون Bernardo de Averson, ومعها الختم الملكي⁽¹⁾.

خلال هذا الجو الدبلوماسي المواتي، من المؤكد أن رامون لول وجد مكاناً ملائماً في رحلته الأولى. وفي تونس كتب 25 مسرحية⁽²⁾. وفي وقت متأخر من عام 1315م، كتب رسالة إلى الملك خايمي الثاني يطلب منه إرسال تلميذه السابق الراهب "سمعان بيجثيردا Simón de Puigcerdà"، لترجمة بعض من مؤلفاته، خاصة كتاب "فنون التصميم Ars consili" المخصص للسلطان، من القطلانية إلى اللاتينية، مما يدل على أن لول حتى الرمق الأخير من حياته وتأليفه باللاتينية، كتب لول بالقطلانية إلا أنه فضل النسخة اللاتينية للترجمة⁽³⁾. أما آخر مؤلفات لول فهي مؤرخة في ديسمبر 1315م، في تونس، وكلها كانت مُخصصة للسلطان. وبعدها لا توجد لدينا أية معلومات عن ميورقة، ومن المُحتمل أنه مات بينها وبين مارس 1316م، وقد ناهز 83 أو 84 عاماً، في تونس أو في رحلة العودة إلى ميورقة⁽⁴⁾.

عن موت لول، تزعم النقول الدينية المسيحية أنه توفي شهيداً في 29 جوان سنة 1315م، وكانت وفاته إما أثناء رحلة عودته إلى ميورقة، أو بعد وصوله إلى ميورقة، وأن السبب في موته هو أنه رُجم بالحجارة في بجاية. لكن التحقيق التاريخي يدعو إلى تأخير تاريخ وفاته إلى بداية سنة 1316م، استناداً إلى رسالتين بتاريخي 05 أوت و 29 أكتوبر سنة 1315م كتبهما إليه الملك خايمي الثاني، وإلى كون لول قد أَلّف كتابين وهو في تونس في ديسمبر سنة 1315م. يقول

Hillgarth, J. N. , Diplomatarium Lul.lià, p. 91.

⁽¹⁾ - أنظر :

⁽²⁾ - هذه المؤلفات هي:

Ars consilii. Jul. 1315 - Tunes; Liber de Deo et saris propriis qualitatibus infinitis. Jul. 1315 - Tunes; Liber de inventione majore. Set. 1315 - Tunes; Liber de agentia majore. Set. 1315 - Tunes; Liber de bono et malo. Dec. 1315 - Tunes. ; Liber de majori fine intellectus, amoris et honoris. Dec. 1315 - Tunes; Liber de Deo et de mundo. Dec. 1315 - Tunes.; citadas en cartas escritas pelo rey de Aragón. Nov. 1314 - jul. 1315 - Tunes; Liber de unitate majori. Nov. 1314 - jul. 1315 - Tunes; Liber de essentia majori. Nov. 1314 - jul. 1315 - Tunes; Liber de pertinentia majori. Nov. 1314 - jul. 1315 - Tunes; Liber de objectione majori. Nov. 1314 - jul. 1315 ; Epistola Raymundi ad Regem Aragoniae.

⁽³⁾ - أنظر :

Badia (Lola) i Bonner (Anthony), Ramón Llull. Vida, pensament i obra literària, p. 53.

Bonner (Antoni) , Ambient Històric I Vida”, O.S. , vol. I, p. 53.

⁽⁴⁾ - أنظر :

الكثير من الدارسين الغربيين أنه غادر التاريخ لدخول عالم الأساطير⁽¹⁾. وهناك أمر أكيد وهو أنه دُفن في كنيسة القديس فرانسيس ببالما⁽²⁾.

¹ - ليست لدينا أية معلومات ثابتة حول ظروف وفاة لول، هل مات رجماً بالحجارة في بجاية سنة 1315م، حسب رواية راسخة ولكنها متأخرة حسب الاحتمال؟ وهل صحيح أنه بعدما استشهد (حسب الزعم المسيحي) بهذه الصورة، نُقل على سفينة جنوية، وقد لفظ أنفاسه الأخيرة وهو في طريقه إلى مسقط رأسه الذي يضم الآن رفاتة؟ لكن البحوث التاريخية أثبتت أن القول بأنه مات شهيدا في بجاية حسب الزعم المسيحي عام 1316م هو محض أسطورة ظهرت في أواسط القرن 16م. أنظر:

Pindl (Theodor) , Ramon Lull , Protagonist des interkulturellen Dialogs , Concordia , N°30 , 1996 , p.37 ; Hillgarth , Ramon Llull and Lullism , p.27 ; Bonner (Anthony) , Historical Background and life of Ramon Llull , in Selected works of Ramon Llull (1232-1316), 1985 , p.51.

Bonner (Anthony) , Historical Background and life of Ramon Llull , p.52.

² - أنظر:

الفصل الثاني:

فكر رامون لول

التنصيري.

- 1- تكوين لول العصامي واهتمامه بالدراسات الإسلامية.
 - 2- إشكالية معرفة الآخر والتحاور معه.
 - 3- اعتراف لول بالإسلام ظاهرياً لاستدراج المسلمين إلى الحوار.
 - 4- بحث لول عن الوحدة بين الأديان في إطار مسيحي.
 - 5- عن تأويل الحوار بين المسيحيين والمسلمين على أساس العقل.
 - 6- بين نجاح أساليب التنصير والجوء إلى الانتحار.
 - 7- محاربة رامون لول للرشدية (أفكار ابن رشد).
- أ- الفلاسفة المسلمون في مؤلفات لول.
 - ب- ابن رشد والرشدية في مؤلفات لول.
 - ج- حملة لول المُعادية للرشدية في جامعة باريس.
 - د- نظرية الحقيقة المزدوجة أو التوفيق بين الفلسفة والدين.
 - هـ- موقف لول من إدانة الأسقف إتيان تومبييه لآراء الرشديين اللاتين.

1-تكوين لول العصامي واهتمامه بالدراسات الإسلامية.

يختلف رامون لول في تكوينه كثيراً عن معاصره رامون مارتى، الذي تكوّن في أديرة الدومينيكان، حيث يتميز لول بتكوينه العصامي⁽¹⁾. وعلى عكس كثير من المسيحيين المتعلمين في إقليم قشتالة، الذين امتنعوا عن التقليد الواعي والأدبي للذاتية الدينية الإسلامية، حاول رامون لول جهده أن يضع نفسه في نفس مستوى الأعداء الذين كان يُحاول تنصيرهم⁽²⁾، ففي فقرات كثيرة من مؤلفاته، يُعظم المسلمين ليكونوا أعداء أكفاء للمسيحيين، كما أنه يعتمد في نصوص أخرى إلى تفسير فضائل المسلمين على أنها مُكتسبة من معاشتهم للمسيحيين.

وبينما تبقى المدرسة التي تلقى فيها لول تعليمه مجهولة لدينا، فإننا نعرف على الأقل بأنه لم يدرس في باريس، لكنه بقي في ميورقة بمشورة من رامون البنيافورتي Ramon of Penyafort، وتعلم العربية عن طريق أسير مسلم كان في حوزته. وهكذا فإن وجهة نظر لول الفلسفية واللاهوتية تحمل بصمات جدّ مختلفة عن تلك التي عُرفت عند المدرسين الأرسطيين في باريس. ويعتمد لول بدلا منها على صيغ لاهوتية تقليدية⁽³⁾. لكن هذه قد تكون مسألة ذات صلة بالمُعاصرين من ذوي التعليم العلماني وأيضاً من الكنسيين الذي نالوا تعليمهم دون الإتصال بأية جامعة من الجامعات المعروفة في أوروبا آنذاك. ومن الممكن بعد ذلك رؤية فكر لول كإنعكاس لبعض المُثل الدينية الأساسية. وهناك من يظن أيضاً أن لول كان جزءاً من الحركات الروحية التي

⁽¹⁾ - هناك افتقار ونقص منهجي لانتساب رامون للمنظمات الدينية. فلول لم ينضم لمنظمة الدومينيكان. فبواسطة أفكاره الخاصة بتعليم وتدريب المنصرين فإن له صلات قريبة بهم وحتى الفرانسكان الذين كانت تربطه بهم صلات روحية. وتوحي السيرة الذاتية Vita Coetanea أيضاً برهينة غريبة الأطوار كان قد تدرج عليها. ومن الممكن على أية حال أن لول نفسه لم يكن توافاً إلى أن يصبح مقيدا تحت أي مراقبة وإشراف تنظيمي. ورأى لول حاجته إلى دعم هيئات المتسولين، لكن برنامجه ونظامه الفلسفي لا يتلاءم بدقة مع تعاليمها. على العكس من ذلك، في هذه المنطقة أيضاً، من الممكن تتبع بعض التأثيرات الواضحة لأي من هيئات المتسولين وكذلك من التيارات اللاهوتية الشائعة آنذاك والأفكار التعبدية في فكر لول.

⁽²⁾ - كاسترو (أميركو)، إسبانيا في تاريخها، المسيحيون والمسلمون واليهود، ترجمة: علي إبراهيم منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص ص. 322-323.

⁽³⁾ - عن القضية المعقدة للمصادر المسيحية في فكر لول أنظر المقالة المفصلة المنشورة بالتسلسل لـ: A.Oliver, "El beato Ramon Llull en sus relaciones con la Escuela franciscana de los siglos 12-14", Estudios Lullianos, 9, 1965, pp.55-70, pp.145-165; 10, 1966, pp.39-55; 13, 1969, pp.51-65.

إندمجت في إحياء قواعد المذهب الأوغسطيني داخل التعبيرات والأساليب الدينية. وهكذا فإن تعليم لول بحد ذاته يقدمه كنموذج للاتجاه السائد في اللاهوت، أكثر مما يقترحه كنظام فلسفي خفي⁽¹⁾.

قصّة كيفية تعلم لول وامتلاكه ناصية العربية ليست قصة عديمة المغزى. فقد اشترى لول أسيراً مسلماً من أسرى غزو ميورقة، سعياً إلى هدف مُعلن قوامه تعلم العربية. وقد دامت علاقة لول بأسيره هذه تسعة أعوام⁽²⁾، تذكر "السيرة المعاصرة" إن العبد يبدو أنه تفوه بعدها بازدياء اسم المسيح بينما كان لول في سفر بعيد. و"لدى عودته، وبعد أن تحرى الأمر من أولئك الذين سمعوا الازدياء، قام لول، مدفوعاً بغيرة عظمى على الدين المسيحي، بضرب العبد على فمه وعلى جبينه وعلى وجهه". وبعد انقضاء بعض الوقت، هاجم العبد الحانق لول بسيف وجرحه، فما كان من لول إلا أن طرحه أرضاً وأمر بإيداعه السجن، حيث شق السارساني نفسه. وعندما علم لول بالخبر، "شكر الرب مسروراً" لأنه أعفاه من اتخاذ قرار بشأن مصير عبده و"لأنه أعفاه من اتخاذ قرار بشأن مصير عبده ولأنه حفظ يديه بريئتين من موت هذا السارساني"⁽³⁾.

هذه الرواية في الأدبيات المسيحية أسرة بحد ذاتها. لكن ما لا يُعد أقل أسراً إعادة روايتها من جانب مؤرخ فرنسي من القرن التاسع عشر، حيث ذهب "دي لافيل لي رولكس" إلى أنه عندما توصل العبد ومعلم العربية إلى إدراك "مخططات المبشر" (أي مخططات لول)، "احتدم التعصب الديني فيه وحاول اغتيال تلميذه"⁽⁴⁾. والمغزى المفترض للقصة هو أن "مخطط" لول المتمثل في الإقناع السلمي قد مثل تهديداً لا يحتمل للتعصب الديني الإسلامي، وقد مات العبد لأنه حاول منع

⁽¹⁾ - أنظر: Vita Coetanea , 1.5-2.11 ; pp.274-278. وللمزيد أكثر عن الاثر الممارس على لول والذي لا ينبع مصدره من باريس أنظر: R.Sugranyes de Franch , Raymond Lulle Docteur des Missions , Bonner , pp.18-21 و A.Oliver , Lull en sus relaciones con la Escuela franciscana" , Fribourg , 1954 , pp.11-23 ; في الهامش رقم 16.

⁽²⁾ - ورد في السيرة أن لول لم تعجبه اللغة العربية لأول وهلة وشبهها بـ"أصوات الحيوانات الوحشية"، ومع ذلك "سعى بكل ما فيه من شدة البأس والقوة أن يتعلم العربية ويفهم ألفاظها" ودعا الإله أن "ينعم عليه ببركاته لكي يمكنه تبليغ حقيقة التثليث بالعربية بأسرع وقت ممكن". أنظر: مانويل وايشر، رامون لول والعالم الإسلامي، فكر وفن ، ع. 13 ، يناير 1969، ص.36.

⁽³⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Vita Coetanea , II , pp.39-41 ; Thomas le Myésier , Breviculum seu parvum Electorium Plate , III (Hillgarth , Ramon Llull and Lullisme , pp.450-451).

⁽⁴⁾ - أنظر:

Delaville le Roulx J. , La France en Orient au XIV^e siècle , Ernest Thorin , Paris , 1886 , pp.28-29.

لول من أن يصبح مبشراً. وفي تأويل آخر بعد قرن، فإن موت العبد إنما يدفع لول إلى أن يصبح مبشراً. وفي هذه الإعادة للرواية، فإن الحادثة مع العبد تفتح عيني لول على واقع أنه لا يمكن كسب شئ عن طريق العنف وأنه فقط عن طريق الحوار العقلاني، المستند إلى الاحترام وروح الصداقة، يمكن كسب الكفار إلى المسيحية⁽¹⁾. وقصة دروس لول العربية مفتوحة لتأويلات أخرى أيضاً. ولا يمكن إلا تخمين ماهية "الازدراء" الذي كلف أسير-أستاذ لول حياته. ولول نفسه لم يسمع هذا الازدراء إلا من آخرين. ومع كل ما نعرفه، فإنه ربما "لم يكن أكثر من تعبير عن الورع الإسلامي تجاه المسيح بوصفه نبياً"⁽²⁾.

لكن موت المسلم قد يوحي بأن دراسة العربية في الغرب اللاتيني كانت تتطوي على إمكانية إبادة أولئك الذين كانت هذه اللغة لغتهم. ويبدو أن هدف المسيحيين الغربيين من تعلم اللغة العربية كان يتمثل في إخراس الناطقين بها، اختزلهم إلى مستمعين. "إن القصة غير المتعاطفة إنما تمثل موقفاً عاماً، فالإسلام لا يمكن اغتفاره إلا في خضوعه الصامت، والحل النهائي الوحيد هو القضاء عليه"⁽³⁾.

لم يكن الدافع الذي حفز لول لدراسة القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية ضرباً من ضروب الفضول الإنساني، ولكنه كان أساساً من أجل تزويد المنصرين بأدوات وأسلحة الجدل الديني التي تستخدم في النشاط التنصيري. وعلى الرغم من أن مثل هذا التطور الثقافي كان أمراً متداولاً في الغرب الأوربي الكاثوليكي، إلا أن لول كانت له رؤية خاصة لتقدير وتقييم الدين الإسلامي وأخلاقياته، إذ أنه حضر إلى مناطق التواجد الإسلامي المختلفة بقصد التعرف إلى تفاصيل عقيدة

⁽¹⁾ - أنظر:

Pindl (Theodor) , Ramon Lull , Protagonist des interkulturellen Dialogs , Concordia , N°30 , 1996 , p.39.

⁽²⁾ - أنظر:

Daniel (Norman) , Islam and the West : The Making of an Image , 2nd ed. , Oneworld , Oxford , 1993 , p.311.

ومما يدعم هذا الافتراض ما ورد في كتاب الأعاجيب : " لاحظنا كيف يعتقد السارسانيون أشياء غريبة عن الإله ، ... وكيف يزدرون المسيح والسيدة العذراء بكلمات قبيحة، إهانة لهم وزورا وتجديفا دون أن نفعل شيئا حيال ذلك". أنظر:

Ramon Llull , Felix, or the book of wonders , in : Selected works of Ramon Llul , edited and translated by Anthony Bonner , Vol.II , Princeton University press , NJ , 1985 , p.944.

⁽³⁾ - أنظر:

Daniel (Norman) , op.cit. , p.141.

وسلوكات أعدائه وخصومه من المسلمين. وظل لول يشغل اهتمامه بالدين الإسلامي واهتم أيضا بكيفية استخدام بعض معتقدات المسلمين لنشر المسيحية، إضافة إلى أنه نصح باستخدام بعض المعتقدات المسيحية التي تتفق وتعاليم الدين الإسلامي من أجل إقناع المسلمين وتحويلهم إلى النصرانية.

يُقر المستشرق الإسباني "خوليان ريبيرا" في معرض حديثه عن تكوين رامون لول الفكري، بأنه يتميز بأسلوب غامض، وتقنية غريبة، ومنهج غير مألوف وتأكيدات نادرة، وكل ذلك مضافا إلى عاداته في ألا يذكر مصادر مذهبه، وهي من الأسباب في أن فكره لا يفهم بوضوح كامل، وليس من السهل أن نحدد بدقة أصول طريقته⁽¹⁾. وفي رواية لول الأدبية "بلانكرنا Blanquerna" يقول : " إن الإيمان ذهب إلى بلاد المسلمين، وقد وجدت هناك رجالا كثيرين علماء في الفلسفة، وهؤلاء لا يأخذون بكل ما في الإسلام على ظاهره، ولا يسلمون بسلطة الأولياء، ولا يمكن - فيما يرون - أن تكون للمرء عقيدة حقة لا تعتمد على العقل"، وغير ذلك كثير. يقول : " والآن جاء الوقت الذي يقدر فيه الناس الأسباب المؤدية إلى نتائج، ولهذا السبب نفسه نشأت العلوم الفلسفية والكلامية"⁽²⁾.

في معرض تأثر لول بالمسلمين، يضيف "خوليان ريبيرا" أن لول كان يُضمر حناناً ودوداً للمسلمين، جاءه دون أدنى ريب من دراسة الكتب العربية، ولا يمكن رده إلى الإحسان الرعوي الذي ينطوي عليه صدره، وكان دائماً سخيّاً ونبيلاً مسيحياً، لأنه مزج فيه بين إعجابه الذاتي وبين علم المسلمين وفضائلهم⁽³⁾، وفي كتابه "الكتاب السعيد في عجائب الدنيا" يؤكد أن المسلمين أكثر عقلاً، وأوسع فطنة من المسيحيين حيث يقول : " والسبب الذي يجعل المسيحي يهرم ويموت قبل المسلم، أن المسلمين يطعمون الأشياء الحلوة، دافئة وندية، أكثر من المسيحيين. والمسلمون

⁽¹⁾ - خوليان ريبيرا ، الأصول العربية لفلسفة رايغونو لوليو ، في : دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ، تحرير وترجمة: الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، ط.3 ، القاهرة ، 1987 ، ص.148.

⁽²⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Blaquerne , Traduit du Catalan par Patrick Gifreu , editions du Rocher , Monaco , 2007 , p.201.

⁽³⁾ - خوليان ريبيرا ، مرجع سابق، ص.151.

يشربون الماء، وهو يزيد من الرطوبة، ولهذا يحتفظون بداخلهم رطباً على الدوام، على حين يشرب المسيحيون الخمر، وهي ساخنة وجافة، فتزيد حرارتهم، وتمتص ما بداخلهم من رطوبة"⁽¹⁾. ويتساءل في كتابه "السعيد في عجائب الدنيا" لأن الوحدة تترك الخمر واللحم بخاراً. ويتناولهما المسيحيون أكثر من المسلمين، وهما يؤديان إلى تدمير الجسد، ويضغطان على الفهم. أما الماء وهو بارد رطب فيلطف البخار، ومع الرطوبة ترتفع رطوبة الدماغ، ومع البرودة تهبط، وبما أن الرطوبة خفيفة، والبرودة فاحشة، طبيعة، فإن الدماغ البارد والرطب يمكن أن يكونا أشد توافقاً لانسجام أبخرته، مما لو كانت متفاوتة. وللاحتفاظ بشبابهم عرف المسلمون كيف يرتدون الملابس الفضفاضة، لأن الهواء مع الملابس الواسعة يستطيع أن يتعاون مع ظاهر البدن. ومن ثم يمكن للهواء الساخن أن يمتص البخار من الجسم عندما يريد أن يزيد من قوة الهضم. على حين أن الهواء البارد يقبض المسام، فتطيل الحرارة الطبيعية داخل الجسم، وتجعل قدرة الهضم أقل، ولهذا يحتفظ الرجل الشاب بنضرة الفتوة على نحو أفضل، وتبدو الشيخوخة واضحة في محيا الرجل العجوز"⁽²⁾.

لا يتوقف إعجاب لول بالمسلمين عند الجانب العلماني، إنما يمتد إلى التراث الديني ولا يعرض لذلك كمثّل يثير به روح المنافسة عند المسيحيين، وإنما يتجاوز الإعجاب فيحاول إدخاله في المسيحية، كتدريب عملي على التقوى. وهكذا دعا المسيحيين أن يضعوا اسم المسيح على رأس رسائلهم، كما يضع المسلمون البسمة والصلاة على النبي⁽³⁾، واستنكر الفوضى التي تلاحظ في الكنائس المسيحية حيث يختلط الرجال بالنساء، ودعا في كتابه "بلانكرنا Blanquerna" بآلا يسمح مُستقبلاً بأن يختلط الرجال بالنساء في الكنائس، وكان المثل الذي يضره المسلمون في الصلاة موضع تقدير منه، " وإذا كان هؤلاء وأولئك غير مسيحيين، وعلى خطأ، وندين طريقتهم،

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull , Felix, or the book of wonders, p.849.

⁽²⁾ - أنظر: Loc.cit.

⁽³⁾ - جاء في النص القطلاني : " Blasmava l'amic los crestians com no meten lo nom de son amat, Jesucrist, primerament en llurs lletres, per ço que li faessen l'honor que els sarraïns fan a Mafumet, (...), al qual fan honor com lo nomenen primerament en llurs lletres.

ويقول لول فيه أن المسيحيين لم يعطوا الشرف لمحبوبهم المسيح في رسائلهم، مثل ذلك الشرف الذي أعطاه "السراسة" إلى محمد، وتكريمهم له في بداية رسائلهم. أنظر:

Ramon Llull , Llibre d'Amic i Amat , p.100.

يلاحظون هذا النظام البديع ويحرصون عليه، فما أعظم السبب الذي يوجب علينا كمسيحيين أن نأخذ به، وأن نحافظ عليه"(1).

يقول لول أيضاً في كتابه "بلانكرنا Blanquerna"، واتخذ من اسم البابا رمزاً لشخصه : "سأل البابا كاردينالا: هل رأى أي مسيحي يبكي خشوعاً في قُداسه؟ فأجابه : إنه لم ير أحداً يبكي، ولكنه رأى كثيرين ينامون. وقال البابا للكرادلة : يا للروعة، كيف يقل خشوع المسيحيين في قُداسهم، على حين أن المسلمين، وهم على خطأ، يبكون في صلاتهم خشوعاً، وقيمونها في ورع وتقوى. وفي الحال ردّ كاتبه في اللغة العربية، وكان عند الباب، فقال، إن المسلمين يدعون إلى التقوى، ويبشرون بأمجاد الجنة، ويخوفون من عذاب النار، ومن ثم يغشاهم الخشوع في صلواتهم، ويبكون من التقوى التي تفيض بها جوانحهم..."(2). ولهذا أصدر الحبر الأعظم أوامره بأن يتجول بعض الرجال الأتقياء، ومن تتسم حياتهم بالصلاح والتقوى والخشوع، كل يوم في شوارع المدينة، يعظون الناس، يخوفونهم عذاب جهنم، ويذكرونهم بالأمجاد السماوية، لتكون حاضرة أمامهم في كل الأوقات"(3).

في مقدمة كتابه "أسماء الله المائة"، يُعبر لول بوضوح عن رغبته في أن تمارس الكنائس يومياً إنشاد أسماء الله المائة، موقعة وذات نغم، على نحو ما يقرأ المسلمون القرآن جماعة في المساجد(4). ومن جانب آخر فمن المعروف أن أسماء الله المائة، من بين الأوراد التي يرددها المسلمون. نعم هناك نصوص تفوح منها رائحة احتقار المسلمين، والنصوص السابقة تتحدث عنهم في ود حنون، ولكنه لم يتحدث أبداً بمثل هذه الروح عن محمد الرسول، فقد كان يراه مسئولاً عن أرواح كثيرة بائسة، ولكن ذلك فيما يرى قضية شائكة جداً وخطيرة للغاية، أن يتحدث بسوء عن

Ramon Llull , Blaquerne , p.291.

¹ - أنظر:

Ibid. , p399.

² - أنظر:

Ibid. , p.400.

³ - أنظر:

Ramon Llull , Cent noms de Deus , en : O.R.L. , Vol.19 , Tom.I, 1936, pp.79-82.

⁴ - أنظر:

الرسول وهو يحاول أن يصد المسلمين عن دينهم، وجعل من ذلك هدفه الذي لا يغفل عنه طوال حياته⁽¹⁾.

التقى لول مع كثير من المسلمين، ليسوا من العامة، ولا من شخصيات الطبقة الدنيا، أو أصحاب العادات السيئة، وهم موجودون في كل الشعوب، وإنما كانوا من الصفوة، رجالاً فضلاء، أتقياء من زهاد المسلمين، وكان يطمح في أن يحول هؤلاء عن دينهم، ويرى "خوليان ريبيرا" أن لول لم تقع في خاطره أبداً الفكرة المكرورة، والبريئة في الوقت نفسه، والتي تفسر أصالة العقيدة الإسلامية بالبهجة المعنوية في قانونهم، وغيبة الكبت في شهواتهم، وغيرها⁽²⁾.

كان ذلك واضحاً كل الوضوح، وإلا كيف يتم التوفيق بين موقفه هذا، والاعتراف الصريح بأن أجمل وأفضل مؤلفاته، وتعتبر أروع ما كتب في التصوف الإسباني، وأصلب أساس يقوم عليه، كتبها تقليداً لما قام به الصوفية المسلمون؟ ولقد ردّد هو نفسه ذلك، أكثر من مرة في كتابه "بلانكيرنا" يقول : "ورسول آخر من الكاردينال، عبر إلى جانب من بلاد البربر (إفريقية)، ورأى هناك كثيرين من الوعاظ والفقهاء يعلمون المسلمين القرآن، ويحدثونهم عن مباهج الجنة، ويدعونهم بالحكمة والموعظة، وجميع الذين يستمعون إليهم تكاد أعينهم تفيض بالدموع خشوعاً، وقد أعجب الرسول الوافد كثيراً بالتقوى التي عليها هؤلاء الناس، وما تتضح به كلماتهم من خشوع وكل ما يدعون إليه خطأ كبير، وعرف أن القدوة الجيدة التي هم عليها، والحياة التقية المخلصة التي يعيشونها، ونفاذ الدعوة، وحضور الدفعة، مردّها أنهم في وعظهم يشيرون إلى حياة كثير من الناس ماتوا نقاة، ولهذا السبب نفسه كان هؤلاء الناس يكون خاشعين"⁽³⁾.

وفي كتابه "الصديق والمحبوب" يذكر أن الرجال الأتقياء ينشدون حباً في الله، وحباً في الله أداروا ظهورهم لمباهج الدنيا، ومضوا عبر العالم يعانون من الفقر ومن أشياء أخرى كثيرة⁽⁴⁾.

¹ - خوليان ريبيرا ، الأصول العربية لفلسفة رايوندو لوليو ، ص.153.

² - نفسه.

³ - أنظر:

⁴ - أنظر:

وحينئذ فكر في أن يذهب إلى دير بلانكيرنا ويرجوهم أن يؤلفوا كتاباً يدرس حياة الرهبنة، ومنه يتعلم الرهبان الآخرون، ومعه يعرفون كيف يتأملون، وكيف يصبحون خاشعين⁽¹⁾.

وفي بلانكيرنا عزم على أن يؤلف كتابه "الصديق والمحبوب"، وكلمة صديق عنده تعني أي مسيحي مؤمن وتقي، والمحبوب الله إلهاً، ثم يضيف: "وعلى حين كان يفكر في هذا، في بلانكيرنا، تذكر في إحدى المناسبات أنه كان باباً، وذكر له مسلم بأن رجال الدين عندهم موضع التقدير والإحترام من الجميع، وأنهم يسمون الصوفية أو المرابطين، وتعودوا أن يكون كلامهم مزيجاً من أمثلة تحض على الحب ومن الحكم القصيرة التي تؤثر في الناس التقاة الخاشعين، والذين يحتاجون إلى الشرح، ومع الشرح يبلغ الفهم عندهم أعلى درجات التأمل، وبارتفاعه تقوى الإرادة، ويتضاعف الخشوع، وبعد أن أخذ كل هذا في الاعتبار قرر أن يؤلف كتابه طبقاً لهذا المنهج"⁽²⁾.

2- إشكالية معرفة الآخر والتحاور معه.

دفع التأثير الإسلامي الواضح لول إلى محاولة تأسيس ذات مسيحية تتميز بهوية متحررة من أي تأثير، ونقد ذلك التأثير المتمثل في الذات الإسلامية⁽³⁾، للتحضير المسبق قبل أي جدال ديني محتمل. وفي سعيه الدؤوب ذلك استعان بمجموعة مختلفة ومتعددة من المصادر التي اطلع بواسطتها على الإسلام ومعتقداته. ويرى الباحث "محمد عبد الواحد العسري" في دراسته عن الاستشراق الإسباني، أن اطلاعه هذا قد اتسم بكثير من القصور والمبالغة، رغم ادعاءاته المتكررة بنقيض ذلك⁽⁴⁾. فمختلف كتبه التي تركها في دراسته لهذا الدين، وفي التعبير عن مجادلاته

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull , Blaquerne , p.390.

Id. , p.420.

⁽²⁾ - أنظر: العسري (محمد عبد الواحد) ، الإسلام في تصورات الإستشراق الإسباني من ريموندس لولوس إلى آسين بلاثيوس ، دار المدى الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 2015 ، ص.124.

⁽³⁾ - أنظر: -4) وذلك باعتراف دارسيه من النصارى المحدثين ومنهم القس غارسياس بالو. أنظر: Garcias Palou. S, op.cit, pp.386-409. وقد كان رامون لول يصف نفسه ويقدمها لمنتظري كتبه من النصارى والمسلمين، بكونه نصرانياً خبيراً في العربية والإسلام. وورد ذلك في نصوص من كتائبه "الغاية" و "مجادلة رامون المسيحي وعمار السراسيني". أنظر "De hoc sunt experti aliqui arabeci sarraceni christiani... ». Ramon Llull, Liber de fine et maiortate, cap.II contra sarracenos ; Palmas Maioricarum, 1960, pp.17-18 ; « ... Homo christianus, cujus nomen est Raumundus... », Ramon Llull, Disputatio Raymundi christiani et Hamar sarraceni, ed. Salzinger, Moguntiae, 1729,p.1.

لأصحابه ولتفكيرهم الفلسفي والكلامي، تعكس بما لا يقبل الشك، ذاك القصور وتلك المبالغة. ويمكن أن نجمل مصادره المعنية في اطلاعه النسبي والجزئي على القرآن والحديث، وعلى بعض الشذرات من فتوحات ابن عربي ومن نصوص رشدية⁽¹⁾.

والظاهر الذي لا يقبل الشك أيضاً، هو أنه قد اعتمد في معرفته للإسلام على ما أخذه من أسيره المسلم، وعلى ما جمعه من روايات وحكايات شفوية وشعبية من المسلمين الذين بقوا بميوزقة -مسقط رأسه- بعد سيطرة خايمي الأول عليها، ومن المسلمين الذين جادلهم بتونس وبجاية، ومن فقرات من رسالة عبد المسيح الكندي⁽²⁾.

يتجلى من خلال النصوص، أن لول قد اعتمد هذه الرسالة أكثر مما اعتمد غيرها من المصادر لتكوين تصوره للإسلام. فوصفه لهذا الدين ولرسوله الكريم وللقرآن بوصفه أهم مُعجزة من مُعجزاته، لا يختلف عما سبق أن بلوره هذا المصدر الأساس من مصادر الاستشراق وعلاقته بالنصرانية. فلقد أضحى الإسلام على يده مُجرد دعوة لفقهها رسوله مما علمه إياه ميكولاو Micolau الراهب النصراني الكذاب والمتكبر⁽³⁾. وصار الرسول على يده مجرد شخص عاش

⁽¹⁾ - فيما يتعلق بالقرآن الكريم، فإن رامون لول لم يختلف عن بطرس الموقر، إذ لم يتحرى الدقة على هذه الترجمة، ونفس الأمر بالنسبة للحديث الشريف، إضافة إلى أن معرفته بآبىن رشد اقتضت على مجادلته للرشدية اللاتينية وليس حول المنتج الكلامي والفلسفي الأصيلين للفيلسوف القرطبي رغم أنه عاش في الأندلس. أما فيما يرجع إلى ابن عربي، فلقد أخذ منه نصوصاً كاملة ضمنها حسب "أسين بلاثيوس" و"غرسباس بلاو"، كتابيه: كتاب الأدلة Libre de demostracions وكتاب، أسماء الله المائة

Garcias Palou. S, op.cit, 365-367. Libre.de cent Noms de Dieu

Asin Palacios, Ibn Masarra y su escuela. Orígenes de la filosofía hispano-musulmana, Obras escogidas, Madrid, 1946, T,I, 209-210.

⁽²⁾ - يذكر رامون لول في كتابه المعنون: كتاب الغاية Libre de fine بأنه قد قرأ هذه الرسالة.

« Unum librum ; qui vocatur Al chindi, ... »

Livre de fine, et maioritate ; Cap. De praedicatione ; Palmae de Maioricarum ; 1960, 102.

يقول الباحث "محمد عبد الواحد العسري" أنه يمكن أن نؤكد بأنه لم يطلع على مجموع هذه الرسالة، أو لربما أنه قد اكتفى بانتقاء ما يناسبه منها. وفي هذا المضمار، قدم معلومات غير صحيحة عن ظهور الإسلام وتاريخه، سبق أن عرضها عبد المسيح الكندي. أما الرسالة في حد ذاتها فهي الكتاب الذي جادل به عبد المسيح الكندي (من نصارى القرن الثالث الهجري ببلاط المأمون ببغداد) صديقه المسلم عبد الله الهاشمي. وعن صحة نسبتها إلى صاحبها، ومختلف الإشكالات الفيلولوجية التي تطرحها، وعن وصولها إلى الأندلس وترجماتها إلى اللاتينية، وكذلك عن مساهمتها في تدشين تكوينات تصورات النصرانية الرومية الكاثوليكية للإسلام والمسلمين إلخ، أنظر: العسري. محمد عبد الواحد، "رسالة عبد المسيح الكندي إلى عبد الله الهاشمي، الغيرية الدينية في مجادلة النصرانية للإسلام"، الصورة مجلة النقد الأدبي والبحث الفلسفي، السنة 3، العدد 3، شتاء، 2001، ص ص. 6-20.

⁽³⁾ - لقد اختصر رامون لول في هذه العبارات نفس القصة التي وضعها عبد المسيح الكندي عن لقاء محمد بالراهب المتهرطق والمحروم، مع تغيير طفيف طال اسم ذات الراهب، فتحول من "سرجيوس" إلى "ميكولاو". وفي كل هذا وذاك، نلاحظ كيف يجثات كلاهما -يول والكندي- جزءاً من سيرته عليه الصلاة والسلام، (لقاءه الفعلي في طريقه التجاري إلى الشام بالراهب بحيرا) ويحورانه بشكل يسمح بنفي نبوته، واختزال دعوته في نصرانية متهرطقة. وهذا نصه :

Mafumet era mercader e avana ab mercaderia en jerusalem: e. En la carrera prés de jerusalem estava un fals crestia qui avia nom Micolau, e era resclús [...] e aquí adoctrinà Mafumet"

أنظر: Ramon Lull, Doctrina Pueril, Cap. De Mafumet, Ed. M. Obrador y Bennásar. I, Palma de Mallorca, 1906, p.125.

مذنباً بين الوثنيين من قومه قبل أن يخبرهم بأنه يوحى إليه ويتحول بذلك بينهم إلى نبي يدعي رسالة سماوية، ولقد اهتم رامون لول في هذا المضممار بسيرة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، أو بالأحرى اهتم باجتثاث أجزاء من سيرته وتحويرها وتوجيهها إلى خدمة أطروحاته التي صادر عليها في هذا الشأن. كما اهتم كذلك لتعزيد ذات الأطروحة، باختلاق جملة من الأكاذيب والأفعال ونسبتها إلى الرسول الكريم. ففي معرض الاجتثاث والتحوير استثمر الحياة الجنسية لهذا الرسول لكي يجعل منه مجرد فاسق وشبقي كثير النساء والخيلات⁽¹⁾. وفي معرض اختلاقه للأكاذيب، ادعى بأنه (صلى الله عليه وسلم) قد ارتكب كثيراً من الأفعال المشينة وكثيراً من المحرمات، مما لا يسمح له بأن يكون نبياً حقيقياً⁽²⁾.

بخصوص القرآن الكريم، فهو كتاب يرجع عند رامون لول إلى مصدرين مختلفين ومتكاملين، باختلاف ما فيه من تعاليم وأحكام. فما وافق منها العهد القديم والجديد، فإنه يرجع إلى ما علمه الراهب الكذاب المذكور لصاحبه الذي أتى به، وما لم يوافق ذلك، فإنه يؤول بالضرورة إلى ما أوحاه الشيطان إلى هذا الأخير، من تعاليم الفحش والبذاءة والفسق والتهالك على الملذات الحسية⁽³⁾. وتبعاً لذلك، فلا يمكن لهذا الكتاب أن يشكل معجزة إلهية، ولا يمكنه أن يستعصي على التقليد أو التجاوز، خلافاً لما يدعيه المسلمون⁽⁴⁾.

عندما أرجع رامون لول الإسلام إلى تعليم ميكولاو وإلى وسوسات الشيطان، فإنه كان يهدف إلى إنجاز أطروحة أخرى في هذا الدين. فيكفي في نظره إصلاح النصرانية الثاوية فيه من خلال

⁽¹⁾ - « Fo homme [Mafumet] molt luxuriós e hac. Viij. Mullers, e hac paria abmoltes fembres » أنظر: Ramon Lull ,Doctrina Pueril, p.125.

⁽²⁾ - لقد استثمر كذلك رامون لول فتح الرسول لمكة، وجهاده ودفاعه عن الإسلام، ودعوته لهذا الدين بين قومه من الوثنيين، ليحور بطريقته المذكورة كل ذلك، ولينسل منها أكاذيبه العديدة في هذا الشأن، بحيث ذكر —على سبيل المثال لا الحصر— بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أخذ مكة بالقوة وبأنه لم يتورع عن قتل مخالفه. «Pres Meca de forsa, e tot hom qui no faes, sarayn, avia a morir», Ramon Lull ,Doctrina Pueril, 126.

⁽³⁾ - أنظر: « Dicatamen Alcorani [...] quia est rebus vitiosis, obscenis, furtivis et luxuriosis [...] a diabolis est processum », Ramon Lull, liber de acquisitione Terrae Sanctae, Ed. Kamar, 1961, p.119.

⁽⁴⁾ - لذلك ظن رامون لول بأنه يمكنه بعون الله أن يأتي بأحسن منه. « Yo, Ramon Luyl indigne, me vuyt esforsar, ab ajuda de deu, fer aquest libre, en qui ha meyllor materia que en l'Alcorá », libre qui és de cent noms de déu. Galmés, Palma de Mallorca, 1936, 79.

التعليم المذكور، وتطهيره مما علق به من أعمال وتعاليم شيطانية، لكي يقترب من النصرانية الحقيقية وينصهر فيها إلى الأبد، فينتصر المسلمون، وتنتصر معهم بقية الأمم الأخرى⁽¹⁾. ولإعداد هذه الأطروحة في العقل، ودغدغة الحلم بإمكانية تحقيقها في الوجود، انطلق من مسلمتين اثنتين. أولاهما: أن أغلب المسلمين الذين استطاعوا رفع مستوى إدراكهم ومعرفتهم، لا يصدقون بأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) يمكن أن يكون نبياً⁽²⁾. وثانيتهما: أن المسلمين يعتقدون في نبوة المسيح لله، رغم عدم اعتقادهم بألوهيته⁽³⁾. ولسنا معنيين في هذا الصدد بالاستدلال على تهافت هاتين المسلمتين وعدم صحتهما ومطابقتها للإسلام والمسلمين، فتلك أمور معروفة في تاريخ الأديان والأديان المقارنة، بوصفها من أهم ما يشكل الخلاف السرمدي بين الإسلام والنصرانية؛ بل معنيين بتفسير اعتماد الرجل لهما وانطلاقه منهما، للتقريب بين هذين الدينين، ونفي أولهما بصهره داخل ثانيتهما. فهل يعود هذا الأمر إلى جهل رامون لول لبعض المعتقدات الأساسية للإسلام؟ أم أن حلمه الموهوس بتتصير المسلمين جعله يخدع نفسه ويكذب عليها لأنه اشتهى أن يكون الأمر كذلك، ثم ما لبث أن صدق أنه بالفعل كذلك⁽⁴⁾.

مما لا شك فيه أنه قد كان لهذا الحلم الذي ملك على رامون لول وسيطر عليه، أثر بالغ في بلورة تلك المسلمتين اللتين لا تمتان بأي صلة إلى الإسلام والمسلمين. والواقع أنه أراد بتشغيلهما تحقيق هدفين متكاملين. أولهما: توضيح النصرانية للمسلمين لكي يتيقنوا بقوة الحجة وبالأستدلال، بصحة هذا الدين، وبفساد معتقدتهم من حيث كونه مجرد انحراف عن النصرانية بوصفها أصلاً ما فتئ ثاوباً فيه. وثانيتهما: تصحيح الذات النصرانية وترميمها وتوحيد معتقداتها لمواجهة غيريتها

⁽¹⁾ - لقد راهن لول على تنصير المسلمين من أجل تيسير السبل لكتلة العالم كله، فلم يكن يرى من عائق في وجه تحقيق هذا الهدف، غير عناد المسلمين وإصرارهم على دينهم. أنظر: سودرن (ريتشارد)، صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، مرجع سابق، ص. 157. وأنظر أيضاً:

Peers. E. A, Ramon Lull. A biography, p.75 .

⁽²⁾ - أنظر:

« Que mayorment aquells sarrayns que saben molt e han soptil engín e qui han elevat enteniment, no creen que Mafumet sia profeta », Ramon Lull , Doctrina, p.127.

⁽³⁾ - أنظر:

« Sarraceni credunt quod Dominus noster Iesus sit Filius Dei », Ramon Lull , Liber de Fine, p.14.

⁽⁴⁾ - كانت "القابلية على خداع النفس" في هذا المضمار، بلا نهاية عند لول ومن نحى نحوه من النصارى، كما ذهب إلى ذلك عن حق نورمان دانيال. أنظر:

Daniel. N, Islam and West , p.258.

الإسلامية والاستحواذ عليها واستعابها داخلها. وتبعاً لذلك، لم يكل رامون لول عن الاستناد على المسلمتين المذكورتين لتحقيق هذين الهدفين في أغلب كتبه التي جادل فيها المسلمين، أو عبر من خلالها عن مجادلاته لهم، ليدافع عن أطروحاته التي تدور حول إمكانية تقريب الإسلام من النصرانية، ويُسرّ تصوير المسلمين، ففي كتبه: كتاب عقيدة الطفل، وكتاب الحكماء الخمسة، وكتاب الغاية، وكتاب استرداد الأرض المقدسة⁽¹⁾، راهن على المسلمين الذين تصور بأنهم لا يؤمنون بنبوة نبيهم لكي يدفعوا بهذا الأمر إلى نهايته، فينقلبون عن الإسلام إلى النصرانية؛ وذلك باستثماره لمختلف الأكاذيب والافتراءات التي بلورها في حق النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

في نفس هذه الكتب، بالإضافة إلى كتاب: التأمل في الله⁽²⁾، راهن من جهة ثانية على المسلمين الذين تصور كذلك بأنهم يؤمنون بنبوة عيسى الله، لكي يتمموا إيمانهم هذا بالاعتقاد في الحلول والتثليث النصرانيين. فرغم إيمانهم بأن المسيح ابن الله، فإنهم لا يستسيغون الاعتقاد في التثليث والحلول، ظناً منهم -عن جهل- بأن في ذلك ضروباً من الوثنية والشرك⁽³⁾. ويرجع ذلك إلى سببين رئيسيين. أولهما: طبيعة المعتقد الإسلامي في حد ذاته بوصفه معتقداً حسياً، لم يرق كما في المعتقد النصراني إلى تمثّل الله تمثلاً روحياً. وثانيهما: انقسام النصرانية فيما يتعلق بمصدر الروح القدس وعلاقتها بالتثليث والحلول⁽⁴⁾.

أعطى رامون لول للسبب الأخير أهمية خاصة في بعض كتبه الجدالية. والواقع أنه لم يهدف بتلك المعالجة التغلب على الانقسامات المذكورة، لكي يتبين المسلمون طريقهم إلى النصرانية، بل أراد بها كذلك كتلة أنواع النصرانية وتوحيد ضروبها المختلفة، لتأسيس ذاتها

⁽¹⁾ - أنظر:

Ramon Lull , Doctrina pueril , p.127 ; Idem. , Liber de fine et maiortate; cap.II, p.14 ; Idem. , Liber de acquisitione Terrae Sanctae, p.118.

⁽²⁾ - أنظر:

Ramon Lull , Liber de contemplacio en Deu, De Trinitat, Obres essencials, II, 127.

⁽³⁾ - أنظر:

Sarraceni credunt quod Domini noster Iesus Christus sit Filius Dei ». Lull , Liber de Fine, p.14. »
Los Hómens qui han paor e dubte en adorar e creure vós en Trinitat, si es per ço com han paor qui »
si en vós creien en Trinitat, que creguesen en tres déus », Liber de contemplació en Deu, p.127.

⁽⁴⁾ - العسري (محمد عبد الواحد) ، الإسلام في تصورات الإستشراق الإسباني ، ص.129.

وتقويمها وترويضها على مواجهة غيريتها الإسلامية.

عندما قدم لول وصفا في كتاب الحكماء الخمسة لمتكلم مسلم قاده تفكيره الفلسفي إلى جدد معتقده الأصلي، وصعب عليه الاطمئنان إلى النصرانية لأن حقيقتها لم تكن لتتوصل له من جراء الاختلاف الذي لمس في مناقشاته مع متكلميها المختلفين حولها⁽¹⁾، فإنه كان يتخذ من الإسلام ومن حلمه في تنصير المسلمين، تعلقة لرفع الاختلاف المذكور، والوصول إلى الهدف المنشود، من غير تضحية بطبيعة الحال بهذا الحلم. فتتصير المسلمين إذ يساهم في تأسيس الذات النصرانية وتوحيدها، فإنه يؤدي كذلك إلى تحصينها والمحافظة عليها. لذلك لم يكل رامون لول عن تنبيه هذه الذات إلى المخاطر التي تحف بها من جراء انقلاب كثير من النصارى إلى الإسلام، نتيجة مراهنه المسلمين على ذلك؛ بتأليفهم للكتب التي تقوض النصرانية في أعين أصحابها، وبحسن استقبال الوافدين منها عليهم، وتكريمهم ووعدهم إياهم بكثير من الثروات المادية والملاذات الحسية⁽²⁾.

3- اعتراف لول بالإسلام ظاهرياً لاستدراج المسلمين إلى الحوار.

من بين الأمور المثيرة في بعض من مؤلفات لول، وصفه للمسلمين بأنهم أصحاب رسالة سماوية، وقد شذّ عن كثير من مُعاصريه وممن سبقوه في هذه الناحية، فلم يصفهم في أحد كتبه بالوثنيين، وهذا الكتاب هو المعنون بالوثني والحكماء الثلاثة وقد ألفه لول باللغة العربية، يبين فيه

⁽¹⁾ - وهم على التوالي: متكلم كاثوليكي وآخر أرثوذكسي وثالث نسطوري ورابع يعقوبي. أنظر:

Ramon Llull , Liber de quique sapientibus, pp.2-3.

لقد دافع رامون لول عن نفس هذه الأطروحة عندما ذهب في كتابه: كتاب الروح القدس، إلى أنه على الرغم من انسلاخ أحد علماء المسلمين عن دينه وعزمه على اعتناق النصرانية، فلقد بقي متردداً في تحقيق ذلك نتيجة حضوره إلى جلسة جدالية جمعت بين كاثوليكي وأرثوذكسي مختلفين حول مصدر الروح القدس. أنظر:

Ramon Llull , Liber de Sancto Spiritu, Ed. Salzinger, 1722, 1.

وتجدر الإشارة في هذا المضمّن إلى أن رامون لول كان يرى بأن اختلاف النصرانية الشرقية بضروبها المتعددة عن النصرانية الكاثوليكية، يشكل كذلك عائقاً بالنسبة للنصارى في حروبهم الصليبية ضد الإسلام في الشرق. أنظر: سودرن (ريتشارد)، صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، مرجع سابق، ص.116.

⁽²⁾ - أنظر: Ramon Lull , Disputatio Raimundi christiani et Hamar sarraceni, Ed.Salzinger, 1729, 12.

الذي جاء فيه: « Promisisti mihi uxorem et multa alia terrena, si acciperem Legem, Mahometi » والواقع أن رامون لول قد وقف منزعاً أمام كثرة المنقّلين عن النصرانية إلى الإسلام، وقلة المغادرين للإسلام إلى النصرانية (نسبة الفرق هي واحد من عشرة باعترافه). وإذا فسر هذه الظاهرة بردها إلى الإمكانيات الجدالية الإسلامية المتفوقة، وإلى ما في الإسلام -على حد زعمه- من نزعات مادية وحسية وشهوانية، فلقد استثمر هذا الأمر لتوجيه النقد إلى الذات النصرانية، لكي تحضر نفسها لمجادلة المسلمين والرد عليهم، ونصرة المنقّلين منهم عن دينهم إلى معتقداتها. أنظر: العسري (محمد عبد الواحد)، الإسلام في تصورات الإستشراق الإسباني، ص.130.

كيف أن الحكماء الثلاثة أي اليهودي والمسيحي والمسلم أنقذوا الوثني (ويعني به الكافر) من يأسه في الحياة، إذ حملوا له رسالة السماء وهي أن الإنسان ليس وحيداً وأن للعالم معنى جميلاً، ويذكر رامون أحاديث الحكماء الثلاثة الذين يريد كل منهم أن يبين سموّ قانونه. وبعد أن أقنعوا الوثني وأعادوا له فرح الحياة ومعناها، ذهلوا من نبل صلاته وحرارتها، كما شعروا أنهم آثمون ووعوا وحدة إيمانهم العميق وخطيئة إنقسامهم، وانتهوا إلى أن النتيجة المشتركة التي تكون الإرث الثمين لهذا الإتحاد الوثيق في الأندلس في تلك الأيام بين هذه الثقافات الثلاث: وهذه النتيجة هي أن الحرب والعذاب وروح الإيذاء تفرض على الناس الاختلاف وتمنعهم من الاتفاق على إعتقاد واحد⁽¹⁾.

من النقاط المثيرة في هذا الكتاب يذكر لول إعراض كل واحد منهم عن إستمالة الوثني لدينه بعد أن أخذ يسألهم إلى أي دين يجب أن ينتمي. ويقول رامون لول كخلاصة لكتابه على لسان أحد الحكماء الثلاثة دون ذكر عقيدته ليزيد انطباع التوحد والاتفاق : " بما أنه ليس لنا سوى إله واحد، وخالق واحد ورب واحد فليس عندنا إلا إيمان واحد وناموس واحد وطريقة واحدة في محبة الله وإكرامه، فنحب بعضنا البعض ويعين بعضنا البعض، ولا نفرقنا خلاقات في الإيمان وفي الأعراف، إذ أنه بسبب هذه الاختلافات يصنع بعضنا العراقل للبعض الآخر، ويحارب بعضنا البعض الآخر ويقتل بعضنا بعضاً. والحال أن هذه الحرب وهذا الموت وهذه العبودية أمور تمنعنا من أن نحمد الله ونجله ونكرمه على نحو ما ينبغي أن نصنعه كل أيام حياتنا"⁽²⁾.

يعرض الكتاب كيف أن العارف المسلم يُوضح أسرار إيمانه ويثبت للوثني براهين دينه. وفي سياق كلامه يأتيه وقت الصلاة ويقوم بالوضوء الإسلامي الذي يصفه لول وصفا دقيقا، وأن وضوءه دلالة على تطهير القلب من الخطيئة الموروثة، ثم يقوم المسلم ليقرأ سورة الفاتحة التي حفظها لول⁽³⁾. ويذكر أيضا أنه بعد أن صلى قبل الأرض، والحقيقة أن الإسلام يرفض ما يسمى بالخطيئة الموروثة، فالمسؤولية فردية، والخطيئة لاتورث، كما أن الإسلام لا يعرف تقبيل الأرض،

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull , The Book of the Gentile and the three wise men , p.303.

⁽²⁾ - أنظر: Ibid. , pp.301-302.

⁽³⁾ - أنظر: Ibid. , p.258.

فكل ذلك ليس له وجود في الإسلام اللهم إلا في مخيلة لول. وتكلم لول عن محبة المسلمين لعيسى ولمريم البتول. وإن لم يغض النظر عن الفرق بين عقيدتهم والعقيدة المسيحية. وقال: "إن السراسين (المسلمون) يحبون سيدتنا مريم من ناحية ولا يحبونها من ناحية أخرى. أما الناحية التي يحبونها عليها فهي أنهم يعتقدون أنها كانت بتولا قبل ولادة عيسى وبعدها وأنها حملت بكلمة الله وأن ولدها كان نبيا، ويقولون إنها كانت امرأة طاهرة ومعصومة. أما الناحية التي لا يحبون سيدتنا مريم عليها فهي أنهم ينكرون أن الولد الإلهي حلّ فيها وصار إنساناً وإلهاً معاً لفداء العالم..."⁽¹⁾، وكان لول قد اعترف أن المسلمين أنكروا وفاة عيسى على الصليب لاحترامهم لطبيعته الإنسانية⁽²⁾.

يُعتبر "كتاب الوثني والحكماء الثلاثة" من المؤلفات الأولى للول، والذي يجري فيه تصوير الجدل الديني تصويراً مهذباً. فمعتقدات الديانات التوحيدية الكبرى الثلاث يجري عرضها على وثني، يعزف في النهاية عن إعلان أيها يختار قبولها بوصفها الأصدق. وقد قام لول فيما بعد بتعديل هذه النهاية المفتوحة العجيبة⁽³⁾، وزعم أن المسيحي نجح في إثبات صدق ديانته⁽⁴⁾. وكان كتاب "الوثني والحكماء الثلاثة" يوتوبيا لول عن "الفعل التواصلي"، وهي يوتوبيا ما كان لول نفسه ليسمح بها. إلا أنه حتى في هذه اليوتوبيا، تحدث لول عن "وسخ" في الجنة الإسلامية. فقد أشار، بأسلوب تصويري تماماً، إلى أنه "من إنسان يأكل ويشرب ويضاجع النساء لا بد أن يأتي الوسخ والفساد، وهو وسخ من القبح بحيث تتعذر رؤيته ولمسه وشمه والحديث عنه"⁽⁵⁾.

وفيما يصفه بعض من الدارسين على أنه انفتاح لول على الديانات السماوية الأخرى، عبّر لول في هذا الكتاب ذي الطابع القصصي أو الأدبي الروائي الحرج والمنخرط أو الملتزم عن

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull , The Book of the Gentile and the three wise men , p.218.

⁽²⁾ - أنظر: Ibid. , p.192.

⁽³⁾ - يعلق "أنتوني بونر" على هذه النهاية بأنها الأكثر إدهاشاً في قطعة من أدب الحوار والجدال الديني في العصور الوسطى. أنظر: Bonner , Introduction to the Book of the Gentile and the three wise men , p.98.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ramon Llull , Felix, or the book of wonders , p.942.

⁽⁵⁾ - أنظر: Ramon Llull , The Book of the Gentile and the three wise men , IV , p.291.

رفضه الخاص للحدود "الدينية" التي كانت تفصل المجتمعات الإسلامية عن المجتمعات المسيحية في عصره بشكل قاطع مانع. على الرغم من أن تلك المجتمعات التي كانت تعيش في العصور الوسطى كانت قادرة على أن تنتج أعمالاً إبداعية كذلك الرواية الفلسفية لابن طفيل "حي بن يقظان". والواقع أن كتاب لول "الوثني والحكماء الثلاثة" ما هي إلا استمرارية لقصة ابن الطفيل أو أنها تؤكد لها وتوسع من مداها ومعناها⁽¹⁾.

إن كتاب "الوثني والحكماء الثلاثة"، يتميز عن باقي مؤلفات لول بأنه حظي دائماً بإعجاب الجمهور العريض. وكيف استطاع كتاب قروسطي مكرّس للمقارنة بين الأديان أن يخرج من جو المجابهة كي يتموضع في فكر مقارنة هادئة ومحترمة للآخر⁽²⁾. فالوثني المذكور في الكتاب يتسلط عليه هاجس الموت والعدم. ويلتقي بثلاث حكماء، يمثلون الأديان التوحيدية الثلاثة الكبرى، فيعرض كل واحد منهم "ناموسه"، حسب الترتيب التاريخي لظهور هذه الأديان. ويتولى كل منهم الردّ على الاعتراضات التي يمكن أن يعبر عنها عقل ساذج كعقل ذلك الوثني. وفي النهاية يقتنع، بيد أن الحكماء لا يتركونه يحدد في حضورهم الناموس الذي اختاره، لأن كل واحد منهم مقتنع بأن هذا الناموس ناموسه. وهكذا يتركونه أمام ضميره، لأن هدفهم كان فقط أن يعرضوا له أسبابهم الموجبة للإيمان⁽³⁾.

لكن أعمال لول لا تقتصر على هذا الكتاب، وهي في جلها بالغة التعقيد، وقد يظهر منها هنا وهناك روح الحرب الصليبية، وعلى كل حال، تبقى كل كتاباته الأخرى توافقة إلى الإقناع بتفوق المسيحية. ففي "كتاب الوثني القطلوني" نلاحظ أن حسّ المنافسة الدينية حاضر بوضوح، لأن الكاتب -وكان قد عاش طويلاً مع "الكفار" وسمع "آراءهم المغلوطة وأخطاءهم"- يدّعي أنه "يبحث عن طريقة جديدة وعن أسباب جديدة يستطيع بها الضالون العودة إلى الصراط المستقيم،

⁽¹⁾ - أركون (محمد) ، نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ، ترجمة وتقديم : هاشم صالح ، دار الساقي ، لندن ، 2011 ، ص.244.

⁽²⁾ - أورفوا (دومينيك) ، المفكرون الأحرار في الإسلام ، ترجمة : جمال شحيد ، دار الساقي ، بيروت ، 2008 ، ص.209.

⁽³⁾ - أنظر: Bonner , Introduction to the Book of the Gentile , p.98.

بغية الوصول إلى المجد الذي لا ينتهي"⁽¹⁾. هذه العبارة تستحق التحليل، فاستعمال لول لكلمة "يبحث" يظهر أن الكتاب حقل للتجريب: ففي كل ما يتعلق بالمنافحة التقليدية عن الدين يجب تغيير الطريقة ومحاولة التوصل إلى نهج جديد لا تفرض فيه على القارئ فرضاً النتيجة التي عليه استخلاصها، ولكنه يقاد إلى التوصل إليها بنفسه باستعماله النهج ذاته⁽²⁾.

و"الأسباب الجديدة" التي يسوقها النص تتمثل بـ"أشجار"، وهذه طريقة منهجية يستغرق عرضها الفصل الأول بكامله قبل الخوض في شرح كل دين على حدة. ولكن ذكر "الآراء المغلوطة والأخطاء" يثبت أن لول لم يكن في أية لحظة من اللحظات مفتوناً بالمذهب النسبي. لذا نراه، بعد هذا النص بخاصة، يعود إلى نهج إثباتي صريح، وإن بقي ملتزماً بالعرض الأمين لباقي المعتقدات في كتب أخرى مثل "كتاب الحكماء الخمسة" (1295م). وهذا الالتزام حاضر حتى في النصوص التلخيصية والتكرارية التي تبقى تتردد فيها أصداء لمواقف محاوريه، ولا سيما المسلمين منهم⁽³⁾.

من الأمور المثيرة أيضاً الهدوء الذي يعرض به لول الإسلام في كتابه هذا، خاصة أن النص المكتوب باللغة القطلانية أعقب مباشرة، أو حتى عاصر، كتاب "عقيدة الطفل Doctrina pueril" الذي عُرض فيه هذا الدين بمزيد من السلبية⁽⁴⁾. ولهذا، ولكي نحدد بدقة توجه النص القطلاني، وهو الوحيد الذي حفظه التاريخ لنا، علينا أن نرجع إلى مقطع آخر من المقدمة التي يقول فيها إنه نهج "حسب طريقة كتاب الوثني العربي"⁽⁵⁾. وقد مال الباحثون بعامة إلى الاعتقاد بأن المقصود به كتاب بالعربية كتبه لول بنفسه أولاً، ومما عزز اعتقادهم هذا أنه، في نص لاحق، ينصح الرهبان المبشرين ألا يتعلموا اللغة العربية فحسب، بل أن يقرؤوا كتباً كتبت باللغة العربية،

⁽¹⁾ - أنظر: Bonner , Introduction to the Book of the Gentile , p.99.

⁽²⁾ - أورفوا (دومينيك) ، مرجع سابق ، ص.209.

⁽³⁾ - أنظر:

Dominique Urvoy , Penser L'Islam : Les Présupposés Islamiques de l'Art de Lull , Librairie Philosophic J. Vrin , Paris , 1980 , pp.406-415.

Ramon Llull , Doctrina pueril , Barcelona , pp.175-179.

⁽⁴⁾ - أنظر:

Bonner , Introduction to the Book of the Gentile , p.99.

⁽⁵⁾ - أنظر:

ويوصي بقراءة كتابين انتشرا في أوساط نصارى الأندلس المستعربين، ويضيف إليها كتابه "كتاب الوثني" دون أي تعليق آخر⁽¹⁾. هناك فرضيتان حول هذا الكتاب المفقود، تقول الأولى إنه كتاب إثباتي كتبه لول نفسه واستنتج فيه أن الله اختار الناموس المسيحي، وهذا خلافا للنص القطلاني الذي ترك المسألة مُعلقة. وتقول الثانية: بما أن لول يدعي أنه وجد في النص العربي تأكيدات بخصوص الثالث "أنارت عقله"، وبما أن هذه الإنارة لا يمكن أن تأتي من ذاته، فهذا يعني أن الكتاب صدر عن كاتب آخر⁽²⁾.

ويأتي الحل من أن الكتاب الذي نحن بصددده ليس "مُغلَقاً"، ولكنه، على العكس، يُشكل نقطة انطلاق تدفع بالقارئ إلى التفكير بهدف الاختيار. ورغم الإخراج المختلف للنصين العربي والقطلاني، فإنهما يشتركان في وحدة المنهج من جانبين اثنين: دعوة القارئ إلى أن يطبق الطريقة ويلتزم بالعرض الهادئ كي تتوفر لهذا القارئ بحرية، المادة التي يجب أن يُطبق عليها هذه الطريقة⁽³⁾. وبالتالي، ليس من الضروري الافتراض أن "كتاب الوثني" بنسخته العربية غريب عن لول -وهو كتاب لا نملك أصلاً أي أثر له- في حين أننا نستطيع أن نحدد موقع النصين السجاليين اللذين يستشهد بهما. فالنصان كلاهما، العربي والقطلاني، يتميزان بميزة خاصة تتمثل بطابعهما التعليمي، على حين أن كتبه الأخرى هي كتب سجالية وإثباتية بجلاء. وبديهي أنه من السذاجة بمكان أن نطالب كتاباً شديداً الجدة في مقاصده أن يفى بالغرض تماماً. فالمعلومات فيه ليست مؤكدة دائماً، وهكذا يعزو لول إلى اليهودية نفسها ما يقوله الإنجيل عن المعارضة بين الصدوقيين والفريسيين بخصوص يوم البعث⁽⁴⁾. ثم إن الاعتراضات تشي بأن أصلها مستمد من أدب سجالي لا يتمتع دائماً بمستوى عال ومثال ذلك في الكتاب عندما يعترض الوثني على الفردوس الإسلامي بالخوف من تكاثر الأقدار في فردوس حسي⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ - أنظر: Raymundi Lulli , Libellus de fine , 1665 , p.102.

⁽²⁾ - أورفوا (دومينيك) ، مرجع سابق ، ص.210.

⁽³⁾ - نفسه ، ص.211.

⁽⁴⁾ - أنظر : Ramon Llull , The Book of the Gentile and the three wise men , IV , p.176.

⁽⁵⁾ - أنظر: Ibid. , p.291.

لكن الشيء الأهم هو أنّ توجّهاً إيديولوجياً مُعيّناً يرتسم في تضاعيف النص، رغم كل شيء. فعندما يُقدم الفصل الأول "الأشجار" التي على أساسها سيتم لاحقاً عرض الديانات الثلاث، فإنه يقيم صلة وصل، نوعاً ما، بين الفكر الشرقي والفكر الغربي. فمن جهة، يمنتظم الفصل في خط القديس أنسلم ويتموضع في منتصف الطريق بين صيغتي الدليل الوجودي: الموقف التجريبي الذي يشتق وجود الله من الفكرة القائلة بأن الإنسان لا بدّ أن "يؤمن بشيء لا يمكن تصور شيء أعظم منه"، والدليل القبلي النابع من فكرة الوجود الضروري لكائن أسمى. ومن جهة أخرى، يدخل الفصل في معارضة مع فكر الموحدين، ويتموضع هنا أيضاً في منتصف الطريق بين استدلال ابن تومرت حول وجود الله انطلاقاً من الوجود المطلق وبين برهان ابن رشد انطلاقاً من العناية الإلهية والخلق⁽¹⁾. والأرجح أننا نغالي إن تكلمنا عن وجود نزعة تلفيقية هنا، ولكننا نشعر جيداً أن لول واقع تحت ضغط رؤية تصالحية⁽²⁾.

على الرغم من مواطن الخلل في الكتاب، فإن الهدف الذي من أجله كُتب يمثل تقدماً ملحوظاً. فالإيمان يفترض الفهم، وهذا يحتاج إلى الاستتارة بمعلومات كاملة، نظراً إلى أنّ لول يفترض أنّ معتقدات كل إنسان ليست نزوية، بل تخضع لمقتضيات عامة، أي "لأسباب". ولئن حسب لول أنه يستطيع التوليف بين ما هو وجيه ومُقنع من هذه الأسباب وبين "فن" التفكير، فهذه مسألة تطرقنا إليها هنا وهناك في فصول هذه الرسالة. والمهم هنا هو محاولة اكتشاف دواعي هذا النهج. وحسب ما رأينا فإن إلحاح لول على "الفهم" وعلى "الأسباب" لافت للنظر. وبصفته تلميذاً ذكياً للقديس أنسلم، فقد بحث عن "ذكاء الإيمان".

الحال أنه إذا كان التوق إلى إيمان بلا ذكاء هو ظاهرة عامة، فإنّ عصر لول والإطار الجغرافي الذي عاش فيه يميلان إلى التشديد في ذلك. ففي سياق كانت فيه مناطق بكاملها تنتقل من دين إلى آخر، يتعاضم الميل إلى الاكتفاء بحدّ أدنى من الاعتقاد الإيماني. وعندنا أمثلة عديدة على ذلك في تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية. وحسبنا هنا أن نذكر مثالين معبرين عن كلا الاتجاهين

Dominique Urvoy , Penser L'Islam , pp.318-323.

⁽¹⁾ - أنظر:

⁽²⁾ - أورفوا (دومينيك) ، مرجع سابق ، ص.212.

في التحول من دين إلى آخر. فعندما احتل القشتاليون طليطلة عام 1085م، ارتدّ الفقيه أبو القاسم بن خياط، الذي كان يناهز الخمسين من العمر والذي كان أترابه في الدين يحترمون، اعتنق دين المتتصرين، مُحْتَجاً بأنّ "الجميع يعبدون الرحمن ويصلون له علانية وفي أعماق نفوسهم. ولو كان دين النصرانية ينكر خالقي لما تقبلته قط"⁽¹⁾.

ويوجد كلام مشابه قاله بعد أربعة قرون، الراهب الفرنسيكاني "ألفونسو دي ميلّا" الذي تحولّ إلى الإسلام لأنّ المسلمين "يؤمنون بالإله الحق، خالق السماء والأرض، الذي يعبدونه بإيمان جمّ وخشية وتواضع واحترام وتقوى، ويكرمونه في جميع أفعالهم وأقوالهم. وهيهات أن يخشاه من يسمون أنفسهم بالنصارى ويطيعوه ويعبدوه ويكرمونه بمثل هذا التوقير وهذه الخشية"⁽²⁾. وإذا لم يكن من حقنا أن نحكم في مدى صدق كل إنسان، فلنا أن نلاحظ مع ذلك أنّ الأمر في كلتا الحالتين يستند إلى اختزال الإيمان إلى حد أدنى. وعليه، يتبدى مسعى لول، في مجمله، كردّة فعل على تلك النزعة التي تريد أن تخلط كل شيء في عمومية فارغة⁽³⁾.

من هنا يسعى عرضه في كل حالة لأن يكون كاملاً، فبعد عرض أولي للإيمان الشائع في كل دين من هذه الأديان الثلاثة، تأتي الاعتراضات وطلبات التوضيح التي قلما تبقى بلا جواب. ومهما يكن الرأي في مستوى هذه وتلك، فمن الواضح أنّ لول لم يشأ أن يترك أيّ نقطة غامضة، وسلّط النقاش على كل شيء بدون قِليبات. يُضاف إلى ذلك أننا لا نجده يُطلق أيّ حكم قيمة على هذه الأديان، فممثلوها يتكلمون كل بدوره حسب التسلسل التاريخي المحايد، ولا يتدخلون في النقاش، ويمتنعون عن الاستماع للخيار النهائي. صحيح أن هذا العرض لا يخلو من تصنع: فالقسم المتوسط المخصص للمسيحية يبدو أنه يحتوي كمّاً من الاعتراضات أقلّ مما في الإسلام واليهودية، وعندما يصرح الوثني بأنه لن يتخذ قراره إلّا بعد أن يستمع إلى "السراسني" أي المسلم،

¹ - أنظر:

Teres (Elías) , Le développement de la civilisation Arabe à Tolède , Les Cahiers de Tunisie 69-70 (1970), p.84.

² - أنظر:

D. Cabanelas , Un franciscano heterodoxo en la Granada nassri : Fray Alfonso de Mella , Al-Andalus , 1950 , pp.233-250.

³ - أورفوا (دومينيك) ، مرجع سابق ، ص.213.

فإنّ عبارته تتمّ عن تأدّب مصطنع إلى حد ما⁽¹⁾. ولكن بذلك على الأقلّ تمّ تلافي الاتهام بعدم ترك المحاور يتكلم، أو بإجباره على اتباع طرق لم يخترها. وهكذا يتجاوز لول روح المساجلة كما تبلورت عند كاتب مثل "الوراق" الذي كان ينحو هذا المنحى⁽²⁾. إذن فيما بين القرن التاسع الميلادي والقرن الثالث عشر الميلادي فرضت نفسها الفكرة القائلة إنّ الإيمان كلّ متكامل، يجب تقديره كما هو، أي بدون أن يُفصل بشكل مصطنع من الخارج، من القبول بإتاحة الوقت للمنتمي إلى هذا الدين أو ذاك كي يستكمل كل التفاصيل الوجودية المتعلقة به⁽³⁾.

بيد إنّ احترام هذه الشمولية في العرض لا يعني أنّ كل شيء يوضع على المستوى ذاته. فلكل "سبب" قيمته النسبية الذاتية. وهناك أسباب مُقنعة، وأسباب غير مُقنعة. ولبعضها إجابات محددة، ولا يفضي بعضها الآخر إلّا إلى تملّصات يُترك تقديرها للقارئ. ومع أن الاعتراضات المُحرّجة ليست كثيرة، فإنّها تبقى دون إجابة، مما يدلّ على أنّ الكاتب اعتبرها عصيّة على الحلّ. وهذه هي بخاصة حال الاعتراض على الرأي القائل بأنّ الوحي ينزل على درجات، وأنّ كل دين يؤكد جزءاً ممّا جاء به الدين الذي سبقه وينسخ جزءاً آخر، انتهاءً إلى محمد الذي هو "خاتمة النبوة"⁽⁴⁾. وهذا، علاوة على ذلك، ليس من قبيل الصدفة، لأنّ لول يقول إنه متأكد من أنّ المسلمين المثقفين ليسوا مقتنعين بنبوة محمد⁽⁵⁾. ورغم كياسة النبوة نجد أنفسنا بخصوص هذه النقطة الأساسية إزاء قطيعة لافتة للنظر وهي أنّ لول كان يُدرك أنّ التنازل في مسأّة النبوة المحمدية يعني التنازل عن كل شيء⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull , The Book of the Gentile and the three wise men , p.257.

⁽²⁾ - أبي عيسى محمد بن هارون الوراق (؟ - ت 247 هـ/861م): يذكر أنه كان معتزلياً في بدايته، وقيل إنّه كان شيعياً رافضياً، وعُدّ أيضاً من المانويّة. اتّهم في دينه ورمي بالإلحاد والزندقه، عُرف بسعة اطلاعه ومعرفته بالأديان، فقد كتب في الردّ على اليهوديّة والمسيحيّة والمانويّة وحثّى عدد من الفرق الإسلاميّة، له كتابات عديدة منها: كتاب السقيفة، وكتاب الحكم على سورة لم يكن، وكتاب اختلاف الشيعة، والمقالات، وكتاب الحدث، وكتاب الإمامة الكبير، وكتاب الإمامة الصغير، وكتاب الردّ على النصاري الكبير. للمزيد أرجع إلى: ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق، الفهرست، مج2، ج5، مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2009، ص600.

⁽³⁾ - أورفوا (دومينيك)، مرجع سابق، ص214.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ramon Llull , The Book of the Gentile and the three wise men , p.262.

⁽⁵⁾ - أنظر: Ramon Llull , Doctrina pueril, p.127 Raymundi Lulli , Libellus de fine , 1665 , p.17.

⁽⁶⁾ - أورفوا (دومينيك)، مرجع سابق، ص214.

الحال أن الجدل حول النبوة، وبخاصة في مفهومها الإسلامي، كان مظهرًا أساسيًا في الفكر النقدي العربي. ولكن في عصر لول كان هذا الفكر قد وقع تحت تأثير الغزالي الذي أعطى، على العكس، مكان الصدارة نهائياً لشخص النبي محمد. وبالإضافة إلى الخطأ في تقدير النزعة المعاصرة في العالم الإسلامي نلاحظ لدى لول خطأ أكثر فداحة: فهو لم يعرف الفكر النقدي بذاته، وإنما فقط الجانب المشترك منه المتعلق بالسجال ما بين الأديان (كرسالة النصراني الكندي، التي يقدمها لول كمثال). وعليه، إذا كان هدف بمشروعه إلى استئناف النقد الديني، فقد أرق هذا المشروع بالسجال، مما أعاده إلى التشبث برؤيته الخاصة⁽¹⁾.

هذا الانحدار هو ما يُفسر أنه إذا كان "كتاب الوثني" في نصه العربي تدوول في أوساط المسلمين في ميورقة، فإننا لا نجد له أي أثر في باقي العالم العربي. هناك فقط شهادة وحيدة على وجود هذه الوثيقة ورد ذكرها في مكتبة "المدرسة اللولية" في برشلونة في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي. ولاحقاً، سيقول بعض الناشرين عن هذه النسخة العربية إنها وثيقة مُثبتة، مع أنها بقيت أسطورة إلى حدٍّ ما⁽²⁾. أما النص القطلاني فترجم بسرعة إلى اللاتينية والفرنسية وغيرها من اللغات الأوروبية، ولكن وجب انتظار "نيقولوس الكوزي Nicolas de Cusa" وكتابه "القرآن مغرباً" (1491م)⁽³⁾ - أي بعد كتاب لول بقرنين - كي نجد تفكيراً يشابه تفكير لول، مع أن معالجة كلٍّ منهما مختلفة.

4- بحث لول عن الوحدة بين الأديان في إطار مسيحي.

يُعيد لول الفكرة الواردة في كتاب "الوثني والحكماء الثلاثة"، والتي تتحدث عن مُشترك جوهرى بين الديانات السماوية الثلاثة، في كتاب آخر هو "كتاب مريم البتول" ويقول فيه: "لما كنا

⁽¹⁾ - أورفوا (دومينيك)، مرجع سابق، ص. 214.

⁽²⁾ - أنظر: Raymundi Lulli, Libellus de fine, 1665, p.102. وفي هامشه ذكر لـ "كتاب وضع أصلاً بالعربية Libri facti ab ipso in arabico". وقد يشمل، بالإضافة إلى كتابنا الأنف الذكر، كتابين آخرين ليسا هما فعلاً من وضع لول.

⁽³⁾ - للمزيد عن العلاقة بين رامون لول ونيكولاس الكوزي ارجع إلى: Charles H. Lohr, Nicolaus Cusanus and Ramon Lull: A Comparison of three texts on human knowledge, Traditio, Vol. 59, 2004, pp. 229-315.

نحن جميعاً، مهما يبلغ من كثرتنا، لا نؤمن إلا برب وإله واحد ... فمن الواجب أن يكون لنا نحن جميعاً، أيضاً، مُعتقد واحد فقط، وديانة واحدة ، هي العقيدة المسيحية المقدسة"⁽¹⁾. وبالاتفاق من هذا الإيمان بحث لول أول الأمر عن إمكانات الحوار بين أتباع الديانات التوحيدية الثلاث الكبرى، وسنقصر البحث على موقفه من الإسلام⁽²⁾.

كان تمزق البشرية وتفرقها ، لدى رامون لول ، مثلما كان بالقياس لدى شخصيات أخرى من العصور الوسطى الأوروبية أيضاً ، دافعاً هاماً للبحث عن ذلك المثال التوحيدي الذي يربط بين الناس جميعاً برابط أساس. وهذا البحث يشمل الاجتهاد الفكري مثلما يشمل الصراع على البقاء في سبيل الوحدة والسلام بين البشر قاطبة ، أي بين أديانهم ومجموعاتهم السكانية. إنه الحنين العميق إلى إعادة إقامة تلك الوحدة الأصلية بين البشر جميعاً، التي تجد أصلها في الرب خالقها. ويرأي لول فإن ما ينشئ هذه الوحدة هو التفاهم والانسجام في جامعة واحدة " concordatia in una lege"⁽³⁾.

يكمن وراء هذا التطلع إلى الوحدة ذلك المثال الوجداني العائد إلى القرون الوسطى كما يتجلى للعين في مبدأ النظام والتفكير في النظام اللذين يعودان إلى أصل أفلاطوني جديد أغسطيني: فباتفاق هذا من نظام موجود في الانتظار بحكم كون هذا من السمات الجوهرية للواقع ، يتم الاستدلال على وجود خالق مُنظم يكون هو الأصل، وينظر إلى وحدة العالم على أنها صورة لوحدة خالقه . ولأن الله واحد فإنه لا يمكن أن يوجد إلا عالم واحد وبشرية واحدة على أساس بنية النظام المفترض⁽⁴⁾.

⁽¹⁾- أنظر : Ramon Llull , Libre de Sancta Maria , in O.R.L. , Vol.X , 1915 , p.153.

⁽²⁾- أنظر :

Ludwig Hagemann, Der Islam als Anfrage . Schritte auf dem Weg: Raymundus Lullus und Nicolaus Cusanus , in : K. Hilpert/J. Werbick (Hrsg.) , Mit den Anderen leben . Wege zur Toleranz Düsseldorf , 1995 , pp.70-85.

⁽³⁾- أنظر : Ramon Llull , The Book of the Gentile and the three wise men , p.210.

⁽⁴⁾- لودفيج (هاجمان) ، مرجع سابق، ص.103.

هذا المبدأ الوجودي راسخ الجذور بطريقة مماثلة، أيضاً في التفكير الإسلامي : فلأن الله واحد كانت إرادته في صياغة المجتمع البشري الموحى بها عن طريق الرسول محمد واحدة . وهذه الفكرة الخاصة بالوحدة (التوحيد) لها أولوية بالغة السمو في تفكير المسلمين يبلغ منها أنها لا يمكن أن تقتصر على التساؤل عن وحدة الله وفردانيته، أي المسألة اللاهوتية الداخلية الصرفة ، بل تجد إنعكاسها أيضاً في التصورات الاجتماعية والسياسية . أجل ، بل يعد من النظريات القرآنية أن الناس كانوا في الأصل "أمة واحدة"⁽¹⁾، موحدون في إيمانهم المشترك بإله واحد أحد وإتباعهم المشترك لشريعته . ومن الممكن أن يكون هذا التصور القرآني الخاص بالوحدة الأصلية للبشرية والوحدة الغابرة لديانتهم ، قد انطبعت بطابعها رغبة لول في الوحدة متجاوزة آفاق ما يسمى بفكرة النظام⁽²⁾.

5- عن تأويل الحوار بين المسيحيين والمسلمين على أساس العقل.

على أن إرادة رامون لول المطلقة في التطوير الجدلي للتعاليم المركزية في عقيدة المسيحية، التثليث والتجسد ، وذلك في الحقيقة من الوجهة الميتافيزيقية -التأملية ، لتكون أساساً لفهم شامل للكون والعالم. هذه الإرادة تتبوأ مرتبة أساس في النقاش المسيحي-الإسلامي. ومن أجل ذلك يظل لول يعود المرة بعد الأخرى إلى "العقل" ، وهو يقول : " الكفار لا يحفلون بأقوال المؤمنين ، بل يهتمون ، على سبيل الحصر ، بالأسباب العقلانية"⁽³⁾. وهو يخاطب ذلك المبدأ الذي يمثل بنظره الأساس الرئيس في الحوار مع غير المسيحيين : ولا يخاطب التقاليد العقيدية المشتركة المحتملة، بل يخاطب مبدأ العقل وحده ، أي المبدأ المقبول من كلا الجانبين ، جانب المسيحيين والمسلمين معاً ، وبهذا فقط يمكن العثور ، في إطار الرجوع إلى أساس مشترك يعترف به كلا الجانبين، على "تأويل للحوار" أساس لدى كلا الشريكين . وبهذا يمكن تفسير تخلي لول، على نحو عام، عن الإحالات، سواء في ذلك الإحالات إلى الكتاب المقدس أم إلى القرآن، مع أنه كان حسن الإطلاع

⁽¹⁾ - سورة البقرة : 213 ، سورة هود:19.

⁽²⁾ - لودفيج (هاجمان) ، مرجع سابق ، ص.103.

⁽³⁾ - أنظر : Ramon Llull , Liber de Demonstratione per aequiparantiam , in: R.O.L. , Vol.IX , p.221.

على القرآن حسبما يزعم دائماً، إذ قد كان تعلم العربية بمعونة أسير مسلم. وهذا التحفظ الواعي يجد أساسه في إيمانه القاطع " بأن الاعتماد على المرجعيات، أي على شواهد لا أهمية لها ولا مفعول إلا برأي المؤمنين بديانة معينة... لا يجوز أن يكون منطلقاً للمناقشة مع غير المسيحيين، بل لابد من العودة المتواصلة المتكررة إلى الجهة القضائية التي يرجع إليها كل البشر الذين يفكرون ... ألا وهي العقل"(1).

على أساس العقل يظن لول أنه يمسك بيده بالحُجج الأفضل الدالة على صحة العقيدة المسيحية. إنها "العقلانيات الضرورية" *rationes neccessariae* كما يسميها في أغلب الأحيان(2). إنها "أسباب عقلانية قاهرة" لابد أن تلقى الاعتراف والاحترام من قبل شركاء حوار المسلمين، وهذه هي قناعته. ويبدو أن ثقة لول بإمكانية تتصير المسلمين (دائماً يسميهم الساراسان) قد نبعت من ثقته هو المفرطة بنفسه. فقد كان يعتقد أنه، بهدي من نور الرب، قد كتب

(1)- لودفيج (هاجمان)، مرجع سابق، ص.105.

(2)- يأتي ذكر "الأسباب الضرورية" أو "العقلانيات الضرورية" في العديد من مؤلفات لول، حيث يوليها أهمية خاصة في أي جدال مع المسلمين وغيرهم ممن يختلفون مع المسيحية حتى المنشقين منهم. ومن أمثلتها في كتاب "الحكماء الخمسة" الفصل الذي جاء فيه حوار بين لاهوتي لاتيني ولاهوتي يوناني (بيزنطي)، أين يعلن الأول تفضيله للأسباب الضرورية لتجنب التناقضات في تفسير الإصحاحات: "... ad probationem , quarr volī dare , possent applicari multae auctoritates ; verum quia multa vera auctoritas potest esse contraria neccessariae ration , et auctoritates possunt diversimode exponi , et de ipsis haberi diversae opiniones , nolumus in hoc Tractatu mentionem facere de auctoritatibus , quod neccessarias probationer".

أنظر:

Ramon Llull , Liber de quinque sapientibus , ed.Salzinger, tom.II, Mogunliae, 1722, fol. 4, col.1
كما وردت في كتاب آخر بعنوان "مجئ المسيح *De advent Messiae*" حينما تحدث على أهمية "الأسباب الضرورية" في الفهم والتفسير وعرض معاني السلطات : *"narr ration neccessaria est aptior intellect , quarr glose reu expositio auctoritatum"*

أنظر:

Ramon Llull , *De advent Messiae* , ed. C. Ottaviano , in : *Estudis Universitaris Ctalans* , 14 , 1929 , p.4 .

Liber contemplationis , c.187 : " muito melius ducitur ad veritatem homo subtilis per rationes , quarr per fidem et auctoritates ... " , M.O.G., IX , p.455.

حول السياق اللاهوتي-الفلسفي لـ "نظرية الأسباب الضرورية" الخاصة برامون لول ارجع إلى الدراسة التي أفردها الألماني "والتر أندرياس أولير" للمقارنة بين الأديان عند كل من رامون لول و"نيكولاس كوازانوس". أنظر :

W.A.Eulen , *Unitas et pax* , *Religionsvergleich bei Raimundus Lullus und Nikolaus von Kues* , Echter, 1990, p.91.

والاحتمال الكبير المرجح، أن لول استقى نظريته في هذا الشأن من النماذج الإسلامية في الجدل الديني، خاصة تلك الموجودة عند ابن حزم الظاهري (994م-1064م) وتصوره حول "البراهين الضرورية" أو البرهان الصحيح في الجدل العقائدي. أنظر:

Charles Lohr , *Christianus arabicus, cuius nomen Raimundus Lullus* , *Freiburger Zeitschrift für Philosophie und Theologie* , 1984, p.81.

كتاباً، هو أفضل كتاب في العالم، ضد أخطاء غير المؤمنين⁽¹⁾، وأنه اكتشف سبيلاً إلى البرهنة على صدق الدين المسيحي لغير المؤمنين، ليس عن طريق المراجع، التي لا يمكن الاتفاق عليها، وإنما "عن طريق الأسباب البرهانية واللزومية"⁽²⁾. وكان لول يعتقد أن العقل البشري يمكنه ويجب عليه فهم الرب، "فهو (أي العقل) قد خلق لكي يفهم الرب". كما كان يعتقد أن صدق مبادئ الإيمان المسيحي يمكن إثباته للناس في هذا العالم⁽³⁾. ويبدو هذا قولاً سجالياً ضد المعالجة الدومينيكانية للتصير من جانب رجل كان يُكن احتراماً كبيراً للقديس دومينيك لكنه، في أواخر حياته، دخل الجمعية الفرانسيسكانية الثالثة⁽⁴⁾.

عندما كان لول ما يزال شاباً، كان قد ابتكر نهجاً برهانياً لإثبات صدق الدين المسيحي وبطلان جميع الأديان الأخرى. وقد سمى هذا النهج كما أتينا على ذكره سابقاً بالـ *Ars* (الترجمة المدرسية المألوفة للفن *téhne*). وقد طوره في عدد من الصيغ وطبقه في كتابات عديدة⁽⁵⁾. وكان الـ "*Ars*" يستند إلى مفهوم عن الخلق بوصفه محاكياً لملكوت الغيب الإلهي. وبسبب التماشي المفترض بين الـ *modus intelligendi* (نمط العقل) والـ *modus essendi* (نمط الجوهر)، فإن "فن تفكير" لول كان "غير قابل للخطأ في جميع المجالات لأنه يستند إلى البنية الفعلية للواقع، فهو منطق يحذو حذو الأنماط الحقيقية للكون". وكانت الأسرار المسيحية جزءاً من بنية الكون نفسها ولذا يمكن "إثباتها" بـ "أسباب لزومية"⁽⁶⁾. والواقع أن نسق لول المغلق كان ناجزاً في

¹ - أنظر: Ramon Llull , Vita Coetanea , I , p.35.

² - أنظر: Ramon Llull , The Book of the Gentile and the three wise men , p.116.

³ - أنظر: Ramon Llull , Felix, or the book of wonders , pp.944-945 ; Idem , p.717.

⁴ - أنظر الهامش رقم 269 الذي أورده "أنتوني بونر" في مقدمة كتاب الوثني والحكماء الثلاثة، الذي جاء على شاكلة عتاب وهجوم على المنصر الدومينيكاني "رامون مارتني". أنظر: Bonner , 1985 , p.58 ; Id. , introduction to the Book of Gentile , p.96.

⁵ - أنظر: Bonner (Anthony) , Historical background and life , in Selected works of Ramón Llul , p.56.

⁶ - أنظر: Id. , pp.59-61.

حول وجهة نظر لول الأفلاطونية المحدثة للكون، أنظر: Hillgarth , Ramon Llull and Lullism, p.13.

ذاته، وقد عمل بدقة حاسب إلكتروني⁽¹⁾. وبحسبه فقد عرف الحقيقة وكيف ينظمها ميكانيكياً بحيث يتم نبذ كل ما ليس حقيقة⁽²⁾. لذا حاول لول إخضاع عمليات التفكير لمعادلة الرياضيات.

بدافع من ثقة لول المفرطة بنفسه، يتحدث دائماً على أنه مالك لخاصية فنه، وأنه يحوز دوماً على "حجج حاسمة" لدعم الدين المسيحي في مواجهة الإسلام وأهله. إلا أنه من سوء الحظ أن غير المسيحيين قد لا يجدونها مقنعة⁽³⁾. وقد ذكر لول نفسه أنه على الرغم من أنه قد تحاور على نطاق واسع مع مسلمين بارزين وجهابذة، إلا أنه لم يلتق البتة بأحد على دراية صحيحة بالإيمان المسيحي⁽⁴⁾.

بيد أنه إذا كان محاورو لول، الفعليون أو المتخيلون، لم يجدوا حججه مقنعة كما وجدها لول نفسه، فقد كان يحوز على سبيل الاحتياط بنهج آخر، حيث تدخل "الميكنة" في الإقناع الديني على شكل تكرار لحقيقة ثابتة "ميكانيكياً". ففي واحدة من القصص التي لا حصر لها كتب لول عن مسيحي يجادل مُسلماً ولم يكن المسلم مُقنعاً بعرض المسيحي لمبادئ إيمانه وقد "تساءل" عن صدقها. إلا أنه "بعد أن ردد المسيحي هذه الأمور مرات كثيرة، لم يعد يُحسّ بأي تساؤل أو عجب، لأن هذه الشروح كانت قد عوّدت أذنيه على الإستماع وعقله على الفهم وإرادته على الميل إليها"⁽⁵⁾. وقد أوضح لول "أن كل شيء يحسه الإنسان بحواسه الجسدية الخمس عجب، إلا لأنه

⁽¹⁾ - في وقتنا الحالي، يُنظر إلى لول كرائد في نظرية علوم الحاسب الآلي الحديثة والمعلوماتية. أنظر: Bonner (Anthony) , op.cit. , p.63 ; Sugranjes de Franch (Ramon) , Raymond Lulle : philosophe et missionnaire , In Raymond Lulle: Chstistianisme, Judaisme, Islam, éd. R. Imbach & R. Sugranyes de Franch, in Cahiers de Fanjeaux (Raymond Lulle et le Pays d'Oc , Vol.22, 1986 , p.9.

⁽²⁾ - أنظر: Alphandéry (Paul) , La Chrétienté et l'idée de croisade , Ed. A. Dupront , Vol.2 , Albin Michel , Paris , 1959 , p.250.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull , Felix, or the book of wonders , p.952.

⁽⁴⁾ - أنظر: Burns (Robert I.) , Christian-Islamic Confrontation in the West : The Thirteenth-Century Dream of Conversion , American Historical Review , 76 , no.5 1971 , p.1398.

⁽⁵⁾ - أنظر: Ramon Llull , Felix, or the book of wonders , pp.1076-1077.

يعتاد باستمرار على هذه الأحاسيس الجسدية، فإنها إنما تكف عن أن تكون مصدر شعور بالعجب. والشئ نفسه يحدث مع جميع الأشياء الروحية التي يتمكن من تذكرها وفهمها"⁽¹⁾.

كان لول يعتقد أن "أياماً قليلة"⁽²⁾ من معالجته الفكرية المكثفة سوف تكون كافية لكسب المسلمين وغير المسيحيين إلى المسيحية. وكانت خطته الرامية إلى تنصير الأسرى المسلمين على الشاكلة نفسها. فقد كان يريد إرسال رجال دين متعلمين لمجادلة الأسرى ولجعلهم يحفظون الكتب التي تثبت أن محمداً ليس نبياً حقيقياً⁽³⁾. كما كان لول يحوز علاجاً لغير المؤمنين من غير الأسرى. فقد ارتأى: "بالنسبة لليهود وللمسلمين الموجودين في أراضي المسيحيين، يجب تخصيص أفراد معينين لتعليمهم اللاتينية وشرح الكتب المقدسة، ويجب عليهم (أي على المسلمين واليهود) أن يتعلموا، في غضون فترة محددة، هذه (اللغة وهذه الكتب)، بحيث إنهم إن لم يفعلوا ذلك، ترتب على ذلك عقابهم"⁽⁴⁾.

ذلك هو جموح خيال لول. إلا أنه فيما يتعلق بالمجادلات الإكراهية والمواعظ التنصيرية التي ألقاها الرهبان في المساجد والمعابد اليهودية في إسبانيا في القرن 13م⁽⁵⁾، كانت أفكار لول في هذا الصدد بعيدة عن أن تكون خيالية. فقد اقترح أن يأمر مجمع فيين الكنسي بدعوة الرعايا اليهود في إسبانيا إلى المسيحية في أيام السبت ودعوة الرعايا المسلمين إليها في أيام الجمعة⁽⁶⁾. وبالنظر إلى هذا الإكراه الديني، الممارس والمرغوب فيه، فإن المرء إنما يعجب لقول لول القطعي

¹ - أنظر: Ramon Llull , Felix, or the book of wonders , p.1078.

² - أنظر: Ramon Llull , Contemporary Life , p.27.

³ - أنظر: Ramon Llull , Liber de fine , II , 6 , p.88.

⁴ - أنظر: Ramon Llull , Blanquerna, p.326.

⁵ - أنظر الملحق رقم 03 الذي يتضمن أوامر خايمي الثاني لرامون لول التي تنص بوعظه لليهود والمسلمين في معابدهم ومساجدهم.

⁶ - أنظر:

Ramon Llull , Petitio Raymundi in concilio generali ad acquirendam Terram Sanctam , in Wieruszowski (Helene) , Politics and Culture in Medieval Spain and Italy , De octava ordinatione , p.168.

والمطلق بأن "الإرادة الحرة مخلوق من النبل والسمو بحيث لا يسع أحداً إجبار آخر على الرغبة أو على الحب بالإكراه"⁽¹⁾.

بالنسبة لرامون لول، كانت الحياة التأملية مصدر التحقق، بينما كانت الحياة الفاعلة ضرورة⁽²⁾. وبقدر ما أن هدف حياة الإنسان في هذا العالم هو أن يتذكر الرب ويفهمه ويحبه حتى يتسنى له أن يحيا في العالم الآخر في مجد مُقيم⁽³⁾، فإن الواقع إنما يتمثل في أن المسيحيين قلة وأن المسيحيين الأخيار أقل بكثير - وأن الكفار لا حصر لهم، يقول لول: "فلتلاحظوا مدى كثرة غير المؤمنين ومدى قلة الكاثوليك، وحتى بين الكاثوليك يمكنكم أن تلاحظوا مدى قلة من يحترمون ويمجدون الدين الذي عُهد إليهم برعايته"⁽⁴⁾. إن حالة كهذه إنما تدعو إلى اتخاذ إجراء عاجل، لأن الكفار يتزايدون ويستولون على أراضي المسيحيين ويزدرون الثالوث المقدس وتجسد المسيح"⁽⁵⁾. و"امتلاكهم للأرض المقدسة إهانة للسماء ومحو للأرض المقدسة"⁽⁶⁾. بل إن وجود الكفار نفسه "إهانة للرب"، لأنه يبين أن من الممكن أن يحيا أناس لا يعرفونه وأن يعبدوا آلهتهم الغريبة وألا يشعروا بالعرفان له على خلقه إياهم وإبقائهم أحياء"⁽⁷⁾.

الحال أن ردّ فعل لول على وجود كثيرين لا يُشيدون بالرب إنما يُعد أمراً غريباً من إنسان آمن بأنه كرس حياته لتتصير غير المؤمنين. فهو قد ردّ على "الإهانة" المتصورة "لرب" ليس بالرغبة في تتصير غير المؤمنين وإنما بإصرار حماسي على الإشادة بالرب. ويبدو أن حماسه قد ألهبها غياب الحماس بين صفوف إخوته المسيحيين. و"فيلكس"، البطل في كتاب لول Felix ، مثلاً، "إنما يعجب كل العجب من كون أن الدين المسيحي لا تجري الدعوة إليه بين الكفار من

Ramon Llull , Felix, or the book of wonders , p.962.

¹ - أنظر:

Ibid. , p.880.

² - أنظر:

Ibid. , p.840.

³ - أنظر:

Ibid. , p.886.

⁴ - أنظر:

Ramon Llull , Liber de Fine , prologue , p.65.

⁵ - أنظر:

Ibidem. ; Felix , p.886.

⁶ - أنظر:

Ramon Llull , Felix, or the book of wonders , p.1033.

⁷ - أنظر:

جانب قوم يشيدون به ويمجدونه أسمى التمجيد بحيث إنهم لن يترددوا في تمجيده بالرغم من الصعاب والأخطار والموت أو أي شيء آخر، لأنه في سبيل المجد العظيم لا يجب أن يوجد غير تردد طفيف في هذه الأمور"(1).

مهّد التعليق السابق، لقصة عن مُرتل كان يرغب في عبور البحر سعياً إلى "تمجيد الدين"، لكن أسقفه كان غير راغب في منحه تصريحاً بالمغادرة خوفاً من أن يموت المُرتل دون ثمرة. "فأجاب المُرتل قائلاً إن الثمرة تكمن في الإشادة بالرب وتمجيده بأكثر مما تكمن في إنقاذ وتنصير الناس، لأن الإشادة بالرب وتمجيده وتمجيد الإيمان أنبل من تنصير الناس"(2). وقد لقيت هذه الفكرة تكراراً لها في الكتاب نفسه حيث نقرأ أن "الإنسان قد خُلق لأجل الثناء على الرب، ولذا لا يمكنني التردد حيال الذهاب لتمجيد الرب خوفاً من الموت، أو لأنه قد لا يؤولي شيئاً مفيداً للإنسان"(3).

في كتاب آخر، هو رواية Blanquerna، كان البطل يريد التسرية عن السيدة إيمان، التي كانت حزينة في روحها لأن الرب ليس موضع حب أو تمجيد أو إيمان بين الساراسان. وكانت تريد تنصير الكفار. وقد سرى عنها بطل لول قائلاً إن الرغبة في تنصير غير المؤمنين مآثرة عظيمة عظمة تنصيرهم بالفعل(4). والحال أن المسيحيين الصادقين إنما يُعرفون برغباتهم، لا بثمار عملهم.

6- بين نجاح أساليب التنصير واللجوء إلى الانتحار.

هذه الحماسة للثناء على الرب دفعت لول إلى الإبحار إلى بجاية، فيما سمي خطأ من قبل بعض الدارسين بأنه مهمة تبشيرية (إن كان التبشير يهدف إلى تنصير الكفار). ونقول لنا سيرته إنه لدى هبوطه ذهب إلى الساحة الرئيسية و"واقفاً وصائحاً بصوت عال، هتف بالكلمات التالية:

¹ - أنظر: Ramon Llull , Felix, or the book of wonders , p.885.

² - أنظر: Ibid. , p.886.

³ - أنظر: Ibid. , p.970.

⁴ - أنظر: Ramon Llull , Blanquerna , p.141.

الدين المسيحي حق ومقدس ومقبول من الرب، بينما الدين الساراساني باطل وملئ بالأخطاء، وأنا مستعد لإثبات ذلك"(1). وقد سُمّي هذا النوع من "المواجهة الموهوسة" بتقانة فرانسكانية مميزة لنشر الإيمان(2). فقد حدث، على سبيل المثال، أنه في أواسط القرن 14م تسبب راهب فرانسكاني بموت نفسه بهتافه ضد الإسلام -بلغته- خلال أداء السلطان صلاة الجمعة بأحد مساجد القاهرة(3). وإذا كانت "غزوات" كهذه تُعتبر دفاعاً عن الدين المسيحي(4)، فإن العدوان العسكري كالحملات الصليبية يمكن أن يُعتبر هو الآخر حرباً دفاعية. وقد أوحى لول نفسه بأن "النباح" وصف أنسب لهذا النوع من التبشير(5).

فقد قارن لول المسيحي الذي يحمي الدين بكلب راع طيب. وفي رواية Felix أيضاً، وصل البطل إلى حقل حيث كان ذئب قد دخل إلى حظيرة الأغنام وكان يقتل الأغنام ويلتهمها. وكان الراعي نائماً في كوخه المجاور، غير راغب في النهوض لأن السماء كانت ممطرة وكان الجو بارداً. وغير بعيد، كان كلبه يقاتل ذئباً آخر وكان ينبح نباحاً عالياً لكي يأتي الراعي ويساعده. وقد عجب فيلكس لهذا المشهد وقال للراعي كلاماً قاسياً: "لقد عهد المسيح برعاية العالم إلى البابا وإلى الكرادلة وإلى أساقفة الكنيسة. والمسيحيون القريبون من الكفار ينبحون كي يسارع البابا والرجال المقدسون بالمجئ للقضاء على كافة الأخطاء المرتكبة في حق الدين المسيحي المقدس. إنني لأشعر بالأسف وبالشفقة على الأغنام التي أرى الذئب يقتلها، مثلما أشعر بالشفقة على الكلب الذي يقاتل دون أن يجد عوناً من أحد. ما أعجب أن الكلب، الذي يعوزه إعمال العقل، يفهم ويؤدي المهمة المنوطة به، في حين أنك، وأنت راع، لا تؤدي المهمة المنوطة بك"(6).

Ramon Llull , Vita Coaetanea , IX , p.71.

¹ - أنظر:

² - أنظر:

Burns (Robert I.) , Christian-Islamic Confrontation in the West : The Thirteenth-Century Dream of Conversion , American Historical Review , 76 , no.5 , 1971 , p.1395.

³ - أنظر:

Luttrel (Anthony) , The Crusade in the Fourteenth Century , In Europe in the Late Middle Ages , ed. J. Hale , R. Highfield , and B. Smalley , Faber and Faber , London , 1965 , p.125.

⁴ - أنظر:

N. Daniel , Islam and the West , p.141.

⁵ - ماستناك (توماش) ، مرجع سابق ، ص.306.

⁶ - أنظر:

Ramon Llull , Ramon Llull , Felix, or the book of wonders , pp.826-827.

لم يكن لول مُنتسباً للدومينيكان، ولكنه كان "كلباً من كلاب السيد الرب Domini Canis"، ينبج نباحاً عالياً وبلا كلل. وكان يحوز فكرة أوضح مما لدى السلطات المسيحية نفسها حول المهمة التي يتوجب عليها وعلى المؤمنين المسيحيين الاضطلاع بها. فلأن الرب قد استودع الدين أمانة في أيدي البابا والكاردينالات والأساقفة وغيرهم من رجال الكنيسة، فإن من واجبهم "صونه والدفاع عنه ضد عدم إيمان اليهود والمسلمين والهرطقة وغير المؤمنين، الذين يحاولون باستمرار القضاء على دين كنيسة روما". وبالنسبة للول، لم يكن هناك شك فيما يجب عمله: "إن المسيحيين من غير رجال الدين يجب أن يحموا ويصونوا الدين بقوة السلاح، أما رجال الكنيسة فيجب عليهم صونه بقوة العقل والكتب المقدسة، بقوة الصلوات والحياة القدسية". وقد تأوّه فيلكس، وهو يذرف دموعاً لا تجف أبداً: "آه، يا سيدي الرب، ألا ما أسوء العار الذي يكابده الدين المسيحي المقدس الذي لأجل حمايته ومجده شئت أن تكون إنساناً وأن تسلم ذلك الإنسان إلى الموت! والساسراسان، الذين هم أبناء انعدام الإيمان، يحوزون ويمتلكون تلك الأرض المقدسة فيما وراء البحر حيث كان الدين قد نشأ وعُهد به إلى الكنيسة المقدسة! آه، يا سيدي الرب، متى يأتي اليوم الذي يخرج فيه المقاتلون، والمحبون، والمادحون، مُستخدمين الأسلحة المادية والروحية، لردّ الكرامة إلى الدين وللقضاء على الضلالات التي تجر كل هذا العار على الدين في هذا العالم؟"(1).

كان لول قد ذهب أحياناً إلى أن "الحرب الفكرية" التي تُخاض بـ"أسلحة الإخلاص والرغبة في الشهادة" قد تكون أكثر كفاءة من "الحرب الحسية" التي تُخاض بـ"أسلحة من حديد"(2). وقد قال إن المناقشات السلمية هي بمثابة "حرب أكثر فاعلية بكثير"(3). لكن هذا لا يعني أنه قد دعا إلى التبشير في مرحلة من حياته لكي يدعو إلى الحرب الصليبية في مرحلة أخرى، مثلما رأى بعض المؤرخين. فقد كان عليماً بأن الكنيسة تملك سلاحين في حوزتها(4). ولم يكن الإقناع

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull , Ramon Llull , Felix, or the book of wonders , p.884.

⁽²⁾ - أنظر : Ramon Llull , Liber Contra Antichristum , quoted in Hillgarth , 1971 , p.245.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull , Contemplationes in Deum , Summarized in Gottron , 1912 , p.20.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ramon Llull , Liber de Fine , p.69 ; Idem, Disputatio clerici et Raymundi phantastici , quoted in Wieruszowski , 1971 , p.151.

السلمي بديلاً عن الحرب ولا هذه بديلاً عن ذلك. وكان يعرف كيف يُفصّل حججه لتبرير مشاريع خاصة بحسب جمهوره المستمع إليه. لكن مشروعه الكبير كان واحداً وثابتاً. فالتتصير لم يكن، كما قيل، الغاية التي كانت الحرب الصليبية وسيلة إلى تحقيقها⁽¹⁾. بل إن الحرب الصليبية والتتصير كانا وسيلتين لغاية واحدة. فالحرب بالسلم أو الحرب بالحرب كان يجب استخدامهما بحسب الضرورة. وغالباً ما بدا أن من الأنسب استخدامهما معاً للوصول إلى الغاية المنشودة⁽²⁾.

والحال أن الغاية التي اتجهت إليها حياة لول التأملية وحياته الفاعلة على حد سواء كانت هي السلم في هذا العالم. ولا عجب أن هذا المثل الأعلى إنما يظهر في أهم بحث صليبي كتبه لول، وأعني به "كتاب الغاية" Liber de Fine⁽³⁾. وكان مثل السلم الأعلى يستند إلى فكرة الوحدة، وكانت الوحدة تعتبر حالة يتم فيها محو "الاختلاف" و"التناقض"، بينما يسود "الوفاق". ومن شأن مثل هذا النظام أن يكون ترجمة للوحدة الإلهية. فانعدام التشابهات وانعدام الاتفاقات اللذان تسببا في أن يكون الناس "أعداءً أحدهم للآخر ومتحاربين يقتلون أحدهم الآخر وأسرى أحدهم للآخر" هما تعبيران عن "اختلاف أو تناقض الأديان أو العادات". ومن هذا ينبع الحل المثالي: "فما دام ربنا واحد، خالقنا واحد، مولانا واحد، يجب أيضاً أن يكون إيماننا واحد، وديننا واحد، ويجب أن نكون ملة واحدة، لها أسلوب واحد في حب الرب وتمجيده"⁽⁴⁾.

وفي عمل آخر، صوّر لول تنوع الألسن باعتباره سبباً آخر للحرب بين الناس وكان يريد "القضاء على تنوع اللغات"⁽⁵⁾ واختزال جميع اللغات الموجودة إلى لسان واحد⁽⁶⁾. ومن ثم، فقد كان عليه أن يحدد عن طريق أية لغة "يمكن توحيد كل الناس بحيث يمكنهم التفاهم وحب أحدهم

⁽¹⁾ - أنظر: Hillgarth , Ramon Lull and Lullism , p.50.

⁽²⁾ - أنظر: Thomas Aquinas , Summa contra Gentiles , A Guide and Commentary by Brian Davies, Oxford University Press , U.K. , 2016.

Gottron , op.cit. , 1912 ; Wieruszowski , Ramon Lull , in id. 1971 ; Hillgarth , Ramon Lull and Lullism , chap.1-2 .

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull , Liber de Fine , III , p.93 ; Hillgarth , Ramon Lull and Lullism , p.65.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ramon Llull , Book of the Gentile , pp.301-302.

⁽⁵⁾ - أنظر: Ramon Llull , Blanquerna , p.364.

⁽⁶⁾ - أنظر: Ibid. , p.365.

الآخر والاتفاق في سبيل خدمة الرب"⁽¹⁾. وبما أن المسألة اللغوية كانت مرتبطة بخدمة الرب، فإن اختيار لول لم يكن صعباً. لقد اختار اللاتينية، لأن "اللاتينية هي اللسان الأعم ... وكل كتبنا موجودة باللاتينية"⁽²⁾.

يُضيف لول أن الرب مادام قد خولّ البابوية سلطة "تنظيم العالم"⁽³⁾، فإن البابا من حيث هو الحاكم لعالم لول المثالي الذي لا يتجزأ يجب أن يكفل تعليم جميع الناس اللاتينية. فهذا من شأنه انبثاق عالم لا توجد فيه سوى لغة واحدة وإيمان واحد ودين واحد⁽⁴⁾. ولم يكن لدى لول أدنى شك في أن الرب الذي يجب على العالم كله أن يحبه ويعرفه هو الرب المسيحي⁽⁵⁾، وأن العالم كله يجب أن يؤول إلى المسيحية⁽⁶⁾. فهذا من شأنه أن يحقق "أعظم خير ممكن في العالم"، لأن "الحكمة الأعظم إنما تتمثل في محاولة إخضاع العالم كله لدين واحد، بحيث يؤمن بما يؤمن به المسيحيون"⁽⁷⁾. وكانت قناعة لول الأساسية هي أن المسيحيين "على جادة الصواب"⁽⁸⁾.

الحال أن تعدد الآلهة والأديان إنما يتنافى عموماً مع بنية الكون. إلا أنه عندما تحدث لول بشكل ملموس أكثر، فإن وجود المسلمين هو الذي ظهر بوصفه أعظم عقبة في طريق الوحدة السلمية⁽⁹⁾. ويقول لول أن "الساراسان هم الذين يعترضون سبيل العالم ipsi sunt qui

Ramon Llull , Blanquerna , p.396.

¹ - أنظر:

Ibid. , , p.365.

² - أنظر:

Ibid. , , p.314.

³ - أنظر:

Ibid. , , p.364.

⁴ - أنظر:

Ramon Llull , Felix, or the book of wonders , p.836.

⁵ - أنظر:

Ibid. , p.982 ; Gibert (Rafael) , Lulio y Vives sobre la paz , In La Paix , Recueils de la Société Jean Bodin , 15 , Editions de la librairie encyclopédique , Brussels , 1962 , p.146.

⁶ - أنظر:

Ramon Llull , Felix, or the book of wonders , p.900 ; Id. , Liber de Fine , pp.92-93 ; Wieruszowski , p.157.

⁷ - أنظر:

Ramon Llull , Blanquerna , p.307.

⁸ - أنظر:

Hillgarth , Ramon Lull and Lullism , p.12.

⁹ - أنظر:

"impediunt universum"⁽¹⁾. ووجودهم خلل في بنيته. وبما أن النظام يعني فهم الرب وحبّه، فإن الساراسان إنما يشكلون عنصر فوضى⁽²⁾. و"عدم إيمانهم عصيان للرب"⁽³⁾. إنهم تجسيد للباطل في وجه الحقيقة⁽⁴⁾. وهم الظلم مُجسداً، لأنهم يُناقضون عدل الرب⁽⁵⁾. وأخيراً ولكن ليس آخرًا، فإنهم إهانة للجمال المُتمثل في الرب، لأن "من الفُجّ البالغ أن يحوز الساراسان ويملكوا الأرض المُقدّسة الي وُلد عليها يسوع المسيح ومات"⁽⁶⁾.

بالنظر إلى تكوين لول العقلي، فإنه لن يتغير شئ مُهم إذا دخل المسلمون في سلم مع المسيحيين. فالمسيحيون لا يمكنهم أن يكونوا في سلم مع أولئك الذين، بمحض وجودهم، يُهددون وحدة الكون في الرب وهي السلام. ويجب أن نأخذ لول مأخذ الجد عندما يكتب عن صنع السلم بين الملوك المسيحيين بحيث يمكنهم الخروج إلى حملة صليبية⁽⁷⁾. لكننا لا يمكننا تصديقه عندما يتحدث عن السلم بين المسيحيين والمسلمين⁽⁸⁾. ففي عالمه، لا يمكن تخيل السلم إلّا فيما بين المسيحيين، والسلام العالمي يفترض الحكم المسيحي العالمي أصلاً. ولا يمكن للسلام بين المسيحيين والمسلمين أن يكون حقيقياً إلّا إذا كفّ المسلمون عن أن يكونوا مسلمين وأصبحوا مسيحيين، والمبدأ نفسه ينطبق على جميع الكُفار. وقد جرى التعبير ببالغ الوضوح عن منطق سلام لول في رواية الـ Blanquerna. فالبطل، بلانكرنا، كان أسقفاً راغباً في أن يعمل كصانع للسلم "volc haver lufici de pacificar". وقد اشتكى له اليهود ذات مرّة من أن المسيحيين، عشية عيد الفصح اليهودي، قذفوا يهوديين بالحجارة وجرحوهما. فأمعن الأسقف التفكير طويلاً في الشكاوي التي كان اليهود قد قدموها بشأن المسيحيين، ورأى أنه لو أن المسيحيين واليهود صاروا

¹ - أنظر: Ramon Llull , De loquutione angelorum , quoted in Gottron , 50 n.5.

² - أنظر: Ramon Llull , Felix , p.956.

³ - أنظر: Ibid. , p.954.

⁴ - أنظر: Ibid. , p.941.

⁵ - أنظر: Ibid. , p.894.

⁶ - أنظر: Ibid. , p.999.

⁷ - أنظر: Ramon Llull , Blanquerna , p.334.

⁸ - أنظر: Ramon Llull , De participatione Christianorum et Saracenorum , p.171.

على دين واحد، فإن سوء النية والخصام بينهم سوف يتلاشيان، وعندئذ أخذ الأسقف في زيارة المعبد اليهودي كل سبت لكي يعظ اليهود ويناقشهم، ساعياً إلى أن يصبحوا مسيحيين وإلى أن يشيدوا بيسوع المسيح ويمجدوه وإلى أن يكونوا في سلم مع المسيحيين"⁽¹⁾.

لأن المسلمين هم الأسوء بين غير المسيحيين وفق لول، فلن يكون هناك سلام في العالم إلا إذا كان هناك سلام بين المسيحيين والساسراسان⁽²⁾. والشرط المُسبق لذلك هو أن الساسراسان يجب أن يتخلوا عن عدم إيمانهم وأن يعتنقوا المسيحية. فسلام لول كان سلاماً مسيحياً، سلاماً ينطوي على خوض وكسب الحرب -الروحية والمادية على حد سواء- ضد المسلمين وغيرهم من غير المؤمنين⁽³⁾، يشمل ذلك المسيحيين الهراطقة والمُنشقين⁽⁴⁾. لقد كان "سلاماً مسيحياً Pax Christiana"، جرى وصفه في الـ Blanquerna بأنه "مجتمع من الأمم ترأسه البابوية"⁽⁵⁾. وكان يجب الوصول إلى السلم برّد العالم إلى النظام الإلهي بأية وسيلة يتطلبها ذلك : فالسلام هو تحويل العالم إلى مدينة للرب⁽⁶⁾.

يكتب المؤرخ "كلمر E. Colomer" قائلاً إنه في حالة رامون لول فإن المُنصر يتقدم على المُفكر⁽⁷⁾. أي أنه يريد أن يبلغ هدفه، وهو تنصير غير المسيحيين، بوسائل العقل، وعلى هذا فللعقل وظيفة الخادم. وكان يرى كتابه "الفن Ars" وقد تحقق فيه ما كان يطمح إليه على الدوام، وهو أفضل دحض ممكن لأقوال العقيدة غير المسيحية، أي الدحض الذي ليس بعده زيادة لمستزيد. ومثلما مرّ كتابه "الفن" حتى اكتماله النهائي، بتطور معين، إذ عمل لول فيه نحو ثلاثين

¹ - أنظر: Ramon Llull , Blanquerna , p.296.

² - أنظر: Ramon Llull , De participatione Christianorum et Saracenorum, p.171.

³ - ماستناك (توماش) ، مرجع سابق ، ص.310.

⁴ - في كتاب "استرداد الأرض المقدسة Liber de acquisitione terrae sanctae"، يُدافع لول عن غزو اللاتين للقسطنطينية. أنظر:

Hillgarth , Ramon and Lullism , p.84 ; Gottron , op.cit. , p.40.

⁵ - أنظر: Hillgarth , Ramon and Lullism , p.41 ; Gottron , op.cit. , p.9.

⁶ - أنظر: Wieruszowski , op.cit. , pp.152-159.

⁷ - أنظر: E. Colomer , Raimund Lulls Stellung zu den Andersgläubigen , p.219.

عاماً، عرف التطور أيضاً موقف لول من أصحاب العقائد الأخرى، وتحول حوار الطرشان الذي كان في البداية، آخر الأمر إلى المشادات، وتورط باستراتيجيات ملموسة للحملة الصليبية. وبناءً على ذلك يستطيع المرء أن يميز، كما أوضح ذلك "ليناريس A. Llinarès"، في حياة لول، طورين، أولهما طور المحاورات والآخر طور المشادات⁽¹⁾.

من الممكن أن يتطرق الشك مع ذلك إلى مسألة إمكانية النظر إلى تاريخ رحلته التنصيرية الأولى إلى تونس، حيث لم يفلت من قبضة الموت إلا بجهد جهيد، كما يقول، على أنه نقطة تحوّل في حياته، ذلك لأنه سبق له، في عام 1292م، أي قبل رحلته إلى تونس في عام 1293م، أن توجه بالتماس إلى البابا نيقولا الرابع ربط فيه لأول مرة أنشطته التنصيرية التي كان هدفها المعلن رد غير المسيحيين إلى المسيحية، بمشروع حملة صليبية لاستعادة الأرض المقدسة. وربما أمكن أن يكون الحافز إلى ذلك سقوط عكا في الثامن عشر من ماي عام 1291م. ذلك لأن خسارة عكا، وما جرى بذلك من سقوط نقطة الارتكاز الصليبية الأخيرة في فلسطين هزّ الغرب الأوربي وعالم المسيحية هزّاً. ويدخل لول ذلك في حساباته عندما يتحدث بعد عام عن الحزن الذي يهز مشاعر الناس جميعاً بسبب خسارة الأرض المقدسة.

من الجلي أن هذا الحدث الحاسم قد حمله على التفكير ومراجعة أفكاره الاستراتيجية بصدد الكيفية التي يجب مواجهة الإسلام بها، مراجعة جدية. وبالانطلاق من عملية التأويل المعدّل يتبيّن انعطافه وتحوله من حوار الطرشان إلى المشادة، مثلما يقول الباحث "هاجمان"، وحتى الوصول إلى النوايا المتصلة بالحملة الصليبية⁽²⁾.

7- مُحاربة رامون لول للرشدية (أفكار ابن رشد).

إزاء تسرب روح التحرر العقلي مع الرشدية اللاتينية، واحتدام الصراع بينها وبين الكنيسة في المؤسسات الدينية والعلمية الكبرى بأوروبا، عمد مفكرو الغرب اللاتيني إلى الدفاع عن

⁽¹⁾- أنظر : A. Llinarès , Raymond Lull : Philosoph de l'action , Paris , 1963 , p.269.

⁽²⁾- لودفيج (هاجمان) ، مرجع سابق ، ص.106.

مسيحياتهم القلقة إزاء جاذبية الإسلام، وسحر تفكيره الفلسفي وعمقه. وكان في استطاعة العصور الوسطى المسيحية أن تتجاهل ابن رشد تماماً ، لولا أنه كان أعظم شراح أرسطو ذلك الفيلسوف الذي أقبلت عليه هذه العصور إقبالاً عظيماً على يد مفكرها سواء كانوا علماء لاهوت أم فلاسفة⁽¹⁾، وكان رامون لول أحد هؤلاء ويعتبر زعيم وبطل معارضة الرشدية في العصور الوسطى بلا منازع، وكان أول من أعطى لكلمة رشدي معنى عاماً بمعنى نصير ابن رشد، بل ونصير كافة الضلالات⁽²⁾. فقد رأى لول بأنه لا يمكنه المضي في مشاريعه التصيرية الصليبية، دون القضاء على الفكر الرشدي داخل قلب أوروبا.

أ- الفلاسفة المسلمون في مؤلفات لول.

لم يُشر رامون لول اسمياً لأي عمل من أعمال الفلاسفة والمتصوفة المسلمين، المتواجدين بشكل أو بآخر، في مؤلفاته التي تناولت موضوع الإسلام، فيما عدا مناسبة واحدة. ففي كتاب "منطق الغزالي Lógica del Gatzell"، لم يظهر اسم الغزالي، ويذكر كتابه "مقاصد الفلاسفة"، والجزء الذي لخص منه المنطق في ذلك العمل المسمى⁽³⁾. وفي كتاب "أساسيات الطب Liber principiorum mediciae" استشهد رامون لول بابن سينا Avicena، ولم يشر إلى أي كتاب يختص بالنص المذكور⁽⁴⁾. وفي بحوث المستعرب الأسباني "آسين بالاثيوس Asín Palacios"،

⁽¹⁾ - الخضير (زينب محمود) ، أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار التنوير ، بيروت ، 2007، ص.7.

⁽²⁾ - نفسه ، ص.83.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull , Lógica del Gatzell , Ed. Stöhr , R.O.L. , Vol.I , Palmae Maioricarum , 1959 , pp.74-503 ; R.O.L.,Vol. II , Palmae Maioricarum , 1960 , pp.21-201 .

لكن في الترجمة اللاتينية، التي تعتبر أقدم من نسخة الرواية نقرأ ما نصه : " جزء من الكتاب الصغير الذي يحتوي منطق الغزالي ... " (Ibidem , nota 31) وأيضا في الـ *explicit* يظهر اسم نفس المؤلف في كتاب "مقاصد الفلاسفة" حين يقول بأن : المنطق علاج ولكن لفترة وجيزة" أنظر: Ramon Llull , Logica del Gatzel , ed. Galmés , O.R.L. , Vol. XIX , Palma de Mallorca , 1936 , p.3.

بالإضافة إلى ذلك، ظهرت في مقدمة النسخة اللاتينية، وثيقة مقدمة تتضمن منطق الغزالي (Ms. Lat. Monac. 10.538, fol.103) في: J. Rubio Balaguer , Lógica del Gazzali pasada en rims , Anuari de l'Institut d'Estudis Catalans , 1913-1914 , pp.332-352.

وينتهي نص الوثيقة بالعبارات التالية: "خلاصة واضحة من منطق الغزالي explicit compendium logice Algazelis" (Ibidem , fol.121) . في Ms. Lat.

⁽⁴⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Principles of Medicine , in : Selected works of Ramon Llul , edited and translated by Anthony Bonner , Vol.II , Princeton University press , NJ , 1985 , pp.1164-1167.

انصبت جهوده على اثبات أن الكرامات اللولية ترجع إلى حضرة ابن عربي⁽¹⁾. لكن لم يرد في أي من كتابات رامون لول اسم هذا المتصوف المسلم. ويعتقد نفس المستعرب الاسباني البارز أنه عثر في "كتاب البراهين" Libre de demonstracions (1275؟) على نسختين شبه حرفيتين لفقرتين من كتاب "الفتوحات المكية"⁽²⁾ للمتصوف المولود بمرسية، ولم يأتي على ذكر اسمه ولا حتى كتابه. الأمر سيان بالنسبة لـ "كتاب أسماء الله المائة" Cent noms de Déu (1292؟) و "كتاب الصديق والمحبوب" Libre d'amic e Amat (1278؟)، أين يشير آسين بالاثيوس أيضاً إلى تأثير هذا العمل الإسلامي⁽³⁾.

في الأخير، لم ينسب لول إلى نفس الصوفي التأويل الرمزي لنعيم الفردوس في القرآن، ولا المجد الروحي لنفسه الذي تحدث عنه في الكتاب الرابع من "كتاب معتقد السراسنة" Libre de la creença dels sarrains و "كتاب الوثني والحكماء الثلاثة" Libre del gentil e los tres savis (1270؟)⁽⁴⁾.

في "كتاب الغاية" Liber de Fine يُلمح لول إلى أحد كتب الكندي⁽⁵⁾، لكن دون ذكر عنوانه، وهو على الأرجح "كتاب الرسائل"⁽⁶⁾. علاوة على ذلك، يشير لول إلى كتاب آخر يُدعى "التأليف" Theliph⁽⁷⁾ بدون تحديد إسم مؤلفه. لكن رامون قام باستثناء فريد مع فيلسوف قرطبة،

⁽¹⁾ -أنظر: Asín Palacios , Ibn Masarra y su escuela , en Obras escogidas , I , Madrid , 1946 , p.208.

⁽²⁾ - أنظر:

Ibid. , pp.209-210.

⁽³⁾ - أنظر: Ibid. , pp.210-211.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ibid. , pp.1131-1133.

⁽⁵⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Darrer Llibre sobre la conquesta de Terra Santa , Introducció de Jordi Gayà , Traducció de Pèrre Llabrés , Departament de cultura de la Generalitat de Catalunya, Barcelona , 2002, p.148.

⁽⁶⁾ - أنظر:

Charles Lohr S.J. , Ramon Llull , Alquindi and Liber Telif , Estudios Lulianos , XII , 1968 , pp.145-160.

⁽⁷⁾ - وفقاً لـ "شارل لور" فإن مؤلف هذا الكتاب ليس ابن طفيل (1110-1185م)، ومن المحتمل أن العمل المعروف باسم "contrarietas alfolica تضارب الفقهاء"، الذي حرره مؤلف مجهول، وقد يكون الكندي الذي ألف كتاباً في الجدل الديني، وتمت ترجمته إلى اللاتينية في بداية القرن 13م، من طرف "ماركوس الطليطلي" Marcos de Toledo. أنظر:

Charles Lohr S.J. , Ramon Llull , Alquindi and Liber Telif , pp.157-158.

حيث كتب اسم ابن رشد لمرات عديدة وذكر مؤلفاته في سلسلة من الفقرات في كتاب "الكائنات الموجودة ببساطة من تلقاء نفسها وفعالة" "Liber de ente quod simpliciter est per se et se existens et agens" والمحرر في باريس سنة 1311م⁽¹⁾.

ب- ابن رشد والرشدية في مؤلفات لول.

يندرج ما يصطلح عليه "الرشدية اللاتينية Averroismo Latino" ضمن حقل موضوع البحث اللولي-الإسلامي، وتدخل في هذا الحقل أيضاً العلاقات المحتملة التي جمعت رامون لول بفكر الفيلسوف القرطبي في الحقبة الإسلامية. فخلال تواجده في باريس ما بين سنتي 1287م و1289م، ومنذ 1297م إلى غاية 1299م. وفي نواحي 1305م وما بين نوفمبر 1309م وسبتمبر 1311م⁽²⁾، وهي الفترة التي يصطلح الدارسون تسميتها بالفترة الباريسية من حياة لول، تمكن خلالها من تأليف سلسلة كتيبات أعمال وكتيبات⁽³⁾، منها بشكل خاص العناوين التالية: "كتاب رفض بعض أخطاء ابن رشد Liber reprobationis aliquorum errorum" ، و "Averrois" ، "مواظ ضد أخطاء ابن رشد Sermones contra errores Averrois" ، و

⁽¹⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Liber de ente quod simpliciter est per se et se existens et agens , Ed. Harada , en : R.O.L. , Vol. VIII , Turnholti , 1980 , p.245.

⁽²⁾ - أنظر:

H. Riedlinger , Introductio generalis (ad Opera Parisiensia) , en : R.O.L. , Vol.V , Palmae Maioricarum , 1967 , pp.114-124.

Ibid. , pp.117-124.

⁽³⁾ - أنظر:

يعرض "رايدلينجر" في تقديمه لمؤلفات لول الباريسية، قائمة لهذه الأعمال :

Ars mystica theologiae et philosophiae (noviembre de 1309); Liber de perversione entis removenda (diciembre de 1309); Liber de naturali modo intelligendi (mayo de 1310) ; Liber de possibili et=impossibili (octubre de 1310) ; Liber de fallaciis, quas non credunt facere aliqui, qui credunt philosophantes, contra purissimum actum Dei (cerca de noviembre de 1310); Disputatio Raimundi et Averroistae (después de octubre de 1310); Liber lamentationis philosophiae (febrero de 1311) ; Liber contradictionis (febrero de 1311); Liber de syllogismis contradictoriis (febrero de 1311); Liber de Deo ignoto et mundo ignoto (junio de 1311); Liber de efficiente et effectu (mayo de 1311); Liber de forma Dei (julio de 1311); Liber de existentia et agentia Dei (agosto de 1311); Liber de quaestione valde alta et profunda (agosto de 1311); Liber de fide catholica (agosto de 1311).

وحول العلاقة التي تجمع لول بالنزعة المضادة للرشدية أنظر:

E. Longpre, Lulle (Raymond) , Dictionnaire de Théologie Catholique , IX , Paris , 1926 , cols. 1119-1122). F. Van Steenberghen , La signification de l'œuvre anti-averroiste de Raymond Lull , Estudios Lulianos , IV , 1960 , pp.125-127. H. Riedlinger , Introductio generalis (Opera Parisiensia) , R.O.L. , Vol. V , pp.143-144.

Liber de ente, quod simpliciter est per se et propter se existens et agens هذه العناوين تصب كلها في خانة موضوع ابن رشد والرشدية⁽¹⁾. وقد انتهى من تأليف كتابه الأول في شهر جويلية من سنة 1310م⁽²⁾. وأتم إنجاز الثاني في أفريل من عام 1311م⁽³⁾. والكتاب الثالث "الكائنات الموجودة ببساطة من تلقاء نفسها وفعالة" الذي يعرف أيضا بعنوان "Liber de perseitate et finalitate Dei" أنجزه في سبتمبر من نفس السنة، مباشرة بعد مغادرته لباريس، للتوجه إلى فيين، قصد تقديمه للمجمع المسكوني الذي سيعقد بها⁽⁴⁾.

ألف رامون لول أعمالاً أخرى مضادة للرشدية. لكنها لم تشر بشكل مباشر إلى ابن رشد، بل إلى المنتسبين إلى مذهبه أي إلى الرشديين، كما حدث مع كتاب "مجادلة رامون والرشديين Disputatio Raimundi et averroistae"، والمحتمل أنه أنهاء بين أكتوبر و25 ديسمبر 1310م⁽⁵⁾، ومع كتاب "المتناقضات ضد الأطروحة الرشدية في القياس المنطقي Liber de syllogismis contradictoriis" المنجز مثل الكتاب السابق في باريس (فيفري 1310م عام تجسد المسيح في المعتقد الكاثوليكي)⁽⁶⁾، ومع كتاب "Liber de efficiente et effectu"،

⁽¹⁾ - على الرغم من العلاقة الوثيقة التي تجمع الرشديين بابن رشد، والحملة الشعواء التي خاضها رامون لول ضدهم في باريس، إلا أن الحقيقة التي ينبغي تقريرها أنهم لا ينتمون إلى الإسلام كما ظن رامون لول. والسبب الذي جعله يعتقد ذلك مثله مثل العامة هو كلمة averroista ، التي تعني أنصار ابن رشد فكريا والتي شاعت في القرن 13م. أنظر: M. Bouyges , Attention à "Averroista" , Revue moyen âge latin , IV , 1948 , pp.173-176.

⁽²⁾ - أنظر: Ramon Llull , Liber reprobationis aliquorum errorum Averrois , Ed. Riedlinger , en : R.O.L. , Vol.VI , Turnholti , 1978 , Explicit , p.318.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull , Sermones contra errores Averrois , Explicit ed. Harada , en : R.O.L. , Vol.VII , Turnholti , 1975 , p.262.

⁽⁴⁾ - يقول لول : "... intendimus praesentare العام المجمع للمسؤولين عن أعمال المجمع Concilium generale facientibus" أنظر: Ramon Llull , Liber de ente , p.191.

وقد تحقق له ما أراد بالفعل، إذ نقرأ في الأحكام التي قررها المجمع أنه يختار هذا الكتاب ليقدم إلى المجمع المسكوني للكنيسة. Ibid. , pp.239-245.

⁽⁵⁾ - أنظر: Ramon Llull , Disputatio Raimundi et Averroistae , Ed. Harada , en : R.O.L. , Vol.VII , Turnholti , 1975 , p.3.

⁽⁶⁾ - أنظر: Ramon Llull , Liber de syllogismis contradictoriis , Explicit ed. Harada , en : R.O.L. , Vol.VII , p.198.

الذي يحمل تاريخ ماي 1311م⁽¹⁾، ومع كتاب "مراثي الفلسفة أمام أخطاء الرشديين Liber lamentationis philosophiae"، المحرر في باريس بتاريخ فيفري 1310م⁽²⁾، ومع كتاب المتناقضات "Liber contradictionis" الذي يحمل نفس التاريخ السابق⁽³⁾.

من الغريب إمكانية التحقق أن رامون لول استخدم مفردة "رشدي Averroista"، قبل مصطلح "ابن رشد"، مع ذلك يجب الأخذ بعين الاعتبار -حسب ما أشرنا إليه للتو- أنه وفي القرن 13م الصيغة الأولى يمكن أن تكون مرادفة للثانية (أو يحملان نفس المعنى). وقد ظهر مصطلح "رشدي" لأول مرة في مؤلفات رامون لول في عمله الموسوم بـ "Disputatio Raimundi et averroistae" (1310م)، حيث بعد قراءته لهذا المصطلح وجملة "قال الرشدي Ait averroista" طرح السؤال التالي: "هل ما يعنيه الرشدي شارح أرسطو صحيح فكري ومضاد للإيمان الكاثوليكي؟ Utrum hoc, quod intelligit averroista per commentatorem Aristotelis contra sanctam fidem catholicam, sit vera intellectio"⁽⁴⁾. أي أنه ودون كتابة اسم "ابن رشد" بشكل مباشر، أتى على ذكره في جملة "شارح أرسطو commentatorem Aristotelis". لكن هذا استمر في الحدوث منذ وصوله إلى مدينة باريس، والتي كانت تعجّ بالرشدية والرشديين. ويكفي معرفة أن إدانة الأسقف "إتيان تومبييه" قد تم إقرارها سنة 1277م.

يرد أيضاً نفس المصطلح "رشدي" في بعض الروايات الواردة في "Liber de syllogismis contradictoriis" و "Liber de efficiente et effectu". ففي الكتاب الأول حكى على لسان أحد الرشديين أن الرشدية تقدم 44 اقتراحاً لقبول الإيمان الكاثوليكي: "Contra

¹ - أنظر:

Ramon Llull, Liber de efficiente et effectu , Explicit ed. Harada , en : R.O.L., Vol.VII , p.291.

² - أنظر:

Ramon Llull , Liber lamentationis philosophiae , Explicit ed. Harada , en : R.O.L., Vol.VII , p.126.

³ - أنظر:

Ramon Llull , Liber contradictionis , Explicit ed. Harada , en : R.O.L., Vol.VII , p.158.

⁴ - يعني لول هنا في عبارة واضحة ضلالة الرشدي حول الحقيقة المزدوجة. ولكن في نفس الوقت، العبارة لا تعني ابن رشد نفسه. أنظر:

Ramon Llull , Disputatio Raimundi et averroistae , p.9.

esse intelligibiles " التي تؤكد فهمها فلسفياً " philosophice"، لكن أشار إلى أن فهمها بشكل لاهوتي سيكون خاطئاً: "Theologice...sunt falsae"⁽¹⁾. ويوجد في كتاب "Liber de efficiente et effectu" ملخصاً لمناظرة -حقيقية كانت أو افتراضية- حيث اجتمع رامون لول بأحد الرشديين. "الرشدية... قال بأنه وافقه عليها فلسفياً وفقاً لطريقة الفهم، وأن الإله ليس هو العلة الفعالة، لكن فقط يمكن أن يكون النهاية أو القضية الأولى (أو العلة الأولى). اسمحو لي أن أعرف، بأنه كان مسيحياً⁽²⁾، وقد أكد، أن الإله هو العلة الفعالة، وفقاً لطريقة الاعتقاد عندما كان متوشحاً على عادة الإيمان الكاثوليكي. ومع ذلك، رامون لول ومريدوه، كانوا يقولون أن الإله هو العلة الفاعلة. وهذا أيضاً يستلزم إثباتاً فلسفياً ودينياً، عندما تكون الحقائق تتمحور حول أن الحقيقة الفلسفية خادمة للاهوت"⁽³⁾.

بشكل مُشابه، طوّر لول حجة كتاب "Liber contradictionis"، أي أن العنوان يشير إلى التناقض الموجود في مذهب "الحقيقة المزدوجة". "أتباع رامون قالوا بأن الرشدية تتضمن تناقضاً، لأنها من خلالهم تنكر بالمعنى المطلق أن الإله متواجد في الأقاليم الثلاثة، وتنكر الخلق والتجسد وأشياء من هذا القبيل، لكنه يؤمن بالعكس، عندما يقول بأنه كان كاثوليكياً، مسيحياً ووفياً". "وجد الرشدي عذراً ومبرراً يُسوغ به لنفسه إذ قال أنها لا تتضمن أي تناقض، لأنه فهم أن الإله غير موجود، وفقاً لطريقة الفهم، وأن الإله ليس ثالثاً الخ. لكنه يعتقد بأنه ثلاثة الخ. ولأنهم

⁽¹⁾ - هذه إشارة صريحة يوردها لول لأحد أهم أطروحات الرشديين، حيث قد تكون الحقيقة صحيحة لاهوتياً وكاذبة فلسفياً، والعكس صحيح. أنظر: Ramon Llull, Liber de syllogismis contradictoriis, p.170.

في هذا الكتاب، لا يقتصر لول على كتابة مصطلح "رشدي"، ولكن ينسب للرشدية اللاتينية خمس وأربعين ضلالة، وفي أثناء ذلك، يدحضها واحدة تلو أخرى: "مع المنطق ... الذي سأجعله بمثابة أداة بالنسبة لي، أنوي أن أثبت، المواقف التي قد تكون كاذبة أو مضللة، بالقياس المنطقي،

: "Cum syllogismis..., quos facio pro me, intendo probare, quod positiones tuae sunt falsae et erroneae, Syllogismi,"

Ramon Llull, Liber de syllogismis contradictoriis, pp.170-171. أنظر:

⁽²⁾ - يعني لول بشكل جلي ما يُسمى الرشدية اللاتينية.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull, Liber contradictionis, ed. Harada, en: R.O.L., Vol.VII, p.274.

يفهمون الفرق بين الاعتقادين، فحتما لا تتناقض في ثناياهما، مع أو نفس الشيء، هناك وجود لتناقض في التأكيد والنفي" (1).

في الكتاب المعنون بـ"مواظ ضد أخطاء ابن رشد Sermones contra errores Averrois" أتى أيضاً على ذكر الرشدیین، في السياق في آخر الكتيب (2)، كما كشف العنوان عن دحض أخطاء ابن رشد. كما كتب هذا المصطلح في "كتاب مراثي الفلسفة Liber lamentationis philosophiae"، الذي أنهاه في فيفري 1311م بباريس، وكرسه لفيليب الوسيم وموجه ضد الرشدیین، ذكر في مقدمته: "ملك الفرنجة، الأكثر لمعانا بين الأمراء وأكثرهم رزانة، إنه السيد (اللورد) فيليب". "يجب أن تمنح مدينة باريس لي دونا عن أتباع ابن رشد لضمان إرشادهم أنهم على ضلال (3)، مؤكداً، أن وفق طريقتي في الفهم، أن الشيء المدرك بالعقل، وهو

¹ - أنظر: Ramon Llull , Liber contraditionis , p.138.

² - الذي يقول فيه : " للتحدث علنا ضد مثل هذه الضلالات سيتم استبعاد وتحريم الأسباب الوجيهة جدا لإزالة الشعر بالشعر عن الإيمان الكاثوليكي في المناقشات الرشدية".

"Facere ... sermones contra tales errores excommunicatos esset valde bonum, quia fortificarentur rationes pro fide catholica in disputationibus Averroistarum"

أنظر: Ramon Llull , Sermones contra errores Averrois , ed. Harada , R.O.L., VII p.262.

لا يصرح لول فقط عن المقترحات العشر التي قام بدحضها في هذا العمل، بأنها تعزى إلى ابن رشد (بوضعه لعبارة : "يقول ابن رشد Ait Averroes") ولكنه يعرف أيضا أنها من بين المقترحات التي أدانها الأسقف "إيتيان تومبييه في سنة 1277م : "انطلاقاً من المقترحات العشر التي أدانها أسقف باريس فقد قال رامون بها أيضا"

"Fecit Raimundus decem Sermones ex decem propositionibus ab Episcopo Parisius condemnatis".

أنظر: Ramon Llull , Sermones contra errores Averrois , ed. Harada , R.O.L., Vol.VII p.262.

³ - يظهر خطأ في هذا الكتاب التقاء رامون لول بابن رشد في مدينة باريس، والحقيقة أنه التقى بالرشدیین اللاتين، ولعل السبب في ذلك أنه كتب على منوال عنوان مؤلفه "مواظ ضد أخطاء ابن رشد". أنظر:

Ramon Llull , Sermones contra errores Averrois , ed. Harada , R.O.L., Vol.VII , p.246.

وما ينفي ذلك العبارة التي أوردها لول بأن محاوره الرشدی كان مسيحياً وأن عاداته كلها كانت كاثوليكية : " Averroista erat christianus", "cum de fide catholica esset habituatus", وأكد لول أن الإله هو العلة الفاعلة. أنظر:

Ramon Llull , Liber de efficiente et effectu , p.274.

وبالمقابل قدم لول ابن رشد على أساس أنه أحد السراسنة حينما يعارضه وبشكل واضح هو جميع المسلمين الذين عارضوه أيضاً: "Saraceni, autem, licet sint infideles, Averroim, qui etiam erat saracenus, lapidaverunt propter errores, quos contra legem eorum inducebat ; nec rationes ipsius non est aliquis eorum ausus palam divulgare"

أنظر: Ramon Llull , Sermones contra errores Averrois , ed. Harada , R.O.L., Vol.VII, p.246.

في عهد السلطان الموحيدي أبو يوسف يعقوب المنصور بالله، الذي تولى الحكم سنة 580هـ/1184م، كان هناك رد فعل عنيف ضد ابن رشد، ونجح الوشاة في إيغار صدر السلطان على ابن رشد، بحجة أفكاره الفلسفية، ذلك أن جانباً من الفقهاء ومن أنكره من العامة، نقموا على ابن رشد اشتغاله بعلوم الأوائل من فلسفة وفلك، واعتنائه بمؤلفات أرسطو تفسيراً وتلخيصاً، ولكن الحقيقة أن هذه الذريعة التي تحججوا بها لم تكن السبب الحقيقي، لأن السلطان الموحيدي كان هو الآخر من المشتغلين بعلوم الأوائل والحريصين على العناية بها والمقربين لأصحابها وابن رشد من أهمهم. وقد عقد السلطان جلسة مع جمع من الفقهاء لدراسة أفكاره، من وجهة نظر دينية، وأدانت الأغلبية الساحقة آراء ابن رشد وأمر بأن يقيم إقامة جبرية في أليسانة، وهي بلدة قريبة من قرطبة. غير أن المنصور بالله لما عاد بعد ذلك إلى مراكش، تدخل بعض الناس لصالح ابن رشد، وشهدوا لأبي الوليد بغير ما نسب إليه ، فعاد المنصور ورضي عن ابن رشد، واستدعاه للإحسان إليه إلى أن توفي ابن رشد سنة 1198م. والواقع أن أرجح سبب لمحنة ابن=

موضوعي، كما يقولون هو الإيمان الكاثوليكي الخاطئ والكاذب، ولكن عن طريق الإيمان يكون صحيحاً" (1).

ورود كلمة "رُشدي" في مؤلفات رامون لول المضادة للرشدية، تشي بالتفاوت الموجود بين عظم حملة لول المضادة للرشدية والظهور النادر والبطيء لهذا المصطلح في كتاباته (2)، أين يبدو لول مقتنعاً أن خطأ ابن رشد الخصائصي كان مذهب الحقيقة المزدوجة. نفس الشيء يجب أن يقال على كلمة "ابن رشد" التي كتبها لأول مرة أثناء تواجده في باريس شهر جوان 1310م في كتاب "Liber reprobationis aliquorum errorum Averrois, quos contras christi" "fidem sanctam catholicam aliqui nituntur inducere" (3)، الذي يشير فيه إلى الفيلسوف القرطبي ويلمّح إلى الرشديين، أين تظهر العلاقة الحميمة التي كان يراها رامون لول بين الرشدية اللاتينية ومذهب الفيلسوف المسلم.

ج- حملة لول المُعادية للرشدية في جامعة باريس.

ورد في السيرة المعاصرة للول، زيارته المتكررة إلى باريس، التي كانت على الخصوص، مثلاً يقرر "إرنست رينان"، مسرح مآثر لول ضد الرشديين (4)، وكانت جامعتها بالذات، من أكبر المراكز الفكرية للمسيحية، وعرفت في تلك الفترة شيوعاً لتعليقات وشروحات ابن رشد للعلم الأرسطي، حيث شكلت تفسيراته مرجعية بالغة الأهمية (5). لذلك، تصور لول أن خطر هذا التغلغل سينجم عنه إدخال الفكر الوثني إلى المسيحية، وأنه لا أمل لنجاح مشروعه التنصيري إذا

=رشد هي ما يتعلق بدوافع سياسية محضة وهي العلاقة التي كانت تجمع ابن رشد بأبي يحيى ، أخي المنصور، والي قرطبة. للمزيد ارجع إلى : عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ج.1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ص ص. 19-40 .

¹ - أنظر: Ramon Llull , Liber lamentationis philosophiae , p.86.

² - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y El Islam , Palma de Mallorca , 1981 , p.344.

³ - أنظر: Ramon Llull, Liber reprobationis aliquorum errorum Averrois , pp.288-318.

⁴ - يورد رينان نقلاً عن تجميع لسيير القديسين، ما نصه أن لول في حملته المضادة للرشدية، حذر مرتادي جامعة باريس وخاصة من فئة الشباب، من خطر الرشدية وأرائها التي تقصد عقولهم، والتي وجب حرقها. أنظر: رينان (إرنست) ، ابن رشد والرشدية ، ترجمة عادل زعيتر ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، 2013 ، ص.207.

⁵ - أنظر:

López Alcalde (Celia) , El Liber de anima rationali , primera obra antiaverroísta de Ramon Llull? , Revista de lenguas y literaturas catalana , gallega y vasca , 15 , 2010 , p.351.

تسرب فكر ابن رشد الإسلامي إلى عقول اللاتين. لذا دَوّن محاضر منازعاته في طائفة من الرسائل الصغيرة المؤرخة فيما بين 1310م و 1312م والتي وجهها لول ضد الرشديين الباريسيين⁽¹⁾.

شجّع الصخب الفكري الكبير الذي وجده لول في باريس، على مواصلة حملته ضد الرشدية، إذ أنه في ديسمبر من نفس السنة⁽²⁾، ألف "كتاب Liber Natalis pueri parvuli christi Iesus"⁽³⁾، والذي قدمه خصيصاً، في جانفي من عام 1311م، لملك فرنسا فيليب الرابع الوسيم، و تشيع فيه، كما في المؤلفات السابقة، كلمة "ابن رشد" ويلمّح إلى الرشدية⁽⁴⁾، لكن بدون أن يظهر المصطلح. بعدئذ، نقراً عبارة "هذا اللاهوتي المسلم"، في كتيب بعنوان "مواعظ Sermones contra errores Averrois"، حرّره في شهر أفريل من سنة 1311م⁽⁵⁾، واستشهد به رامون لول بطريقة خاصة، حسب ما رأينا في كتاب "Liber de ente quod simpliciter est per se et propter se existens et agens (Liber de perseitate et

¹ - رينان (إرنست) ، مرجع سابق ، ص.207.

² - أنظر: Ramon Llull , Vita coaetania , XI , p.83.

³ - أنظر:

Ramon Llull , Liber Natalis pueri parvuli christi Iesus , Ed. Harada , en : R.O.L. , Vol.VII , pp.30-73.

وكذا النص القطلاني أنظر:

Ramon Llull , *Del Naixementde Jesús infant* , Versió de Mossèn Llorenç Ribet. Revisió i anotació de Miquel Batllori , S.J. , en O.E. , II , Barcelona , 1960 , pp.1274-1295.

⁴ - في كتاب "ميلاد السيد المسيح" جاء هذا التلميح في سياق : " طلب ست سيدات من مريم العذراء التوسط لدى ابنها، من أجل أن يعمد ملك فرنسا جنبا إلى جنب مع السلطات الكنسية إلى محاربة هذا الفكر الذي يحتوي ضلالات كثيرة ضد قاعدة الإيمان الكاثوليكي، والذي عرف شيوعا في باريس وهي كتب وأفكار ابن رشد، وبهذا الشكل لن يجرؤ أحد على قراءتها أو الاستماع إليها، ومن أسوء هذه الأفكار وأكثرها خطورة الفكرة القائلة بولادة العديد من الأشياء المختلفة. وإنه لمن العار والخزي اللذين لا يحتملان للإيمان المسيحي، أن يقول الناس بأنه من المؤكد أن ابن رشد يحاكي الثالث". أنظر:

Ramon Llull , Liber Natalis pueri parvuli christi Iesus , Ed. Harada , p.69.

⁵ - أنظر:

Ramon Llull , Sermones contra errores Averrois , op.cit. , Ed. Harada , R.O.L. , Vol.VII , p.262.

(finalitate Dei) الذي ألفه في باريس، شهر سبتمبر اللاحق ⁽¹⁾، والمقترح تقديمه إلى مجمع فيين المسكوني (1311-1312م) ⁽²⁾، لذلك السبب، واشتمل على عشر بنود ⁽³⁾.

لكن لول اضطر بعد ذلك إلى العدول عن فعل ذلك، لأنه في الواقع، اعتقد بأن كتابته لم تكن كافية بالنسبة لذلك. ولا يبدو أن الكتيب المعنون بـ: "De perseitate et finalitate Dei" قد كان مقصودا أن يستهدف المجمع المسكوني الذي عقده البابا كليمنت الخامس، لأغراض أشار إليها في المرسوم البابوي "Bula Alma Mater" (04 افريل 1310م) وهي: مسألة حل هيئة فرسان المعبد، إغاثة الأراضي المقدسة وإصلاح عادات الكنيسة والدولة ⁽⁴⁾. لهذا السبب، قام رامون لول بتلخيص البنود العشرة، وقدم مذكرة معروفة باسم: "Petitio Raumundi in Concilio generali ad acquirendam Terram sanctam" ⁽⁵⁾، أين أشار إلى الرشديين، دون ذكر لابن رشد ⁽⁶⁾، ومحرمات لعقيدة "الحقيقة المزدوجة".

في الواقع، وفي اللحظة التأسيسية لكنيسة أفينيون، أدرك لول ماهية التعاون بين الملك الفرنسي فيليب الرابع والبابا كليمنت الخامس. ففي شيخوخته، فهم لول سريعا ما كان يحدث. وقد أسعده أن يهدي رسالته المضادة للرشدية التي تحمل عنوان: "تبديد بعض أخطاء ابن رشد" إلى

¹ - أنظر: Ramon Llull , Liber de ente , Explicit , R.O.L. , Vol.VII , p.245.

² - حول مرسوم Bula Alma Mater ، الذي تم استحضاره في المجمع الذي افتتحت أشغاله بداية من 01 أكتوبر 1311م أنظر:

Hefele Leclercq, Histoire des Conciles , VI , d.p. , Paris , 1995, pp.643-644.

لكن في الواقع، وحسب جارسيا بالو فإنه تم افتتاحه يوم 16 أكتوبر 1311م. أنظر:

Garcias Palou , Ramon Llull ante la convocación del concilio de Vienne, Estudios Franciscanos , LXXXVI , 1975, pp.343-358.

³ - أنظر: Ramon Llull , Liber de ente , Ed. Harada , R.O.L. , Vol.VIII, pp.239-245.

⁴ - أنظر:

Hefele Leclercq, op.cit. , p.645 ; Garcias Palou , Ramon Llull y la abolición de los templarios , Hispania sacra , XXVI , pp.123-136.

⁵ - أنظر: Ramon Llull , Petitio Raymundi in concilio generali ad acquirendam Terram Sanctam , in Wieruszowski (Helene) , Politics and Culture in Medieval Spain and Italy , pp.167-168.

⁶ - جاء في العريضة ما معناه : "... أن بعض الفلاسفة يعتقدون بأن الفلسفة ترفض الإيمان المقدس والعقيدة الكاثوليكية، ولا يمكن تصور الإيمان عن طريق الحواس ... وأنا أقول الكثير حول هذه النقطة بالذات، وهو شيء جيد بالنسبة للبابا والكرادلة، حيث بإمكانهم اتخاذ قرار ضدهم، لأن هذه الحقيقة تتعارض مع اللاهوت، لكن حينما يتعلق الأمر بالفلسفة الطبيعية فإنها ستكون على وفاق مع اللاهوت...".

أنظر: Ramon Llull , Petitio Raymundi in concilio generali , pp.167-168.

كل من فيليب وكليمنت، مُشيداً بهما بوصفهما "عالمي الدين المسيحي". وشجعهما على استخدام رسالته في "القضاء المُبرم على الأخطاء المُرتكبة ضد الدين الكاثوليكي" (1).

د- نظرية الحقيقة المزدوجة أو التوفيق بين الفلسفة والدين.

ظل رامون لول، في مؤلفاته الأولى، يحلم بتوليفة فسيحة وبمصالحة عظيمة مابين اللاهوت والعلم، أخذاً في الحسبان إدانة عام 1277م، وهذا ما يبرز من مؤلفه "تصريح" الذي حرره سنة 1298م، متخذاً شكل حوار ما بين رامون لول وسقراط. فالرجلان ينبذان فكرة "الحقيقة المزدوجة" التي تنسب للرشديين، وينتشر جدالهما خلال 219 من الفصول حول جميع القضايا التي أداها أسقف باريس، ولبت كل منهما يدلي بأسبابه، أحدهما موافقاً لإتيان تومببيه والآخر موافقاً للفلسفة. وفي الختام، قررا أن يخضعا للنتائج لحكم أسقف باريس وعلمائها اللاهوتيين، منصبين الكنيسة قاضياً أعلى في مادتي الفلسفة والعلم.

تورد "السيرة المعاصرة" التي تم تحريرها في تلك الفترة، فيما بين أوت وسبتمبر 1311م (2)، أن لول لما غادر باريس متوجهاً إلى فيين، كان يحمل معه جملة من المقترحات التي ينوي عرضها على المجمع الكنسي العام المنعقد فيها، منها مقترح يرى فيه لول سرعة البث فيه ونصه أنه: "خلفاً لآراء ابن رشد، التي ثبتت في نواحي كثيرة أنه عاكس للحقيقة، فإنه ينبغي على البابا المقدس كليمنت أن يأمر بسرعة بإيجاد علاج لها، من خلال تدخل الكاثوليكين الحكماء، الذين لا يعينهم مجدهم الشخصي بل شرف المسيح، مُعارضين للآراء المذكورة ولأولئك الذين يعتقونها، ولهم، وهي الآراء التي يبدو أنها تتعارض مع الحقيقة والحكمة، اللذين يتمثلان أساساً

Hillgarth , Ramon Lull and Lullism , p.114.

¹ - أنظر:

² - في المرسوم البابوي المذكور آنفاً Bula Alma Mater، تم استدعاء المجمع العام لفيين بتاريخ 01 أكتوبر 1311م، ويظهر أن رامون لول كانت لديه أخبار دقيقة حول انعقاده والتي تثبتها السيرة المعاصرة التي أملاها على الرهبان الكارثوسيان في فوفرت. ولذلك كتب فيها أنه : " علم بأن الأب المقدس، البابا كليمنت الخامس، كان سيحتفل بالمجمع العام في مدينة فيين الفرنسية خلال نهاية أكتوبر من عام 1311م، فقرر رامون الذهاب ..."

Ramon Lull , Vita coetánia , XI , p.81.

أنظر:

في الثالث⁽¹⁾. ومحاولة تصدي لول لآراء ابن رشد، بالنسبة له ضرورية جدا لأنه يرى في شيوخ مثل هذه الأفكار الإسلامية خطرا كبيرا يتمثل في انهيار سيادة اللاهوت المسيحي⁽²⁾.

بالتالي، فمن الممكن -لكن ليس على وجه اليقين- أن رامون لول اعتقد بنظرية الحقيقة المزدوجة، وهو الاقتراح الذي يمكن أن يكون، من وجهة النظر اللاهوتية صوابا، ومن وجهة النظر الفلسفية، خاطئا، والعكس- وهي الفكرة التي قال بها رشديو باريس، وأشارو إلى أنها نابعة من شروح ابن رشد، على الأقل اسميا، فإن معظم أعمال رامون لول المضادة للرشديين أشارت إلى ضلالات من يدعوهم الرشديين، وثلاثة فقط من هذه الأعمال وهي : Liber reprobationis aliquorum errorum Averrois (Sermones contra errores Averrois) , Liber de ente, quod simpliciter est per se et propter se est existens et agens فقط من أشار فيها إلى ابن رشد. لكن الغريب أنه لم يشر ولا في واحدة من هذه المؤلفات الثلاث الأخيرة إلى ما يرتبط بالحقيقة المزدوجة، لكنه أشار إلى الرشديين، حسب ما رأينا في كتاب Liber de syllogismis contradictoriis، وفي كتاب "Liber contradictionis"، وكذا كتاب "Liber de efficiente et effectu"، وكتاب "Liber lamentationis" ، وغيرها. من جانب آخر، تجدر الإشارة إلى أن كتاب "Liber philosophiae reprobationis aliquorum errorum Averrois" حدد هذه الضلالات أو الأخطاء

¹ - أنظر: Ramon Llull , Vita coetania , XI , p.83.

إضافة إلى المؤلفات التي وضعها لول ردا على ابن رشد والرشدية، نجد في السيرة المعاصرة فقرات تصب في هذا المنهج منها : " ..نتيجة لما كتبه المعلق على أرسطو، فإن ابن رشد، قد ضلّ كثيراً عن الطريق المستقيم للحقيقة، وخاصة فيما تعلق بالإيمان الكاثوليكي، حيث يقول ان الإيمان المسيحي كان مستحيلا فيما يتعلق بالعقل، وإن كان صحيحاً فيما يتعلق بالاعتقاد. الأمر الذي استنكره مجتمع المسيحيين ...". أنظر: Ramon Llull , Vita coetania , X , p.81. وفي هذه الفقرة، إشارة صريحة من لول مرة أخرى، إلى فكرة الحقيقة المزدوجة، التي قال بها الرشديون.

² - أنظر:

Coralba Colomba , Ramon Lull at the Council of Vienne (1311-1312): the Last Anti-Averroistic Fight for the Demonstrability of the Faith , Mediaeval Sophia , Studie Ricerche sui saperi MEDIEVALI , N.13 , gennaio-giugno 2013 , p.52.

العشرة⁽¹⁾، من بينها تسعة على الأقل، وجدت مضمنة في قائمة من 45 ضلالة، المخصصة للرشديين⁽²⁾.

طوال إقامته في مدينة باريس، كان رامون لول مُنشغلاً بدحض الرُّشدية اللاتينية، ومكمن الخطورة بالنسبة له هو أنها قبلت الفلسفة الأرسطية وحتى الفلسفة الإسلامية، بكل أخطائها وضلالاتها وتبعاتها على حقل الإيمان الكاثوليكي، دون محاولته ولو حتى التوفيق بين التعاليم المسيحية، ولا حتى تبعيتها فيما بينها، ومختلقاً، من أجل تجنب التزام السلطة الكنسية، نظرية الحقيقة المزدوجة النادرة. وفي هذه الفترة حبس رامون لول نفسه داخل كلية الفنون في باريس، لكنه أجبر اللاهوتيين على خلق وحل مشاكل جديدة⁽³⁾.

قبل ذلك، وخلال المرحلة الثانية لأستاذية القديس "توما الأكويني" في جامعة باريس (1268-1272م). وحين لم يكن رامون لول قد وصل بعد إلى هذه المدينة، حرّر الاكويني سنة 1270م كتيباً بعنوان "في وحدة العقل ضد الرشديين De unitate intellectus contra Averroistas" وفيه ظهرت كلمة "رشدي" لأول مرة، متخذاً دور الحامي والمدافع عن "وحدة العقل"، وفق المذهب الأرسطي⁽⁴⁾. ونحا نحوه القديس بونافنتورا (ت 1274م)، والقديس ألبرت الكبير (ت 1281م)، وروجر باكون (ت 1292م)، آخذين بعين الاعتبار، الخطر الجسيم الذي يتهدد الثقافة المسيحية من جراء تأثير عقيدة الحقيقة المزدوجة، وهذا هو الدافع في عمل لول

⁽¹⁾ - من هذه الضلالات حسب لول : "أن الإله لا نهائي في المقدرة"، "أن الإله لا يعرف الجزئيات"، "أن الإله ليس ثالثاً"، "أنه ليس هناك شئ يعرف بالخلق"، "أنه لا يوجد إلا عقل واحد لكل الجنس البشري"، "أن الإله لا يستطيع أن يهب الخلود أو اللامادية لشئ من شأنه أن يفسد أو أن يفنى"، "أن الإله لا يعرف شيئاً إلا ذاته"، "أن البعث غير ممكن". أنظر:

Ramon Llull , Liber reprobationis aliorum errorum Averroes , p.289.

⁽²⁾ - أنظر: Ramon Llull , Liber de syllogismis contradictoriis , pp.170-171.

⁽³⁾ - أنظر:

M. Grabmann , Historia de la teología católica , (desde fines de la era patristica hasta nuestros días) , Madrid , 1940 , pp.64-65.

⁽⁴⁾ - يذكر توما الاكويني في كتابه هذا ما نصه : "... يقبل الرشديون بما قصده أرسطو من أن العقل ليس هو النفس، والتي هي صورة الجسم، أو جزء من هذه الروح ...". أنظر:

Saint Thomas (Aquinas) , On the unity of the intellect against the Averroists , translated from the Latin with an Introduction by Beatrice Hope Zedler , Marquette University Press , Milwaukee , 1968 , p.33.

الموسوم بـ: "Liber de syllogismis contradictoriis"، وتحمسوا لإظهار الوحدة العضوية للحكمة المسيحية (1).

انتقد لول في مؤلفاته فكرة ابن رشد حول الحقيقة المزدوجة. ففي "كتاب إدانة أخطاء ابن رشد"، ينسبها إلى الرشدية، ولكن ليس إلى فيلسوف قرطبة (2). ويذكر لول في مقدمة كتاب "Liber Syllogismis contradictoriis" مجموعة من الأخطاء، حيث يقول أنصار رامون لول للرشديين: "لقد أحضرتم أربعا وأربعين خطأ، والعديد من المقترحات المضادة للإله والمخالفة للإيمان الكاثوليكي المقدس، والتي يمكن القول بأنها مفاهيم فلسفية. لكن في المعايير اللاهوتية، أعتقد أنها ليست صحيحة، وهكذا يتورط التناقض، أن هناك حقيقة واحدة فقط فلسفية ولاهوتية" (3). ولكن ابن رشد لم يدافع أبداً على هذا المذهب، إلا في "التوافق بين الوحي والعلم" (4). ومع ذلك، تشير السيرة الذاتية "vita coetanea"، بأن رامون لول عزا أطروحة الرشديين حول الحقيقة المزدوجة إلى "معلق وشارح أرسطو، وهو ابن رشد" (5).

والأمر الأكيد الذي يقره "جارسيا بالو"، أن ابن رشد عندما كتب عبارة "الوحي" في كتابه "فصل المقال"، إنما كان يعني الوحي المحمدي وهو القرآن، ولم يكن يقصد به الوحي المسيحي (6)، واستشهد بمقدمته حين يقول: "بعد حمد الله بجميع محامده، والصلاة على محمد، عبده المطهر المصطفى، ورسوله. فإن الغرض من هذا القول، أن نفحص على جهة النظر

¹ - أنظر:

F. Van Steenberghen , La signification de l'œuvre anti-averroïste de Raymond Lull , Estudios Lulianos , IV , 1960 , pp.118-121 ; A. Forest , F. Van Steenberghen , M. De Gandillac , Le mouvement doctrinal de IXe a XIVe siècle (Histoire de l'Eglise depuis les origines jusqu'à nos jours) , XIII , Paris , 1956 , pp.311-313.

يتجلى هذا القلق والاهتمام الكبير في الكتيبات التي حررها القديس بوناونتورا، ومنها: "كتيب يعنى بخفض الفنون إلى اللاهوت De Itinerarium mentis in Deum " reductione artium ad theologiam " بين عامي 1257-1259م، كتيب "الطريق إلى الله Collationes de donis Spiritus sancti" المحرر عام 1259م، كتيب "تشاور حول هبات الروح القدس Collationes in Hexaëmeron" المحرر عام 1268م وأخيراً كتيب "تشاور حول أعمال الإله Collationes in Hexaëmeron" المحرر عام 1273م.

² - أنظر:

Ramon Llull , Liber de syllogismis contradictoriis , p.288.

³ - أنظر:

Ibid. , p.170.

⁴ - ابن رشد ، فصل المقال ، ص.32.

⁵ - أنظر:

Ramon Llull , Vita coetania , X , p.81.

⁶ - أنظر:

Garcias Palou (Sebastian) , Ramon Llull y el Islam , p.362.

الشرعي، هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مُباح بالشرع؟ .. أم محظور؟؟ .. أم مأمور به...⁽¹⁾، ويجب : "خُص عليه الصلاة والسلام بالبعث إلى الأحمر والأسود أعني لتضمّن شريعته طُرق الدعاء إلى الله تعالى، وذلك صريح في قوله تعالى : (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتّي هي أحسن). وإذا كانت هذه الشريعة حقاً، وداعية إلى النظر المؤدي إلى معرفة الحق، فإننا معشر المسلمين، نعلم، على القطع، أنه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مُخالفة ما ورد به الشرع، فإن الحق لا يُضاد الحق، بل يوافقه ويشهد له"⁽²⁾. ومن الواضح إذاً، أن فكرة الحقيقة المزدوجة التي قالت بها الرشدية اللاتينية، لا تبدوا وكأنها تعتمد بشكل أو آخر على فكر ابن رشد⁽³⁾.

على أن رامون لول حاول في السنوات التالية، إحكام توليفة منطقية واسعة، يقوم أساسها على الرياضيات، وقد تتيح أن تشمل المعرفة الشاملة وترتيبها، وتصنفها، وإن صنع عموداً تشفعها رموز ومداخل متعددة، كان عليه أن يجعل من الممكن دراسة جميع المشكلات دراسة دقيقة ومسهبّة⁽⁴⁾. وفي مؤلفه "الفن الكبير العام والنهاي" الذي ألفه ما بين 1305م و1308م، أعرب رامون لول عن أسس علمه المنطقية التي تكمن في إضفاء تراتب السلطة على مبادئه hiérarchiser : "أقام العقل البشري مقره في الرأي البسيط أكثر مما فعل في العلم، وهو ذا

⁽¹⁾ - ابن رشد ، فصل المقال ، ص ص.21-22.

⁽²⁾ - نفسه ، ص ص.31-32.

⁽³⁾ - حافظت بعض الدراسات الغربية المعاصرة حول ابن رشد على زيف إسناد سلسلة من الأخطاء المنسوبة لفيلسوف قرطبة، من بينها تلك التي تحتوي بشكل رئيسي، على فكرة وحدة العقل في جميع البشر وفكرة الحقيقة المزدوجة. أنظر:

S. Gomez Nogales , S.J. , La immortalité de l'âme , à la lumière de la noétique d'Averroès , Pensamiento , XV , 1959 , pp.155-176 ; ID. , Saint Thomas , Averroès et l'averroïsme , Mediaevalia Lovaniensia , Series I , Studia V , 1976 , pp.162-177 ; ID. , En torno a la unidad del entendimiento de Averroès , Múltiple Averroès , Les belles lettres , S.D , S.N , pp.251-256.

⁽⁴⁾ - رأى "لايبنتز" في هذا المشروع الطموح الخاص بـ "علم عام" تصوراً مسبقاً لمحاولاته الخاصة. حيث نشأت فكرة لايبنتس عن اللغة الحسابية جزئياً من مشروع لول هذا. فقد ابتكر لول العديد من المخططات لعرض الرموز التي تشير إلى صفات الإله مثل "الخيرية" و"الأزلية" و"العظمة". ويمكن لمجرد التأمل في هذه الصفات أن يرشد الضال ويحقق المراد، والتلاعب بالرموز يمكن أن يلعب دوراً في عملية الاستدلال أو يجسدها على الأقل، لذا زعم لول أن المسلمين يمكن أن يروا حقيقة المسيحية إذا قدروا الفضائل المختلفة التي يمتلكها المسيح الإله حق تقديرها، أي إمكانية إقناع المسلمين بالمسيحية عن طريق التعبير عن صفات الرب في المسيحية برموز رياضية، وهو الجهد الذي يراه "أنطوني جوتليب" Anthony Gottlieb " يتسم بالسذاجة الشديدة. أنظر: أنطوني جوتليب، حلم العقل : تاريخ الفلسفة من عصر اليونان إلى عصر النهضة، ترجمة : محمد طلبة نصار، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2015، ص.286. وللمزيد عن المخططات والرموز الرياضية لرامون لول ارجع إلى :

Charles Lohr , Les fondements de la logique nouvelle de Raymond Lulle , Raymond Lulle et le Pays d'Oc, Cahiers de Fanjeaux , Vol.22 , Privat , Toulouse , 1987 , pp.233-248.

السبب: لكل علم مبادئ خاصة به وهي مختلفة عن مبادئ العلوم الأخرى، ومن ثم فإن العقل يرغب في تشكيل علم، ويطالب بعلم لا بد أن يكون عاما حيال جميع العلوم الأخرى، علم مزود بمبادئ عامة تكون فيها مبادئ العلوم الخاصة الأخرى متضمنة ومحتواة كما هو الفردي الخاص في الشامل. وسبب هذه الرغبة هو التالي: يتمنى العقل، أن تكون شتى المبادئ ذات تراتب سلطة فيما بينها، مصنفة، بل أيضا، محالة إلى قواعد، لكي يمنحها فهم الحقيقة - في جميع العلوم - راحة مضمونة، ولكي تظل بمنأى عن كل الآراء الغالطة. ويعون هذا العلم، بمقدور العلوم الأخرى أن تكتسب بجم من السهولة، ففي واقع الحال، إن المبادئ الخاصة تطبق في المبادئ العامة لهذا الفن (أي العلم)، على مبادئ هذا العلم، كما يطبق الجزء على الكل⁽¹⁾.

وكان على قناعة أيضا، في مؤلفاته الأولى من معقولية الإيمان، معقولية تجعل الإيمان إذن في متناول الجميع. فمن الممكن البرهان بالعقل على حقائق الإيمان، الأمر الذي لا بد له أن يتيح إقناع جميع الكفار بما فيهم المسلمين، كما قال في كتابه "بنود الإيمان": "كتبنا هذا البحث قاصدين أن نسمع المسيحيين الأتقياء ... أنه يتيسر لا الدفاع عن الإيمان المسيحي وحسب حيال كل من يناوئونه، بل من الممكن أيضا البرهنة عليه. بالإضافة إلى هذا، من الممكن هدم كل ديانة أخرى بأسباب محتومة ... ويبدو أمرا قاسيا وخطرا على الكفار تخليهم عن معتقداتهم بقصد اعتناق معتقدات سواها واعتناق إيمان آخر. ولكن ثرى، من الذي بينهم قد يستطيع الامتناع عن ترك ما هو خاطئ ومستحيل، لأجل ما هو حقيقي وضروري محتوم؟ ... قد قلنا إن قصدنا، في هذا البحث، هو تبياننا أن الإيمان المسيحي يستطيع البرهنة عن نفسه بأسباب محتومة ضرورية"⁽²⁾.

لكن رامون لول سيعيد بعد فترة وبسرعة شديدة في تراتب السلطة ما بين الإيمان والعقل، واضعا الإيمان أعلى بوجه واضح في مقاربة الحقيقة. وسبق له أن كتب في مؤلفه "الفن الأعظم" ما نصه: "يستقر الإيمان عبر الدوام الذي يمنحه الإله له، فيما لا يدوم الفهم intelligere إلا بالعلم المكتسب. ومن ثم فإن الإيمان في عل والعقل في أسفل... وكذا قد يكون شأن إنسان ليس

Ramon Llull , Ars Magna , p531.
Id. , p.532.

⁽¹⁾ - أنظر:
⁽²⁾ - أنظر:

فيلسوفاً البتة، وثم يغدو فيلسوفاً، شأن إنسان يفهم أن الإله موجود عندما لم يكن فيلسوفاً، وبعدئذ، يرقى عقل هذا الإنسان، عن طريق التفهم، إلى الدرجة التي سبق له أن كان عليها عن طريق الإيمان، ومع ذلك لا أقول أن الإيمان بات مهدوماً من جراء ذلك لكنه يصعد هو ذاته إلى درجة أرقى... فالحقيقة هي المبدأ المشترك للعقل والإيمان، ولكن، بالاعتقاد، يلبث الإيمان موضوعاً في درجة أرقى في الحقيقة من العقل... فإن هدف العقل ليس الاعتقاد بل الفهم. لكن الإيمان هو الأداة التي بوسيلتها يرفع فهمه وهو يسمو باعتقاده (وإيمانه)⁽¹⁾.

تخلّى رامون لول، في سنواته الأخيرة، عن مشاريعه الكبيرة للعلم الشامل، إذ فهم المعارضات التي قد تتجم ما بين العلم واللاهوت. وفي سنة 1311م إن عارض دوما عقيدة الحقيقة المزدوجة في كتابه "مبادئ الفلسفة الاثنا عشر"، فذلك من جراء ملاحظته أنه لا يمكن تواجد تناقض ما بين المضمارين، حيث أن العلم هو "خادم" علم اللاهوت "السيد". وذكر، على سبيل المثال، بأن أزلية العالم، التي يقبلها العقل، أزلية مستبعدة لأسباب لاهوتية، بصفتها مناقضة لطبيعة "الله" وعدالته. ويقال إن هذا المؤلف هو من أبرع المذكرات والمؤرخة في 1310م بباريس والمهداة إلى الملك الفرنسي فيليب الوسيم، ويسير رامون وفق ميل الزمن إلى الرموز فيدخل إليها السيدة الفلسفة متوجعة من الأضاليل التي ألقاها الرشديون باسمها ولاسيما ذلك المذهب المقيت القائل إن بعض الأمور باطل وفق النور الطبيعي مع أنه صادق وفق الإيمان، وتصرح السيدة الفلسفة أمام المبادئ الاثني عشر بأنها لم تكن صاحبة لفكر بالغ هذه السخافة، وقد قالت: "إنني لست غير خادمة خاضعة لعلم اللاهوت، وكيف يزعم أنني أستطيع أن أناقضه؟ يا لي من شقية أين العلماء الذين يأتون لمساعدتي؟"، إنه يستشهد برسائل أخرى كثيرة لرامون موجهة ضد الرشديين أيضاً، ويذكر كاتب سيرته مواعظ ضد ابن رشد أيضاً⁽²⁾، ويظهر أن الذي كان يثير رامون لول في مذاهب الرشديين بباريس، على الخصوص، هو التفريق بين الحقيقة اللاهوتية والحقيقة الفلسفية⁽³⁾، أي التفريق الذي اشتد من طرف الرشدية في إيطاليا في عصر النهضة،

Ramon Llull , Ars Magna , pp.532-533.

⁽¹⁾ - أنظر :

Ramon Llull , Vita coetanea , p.67.

⁽²⁾ - أنظر :

Fernando Dominguez Reboiras , Ramon Llull : El mejor libro del mundo , p.278.

⁽³⁾ - أنظر :

والذي صار درعا للإحاد منذ القرن الثالث عشر حتى القرن السابع عشر، وكان لول يذهب بحزم لا يعوزه الإقدام إلى أن العقائد النصرانية إذا كانت محالة في نظر العقل متعذر إدراكها فإنها قد تكون صحيحة من وجهة نظر أخرى، وذلك أن مذهب العقلين البالغ الإطلاق وهوس التصوف كانا يتعاقبان كسراب في تهاويل هذا الدماغ المضطرب الجدلية⁽¹⁾.

هـ - موقف لول من إدانة الأسقف إتيان تومبييه لآراء الرشديين اللاتين.

في فيفري من سنة 1298م، أي بعد 21 سنة من إدانة الأسقف إتيان تومبييه، كان رامون لول قد أنهى في باريس الكتاب المعنون بـ "كتاب ضد أخطاء بوئيثيوس وسيجر Liber contra erroris Boetii et Sigerii" وله عنوان طويل هو : "Declaratio Raymundi per modum dialogi edita contra aliquorum philosophorum et eorum sequacium erroneas opiniones, et damnatas a venerabili Pater Domino Episcopo Parisiensi"⁽²⁾، هذا الكتاب الذي شكّل أساس ونقطة البداية للصراع الذي استمر وتجدد ضد الرشديين ما بين عامي 1309م و 1311م، ذلك أنه عرض تقريباً جميع نظريات الرشديين وما يقابلها من إجابات لولية مناسبة. وهي تعتبر تعليقاً نقدياً لـ 219 مقال إدانة من طرف الأسقف "إتيان تومبييه"، الصادر في 07 مارس 1277م، بالضبط بعد ثلاث سنوات من موت توما الاكويني⁽³⁾، لكن لا يوجد عمل واحد على وجه التحديد مضاد للرشدية، على أساس أنه لم يذكر ابن رشد ولا إلى الرشدية. ومع ذلك، فإن العنوان الأول مثل الثاني "Liber contra erroris"

⁽¹⁾ - رينان (إرنست) ، مرجع سابق ، ص.209.

⁽²⁾ - قام الباحث الألماني "أوتو كرايشر" بنشر هذا الكتيب والتعليق عليه ضمن كتابه القيم الذي تحدث فيه عن موقف لول من الفلسفة الإسلامية. أنظر:

Otto Kreicher , Raymundus Lullus und seine Stellung zur arabischen Philosophie , Beiträ zur Geschichte der Philosophie des Mittelalters , VIII , pp.4-5 , Münster i.W. , 1909 , pp.89-230.

⁽³⁾ - أنظر:

F. Van Steenberghen , op.cit. , p.124 ; G. Bonafede , La condanna di Stefano Tempier e la "Declaratio" di Raimondo Lullo , Estudios Lulianos , IV , 1960 , pp.21-44 ; Roland Hissette, Enquête sur les 219 articles condamnés à Paris le 7 mars 1277 , Louvain-Paris , 1977.

Boetii et Sigerii"⁽¹⁾، على قدر كبير من الأهمية. لأنه يميز في الأول بين "الآراء الضالة من بعض الفلاسفة" وبين "آراء أتباعهم الضالة".

عند الإشارة إلى الأسماء الأولى، يرجع لول إلى أرسطو وابن رشد، ويعتبر "سيجر البرابانتي" و "بويثيوس" في المرتبة الثانية بعدهم ، حدث هذا أيضاً، في العنوان الأصلي Liber aliquorum contra erroris Boetii et Sigerii philosophorum – مع عبارة " بعض الفلاسفة eorum sequaciter" أي إلى الرشدیین الباريسييين بين سنوات 1309-1311م⁽²⁾. ويوحى هذا إلى أن لول ربط خطر الفلسفة الإسلامية باعتناقها من طرف مفكرين مسيحيين معروفين على الساحة الباريسية آنذاك.

على أن الكتاب المعنون بـ "Declaratio" هو في نفس الوقت، عبارة عن رسالة تعتبر كرد فعل عام ضد أخطاء وضلالات ما يسميها لول بالوثنية، المعلن في باريس قبل عام 1277م، وضد محاولات الفصل بين العقل والإيمان. وكدليل على ما تقدم ذكره في المصدر الأول، أين يدحض أطروحة خلود العالم، منتقدا الحجج الأرسطية الكلاسيكية⁽³⁾.

⁽¹⁾ - أنظر:

M.P.E. Littré-B , Hareau , en Histoire Littéraire de la France (Raymond Lulle , ermite) , XXIX , Paris , n.235.

في الملاحظة التي دونها Littré-B , Hareau يصرح أن العنوان الصغير هو الأصيل، استنادا إلى أنه لم يجد أي مخطوط للول يحمل عنوانا آخر، إضافة إلى ذلك، أنه في المخطوط رقم 16533 الموجود في المكتبة الوطنية بباريس، المقترحات المدانة سنة 1277م، تنسب أساساً إلى بويثيوس.

⁽²⁾ - إذا كان العنوان الثاني (القصير) هو العنوان الحقيقي، فذلك سيكون التفسير الدقيق. فقد أثبت "رولاند هيسيه R. Hissette" ، في الواقع، أن العديد من هذه المقترحات يجب أن تُعزى إلى "سيجر البرابانتي" و "بويثيوس الداسي". وعلى الرغم من ذلك، ناقش نفس الباحث حقيقة إمكانية أن يكون هذين المفكرين من الرشدیین، لأن بعض الاستنتاجات قد طرحت فيما يتعلق بسيجر، واعتبرت أمراً مفروغاً منه، أما بويثيوس الداسي فلا زالت الدراسات تتفاوت في ذلك. انظر:

H. Riedlinger , Introductio generalis citada , p.34 ; R.A.Gauthier , Bulletin Thomiste , IX , (1954-1956) , pp.216-218 ; pp.917-935 ; X , (1957-1959) , pp.853-860.

وقد عُرف كتاب رامون لول المعنون بـ "Declaratio" أيضاً بعنوان آخر هو : " كتاب مقالات الباريسييين المدانين Liber de articulis Parisiis damnatis" ويعني بهما سيجر البرابانتي وبويثيوس الداسي. أنظر:

J. Avinyo , op.cit. , n.67 , p.139 .

⁽³⁾ - أنظر: F. Van Steenberghe , op.cit. , p.124; E. Longpre , Lulle (Raymond) , Dict. de Théologie Catholique, IX , Paris , 1826 , pp.119-1122.

يرفض رامون لول الفكرة الأرسطية القائلة بخلود العالم، ويدعم رفضه لها بفكرة أن الخليقة لا يمكن أن تتحمل وزن الأبدية، كونها محدودة في كينونتها وفي قوتها. أي أنه يقوم على عجزه وقصوره المتجذر، ويقول لول في هذا الصدد : "عن طريق خلود العالم =

المذهب القائل بالحقيقتين يميز أنصار الرشدية اللاتينية ومنهم سيجر البرابانتي وبؤيثيوس الداسي و إيكيدوس من أورليان وخوان أليمان من كوتينجا و "تاديو من بارما" و "خوان دي جاندونو" وغيرهم⁽¹⁾، وقد ذكر رامون لول الشخصيتين الأوليين في كتابه المعنون بـ: "Liber contra erroris Boetii et Sigerii".

في كتاب "تصريح"، لم يذكر لول ابن رشد، ولم يأت أيضاً على ذكر أحد من الفلاسفة المسلمين، ويرجح "جارسياس بالو" بشكل كبير أن لول تعرف على بعض المقترحات المدانة، على أنها تتصل بالإسلام حقاً. على سبيل المثال في الأولى: "الإله ليس ثالثاً بل واحد، لأن الثالث لا يتفق مع البساطة العليا، عندما يوجد هناك حقائق متعددة، فهناك بالضرورة جمع وتركيب"⁽²⁾. ويرد في كتاب "الوثني والحكماء الثلاثة"، أن المسلم صرح بأن الإله: "ليس ثالثاً وليس متعدداً، ولا يمكن أن نجد اتفاقاً بهذا الشأن"⁽³⁾. وقضية أن "الإله لا يمكن أن يكون له مثيل"⁽⁴⁾، وقال بأنه يجب التذكير بسورة الصمد في القرآن الكريم، ويحذر لول بأن مصدر هذا الاقتراح ولو كان بعيداً، يمكن أن يكون ابن رشد نفسه⁽⁵⁾.

= لا يمكن للخلقة أن تتجاوز حجمها وحدودها". أنظر: Ramon Llull , Declaratio Raimundi , in ROL , Vol.XVII , p.170.

لكن "ج. توسكيتس J. Tusquets" يشير إلى أن هذه الحجة التي أوردها لول خاطئة، لأنه اعتمد على الجهل المطلق بالتشبيه وهو خطأ فلسفي جسيم وخطير. أنظر:

J. Tusquets , Posició de Ramon Llull en el problema de l'eternitat del món , Criterion , I , 1925 , pp.101-104.

⁽¹⁾ - أنظر:

M. Grabmann , op.cit. , pp.64-65 ; P. Machaud-Quantin , La double-vérité des Averroistes , Un texte nouveau de Boèce de Dacie , Theoria , XXII , 1956 , pp.167-184.

⁽²⁾ - يشير "هسيه إلى أن لول في مؤلفه المعنون بـ"أخطاء الفلاسفة Errores philosophorum يذكر بأن "جيل من روما Gil de Roma يلوم ابن رشد بشدة على نفيه للثالث. أنظر:

Roland Hissette , Enquête sur les 219 articles condamnés à Paris le 7 mars 1277 , Philosophes Médiévaux, Vol.22 , Leuven, Belgique , 1977 , p.276 , n.185 (Cap. IV , 5 , ed. J.Koch , 1944 , p.20).

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull , Lib. IV. Del primer article. Creure en un Déu , p.1119.

⁽⁴⁾ - أنظر: Hissette , op.cit. , p.277 , n.186.

⁽⁵⁾ - أنظر: Ramon Llull , Declaratio Raimundi , p.204.

إذا كان رامون لول، كما هو مُرجح، على اطلاع بمذهب ابن سينا في الخلق⁽¹⁾، فلا بد أنه رأى انعكاس ذلك في الاقتراح الذي أدانه الأسقف إتيان تومبييه والقائل بأن: "الإله ضروري حتى ينتج كل شيء عنه فوراً"⁽²⁾. وقضية أن: "الإله أبدي في عمله وحركته، كما هو في كيانه، أما خلاف ذلك، سيتم تحديده من جانب آخر من شأنه أن يكون قبله"⁽³⁾. تبدو أيضاً تكراراً لقضية ابن سينا، حيث على الرغم من أن الخلق أمر مقدس، فالإله لا يمكن أنه قصده مباشرة، لأنه إذا فعل ذلك، فسيتم تحديده من قبل ذلك. وأن الخلق هو نتيجة ضرورية (حتمية) للجوهر الإلهي⁽⁴⁾.

كثير من الأفكار التي نسبت إلى الرشدية تم اعتبارها أفكار هرطقية وتُشكل خطراً على الإيمان الكاثوليكي، لعل أهمها أن: "العالم خالد فيما يتعلق بجميع الأنواع التي يحتويها فيه، والوقت أبدي، والحركة، والمواد، والمال والمرض، وجميع العائدات من قوة لا نهائية للإله، وأنه من المستحيل أن هناك ابتكاراً في التأثير دون الابتكار في العلة"⁽⁵⁾، والتي تتفق أيضاً مع مذهب ابن سينا حول الخلق، والذي يقول بأنه حدث منذ الأزل "ab aeterno"، لكنه إن كان مؤقتاً، فإن الإله سوف يفتقر إذ ذاك إلى الكمال⁽⁶⁾. علاوة على ذلك، يشير ابن رشد في كتابه "فصل المقال" إلى أنه "إنه ليس في الشرع أن الله كان موجوداً مع العدم المحض، ولا يوجد هذا فيه نصاً أبداً"⁽⁷⁾. وقد أدان الأسقف "إيتيان تومبييه" أطروحة "وحدة العقل" في جميع الرجال في المسألة التالية: "عقل جميع الرجال هو عددياً واحد، لأنه حتى لو فصلنا جسداً معيناً، فإنه لا يمكن فصله

¹ - وفقاً لفيلسوف بخارى، فإن الخلق هو ثمرة المعرفة. والعلم الإلهي يتمثل في فعل واحد سرمدى يعرف الله من خلاله كل الأشياء مرة واحدة، وبدون أن تحدث تلك المعرفة الأزلية أي تغيير في الذات الإلهية - التي تعرف منذ الأزل ماهية كل الذوات - تنشأ كل الأشياء، ولكن ليس كانبثاق من ذاته نفسها، بحيث لا يُمثل أثراً مادياً لله. للمزيد ارجع إلى: كروث إيرنانديث (ميجيل)، تاريخ الفكر في العالم الإسلامي: منذ البدايات حتى القرن الثاني عشر الميلادي، مج.2، تر. عبد العال صالح، ط.2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016، ص.423.

² - يشير "هيسيه" إلى أن هذا الطابع الضروري للخلق هو الذي أكدته في العديد من المرات "سجى البرابانتى" في كتابه المعنون: "قضايا في الميتافيزيقا Quaestiones in Metaphisicam" وعمله الآخر الموسوم بـ: "De necessitate". وهذه الفكرة مُدانة في المادة رقم 53 من لائحة الإدانة للأسقف تومبييه. أنظر: Hissette, op.cit., p.51, n.20.

³ - هذا الاقتراح موجود في المادة رقم 06 من لائحة الإدانة للأسقف تومبييه أنظر: Ibid., p.57, n.24.

⁴ - أنظر: كروث إيرنانديث (ميجيل)، مرجع سابق، ص.424-426.

⁵ - أنظر: Hissette, op.cit., p.152, n.85.

⁶ - أنظر: Id., p.135.

⁷ - أبو الوليد (ابن رشد)، فصل المقال ما بين الحكمة والشرعية من الاتصال، تحقيق محمد عمارة، ط.3، دار المعارف، القاهرة، 1999، ص.43.

عن جميع الأجساد"⁽¹⁾. ومن المحتمل أن رامون لول قرأ ذلك في فكر ابن رشد. وتنسب إلى "سيجر البرابانتي"⁽²⁾، ويدرجها الدكتور الميورقي ضمن الضلالات العشرة التي تناولها في كتاب "Liber reprobationis aliquorum errorum Averrois"⁽³⁾.

مقالة أخرى تذكر أن: "الإله لا يمكن أن يكون العلة في التأثير الجديد. وأنه لا يمكن أن يحدث مرة أخرى"⁽⁴⁾، تتطوي على التأكيد على خلود العالم، ولا تتفق مع الفكر المسيحي، وربما هي مستوحاة من أحد الرشديين اللاتين وهو سيجر البرابانتي⁽⁵⁾، والتي أنكرها رامون لول بشدة. ينبغي الإشارة أن هذا الإسناد إلى ابن رشد في أطروحة "وحدة العقل" في جميع الرجال. ونفس الشيء قام به القديس توما الأكويني في كتابه "في وحدة العقل De unitate intellectus" ضد الرشديين⁽⁶⁾، الذي ألفه بين عامي 1270م و1271م ليس ضد ابن رشد، ولكن كما ورد في العنوان الفرعي، ضد الرشدية، على وجه التحديد، واتخذ هذا الكتيب شكل الجدل والحرب الكلامية، ضد تعليقات "سيجر البرابانتي" حول كتاب "الروح De Anima" لأرسطو⁽⁷⁾. وعلى الرغم من ذلك فقد نسب هذه الضلالة إلى ابن رشد، حيث يقول توما في كتابه السابق ما نصّه: "من بين كل الضلالات، يبدو أسوأها ما يرتكب حول العقل، والتي تمنح لنا على وجه التحديد عن طريق الحقيقة وتفصلنا عن الخطأ. فمذ فترة طويلة، انخرط البعض في خطأ ابن رشد الذي يميل إلى إثبات أن العقل الذي دعاه أرسطو بالممكن، أنه سيكون نوعاً من الجسم حسب الكينونة والذي من

⁽¹⁾ - هذا الاقتراح موجود في المادة رقم 32 من لائحة الإدانة للأسقف تومبييه. أنظر: Hissette , op.cit. , p.191, n.117.

⁽²⁾ - حسب "إيتيان جيسلون" و "ر. ناردوني"، فإن سيجر البرابانتي هو مصدر هذا الاقتراح، أما "هيسيه" فيعزوه بشكل خالص إلى ابن رشد. أنظر:

E. Gilson , History of the christian Philosophy in the Middle Ages , New York , 1955 , p.729, not. 54; R, Nardone , St. Thomas Aquinas and the Condemnation of 1277 , Philosophical Studies , 209 , 1963 , p.67 ; Hissette , op.cit. , p.191.

⁽³⁾ - أنظر: Hissette , op.cit. , p.289.

⁽⁴⁾ - هذا الاقتراح موجود في المادة رقم 48 من لائحة الإدانة للأسقف تومبييه. أنظر: Hissette , op.cit. , p.55, n.22.

⁽⁵⁾ - يشير "رولاند هيسيه" إلى أن النصوص المعاصرة لإدانة الأسقف تومبييه تؤكد، في الغالب، أن الإله : " لا يمكنه ، على الفور، أن يكون سبباً في واقعة جديدة ". على أن سيجر البرابانتي لا يقول بهذه الفكرة، ولكن في كتابه " Quaestiones in tertium de anima " يقول: "بما أن التحكم في الأشياء ليس إلا نتيجة لخلقها، فيجب القول أن الإله لا يتحكم مباشرة في الأشياء التي لا يخلقها مباشرة". أنظر: Hissette , op.cit. , p.56.

⁽⁶⁾ - أنظر: Saint Thomas (Aquinas) , On the unity of the intellect against the Averroists , p.56.

⁽⁷⁾ - أنظر: M. Grabmann , Santo Tomás de Aquino , Barcelona , 1930 , p.23.

شأنه أن يكون متحدا معه بأي شكل من الأشكال باعتباره شكلا، وأكثر من عقل ممكن هو واحد للجميع⁽¹⁾. وهذا له دلالة عميقة، على أنه في القرن 13م، اعتبرت عقيدة وحدة العقل في جميع الرجال نموذجاً خاصاً بابن رشد والرشدية⁽²⁾. ومن ذلك، فليس مستغرباً أن رامون لول نسب نفس الفكرة إلى فيلسوف قرطبة.

بالإضافة إلى المقترحات المذكورة سابقا والمدانة من طرف الأسقف إيتيان تومبييه، والتي اعترف رامون لول بأنها إسلامية خالصة في "الإدانة Condemnatio"، هناك مقترحات أخرى عزاه إلى ابن رشد في كتاب "Liber reprobationis" (1310م) وفي الكتاب المعنون بـ"مواعظ Sermones" (1311م). من بينها المقترح الأول "أن الإله ليس لا نهائياً في القدرة"⁽³⁾، مثل ذلك المقترح الوارد في Condemnatio: "الإله لا نهائي في قدرته، وليس لأنها تنتج من شيء من العدم. ولكن لأنه يستغرق في حركة لا نهائية"⁽⁴⁾. والمقترح الثاني مفاده: "أن الإله لا يعرف الجزئيات (التفاصيل)"⁽⁵⁾، ومثلها أيضاً في الإدانة: "مع شيء خاص محتمل نستثني أن الإله لا يمكن أن يكون العلة المباشرة الفورية"⁽⁶⁾، والمقترح الآتي: "الإله لا يمكن أن يعرف ما يطرئ على الفور، إن لم يكن من طرف (وسيط إلى) علة أخرى معينة وقادمة"⁽⁷⁾. أما المقترح الثالث فينص على أن: "هذا ليس الخلق"⁽⁸⁾، وهو مشابه لما تم إدانته تحت الصيغة

⁽¹⁾ - أنظر: Saint Thomas (Aquinas), On the unity of the intellect against the Averroists, p.63.

⁽²⁾ - يقول ابن رشد بوحدة العقل، لكن داخل الإنسان لا خارجه كما هو الحال مع ابن سينا، فهو يقسم العقل إلى هيلواني وفعال، على مستوى الوظيفة فقط أما بالفعل فهما شيئاً واحداً، ومعنى الاتصال عنده يختلف عن المعنى الذي تحدده المتصوفة له، ذلك أنه يعني اتصال العقل الفعّال بالمعقولات الهيللانية بهدف تجريدتها ومن ثم ترتيبها والحكم عليها. لكن قراءة بعض الفلاسفة واللاهوتيين لمشكلة العقل عند ابن رشد، لم تكن دقيقة ونابعة من آرائه في شرحه لكتاب النفس لأرسطو، وإنما كانت عبارة عن تأويلات حرفت المعنى الرشدي عن حقيقته، إذ نسبت له آراء الأفلوطينية المحدثّة، وهذا ما نلمسه بوضوح مع توما الأكويني الذي كان يصيح في وجه أنصاره في جامعة باريس قائلاً: "هل تزعمون أن العقل الذي كان في افلاطون وأرسطو والعقل الذي في قطاع الطرق واللصوص هو واحد". للمزيد حول هذه النقطة ارجع إلى: أنطوان (فرج)، ابن رشد وفلسفته، نشرة جامعة الاسكندرية، 1903، ص.110.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull, Liber reprobationis aliquorum errorum Averrois, p.289.

⁽⁴⁾ - هذا الاقتراح موجود في المادة رقم 62 من لائحة الإدانة للأسقف تومبييه. أنظر: Hissette, op.cit., p.59, n.25.

⁽⁵⁾ - أنظر: Ramon Llull, Liber reprobationis aliquorum errorum Averrois, p.289.

⁽⁶⁾ - أنظر: Ibidem.

⁽⁷⁾ - الاقتراح موجود في المادة رقم 56 من لائحة الإدانة للأسقف تومبييه. أنظر: Hissette, op.cit., p.38, n.14.

⁽⁸⁾ - أنظر: Ramon Llull, Liber reprobationis aliquorum errorum Averrois, p.289.

التالية: "أن الخلق هذا غير ممكن، ولا بد أن يعقد على الرغم من أنه العكس وفقا للإيمان"⁽¹⁾، والمقالة المتعلقة بالجسد الخاص هي للرشديين. في حين أن المقترح الرابع يقول: "أن الإله لا يتصرف بشكل فوري في العالم السفلي"⁽²⁾، من الممكن أن تكون الإدانة التالية: "أن العلة الأولى هي علة التحكم من بعيد"⁽³⁾. وآخر هذه المقترحات: "أن البعث ليس ممكنا"⁽⁴⁾، وأدين فيما يلي: "أن البعث في المستقبل لا يمكن أن يضمه الفيلسوف فيما يذهب إليه، لأنه من المستحيل أن يتحقق فيه من طرف العقل"⁽⁵⁾. وهو أيضا من المقترحات الأصلية للرشديين.

كما ذكر آنفا، فالإدانة المؤلفة من 219 مقالة والتي حررها الأسقف "إتيان تومبييه" عام 1277م، هي أقدم بكثير من سلسلة الأخطاء المنسوبة لابن رشد والتي خصصها رامون لول في كتيبين له، الأول صدر سنة 1310م بعنوان "إدانة جميع أخطاء ابن رشد Reprobationis"، والثاني صدر سنة 1311م بعنوان "مواعظ ضد أخطاء ابن رشد ... Sermones contra". لهذا السبب، من الواضح أن رامون لول لم يكن له تأثير في صياغة "الخلاصة Syllabus" المكرر، الذي صدر، ولم يكن لول قد وصل بعد إلى باريس. على العكس من ذلك، فقائمة الأخطاء المدانة يمكن استخراجها ونسبتها إلى ابن رشد. والحقيقة الصرفة أن العديد من البنود التي جمعها لول ونسبها إلى فيلسوف قرطبة، سواء كانت رسالة أو بصيغة مختلفة، لكن بنفس المعنى والروح اللذين تضمنهما فهرس الإدانة لعام 1277م في باريس، وقد تكون أدلة ذلك في تأليفه لكتابه Declaratio Raymundi per modum dialogi edita contra aliquorum philosophorum et eorum sequi acium erroneas opiniones damnatas ab Episcopo parisiensi (Liber contra errores Sigerii) (1298م)، وبعض المقترحات من نفس "الخلاصة Syllabus" كانت تعتبر على أنها تنتمي إلى سيجر البرابانتي وابن رشد. أي

⁽¹⁾ - الاقتراح موجود في المادة رقم 184 من لائحة الإدانة للأسقف تومبييه. أنظر: Hissette, op.cit., p.282, n.189.

⁽²⁾ - أنظر: Ramon Llull, Liber reprobationis aliquorum errorum Averrois, p.289.

⁽³⁾ - الاقتراح موجود في المادة رقم 190 من لائحة الإدانة للأسقف تومبييه. أنظر: Hissette, op.cit., p.43, n.16.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ramon Llull, Liber reprobationis aliquorum errorum Averrois, p.289.

⁽⁵⁾ - الاقتراح موجود في المادة رقم 18 من لائحة الإدانة للأسقف تومبييه. أنظر: Hissette, op.cit., p.309, n.216. هناك بعض المقترحات الأخرى التي وضعها لول في كتابه "del Liber reprobationis aliquorum errorum Averrois" و "مواعظ ضد أخطاء ابن رشد"، تتشارك في المعنى والمنهج للقضايا المدانة من طرف الأسقف تومبييه سنة 1277م. أنظر: Garcias Palou, Ramon Llull y el Islam, p.352.

أن لول قد استغرق في كتابة تعاليم باريسية بسيطة شائعة، سواء كانت صادرة من الجامعة أو لم تكن⁽¹⁾، أو بناء على نصيحة من زملائه أو معارفه -الذين كانوا له في باريس سنة 1311م-⁽²⁾، لكن لم يسترشد عن طريق المعرفة المباشرة بكتابات هؤلاء، حتى في كتاب "Liber de perseitate et finalitate"، أين استشهد بأعمال ابن رشد.

بكثير من الحيرة، يعترف الباحث "جارسيا بالو" أن الاستشهاد بشروح ابن رشد في كثير من أعمال أرسطو المختلفة، والتي أوردها رامون لول في كتاب "Liber de ente quod simpliciter est per se et propter se existens et agens"، تدفعه إلى الشك في أصالتها للول، خاصة في القسم الرابع من هذا الكتاب، المعنون بـ "De decem erroribus Averrois"⁽³⁾، أين تتم قراءة المصادر المشار إليها. في هذا الفصل الرابع والمميز، مثل بقية العمل، يظهر بسهولة، وفق ما يورده "جارسيا بالو"، بصمات رامون لول وأسلوبه المميز، لكن المحتمل أنه مصقول بقلم مؤلف آخر، ويستند المذهب على مبادئ أساسية لسمات إلهية، مستخدمة باستمرار من طرفه، في أعماله وكتيباته، خاصة على الدفاع والتبرير⁽⁴⁾. علاوة على ذلك، فإن الـ "el explicit" تشهد على انتماء هذا العمل لرامون لول⁽⁵⁾، والذي كان موجودا في فهرس سنة 1311م، وفي الـ "el electorium"، الواردة في نفس الفهرس⁽⁶⁾. لكن سيكون من الغريب أن هذا "التمييز الرابع" قد صيغ من طرف لول، بمساعدة هامة جدا من طرف مؤلف مجهول وردت في ملاحظة ببليوغرافية، معروفة بـ "أخطاء ابن رشد وأرسطو De erroribus

⁽¹⁾ - هناك في الواقع، عبارات لرامون لول يستشف منها قلقه الكبير. "الجزء الأول، هو التعامل مع الرأي، الذي يعترف به ابن رشد، وهو أن الإله لا نهائي في القوة". و عبارة "يمكننا اعتبار ابن رشد صاحب الفكرة القائلة أن الإله غير قادر على التوسع إلى ما لا نهاية...". أنظر:

Ramon Llull , Liber reprobationis, p.289 ; Id. Sermones contra errores Averrois , p.289 , n.2.

⁽²⁾ - أنظر: Ramon Llull , Vita caoetanea , VIII , p.67.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull , Liber de ente , pp.199-232.

⁽⁴⁾ - أنظر: Id. , pp.179-184.

⁽⁵⁾ - دلالة نسبته لرامون لول تلك العبارات التي ختم بها عمله: "بكل المدح والشرف للإله، انتهى رامون من هذا العمل في باريس من سنة 1311م...". أنظر: Ibid. , p.245.

⁽⁶⁾ - أنظر: Garcias Palou , Ramon Llull y el Islam , p.353.

Averrois et Aristotelis⁽¹⁾، والتي تشير إلى مصادر معظم 45 خطأ⁽²⁾، المنسوبة إلى
الرشدية المذكورة سابقا في "كتاب القياس المنطقي Liber de syllogismis
contradictoriis"⁽³⁾.

لم يرد ذكر "كتاب القياس المنطقي" في أي من المصادر، وتمت كتابته في فيفري
1311م، وكتاب "el Liber de ente.." اكتمل تأليفه في شهر سبتمبر التالي، مما يدل على أنه
قبل سبعة أشهر⁽⁴⁾، لم يكن لدى رامون لول مذكرة أو ملاحظة بشأن أعمال ابن رشد، حيث وفقا
لمؤلفها، هي أخطاء وضلالات أوعزها رامون لول إلى ابن رشد. قد يحدث -وهو الأكثر احتمالا-
منذ حصول إدانة 219 مقالة حتى وجوده في باريس، الاقتناع بأن معظمهم ينتمون إلى
الرشدية⁽⁵⁾.

في الواقع، وبدون تردد في بعض الكتيبات المذكورة سابقاً "Liber reprobationis
aliquorum errorum Averrois" و"Sermones contra errores Averrois"، تنسب له
سلسلة المقترحات الآتية: "أن الإله ليس لا نهائيا في النشاط"، "أنه يعرف بأن الإله ليس بلا
حدود"، "أن الإله لا يعرف الجزئيات (التفاصيل)"، "وأن الإله ليس ثالثا"، "وأن هذا ليس خلقا"،
"وبأن عقلا واحدا فقط في البشر"، "أن الإله لا يتصرف بشكل فوري في العالم السفلي"، "أن
الإله غير قادر على إدامة الكيان (الذات، الجوهر) الجديد"، "وأنه لا توجد هناك حياة أخرى"،
"وأن البعث ليس ممكنا"⁽⁶⁾، "أن الإله ليس ملاكا فعلا"⁽⁷⁾، "لا يمكن أن يكون هناك أي عمل

¹ - أنظر: H. Riedlinger , Introductio generalis , pp.159-160.

² - لم يستشهد لول بالمصادر الأصلية للأخطاء المتعلقة بالجحيم، والجنة وبميلاد مريم العذراء وبالسماة البلورية وإلى الهوية
العددية لنفس الجسد دون نفس الأحكام اللازمة التي تثبتها. أنظر:

Ramon Llull , De erroribus Averrois et Aristotelis, R.O.L. , Vol.VIII , pp.255-256.

³ - أنظر: Ramon Llull , Liber de syllogismis contradictoriis , en : ROL , VII , pp.170-171.

⁴ - أنظر: Garcias Palou , Ramon Llull y el Islam , p.354.

⁵ - أنظر: Ibid. , pp.354-355.

⁶ - أنظر: Ramon Llull , Liber reprobationis , p.289.

⁷ - أنظر: Ramon Llull , Sermones , p.249.

من دون الإله ومن دون وساطة ملائكة السماء"⁽¹⁾، "أن الإله لم يخلق العالم"⁽²⁾، "لا يمكن للإله أن ينظر، لا بالفعل ولا بالقوة"⁽³⁾، "أن الإله لا يتجسد"⁽⁴⁾، "أن العقل ليس شكلاً بدنياً"⁽⁵⁾، "أن الإله لا يمكن أن يتصرف بشكل فوري في العالم السفلي"⁽⁶⁾.

في الكتيبات السابقة تبرز عبارات كثيرة تنم عن القلق الكبير الذي انتاب لول إزاء شيوع الرشدية منها : "نحن ندحض عشرة آراء لابن رشد"، "ضلال ابن رشد"⁽⁷⁾، "سند مرة أخرى أخطاء ابن رشد"، "قال ابن رشد"، "في فلسفة ابن رشد نراها حساسة جداً وتخليعية، ومقترحاته العديدة هي ضد الإيمان الكاثوليكي المقدس ...، لذلك نحن نتكلم عن أخطائه، لتعلن عن نفسها"، "ريموند الموجود في باريس، على دراية بالخطر العظيم والمتزايد لضلالات ابن رشد، وهو يصلي بقدر ما أمكنه ذلك ... ونقترح أن نستأصل أخطاء ابن رشد التي توطنت في باريس"، "يقول ابن رشد أنه وفقاً للعقل، يصبح الإيمان الكاثوليكي مستحيلًا، لكنهم يعتقدون بأنه ممكن"، "تعرض لآراء ابن رشد"، "وابن رشد يقول بنفي التجسد"، "ابن رشد ... كان من السراسنة (المسلمين)، وأن المسلمين ينكرون التجسد"، "ابن رشد قال أن العقل ليس شكلاً من الجسد"⁽⁸⁾. وكلها تُبرز خوفه الشديد من أن تؤثر أفكار الرشدية على مشاريعه.

في الكتيبتين السابقتين، لم يُشر رامون لول إلى أي مؤلف من مؤلفات ابن رشد، وفي خاتمة كتاب "Los sermones contra errores Averroes" يصرح بأن : "ريموند وضع عشر عظات من أصل عشر مقترحات أدانها الأسقف الباريسي"⁽⁹⁾. ما يعني أن رامون لول اعتقد أن الأسقف "تومببيه" اقترح إدانة عشر أفكار لابن رشد، أو على الأقل تنسب إلى الفيلسوف

Ramon Llull , Sermones , p.250.

¹ - أنظر:

Ibid. , p.251.

² - أنظر:

Ibid. , p.254.

³ - أنظر:

Ibid. , p.256.

⁴ - أنظر:

Ibid. , p.259.

⁵ - أنظر:

Ibid. , p.260.

⁶ - أنظر:

Ramon Llull , Liber reprobationis , pp.218-318.

⁷ - أنظر:

Ramon Llull , Sermones , pp.246-259.

⁸ - أنظر:

Ibid. , p.262.

⁹ - أنظر:

القرطبي وهي العشر أفكار التي أدينت عام 1277⁽¹⁾. العمل الوحيد -ليس كتيباً- الذي استشهد فيه رامون لول بكتابات ابن رشد هو الكتاب المعنون بـ "Liber de ente, quod est simpliciter per se et propter se existens et agens (Liber de perseitate et finalitate Dei)"⁽²⁾.

في الكتابين السابقين، استشهد بابن رشد، لكن مصادر المقترحات التي نسبت إلى رامون لول لم تذكر، كأخطاء لشارح أرسطو، أما في كتاب "Liber de ente" فالعكس هو الظاهر منه⁽³⁾. مع ذلك، ليس واضحاً في نصه الذي عرف تعليقات عن "الميتافيزيقا"، وحول "السماء والعالم De generatione et Physica"، وحول "الخلق والفساد De Coeleo et mundo corruptione" وغيرها⁽⁴⁾. وفي نهاية المطاف، الشيء الأكثر أهمية هو ما إذا كان في الحقيقة، المقترحات التي نسبها رامون لول إلى ابن رشد حقيقية، أو إذا كان فسرها بشكل صحيح.

توافق كبير آخر بين إدانة الأسقف تومببيه وموقف لول، يظهر في مقترح "أن الإله ليس لا نهائياً في النشاط" والذي احتل المرتبة الأولى من العشرة التي خصصها "كتاب إدانة ابن رشد" - فهي مماثلة للمقترح رقم 62 الخاص بالإدانة، أين نقراً ما نصه "الإله لا نهائي في القدرة، ليس لأنه يخلق شيئاً من العدم، ولكن لأنه أزلي لأجل لا نهائي"⁽⁵⁾. مما يعني أنه في هذه المادة بالذات لا يسلم بالقوة اللانهائية في خلق الله من العدم، والتي تُعزى إلى سيجر البرابانتي، معتقدين بأن ابن رشد هو من أخذ بها⁽⁶⁾. لكن الحقيقة أنه في هذا المعنى يمكن أن يُعزى كذلك إلى فيلسوف قرطبة، الذي قال: "وهذا كله، مع أن هذه الآراء في العالم ليست على ظاهر الشرع، فإن ظاهر الشرع إذا تُصُفح ظهر من الآيات الواردة في الإنباء عن إيجاد العالم أن صورته محدثة

¹ - أنظر: Ramon Llull , Sermones , p.262.

² - أنظر: Ramon Llull , Liber de ente , R.O.L. , Vol.VIII , pp.190-245.

³ - أنظر: Garcias Palou , Ramon Llull y el Islam , p.356.

⁴ - تتطابق هذه الاقتباسات، حرفياً، مع تلك المذكورة لمؤلف مجهول والمعنونة بـ "أخطاء ابن رشد وأرسطو De erroribus Averrois et Aristotelis". مما يدل على أن رامون لول استخدمها لتحرير القسم الرابع من "كتاب الكينونة Liber de ente". حول أعمال ابن رشد التي يحتمل أن لول نقل منها ارجع إلى :

M. Cruz Hernandez , Historia de la Filosofia Española , Filosofia Hispano-musulmana , II , pp.48-52 ; M. Alonso , S.J. , Teología de Averroes (Estudios y Documentos) , pp.54-98.

R. Hissette , op.cit. , p.59 , n.25.

Ibid. , p.60.

⁵ - أنظر:

⁶ - أنظر:

بالحقيقة، وأن نفس الوجود والزمان مستمر من الطرفين، أعني غير منقطع" (1)، وينفي ابن رشد ... الخلق من العدم في "الكشف عن مناهج الأدلة" (2)، وفي كتاب "تهافت التهافت" (3). لهذا السبب، فإنه ليس من الغريب أن ينسب رامون لول له أيضاً الفكرة القائلة بـ "أن هذا ليس خلقاً" (4). ومع ذلك، في كتاب "الكشف عن مناهج الأدلة" دعا الله مرارا وتكرارا بالخالق والصانع (5).

وحول مقترح "أن الإله لا يعرف الوجدانية (الفردانية)"، لاحظ أن ابن رشد كتب في فصل المقال: "... نرى أن أبا حامد قد غلط على الحكماء المشائين (أتباع أرسطو) فيما نسب إليهم من أنهم يقولون: إنه تقدس وتعالى، لا يعلم الجزئيات أصلاً، بل يرون أنه (تعالى، يعلمها) بعلم غير مجانس لعلمنا بها، وذلك أن علمنا بها معلول للمعلوم به، فهو مُحَدَّث بحدوثه، ومُتَغَيَّر بتغيره، وعلم الله، سبحانه (بالوجود) على مقابل هذا، فإنه علّة للمعلوم الذي هو (الموجود)" (6). وفي نفس الكتاب (أي كتاب الإدانة Liber reprobationis) يشير رامون لول إلى المعتقد الخاطئ "أن هناك عقلاً واحداً فقط في جميع الرجال" (7).

التفسير التقليدي لمذهب الرشدية في العقل، يتصور العقل الفعّال كمادة منفصلة، مشتركة بين جميع البشر، التي تولّد وتوجد المعرفة لدى جميع البشر بطريقة مماثلة لكيفية إنتاج الشمس للرؤية عن طريق نورها. وبالنسبة لصد هذا العقل الفعّال، واحد وفريد، البشر فقط سيكون لهم عقل غير فعّال، المقدرة البسيطة تتلقى المعقولات والتي تفنى مع البدن. هذا العقل غير الفعّال، عندما ينيره العقل الفعّال، من شأنه أن يؤدي إلى العقل المادي أو الممكن "l'intellect possible"، وبالتالي استنتج مفكرو العصور الوسطى بأن العقل الممكن يجب أن يكون أيضاً واحداً في جميع

¹ - ابن رشد، فصل المقال، ص. 42.

² - ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق وشرح وتعليق: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص. 107.

³ - ابن رشد، تهافت التهافت، تحقيق وشرح وتعليق: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص. 217.

⁴ - أنظر: Ramon Llull, Liber reprobationis aliquorum errorum Averrois, p.289.

⁵ - ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة، ص. 101.

⁶ - ابن رشد، فصل المقال، ص. 38-39.

⁷ - أنظر: Ramon Llull, Liber reprobationis aliquorum errorum Averrois, p.289.

البشر، لكن ابن رشد لا يسلم، بأي شكل من الأشكال، بالنموذج الثاني المنفصل، المختلف عن العقل الفعّال، ولكنه يعتقد بأن تحديث العقل غير الفعّال بواسطة العقل الفعّال يوجد قدرة الاستقبال للعقل غير الفعّال، والقدرة التي ستكون متفردة في العقل الفعّال ولا سيّما في الفرد المحسوس⁽¹⁾.

وحدة تفسير العصور الوسطى هذه لمذهب العقل عند ابن رشد هي ما يبرر نجاحها في ذلك، والتي لا تزال منتشرة لغاية اليوم في معظم تاريخ الفلسفة، واستنادا لمثل هذا التقليد الطويل ترفض تفسيرات المستعربين الأقل وضوحاً ووحدة من مفكري القرون الوسطى، ولكن أقل من ذلك بكثير في التبسيط، لأنه هذا هو واقع نصوص ابن رشد. وبواسطة الكثير من السلطة التي حازها كالقديس ألبرت الكبير، توما الأكويني، يوحنا دنييس سكوت وسيجر البرابانتي، كان في مقدمة السلطة التي مارستها نصوص ابن رشد على نصوصه⁽²⁾.

وقد أدان الأسقف تومببيه المقترح القائل : "أن العقل ليس مُشكلا من البدن، ولكن كما البحار جزء من السفينة، فليس ضروريا للكمال البشري"، وهي المقترح رقم 07 في "الفهرس الباريسي Syllabus parisiense" وهو المقترح الذي اقترح المراقبون (الرقابة) تشهيره على أنصار ابن رشد، وللذين يعتقدون مذهب اتحاد النفس مع البدن مثل بحار القارب Ut Nauta - Navi وعادة بين أساتذة النصف الأول من القرن 13م، صاحبه تأكيد على الفصل بين النفس العاقلة وفريدة من نوعها في الجنس البشري كله⁽³⁾. لكن البطل الرئيسي في أطروحة Tesis mantenida، في هذا المقال، يبدو أنه يظهر عند سيجر البرابانتي في كتابه المعنون "Quaestiones in tertium de Anima"⁽⁴⁾.

الضلالة السابعة، الموجودة في كتاب "Liber reprobationis aliquorum errorum" Averrois "تُعزى إلى : "أن الإله لا يتصرف بشكل فوري في هذا العالم السفلي" تبدو غير

⁽¹⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian) , Ramon Llull y el islam , p.358.

⁽²⁾ - أنظر: Ibid. , pp.159-160.

⁽³⁾ - أنظر: R. Hissette , op.cit. , pp.199-200 , n.123.

⁽⁴⁾ - أنظر: Siger de Brabant , Quaestiones in tertium de anima , De anima intellectiva, De aeternitate mundi , Philosophes médiévaux , XIV , Louvain , 1972 , pp.24-85.

متوافقة مع بعض من تصريحاته المتعلقة بكتاب الخلق. اقتبس على سبيل المثال من القرآن، حيث علم أن الله "وأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ" لجميع البشر⁽¹⁾. ويشير إلى أن " ونحن نرى...، أولاً الأجسام الغير عضوية وقد حفزت فيها الحياة، بحيث مع دليل ايجابي، نعلم أن من أوجد لهم مبدأ الحياة وتكرم عليهم بهذه المنحة هو الله"⁽²⁾. وعبر عن أنه " لو كان الخالق تدركه غفلة أو خطأ أو نسيان أو سهو، لاختلت الموجودات، وقد نبه الله تعالى على هذا المعنى في غير ما آية من كتابه، فقال تعالى ((إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا))، وقال تعالى ((ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم))"⁽³⁾.

يقرر "جارسيا بالو" أنه مع ذلك، فإن تعاليم ابن رشد حول موضوع هذا المقترح السابع الوارد في "كتاب إدانة أخطاء ابن رشد" ليست دقيقة بما فيه الكفاية، بحيث ومع وجود السبب، لا يمكن أن ننسبها إلى الخطأ الذي يقول "أن الإله لا يتصرف بشكل فوري في هذا العالم السفلي"⁽⁴⁾. في الواقع، أن ابن رشد يدعو إلى التفكير والتأمل في "الشمس والقمر وسائر الكواكب التي هي سبب الأزمنة الأربعة، وسبب الليل والنهار، وسبب الأمطار والمياه والرياح، وسبب عمارة أجزاء الأرض، ووجود الناس فيها وسائر الحيوانات البرية، وكذلك الماء موافقا للحيوانات المائية، والهواء للحيوانات الطائرة"⁽⁵⁾، ويضيف أمرا مهما هو "أنه لو اختل شئ من هذه الخلقة والبنية، لاختل وجود المخلوقات التي ها هنا"⁽⁶⁾.

ما يمكن استخلاصه من فكر ابن رشد واستشهاداه بالقرآن، هو أنه اقترح تعليم أن عمل الله في الموجودات الدنيا في البشر، الحيوانات والنباتات والعليا (الشمس، القمر والكواكب) كان

¹ - ابن رشد ، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ، ص.102.

² - نفسه ، ص.100.

³ - (سورة : فاطر 41) ، (سورة البقرة 255) ؛ ابن رشد ، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ، ص.138 .

⁴ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian) , Ramon Llull y el Islam , p.360.

⁵ - ابن رشد ، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ، ص.162-163.

⁶ - نفسه ، ص.163.

"سبب الأزمنة الأربعة، وسبب الليل والنهار، وسبب الأمطار والمياه والرياح..." وفي هذه التعاليم، كان قادرا على إلهام رامون لول، بنسبة " أن الإله لا يتصرف بشكل فوري في هذا العالم السفلي". ولكن الحقيقة هي أن ابن رشد لم يشر إلى أن جميع الظواهر الخاصة بالكائنات الدنيا تعتمد على الكائنات العليا (1).

لا تتسبب لابن رشد الضلالة القائلة : "بأنه لا توجد حياة أخرى" (2)، لأنه يؤكد ذلك صراحة، في كتاب "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال"، بعد أن أعرب عن من أنه من الواضح أن الوحي الإلهي (القرآن) يحتوي على ثلاث فئات من النصوص، فيسأل "فمن أي هذه المراتب الثلاث هو عندكم ما جاء في صفات المعاد وأحواله؟" (3)، ويلاحظ أن تفسير طرق الوجود "إنما كان جدد الوجود في هذه كفرا، لأنه أصل من أصول الشريعة..." (4).

أخيرا، وباعتراف الدارسين الاسبان، لا يمكن أيضا أن تتسبب الضلالة القائلة بأن : "البعث أمر مستحيل" (5)، لابن رشد، لسبب بسيط، وهو أنه في كتابه "الكشف عن مناهج الأدلة" يشير إلى مسألة البعث بقوله "إن قياس إمكان وجود الأقل والأصغر على خروج الأعظم والأكبر للوجود، مثل قوله تعالى ((وضرب لنا مثلا ونسي خلقه)) وكذا قوله تعالى ((قال من يحيي العظام

¹ - المقترح القائل بأن "الإله لا يتصرف بشكل فوري في هذا العالم السفلي"، الذي نسبته رامون لول لابن رشد، يتضمن معنى مطابقا أو مشابها جدا للمقال رقم 190 للفهرس الباريس Syllabus الصادر عام 1277م الذي يشير إلى : " أن العلة الأولى هي أقصى سبب بعيد لجميع الأشياء. هذا خاطئ إذا كان مفهوما جدا على أنه يعني أنه ليس أكثر قربا". (, p.43 , op.cit. Hissette n.16) الذي يشير إلى أن صياغته الحرفية، لم يتم العثور على أي مؤلف، ولكن هناك العديد من النصوص التي تشهد بأن مذهبها مألوف جدا لدى سيجر البرابانتي (n.3 , p.44 , Ibidem). وهناك مقالات أخرى أدينت من طرف الأسقف "إيتيان تومبييه" مثل البيان المذكور الآتي، والمنسوب إلى ابن رشد : "إن المبادئ (العلل) الأولى لا يمكن أن تنتج على الفور ما يمكن توليده، لأنها آثار جديدة. ولكن الأثر الجديد يتطلب السبب المباشر الذي يمكن أن يكون غير ذلك مما هي عليه" (, en Hissette , Artic.54 , n.67 , op.cit. , p.120) و "المبدأ الأول لا يمكن أن يكون سبب العديد من العوامل المختلفة هنا أدناه إلا عن طريق أسباب أخرى، لأنه لا يوجد لديه تغيرات مختلفة، ما لم يتم تغيير طبيعته" (Artic.43 , ibidem , n.68). النصوص المعاصرة للإدانة تقول بأن الإله "بشكل فوري لا يمكن أن يكون سببا في واقعة جديدة، وليس هناك ما يمكن أن يخلق من العدم"، مؤكدة إعادة الإشارة إلى مذهب الأفلاطونية المحدثة القائل بخلق كائنات وسيطة. (Ibidem. , p.55 , n.22). مقالة أخرى مشابهة تقول بأن "دون تأثير السبب الثانوي في السبب نفسه، فإن الإله لا يمكن أن يكون سببا ثانويا" والذي مصدره المؤكد هو سيجر البرابانتي. (Ibidem. , p.128 , n.69).

Ramon Llull , Liber reprobationis , p.289.

² - أنظر :

³ - ابن رشد ، فصل المقال ، دار المعارف ، ط.2 ، ص.49.

⁴ - نفسه ، ص.51.

Ramon Llull , Liber reprobationis , p.389.

⁵ - أنظر :

وهي رميم؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة))⁽¹⁾. علاوة على ذلك، في الكتيب المعنون بـ"مواعظ ضد ضلالات ابن رشد"، ينسب بعض الأخطاء التي لم يتم ذكرها في "كتاب إدانة أخطاء ابن رشد"، من قبيل: "أن الإله هو العلة الفعالة للملائكة"⁽²⁾، وأن "الملاك لا يمكنه التصرف بدون الإله، وبدون السماء"⁽³⁾، "أن الله لم يوجد هذا العالم"⁽⁴⁾، "الإله لا يمكن له التصرف ولا القوة"⁽⁵⁾، "ليس هناك إله متجسد"⁽⁶⁾.

لقد كان رامون لول كما سبق، أحد المنخرطين في النزعة المضادة للرشدية، هذه النزعة التي في جزء منها تاريخ معاداة الأرسطية، وهما معا خضعا لنفس الضوابط التي عرفت أوجها سنة 1277م، أي تاريخ إدانة الأسقف الباريسي "إيتيان تومبييه"، ويقول "آلان دي ليبيرا" أن لهذا التاريخ وجها آخر يعود إلى الاستيهامات المتولدة عن شخصية ابن رشد ليس بصفته أرسطيا وإنما باعتباره أرسطيا مسلما عربيا⁽⁷⁾. ويضيف أنه إذا كان "توما الاكويني" هاجم سنة 1274م

¹ - ابن رشد ، الكشف عن مناهج الأدلة ، ص.202.

² - أنظر: Ramon Llull , Liber reprobationis , p.249. لكن خلق الملائكة ورد ذكره في القرآن (السورة 37-آية 11 ، السورة 35-آية 1). في نظر الدارسين الأسبان أن الأمر الذي لا يمكن تفسيره، هو ادمان ابن رشد الشديد لاستخدام "الوحي"، نافيا بذلك، تعاليمه حول هذه القضية. أنظر: A. Palmieri , op.cit. , II , Les anges , lug.cit., col.1795.

³ - أنظر: Ramon Llull , Liber reprobationis , p.250. أشار رامون لول إلى الفيلسوف الكافر واصفا إياه بـ: " شارح أرسطو الذي اعتبر أنه بدون الملائكة أو السماء فإن الإله غير موجود ولن يبقى الوكيل الأعلى، وحقيقة يجب أن يكون السبب في ذلك تماما. خلاف ذلك، لا يمكن أن يكون هناك أي شيء، أو أي عمل، مع وجود النسبية". وفي كتاب " Liber de ente, quod simpliciter per se est existens et agens (liber de perseitate et finalitate Dei", يكرر نفس الإسناد، نقلا عن مصدرها في الكتاب 12 من الفيزيقا (R.O.L., ed. Harada , p.221 , VII , De aeternitate mundi (VIII).

⁴ - صرّح لول بأن: "الشارح عزم على إنكار على أن الله خلق العالم"، وهذا تطبيق (قضية) للخطأ القائل بأن: "هذا ليس خلقا"، المنسوب لابن رشد في "كتاب الإدانة" (Liber reprobationis , op.cit. , pp.289-303). يقول رامون لول أن: "الشارح (يعني به ابن رشد) ينكر الخلق، كما أن الله موجود منذ الأزل وليس عاطلا، وأنه سيكون قابلا للتغيير، وإذا كان قد فعل ذلك في السابق..." (Sermones contra errores Averrois , p.251). مجددا للمذهب الخاص بالأفلاطونية المحدثة. من جهة أخرى، عبر لول عن "أن أولئك الذين ينكرون الخلق يقولون بأنه لاشئ يأتي من العدم. لكن عندما وضع الخلق الممكن، فإنه يمكن خلق الأشياء من العدم. ولكن هذا أمر مستحيل، إذا فإنه عبارة عن خلق" (Liber reprobationis , p.303) وابن رشد ينفي الخلق من العدم (M. Alonso , op.cit. , p.177, nota 1).

⁵ - في هذه النقطة، يبرز أن رامون لول واضح وحاسم فيها، حيث ينسبها لابن رشد فيقول أن: "ابن رشد نفى أن الله يمكنه أن يخلق شيئا من العدم، واعتبر أنه لا يمكنه التصرف ولا القوة، من لاشئ". أنظر:

Ramon Llull , Sermones contra errores Averrois , p.254.

⁶ - أنظر: Ibid. , p.256.

⁷ - أنظر:

Alain de Libera , une figure emblématique de l'heritage oublié , Dans : Autour d'Averroès: l'héritage andalou , Editions Parenthèses, Marseille , 2003 , p.20.

الرشديين الباريسيين لم يثر الأصل الإثني-ثقافي لابن رشد لأن هذا القرطبي لم يمثل بالنسبة له غير "محرف لأرسطو"، واقتصرت إستراتيجيته على فصل ابن رشد عن المشائين اليونان والعرب (ابن سينا والغزالي وفق ما يذهب إليه توما الاكويني)، فإن رامون لول بالمقابل دعا سنة 1310م إلى "اجتماع كل الجند المتدينين إلى حرب دائمة من أجل إستعادة الأرض المقدسة" دعا أيضاً "الكاثوليك العقلاء" إلى "تدخل عاجل" "ضد مذهب ابن رشد" : ذلك أن الرشديين تحولوا مع بداية القرن الرابع عشر إلى مسلمي الداخل، أي، إلى جسم دخیل على المجتمع المسيحي. ويخلص دي ليبيرا إلى القول أنه ابتداء من هذه اللحظة ترسخت القضايا الإيديولوجية المضادة للرزعة الرشدية⁽¹⁾.

كانت الرشدية بالنسبة لرامون لول كما يقول "ارنست رينان" هي الإسلام في حقل الفلسفة، وكان لابن رشد دور في ظهور الفرق الملحدة في النصرانية والتي هزت مدرسة باريس. وبلغت حمية لول منتهاها فيما بين سنة 1310م وسنة 1312م على الخصوص، فنجد بباريس وفيين ومونبيليه وجنوة ونابولي وبيزا سائرا وراء تلك الفكرة المقررة مفندا ابن رشد ومحمدا بتأليف "الفن الأكبر"، وحتى في العرائض الثلاث التي قدمها في سنة 1311م إلى مجمع فيين الديني، وخاصة إلى البابا كليمنت الخامس حول العديد من النقاط من بينها الحكم على ابن رشد وأتباعه، وكان رامون لول يريد إزالة كتب شارح أرسطو في المدارس إزالة مطلقة، وأن تحظر قراءتها على كل مسيحي، ويظهر أن المجمع لم ينظر إلى أي من هذه الطلبات بعين الاعتبار⁽²⁾.

كما يظهر من عرض لول في كتبه المضادة للرشدية أنه ليس عالماً مُحققاً أو فيلسوفا وهب نفسه للبحث العلمي⁽³⁾، بل هو مُنصر قبل كل شيء. وكان يعتقد جازماً أن رشديي باريس اللاتين هم أتباع لأفكار ابن رشد قلبا وقالبا كما سبق وأن وضحنا في وجود معاني ابن رشد والرشديين في مؤلفاته. وهناك حقيقة بارزة وهي عدم موافقة الرشدية اللاتينية لأفكار ومبادئ الفلسفة الرشدية الأصلية، ويرجع ذلك لعدة أسباب، لعل أهمها: اختلاف وجهة نظر الطرفين، حيث ينظر

⁽¹⁾ - أنظر: Alain de Libera , op.cit. , p.20.

⁽²⁾ - رينان (ارنست)، ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2013، ص.207.

⁽³⁾ - الخضير (زينب محمود)، مرجع سابق، ص.84.

الرشديون اللاتين إلى السلطة الدينية باعتبارها جهازاً مقيداً للفكر وقاتلاً للعقل الفلسفي الحر، وأما ابن رشد فإنه لم يعاني من أي مؤسسة دينية تحاول تقييد فكره أو تحديد مجال نشاط عقله، كما أن فلسفة ابن رشد الأصلية، تختلف عن الرشدية اللاتينية في أمر أساسي مفاده أن الدين الإسلامي ليس كالدين المسيحي، فكل تعاليمه ومبادئه الخاصة⁽¹⁾.

الحقيقة السابقة غابت بشكل تام عن لول، رغم أن أهم كتبه وهو "الفن الأعظم Ars Magna" الذي ألفه عام 1274م، والذي فعل فيه ما فعله توماس الاكوينى في "الخلاصة في الرد على الأجانب" أي حاول البرهنة على المذهب الكاثوليكي بما يؤثر على عقول المسلمين الذين يصفهم بالكفار الوثنيين². ولأن هناك فجوة تفصل بين العقيدة المسيحية وبين مذهب الفلاسفة لأن الأولى مصدرها الوحي بينما الثاني نتاج العقل الطبيعي، فلا بد للفلسفة أن تكون دائماً خادمة Ancilla للاهوت. وحاول لول أن يجد أرضاً مشتركاً، بين الفلسفة والعلم المقدس، ليلتقيا عليها. حاول ذلك في كتاب "الفن الأعظم" عام 1274م كما حاوله أيضاً بعد ذلك في كل كتبه⁽³⁾.

كان ابن رشد بالنسبة لرامون لول في نهاية حياته هو رمز الهرطقة خاصة وأن الشارح كان يؤكد الانفصال التام بين الفلسفة والدين، كما كان ابن رشد أيضاً بالنسبة له رمزاً للإسلام في الفلسفة ولذا عاش ليحقق هذا الحلم ألا وهو تحطيم الإسلام من خلال تحطيم ابن رشد⁽⁴⁾.

انكفاً رامون لول إلى الموقف التقليدي الموقف الذي سبق أن ظهر في إدانة عام 1277م. وكانت السلطات الكنسية مطمئنة بخصوصه، منذ أن قامت سنة 1310م لجنة من أربعين معلماً ومن طلاب كلية العلوم والطب عينتهم المحكمة الأسقفية لمدينة باريس، بالتحادث معه، وخلصت هذه اللجنة إلى أن "العلم المذكور والفن المذكور كان صالحاً ومفيداً وضرورياً". ويمكن القول أن

⁽¹⁾ - الخضيرى (زينب محمود)، مرجع سابق، ص ص. 115-118.

⁽²⁾ - أنظر: Thomas Aquinas, Summa contra Gentiles, pp.17-35.

⁽³⁾ - أنظر:

Hames, Harvey J., The Art of Conversion: Christianity and Kabbalah in the Thirteenth Century, Leiden and Boston: Brill, 2000, p.17.

⁽⁴⁾ - رينان (إرنست)، مرجع سابق، ص. 209.

منهجه صادفه إخفاق تام. فقد حققت فلسفة ابن رشد وشروحه لأرسطو مسيرة ظافرة في أوربا، كما أن التراث الكلاسيكي الذي أداره المسلمون، ظل موضع احترام كبير في نظر الأوروبيين⁽¹⁾.

لا شك أن رامون لول مثله مثل "روجر باكون"، اعتقد بأن نقض أفكار ابن رشد هو نقض للإسلام ذاته⁽²⁾، وغاب عليهما أن مفكري أهل السنة في العالم الإسلامي مشرقه ومغربه كانوا قد هاجموا الأفكار نفسها. وما لم يكن يعرفانه أن ابن رشد، بل والفلاسفة المسلمين عموما لا يمثلون غير اتجاه واحد متوسط الأهمية ضمن التيارات الفكرية المتعددة على أرض حضارة الإسلام.

⁽¹⁾ - أنظر: Georges Minois , L'Eglise et la science: Histoire d'un malentendu , Fayard , 1991 , p.223.

⁽²⁾ - سودرن (ريتشارد) ، مرجع سابق، ص.157.

الفصل الثالث

جهود رامون لول

التنصيرية

1- تأسيس معهد ميرامار لتدريس اللغة العربية.

2- جهود لول التنصيرية من خلال أسفاره.

أ- ظاهرة التنصير قبل رامون لول.

ب- رحلة لول الأولى إلى تونس ومجاداته (1292م).

ج- رحلة رامون لول الأولى إلى مدينة بجاية.

د- إقامة رامون لول في جنوب إيطاليا.

هـ- رحلة لول إلى شرق المتوسط.

و- رحلة لول الأخيرة إلى إفريقيا.

1- تأسيس معهد ميرامار لتدريس اللغة العربية.

أدى تطور الفكر التنصيري إلى صياغة العديد من الطرق، منها الحاجة الماسة لمعرفة لغات الشعوب التي توجه لها البعثات التنصيرية. وحتى النصف الأول من القرن 13م، لم يخضع الميل إلى اللغة العربية -كأداة لمنافسة الإسلام بطريقة سلمية- إلى دراسة كافية، وقد ظهر هذا الميل في بدايته في الجمعيات الدينية. حيث شهد القرن الثالث عشر الميلادي تأسيس العديد من مدارس تعليم اللغات الشرقية (العربية والعبرية على وجه الخصوص) خدمة لأهداف المنصرين والتي أنشأها الدومينيكان⁽¹⁾.

يعود تاريخ إنشاء أقدم "مدرسة عربية" إلى سنة 1250م، خاصة بعد الرغبة الكبيرة في زيادة النشاط التبشيري، حيث قرر المجمع الديري المنعقد في طليطلة في هذه السنة، بمقتضى مرسوم "الطاعة المقدسة"⁽²⁾، أن يرسل الراهب "برناردو سالفاتيا" أستاذ اللغة العربية إلى ميورقة بصحبة ثمانية من علماء الدين لكي يتعلموا ويدرسوا معه، ومن بين هؤلاء الرهبان "أرنالدو دي لاغوارديا" و"بيدرو كاديريثا" و"رامون مارتى"⁽³⁾، والأخير قام بالعديد من الرحلات وكرس جهوده لتلك الدراسات، فذهب إلى تونس كمنصر وأنشأ هناك معهد "الدراسات العربية" ووضع بالعربية أول ترجمة لكتاب "المختصر في تعليم الدين المسيحي" لتفنيذ القرآن⁽⁴⁾.

في مدينة بلنسية كانت هناك أديرة مثل دير "سانتو دومينغو"، يتم فيها تدريس اللغات العربية والعبرية واليونانية واللاتينية، ومن بين مدرسي هذه اللغات يبرز الراهب "غييرمو أنخيليس"، والراهب "خوان مونثو"، والقديس "فيسنتي"، والراهب "أرنالدو كورتيس"⁽⁵⁾، وفي عام

⁽¹⁾ - أنظر: Fr. A. Cortabarría , El estudio de las lenguas en la Orden Dominicana, Estudios Filosóficos, XIX, 1970, p. 104 ; Fr. Jose Ma. COLL, Escuelas de lenguas orientales en los siglos XIII y XIV, Analecta Sacra Tarraconensia, XVII, 1944, p.134.

E. Alison Peers , Ramon Llull : A Biography , p.93.

⁽²⁾ - أنظر:

⁽³⁾ - أنظر:

Nicolás Antonio , Bibliotheca Hispana nova sive Hispanorum scriptorum qui ab anno MD ad MDCLXXXIV floruerunt notitia, Volumen 2 , Madrid , 1788 , p.89.

Loc.cit.

⁽⁴⁾ - أنظر:

⁽⁵⁾ - أنظر:

Sainz de Robles , Esquema de una historia de las universidades españolas , M. Aguilar, Madrid , 1944 , p.281.

1280م، اشتغل الراهب "خوان بويغفينتوس" هناك بتدريس اللغة العربية وبوعظ الموريسكيين. وفي برشلونة بدأت دراسات أخرى في اللغتين العربية والعبرية عام 1281م، وبعد ذلك بعشر سنوات أنشئت مدرسة للعربية والعبرية في شاطبة وأعطتها الملكة بلانكا زوجة خايمي الثاني حق منح درجة علمية في هاتين اللغتين⁽¹⁾.

لم يقيم الفرنسيون بتأسيس أية مدرسة، على الرغم من أنهم ينسبون مدرسة ميرانمار التابعة لرامون لول على اعتبار أنه واحد منهم. فمن مجموع سبع كليات لتعليم اللغة العربية تأسست في إسبانيا في القرن 13م، كانت خمس منها للدومينيكان، كانت واحدة منها فقط وهي كلية ميرانمار خاصة بالفرنسيسكان⁽²⁾. كان توجه هذه المدرسة لا يتماشى مع النظام المعمول به في الجامعات الأوروبية المعروفة آنذاك، نظراً لأن مؤسسها كانت له رؤية مغايرة لمنهجها وطريقة عملها والأهداف المنوطة بها.

منذ سنة 1292م وحتى سنة 1311م، أصرّ لول على تأسيس معاهد لتدريس لغات غير المؤمنين بالمسيحية (أو الكفار حسبه) ويتكون فيها المبشرون المحتملون والذين أحسوا بضرورة دعواته للتنصير⁽³⁾. أولى هذه المؤسسات عرفت النور وتم إنجازها وهي معهد "ميرانمار"⁽⁴⁾، حيث أنشئت في جزيرة ميورقة، سنة 1276م، وشرع ثلاثة عشر من الرهبان الفرنسيون في تكوينهم، بموافقة السلطات الأراغونية على إقامتهم فيها، وتباعاً تعلموا اللغة العربية. حتى أنهم بمجرد إتقانهم لها، تلقوا تعليمات بإمكانية إرسالهم إلى أراضي الوثنيين. ونظراً لعدم وجود دعم وموارد من شأنها

⁽¹⁾ - أنظر: E. Alison Peers , op.cit. , p.36.

⁽²⁾ - على الرغم من أن دير ميرانمار ينسب فعلاً لأخوية الفرنسيين، إلا أن ذلك لا ينفي أن ظهوره كان بتأثير من الدومينيكان. أنظر: Garcias Palou (Sebastian) , Ramon Llull y el Islam , p.111.

⁽³⁾ - وجه رامون دعواته المتتالية إلى كل من : البابا نيقولا الرابع (1292م)، البابا سلسطين الخامس (1294م)، البابا بونيفاس الثامن (1295م)، البابا كليمنت الخامس (1305م ، 1308م و 1309م)، وإلى مجمع فيين الكنسي (1311م). وأيضاً إلى فيليب الرابع الوسيم في حدود سنة 1298م وسنة 1310م. أنظر:

Garcias Palou (Sebastian) , Ramon Llull y el Islam , p.123.

⁽⁴⁾ - حول هذا الاسم أنظر:

Garcias Palou (Sebastian) , El Miramar de Ramon Llull, cap.III, El nombre "miramar", pp.20-39. هناك احتمالات عدة لتسمية هذا الدير الخاص بتعليم اللغة العربية، والثابت أن رامون لول هو من قرر هذا الاسم "ميرانمار"، حينما طلب من البابا كليمنت الخامس سنة 1305م، تأسيس أديرة لتعليم اللغات الشرقية و"أن يتم بناؤها من طرف المسيحيين بالقرب من البحر". أنظر: Ramon Llull , Liber de fine, Prologus, p.10.

أن تمنع أو تعيق الدراسة في هذا المعهد الناشئ، فقد أخذ الملك خايمي الثاني (المؤسس) على عاتقه مسألة الدعم بتخصيصه لإيرادات خاصة بغية دعمه (1).

وضع رامون لول طلب تأسيس هذا الدير، عندما تمّ استدعاؤه إلى مونبيلييه، من قبل وريث عرش ميورقة، في نهاية سنة 1274م أو بداية سنة 1275م (2)، ويقول أن الذي دفع إلى وريث العرش إلى ذلك، هو سماعه لأخبار مفادها تأليف رامون لول لبعض من أجود الكتب وأحسنها (3)، كما أنه أراد التحقق من خلال رأي أحد الرهبان الفرانسكان (4)، من الشخص الذي قام بصياغة الحكم الأكثر ملاءمة (5).

لم يكن اختيار لول لجزيرة ميورقة مقرا لهذا الدير عشوائيا، وكان بإمكانه اختيار روما بصفتها رأس الكنيسة الكاثوليكية، أو باريس لما لها من أهمية في النظام التعليمي بسبب وجود جامعتها والمقبلين عليها، بل تعتمد ذلك، نظراً للتواجد الإسلامي في الأندلس بشكل عام، وميورقة بشكل خاص، وكذا في مناطق التماس التجارية في جنوة والبندقية، أين يحتك التجار المسيحيون بالتجار المسلمين. على الرغم من أنه اقترح فيما بعد مناطق أخرى لإنشاء هذا النوع من المدارس (6).

من المنطلقات التي جعلت لول يُصر على تجسيد هذا المشروع، هو تعلمه للعربية نفسه. خاصة بعد أحس بعدم قدرته على المضي في مشروع تنصير المسلمين ومجادلتهم وهو لا يعرف

⁽¹⁾ - أكد البابا يوحنا الحادي والعشرين تأسيس الدير في مرسوم بابوي وقعه في مقر إقامته في "فيتيربو"، مؤرخ بـ 17 أكتوبر 1276م. حول النص الكامل للمرسوم أنظر الملحق رقم 02.

⁽²⁾ - حول رحلته هذه أنظر: A.R.PASQUAL, Vida del beato Raimundo Lulio, I, Mallorca, 1890, pp. 206-208 ; S. GALMES, Dinamisme de Ramon Llull, ed.cit. , pp.12-13 ; M.BATLLORI, S.J. , Vida coetania (Introducció i comentaris), en O.E. , I, p.40, nota 60.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull , Vita caoetanea , V , p.45.
⁽⁴⁾ - أنظر: Id.

من المحتمل أن يكون هذا الراهب الفرانسكاني هو اللاهوتي: "بلتران برنغار Beltrán Berenguer"، الذي عاش في مونبيلييه، وشغل مهام تدريس اللاهوت، وتوفي سنة 1283م. أنظر:

Fr. L. WADDING , Annales Minorum, V, Quaracchi, 1931, n. XIV, p.182.

⁽⁵⁾ - درس في "كتاب التأمل في الله el Libre de contemplació en Déu" بأنه "لن تجد أبداً إعجاباً ولو قليلاً من طرف الكاثوليك بالتفاني الكامل، في التأمل، الذي قد يكون شقيقاً للنبوة". أنظر:

Ramon Llull , Vita caoetanea , V , p.45.
Garcias Palou (Sebastian) , Ramon Llull y el Islam , p.113.

⁽⁶⁾ - أنظر:

لغتهم، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فقد كان يريد دراسة العقيدة والفلسفة الإسلاميتين سعياً إلى مناظرة المسلمين وتنصيرهم. والحال أن درايته "الجيدة بدرجة معقولة بالأدب والفكر العربيين"⁽¹⁾ قد عادت عليه بإشادة جمّة من جانب بعض المؤرخين الحديثين، الذين يعتبرونه أهلاً للقب "أب الدراسات الشرقية"⁽²⁾.

لكن لول كانت لديه اهتمامات عملية أكثر. وكان "روجر باكون" قد اعتبر دراسة الألسن خادمةً للاهوت أساساً، وبالنسبة للول، كان تعلم اللغات الشرقية، والعربية خصوصاً، مرتبطاً على نحو مباشر بالمساعي الرامية إلى استرداد الأراضي المقدسة. واحتلت اللغة العربية صدارة الأولويات بين جميع اللغات، وهو ما ظهر جلياً في كل العرائض والالتماسات التي قدمها لول إلى السلطات الدينية ممثلين في الباباوات الذين عاصروهم وحتى إلى السلطات السياسية ومن أمثلتهم ملك فرنسا فيليب الوسيم⁽³⁾.

في كتاباته يستجيب لول دائماً للمتغيرات التي مر بها، فهو لم يدع لإنشاء مدارس اللغات الشرقية، إلا بعد أن أحس بأن العمل التنصيري لن يحقق نتائج مأمولة، دون الإمساك بناصية لغة من يسعى لتنصيرهم⁽⁴⁾، وخاصة أن العرائض التي قدمها للباباوات جاءت مباشرة بعد ضياع عكا آخر ممتلكات الصليبيين في الشرق⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ - أنظر: Bonner (Anthony) , Historical , p.304 ; Ramon Llull , Book of the Gentile , IV , p.29. background and life ,

⁽²⁾ - أنظر:

Aziz Suryal (Atiya), The Crusade in The Later Middle Ages , p.86 ; Alphandéry (Paul) , La Chrétienté et l'idée de croisade , Ed. A. Dupront , Vol.2 , Albin Michel , Paris , 1959 , p.250.

حيث يورد "بول الفاندري" بأن الاستشراق ولد ببطء في الغرب بداية من نشاط رامون لول. وأن الدومينيكان هم من عزز في وقت سابق على لول، دراسة اللغة العربية. أنظر:

Burns (Robert L.) , Christian-Islamic Confrontation in the West : The Thirteenth-Century Dream of Conversion , American Historical Review , 76 , no.5 , 1971, p.1402; Bonner (Anthony) , introduction to the Book of the Gentile, pp.95-96.

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.116. ⁽³⁾ - أنظر:

Id. , p.117. ⁽⁴⁾ - أنظر:

⁽⁵⁾ - على الرغم من الحماسة والتفاؤل الكبيرين اللذين طبعاً لول أثناء تحضيره وتقديمه لهذه العرائض، إلا أنه قال بأنه لم يستشعر قبولا حسناً ولا رأى دعماً من طرف الباباوات. وكانت خطته محل سخريّة من زملائه، واصفا البعض إياها بأنه ضرب من الهوس. وهو ما أدخله في نوبة من الحزن والضيق، عرفت عنه في حياته. أنظر: Ibid. , p.117.

بعد قرار ابن الملك بتأسيس الدير التصيرى الخاص بتعليم اللغة العربية، طلب رامون لول منه أن يسلم مسؤوليته لرهينة أخوية الفرانسكان، وله أيضا، بدون أن يشير إلى زمن ذلك، قال: "أن دير ميرامار يجب أن يوهب للإخوة الصغار (يقصد الفرانسكان)" (1)، الذين كانوا قد وصلوا في سنة 1232م، أي بعد ست سنوات من وفاة القديس فرانسيس وثلاث سنوات من غزو ميورقة، إلى أكبر جزر البليار (2).

في الوقت الذي امتلكت فيه "أخوية الدومينيكان الوعظ"، معهداً لدراسة اللغات studium linguarum في تونس، وآخر في نفس الوقت بمدينة مرسيا تدرس فيه اللغتان العربية والعبرية (3)، بينما لم يجد الرهبان الفرانسكان أي مكان للتكوين في هذه اللغات (4). مما حدا بأبناء هذه الأخوية والمنتسبين إلى الفرانسكان، بتقديم الشكر لرامون لول علنا وأمام العامة، لما قدمه لإدارة مصالحهم، وقدموه على أنه "أكبر محسن óptimo bienhechor" للجمعية (5)، من طرف المسؤول العام عنها الأب "رامون جاوفريدي Ramon Gaufredi". إضافة إلى أنه حرّر بنفسه رسائل توصية لمسؤولي مقاطعات: روما، أبوليا وصقلية، من أجل أن يتسنى لرامون لول تدريس "قنه" هناك (6).

¹ - أنظر: Ramon Llull , Cant de Ramon , ed. Galmés, O.R.L., Vol. XIX, 1936, p.257.

² - أقامت الأخوية في بساتين كان الملك خايمي قد حاز ملكيتها في مدينة ميورقة، كما ورد في "كتاب التقسيم Llibre de Repartiments" الذي أشار إلى هذه الأراضي. أنظر:

Prosper De Bofarull y Mascaro, Repartimientos de los reinos de Mallorca, Valencia y Cerdeña, en Colección de documentos inéditos del Archivo de la Corona de Aragón, XI, Barcelona, 1856, p.62.

³ - تم الاتفاق على بداية عمل هذا المعهد في حاضرة المدينة سنة 1265م، وأغلقت أبوابها حوالي سنتي 1279م-1280م. أنظر: Fr. A. Cortabarría , El estudio de las lenguas en la Orden Dominicana, p. 104 ; Fr. Jose Ma. COLL, O.P., Escuelas de lenguas orientales en los siglos XIII y XIV, p.134.

⁴ - لم يُشر الباحثون الكنسيون في دراساتهم في هذه الفترة، إلى وجود معاهد لدراسة اللغات الشرقية خاصة بالفرانسكان. أنظر: Fr. Lucas Wedding , Annales Minorum ; Fr. Girolano Golubevich , Biblioteca Bio-Bibliografica della Terra Santa e dell'oriente Franciscano.

⁵ - أنظر: Lucas Wedding , op.cit. , V , n.XVIII , p.268.

⁶ - حررت هذه التوصيات بتاريخ 25 أكتوبر 1289م. أنظر: A. R. Pasqual, vindiciae lullianae, I, Avenione, 1778, p.186 , nota.1.

طلب لول في بداية عمل هذه المعهد حضور ثلاثة عشر راهبا من الأخوية⁽¹⁾، لمواصلة دراسة اللغة العربية، وسائر النظم التنصيرية في ميرامار، ووافق الملك خايمي الثاني على ذلك. في هذا السياق، كتب لول في روايته بلانكرنا : " لقد أمر الملك ثلاثة عشر راهباً بدراسة العربية في دير يدعى ميرامار"⁽²⁾. وبعد مرور عدة أشهر، وبالضبط في أكتوبر من سنة 1276م، اجتمع القِيم على مقاطعة أراجون، في الدير -الذي سماه رامون لول بالدير حينا، وبمعهد اللغات حينا آخر Studium linguarum⁽³⁾- مع أول ثلاثة عشر راهباً ممّن سيكرسون أنفسهم للدراسات التبشيرية. أين سيقيمون فيه، مع الأمل في تحقيق تقدم جدير بالثناء في دراسة اللغة العربية⁽⁴⁾.

حاول لول أن يتخذ من مدينته ميورقة، مركزاً وقاعدة لتدريب المنصرين بتأسيسه لدير يدعى ميرامار⁽⁵⁾، يقع في منطقة "فالديموسا Valldemossa"، حيث قدم لول طلباً لتلميذه السابق بتأسيس هذا المعهد، فكان أن أصدر الملك خايمي الثاني شخصياً أمراً كتابياً لإنشائه⁽⁶⁾، ولم يتوانى بدعمه مالياً⁽⁷⁾، و استمر لعدة سنوات تحت الرعاية الملكية⁽⁸⁾، ويصف لول هذا المعهد في روايته "بلانكرنا" بقوله : " أن الملك (خايمي الثاني ملك ميورقة) صاحب العادات

⁽¹⁾ - يعتبر هذا العدد مفضلاً بالنسبة لول، لأنه يوافق العدد الذي يشكله المسيح مع حواريه الاثني عشر. وعلى سبيل المثال، نجد في "كتاب التأمل في الله" ما نصه: "اكتب مجازاً العدد ثلاثة عشر بدلاً من الحواريين ويسوع". أنظر:

Ramon LLull , Libre de contemplació en Déu, Pròleg, O.R.L., II, Mallorca, 1906, p.4, n.11.

⁽²⁾ - أنظر: Ramon Llull , Blanquerna , Cap.65, ed O.R.L., Vol.IX, Mallorca, 1914, p.230, n.3.

وردت واقعة طلب تأسيس الدير، في رواية "بلانكرنا"، التي يقول فيها لول أن : " رجل الدين الذي حكم قبلاً أبرشية وكان يدعى blanquerna جاء إلى البلاط مع اثنين من إخوته في الدين ومع رجل علماني آخر. وجمع الأربعة معرفتهم بالعربية، وأنهم جاؤوا إلى بلاط الملك بغرض التوسل له ، لارسالهم إلى بعض الأراضي الأخرى للتبشير فيها، وتحويل سكانها، مع استعدادهم للاستشهاد حتى ينالوا من الله مدحاً". تصف هذه السطور حقيقة تاريخية لا مراء فيها، كما تعبر عن وجهة نظر لول المثالية التي حددت بلول إلى طلب تأسيس ميرامار. أنظر:

Ramon Llull , Blanquerna , cap. 78, pp.284-285, n.3.

⁽³⁾ - استخدم هذا الاسم في كتاباته سنة 1292م. أنظر:

Ramon Llull , Quomodo Terra Sancta recuperari potest, p.102.

⁽⁴⁾ - يشير البابا يوحنا 21، في مرسوم له على ذكر مندوبه ويثني على عمل الدير. أنظر: Bula Laudanda tuorum.

⁽⁵⁾ أنظر :

Abulafia David , A Mediterranean emporium : The Catalan kingdom of Majorca , Cambridge University Press , U.K. , 1994 , p.13.

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.131.

⁽⁶⁾ - أنظر:

⁽⁷⁾ - أنظر :

David Thomas and Alexander Mallett , Christian-Muslim Relations : A Bibliographical History (1200-1350) , Vol.4 , Brill , Netherlands , 2012 , p.705.

Abulafia David , A Mediterranean emporium , p.13.

⁽⁸⁾ - أنظر :

النبيلة، ولديه الكثير من التفاني فيما يتعلق بطريقة اليسوع المسيح ويمكن أن يكرم لوعظه بين الكفار، وتحقيقا لهذه الغاية كان قد أمر بأن يقوم ثلاثة عشر راهبا بدراسة اللغة العربية في دير يدعى ميرامار، الذي أنشئ في مكان مناسب ، وزود بكل ما يلبي احتياجاتهم، وعندما يتعلمون اللسان العربي يكون بمقدورهم الذهاب، وبإذن من المشرف عليهم، تكريما لفاكهة سيدتنا مريم العذراء، وتكريما لمن يعانون الجوع والعطش والحر والبرد، والخوف والتعذيب والموت"⁽¹⁾.

مزيج من الجاذبية والنفور الذي يتجلى في جميع أنحاء السيرة الذاتية Vita Coetanea كان يميز نظرة لول لهيئة الدومينيكان، ونفس النظرة لهيئتي الفرنسيسكان والكارثوسيان اللتين عمدتا إلى تطوير مدارس اللغة الخاصة بها، وعلى الرغم من نفوره لشكل النظام في هذه الهيئات إلا أنه لم يتستثنهم ولم يقيم بإقصائهم للمشاركة أو تسيير معهد اللغات في ميرامار، وهو بذلك لا يوافق طريقة "ريمون مارتى" الذي عمل بشكل منفصل عن الدومينيكان أثناء إقامته في تونس، وانتقده بشكل صريح⁽²⁾.

كان المنهج المطبق في معهد لول، مثيلا للمناهج المطبقة في المدارس الخاصة باللغات الشرقية، والتي تقدم رامون لول بطلبات عدة لتأسيسها لكل من: البابا نيقولا الرابع، سلسنتين الخامس⁽³⁾، بونيفاس الثامن وكليمنت الخامس، وإلى مجمع فيين الكنسي (1311-1312م)، وإلى الملك الفرنسي فيليب الوسيم وكذا جامعة باريس. وقد شدد رامون لول على أن يشترط في الكهنة العلمانيين أو الدينيين الذين يريدون الانتساب للمعهد، معرفتهم باللاهوت والفلسفة⁽⁴⁾، والعقيدة المقدسة⁽¹⁾، ودراية تامة بالكتاب المقدس⁽²⁾. أي أن دير ميرامار كان يفترض وجود تكوين لاهوتي

⁽¹⁾ - أنظر : Ramon Lull , Blanquerna , transl. E.A. Peers and ed. R. Irwin , London , 1987 , cap.65 , pp.256-257.

⁽²⁾ - أنظر :

Dominique Urvoy , Penser L'Islam : Les Présupposés Islamiques de l'Art de Lull , Librairie Philosophic J. Vrin , Paris , 1980 , p.242.

⁽³⁾ - في العريضة المقدمة للبابا سلسنتين الخامس، يأتي لول على ذكر تعلم جميع لغات العالم بما فيها لغة التتار، وهو أمر تميز فيه عن معهد اللغات الدومينيكاني الموجود بتونس. أنظر :

Ramon Llull , Quomodo Terra Sancta recuperan potest, p.96.

Ibidem.

⁽⁴⁾ - أنظر :

Ramon Llull , Petitio ad Coelestinum V, ed. Salzinger, Il, Moguntiae, 1722, p.51.

Ramon Llull , Petitio ad Bonifatium VIII, Ms. Paris Nat. Lat. 15.450, 53, v.

⁽¹⁾ - أنظر :

⁽²⁾ - أنظر :

وفلسفي مسبق لطلابه ومريديه. وكان الدير مختصاً في التبشير، وليس للدراسات العامة، التي قد تكون مدارس رهبانية، أو أسقفية أو كاتدرائية. ولم تُدرس في المعهد، بطبيعة الحال، الفنون السبعة الحرة، لا الثلاثية Trivium منها (النحو والبلاغة والجدل)، ولا حتى الرباعية Quadrivium (الحساب، علم الفلك، الموسيقى والهندسة)، والتي وصفها رامون لول في كتاب "عقيدة الطفل Doctrina pueril"⁽¹⁾.

تجسّد الهدف الأسمى لهذا المعهد في تلقين اللغة العربية حتى تكون وسيلة للتواصل وإحدى أدوات التفكير والتعبير من جهة، و تعليم المنصرين نظام المصطلحات الفني الخاص بهذه اللغة من جهة أخرى، حتى يتوافق مع لغة فنه الأعظم. والدافع لتلقين هذا النظام كان في الأساس إفتقار اللغة اللاتينية الرومانسية إلى الشروط المناسبة لنظام المصطلحات الفني⁽²⁾، ويعترف لول بأن اللغة العربية تتميز بالمرونة والمقدرة مما يخولها التعبير عن أدق المعاني المجردة والفوق طبيعية، في حين تعجز اللاتينية بسبب جفافها وخشونتها - عن مجارة اللسان العربي، ولهذا كان عسيراً على المنصرين في غرب أوروبا أن يتابعوا أعماق ما تتطوي عليه كتابات المسلمين. وأيضاً الحاجة إلى التبرير والدفاع إذ يقول لول: "للإجابة على إعتراضات الكفار"⁽³⁾. ومن المرجح أن لول أنشأ في ميرامار نظاماً تعليمياً لكل من اللغة العربية والفن الأعظم ، والتبشير التنسكي⁽⁴⁾.

بالإضافة إلى تلقين اللغة العربية، كان من وسائل التنشئة التي تكون عليها الرهبان، التدريب على الخطابة والإقناع في الحوار والمناقشات، كما عكف الدير على تدريس عقائد القرآن وتقاليد وتراث المسلمين، وقصة النبي محمد، والمبادئ الأخلاقية الإسلامية، وكذا الفلسفة وعلم الدين الإسلامي، ودراسة ما توفر عن حياة وعادات المسلمين وثقافتهم، وعقليتهم الدينية، وممارساتهم وطقوسهم (التي يرجح مسيحيو العصور الوسطى أنها تصور مُشتق من المسيحية)، وعلوم جدالهم

⁽¹⁾ - أنظر:

Ramon Llull ,Doctrina pueril Cap. 73. ; Idem , De Gramática, Lógica, Retórica (ed. R.O.L., I, Mallorca, 1906, pp.130-132) y Cap. 74.

⁽²⁾ - أنظر :

Dominique Urvoy , Penser L'Islam , p.156.

⁽³⁾ - أنظر :

Ramon Llull , Compendium Artis demonstrativae , éd. Mayence , III , p.160.

⁽⁴⁾ - أنظر :

Garcias Palou (Sebastian), El Miramar de Ramon Llull , pp.23-25.

وأساببه الضرورية ... (1). ناهيك عن تعليم الجغرافيا التي يوليها رامون لول أهمية كبيرة⁽²⁾، بسبب حاجة المنصرين لها (3).

أشار لول إلى : "أصول وطرق عمل دير ميرامار، الذي يقع في جزيرة ميورقة"⁽⁴⁾، كما أوضح البابا يوحنا الحادي والعشرون، في مرسوم إنشاء هذه المؤسسة على : "أن تحترم أخوية الفرنسيسكان قانون الدير ... وأن لا تمارس أي مهام أخرى بأي حال من الأحوال"⁽⁵⁾. وتوفر في مرتادي الدير نفس الروح التنصيرية الموجودة عن أخوية الفرنسيسكان، والتي يُعثر عليها في كتاب القديس فرانسيس الأسيزي "القاعدة الأولى Regula Prima" (على وجه الخصوص في الفصل الذي يتحدث عن "السفر بين السراسنة De euntibus inter saracenos) حيث يطلب منهم "تذكر المسيح الذي ضحّى بجسده، ومن أجل ذلك، يجب أن يضحوا هم بدورهم إذا تعرضوا لأعداء مرثيين أو لا، مذكرا بقول الرب: كل من يفقد حياته من أجلي ... فإنني أحفظه"⁽¹⁾.

⁽¹⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), El Miramar de Ramon Llull , pp.72-73.

⁽²⁾ - أوضح لول أهمية معرفة الجغرافيا في العمل التنصيري في مقطع مجازي من روايته "بلانكرنا Blanquerna" : "قسّم البابا جميع بقاع العالم إلى اثنتي عشر قسماً، وعين لهم اثنتي رجلاً ممثليين له في كل قسم، ممن توجب عليهم الذهاب إليها، لمعرفة كل مسار في هذه الأرض، وحتى نعرف كل أحوال هذا العالم". أنظر:

Ramon Llull , Libre de Blanquerna, cap. 80, ed. O.R.L., IX, Mallorca, 1914, p.297, n.4.

⁽³⁾ - كان المنصرون الفرنسيسكان في القرن 13م، من أبرز الجغرافيين المختصين، وقد قدموا في كتاباتهم التنصيرية توصيفات وبيانات جغرافية، تشي بقدر كبير من الأهمية في هذا الجانب. أنظر :

G. Golubovich , I, op.cit.

ومن بين الوثائق ذات القيمة الجغرافية الكبيرة، التي نشرت في مجال الجغرافيا في العصور الوسطى الأوربية نجد: "طريق الأرض المقدسة Itinerarium Terrae Sanctae" الذي ألفه "ألبرتو ستاندينزي Alberto Stadense" (1240م). أنظر:

G. Golubovich , I, op.cit. , pp.182-184.

كما ألف "روجر باكون" (1214م-1284م) أعمالاً جغرافية متتابعة منها: "الوضع في الأرض المقدسة De situ Terrae Sanctae"، "الأماكن المقدسة De locis sacris"، "أوصاف الأماكن في العالم Descriptiones locorum mundi"، "بلدان العالم De regionibus mundi". هذا وقد أولى روجر بيكون علم الفلك وعلم الجغرافيا أهمية خاصة في عمل المنصرين، فهو يقول أن: "علم الفلك مطلوب لأن الأسباب السماوية تحدد مسار الشئون الأرضية، والشؤون الأرضية لا سبيل إلى معرفتها دون معرفة ما هو سماوي، ولأن علم الفلك ينظم جميع الأمور، يجب أداء كل عمل رائع في أوقات مختارة". أما عن علم الجغرافيا فهو مطلوب لأنه "سواء كان المرء بسبيله إلى تنصير غير المؤمنين أو إلى التعامل مع أمور أخرى تهتم الكنيسة، فإن من واجبه معرفة ملل وظروف جميع الأمم، وذلك كي يتسنى له الاتجاه بهدف محدد إلى المكان المناسب". أنظر:

Bacon (Roger), Opus Majus , Trans. R.B. Burke , Vol.1 New York , Russell and Russell , 1962, pp.129-405-321.;G. Golubovich , I, op.cit. , pp.266-268.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ramon Llull , Libre de Blanquerna, cap. 65, p.231, n.4.

⁽⁵⁾ - أنظر: Bula Laudanda tuorum.

حول حياة التقشف والتنسك والطقوس الليتورجية التي مارسها رهبان دير ميرامار أنظر:

Garcias Palou, El Miramar de Ramon Llull, pp.83-88.

⁽¹⁾ - أنظر: François d'Assise , Franciscus Assisiatis Opera omnia , Vol.MDCCCXLIX , recognita adjecit Joh. Jos. von Der Burg , Heberle, 1849 , pp.61-80.

لذلك، كتب لول في رواية بلانكرنا : "عندما يتعلمون العربية، سيكون بمقدورهم الذهاب، بإذن رسمي، لتكريم ثمرة السيدة العذراء، وتكريماً له سيعانون الجوع والعطش والحر والبرد، والخوف والتعذيب والموت"⁽¹⁾. الشئ الذي يعني أن ميرانمار استجابت، في جميع جوانب المؤسسة، إلى الفكر اللولي المتعلق بطبيعة المدارس الخاصة باللغات الشرقية، والتي تأسست بدافع من الإلحاح⁽²⁾.

بالنسبة لدور رامون لول داخل دير ميرانمار، لا نعرف الكثير من خلال ما توفر من وثائق، على الرغم من كونه الشخص المروج لتأسيسه والمنظر لعمله⁽³⁾. حتى أنه هو من اقترح تسمية "ميرانمار" له⁽⁴⁾. لذا فقد أقام فيه الرهبان الفرنسيسكان، معتمدين في مواصلة نشاطهم على تمويل مقاطعة أراجون و يسيرها حاميتها الخاص⁽⁵⁾. لذلك، لم يتول لول أي منصب قيادي أو اداري فيها.

مما لا شك فيه، أن رامون لول، كان هو روح هذه المؤسسة الناشئة، والقوة الدافعة للمجتمع الفرنسيسكاني الزاهد المصغر داخلها، فقد كان بالنسبة لهم الأستاذ الحجة في علوم الدفاع عن المسيحية والعارف بحججها وبراهينها الأساسية، وربما أيضاً كمتمكن في اللغة العربية⁽⁶⁾. لأنه دائماً ما قدم نفسه لهم، كعارف بالتقاليد الإسلامية، التي بينها في "كتاب الوثني والحكماء الثلاثة" (خاصة الفصل الرابع منه، المعنون بإيمان السراسنة De creença dels sarraïns)، وعالمًا بقرآن المسلمين، في مؤلفين له هما: "الأمثال المحمدية Proverbis de Mafumet"، "الاستغناء عن القرآن والأمثال dels exponedors de l'Alcora e dels Proverbis"...⁽¹⁾.

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull , Libre de Blanquerna , Cap. 65., IX, pp.230-231 , n.3.

⁽²⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), El Miramar de Ramon Llull, pp.108-121.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull , Vita caoetanea , p.54, n.17.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ramon Llull , Liber de fine, Prologus, p.10.

⁽⁵⁾ - من بين هؤلاء الرهبان الذي اضطلعوا بهذه المهمة : "برنات فولك Bernat Folch" حوالي سنة 1292م، وقبله راهب "يورنث دي كارييرا Llorenç de Carreras" حوالي سنة 1289. أنظر:

Garcias Palou, El Miramar de Ramon Llull, pp.326-389.

⁽⁶⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.128.

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull , Del dotzén article, De sentir, p.1132.

مما يدفعنا للاعتقاد حسب "جارسيا بالو"، بأن رامون لول استطاع تدريس هذه المواضيع ذات الأهمية البالغة بالنسبة للمُنصرين المستقبليين المحتملين في صفوف المسلمين (1).

مكث رامون لول في دير ميرامار لثلاث سنوات، فيما بين 1276م و 1279م، وعلى الأرجح أنه لم يكرس هذه المدة في تكوين الرهبان الفرانسكان المقيمين في الدير، ولكن وفقاً لهيئة المبشرين، فإن تصويره له يظهر في الوثائق والإحالات التي قدمها لمقر الكرسي الرسولي في روما (2). ولا نعثر في أي وثيقة على قائمة بأسماء هؤلاء الرهبان، الذين كانوا تلاميذ لرامون لول. عدا اسمين فقط، أحدهما يدعى الراهب "سيمو بيجسيردا Simó de Puigcerdá"، الذي أختير بناءً على طلب من لول، وبتوصية خاصة من الملك خايمي الثاني، وبإذن من الراهب "روميرو اورتيث Romero Ortiz" حامي منطقة لاردة، ونظراً لجميع هذه التوصيات، يبدو أنه شخصية بارزة، خاصة أنه ذهب إلى تونس، أين التقى بلول في رحلته هناك، حينما كان يترجم مؤلفات له إلى اللغة اللاتينية (3). إضافة إلى "سيمو بيجسيردا"، نعرف من الوثائق أسماءً أخرى، منهم الأب "نيكولاو داميون Nicolau Damion"، والأب "روميرو دي فولك Romeu de Folch"، وكذا الراهبين "خايمي Jaume" و"غيتارت Guitart"، والملاحظ أنهم جميعهم كانوا متواجدين في دير في تونس (4).

كان كل من الراهبين الأولين، حاضرين عند توقيع معاهدة بين تونس وميورقة في جانفي 1313م، مما يدعم فرضية أنهم تعلموا العربية في ميرامار، ونفس الأمر يمكن أن يقال عن الراهبين "خايمي Jaume" و"غيتارت Guitart"، اللذين حضرا توقيع معاهدة بين الحفصيين ومملكة أراجون (1). بينما كان "يورنث دي كاريلا Llorenç de Carreras" و "برنات فولك Bernat Folch" و الأب "سيمو دي كورنا Simó de Coma" من طلاب مدرسة ميرامار،

¹ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.128.

² - أنظر: Ramon Llull , Quomodo Terra Sancta recuperari potest, ed. Rambaud-Buhot, p.96.

³ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), El Miramar de Ramon Llull, p.173.

⁴ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.129.

¹ - أنظر: Dufourcq (Ch. E.) , op.cit. , p.491.

لكنهم لم يكونوا تلاميذ لرامون لول، لأنهم ارتادوا الدير بعد سنة 1279م، أي السنة التي غادر فيها لول الدير⁽¹⁾. ويعترف لول في كتاباته، أنه عاش فترة من الزمن في دير ميرامار⁽²⁾، بدون أن يشير إلى توقيت هذه الإقامة. لذا فمن المحتمل أنه لم يكن في نيته امضاء جل حياته في هذا الدير مثلما هي عادة الرهبان. خاصة وأنه لا يوجد شيء يحمل على الاعتقاد بأن لول طلب من الملك خايمي تأسيس هذا الدير، ليكرس كل حياته فيه من أجل تكوين المبشرين. على العكس من ذلك كله، فإن هذا المثل الأعلى (أي تكريس الحياة في الدير) لم يدخل ضمن اهتماماته مع المشاريع الكبرى المعروفة، التي كانت تتطلب غياباً طويلاً ورحلات مستمرة⁽³⁾. حيث من المرجح أنه سافر إلى المشرق بين عامي 1279م و 1282م⁽⁴⁾.

وعن مصير رهبان دير ميرامار، بعد انتهاء فترة تكوينهم، لا يُعرف عنهم الكثير، بسبب ضياع الكثير من الوثائق التي تتعلق بالدير. ولا حتى عن التخصصات التصيرية الأخرى التي باثرو دراستها. لكن على الأرجح، أنه تم إيفادهم إلى المناطق الأندلسية التي لم تطلها حركة الاسترداد، وإلى مُسلمي إفريقية الذي كانت تربطه علاقات تجارية مع الممالك المسيحية في إسبانيا⁽⁵⁾. وعلى الرغم من أن تاريخ البعثات التصيرية الخاصة بالفرانسكان، قد حفظ عدداً

⁽¹⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), El Miramar de Ramon Llull, p.174.

⁽²⁾ - أنظر: Ramon Llull , Cant de Ramon, p.275.

⁽³⁾ - حينما نجح مشروع تأسيس هذه المدرسة، واطمأن لول إلى سيورتها بالشكل الذي خطط له، رأى أنه حان الوقت لتأسيس مدارس أخرى على نفس الشاكلة في جميع ربوع غرب أوروبا. لذلك قصد البابا ومختلف الأمراء والملوك المسيحيين قصد إثارة اهتمامهم، والحصول على موافقتهم، وهو ما ذكره بالتفصيل في سيرته. أنظر:

Ramon Llull , Vita caoetanea , n.7 , p.48.

⁽⁴⁾ - هذه الأسفار إلى الشرق، يؤكد لها لول في العديد من مؤلفاته، منها على سبيل المثال : "كتاب عقيدة الطفل" (1283م)، الذي يذكر في إحدى فصوله عودته من بيزنطة إلى روما. أنظر: Garcias Palou (Sebastian), El primer texto orientalista del beato Ramon Llull, Estudios Lulianos, XIII, 1969, pp.183-194.

⁽⁵⁾ - منذ سنة 1252م، أسس التجار القطلان فندقاً لهم في تونس، برعاية الملك خايمي الأول لهم، والذي كان له قسيس خاص فيه. أنظر: Dufourcq (Ch. E.) , op.cit. , p.491.

وفي سنة 1272م، تم التوقيع في مدينة بلنسية، على اتفاقية بين خايمي الأول وممثل المستنصر الملك الحفصي. وفي عام 1278م، تم توقيع اتفاقية أخرى بين مملكة ميورقا والمملكة الحفصية، وفي سنوات 1301م و1308م، تم توقيع الاتفاقيتين الثالثة والرابعة على التوالي بين تونس ومملكة أراجون.

أنظر: A. Llinars, La séjour de Raymond Lulle a Bougie (1307) et la "Disputatio Raimundi christiani et Hamar saraceni", Estudios Lulianos, IV , 1960 , pp.63-72

بالإضافة إلى ذلك، توصل الملك خايمي الثاني إلى إنشاء قنصلية لمملكته في مدينة بجاية. وفي سنة 1309م، وقّعت أراجون اتفاقية جديدة مع أمير بجاية. أنظر: Vich Salom-Muntaner Bujosa, Documenta regni Maíoricarum, Palma de Mallorca, 1945, doc. n.101, p.221 ; A.Gimenez Soler , Episodios de las relaciones entre la Corona de Aragón y Túnez, Anuari de l'Institut d'Estudis Catalans, 1908, pp.227-228.

مُعتبراً لأكبر المنصرين في القرن 13م⁽¹⁾، وأشار إلى مساعيهم الرسولية، إلا أنه لا يظهر أي ذكر أو صلة بدير ميرا مار ورهبانه⁽²⁾.

كان تأسيس معاهد اللغات الشرقية، من الملامح البارزة للقرن 13م ، فدير ميرا مار بجزيرة ميورقة على غرار "معهد دراسة اللغات studia linguarum" التابع للدومينيكان بتونس، كان يمثل استراتيجية تبشيرية خاصة، قوامها دراسة العربية ومعرفتها، باعتبارها المفتاح لقراءة النصوص المقدسة للمسلمين، وأداة لتمسكهم بالنقد النصي للكتب المقدسة المنافسة، والبحث عن محاجات من شأنها أن تساعد على تكذيب ديانة خصومهم وتأكيد حقيقة المسيحية. وهي من الملامح المشتركة بين المؤسستين، والتي ذكرها لول في روايته بلانكرنا⁽³⁾، والاختلاف الوحيد بينهما أن لول أراد أكثر تخصصاً وتدرس فيه اللغة العربية فقط، بينما مدرسة الدومينيكان في تونس كانت لتدريس اللغتين العربية والعبرية، وتجاوزت دراسة اللغة إلى تدريس الموضوعات الحاخامية واكتساب الثقافة الدينية والفلسفية للديانتين الإسلامية واليهودية معاً⁽⁴⁾. ولم يغب عن لول هذا الفرق في المنهج⁽⁵⁾، لكنه أراد فقط توجيه الجهود في ميرا مار لهدف واحد فقط، هو تدريب المبشرين وتوجيههم لتصوير المسلمين. ففي نظره أن الفكر التصيري مرتبط أساساً بتعلم اللغات الشرقية⁽¹⁾.

في معهد "دراسة اللغات studio linguarum" التابع للدومينيكان، تكوّن الرهبان في الجدل الديني⁽²⁾، كما كان عليهم دراسة المنطق، لأربع أو خمس سنوات، قبل أن يتم قبولهم، ثم يقضون عامين آخرين لدراسة المواد الخاصة بالمعهد وهي اللغتين العبرية والعربية⁽³⁾، ودراسة التلمود

⁽¹⁾ - أنظر: G. Golubovich, op.cit., I , Quaracchi, 1906, p. 479 ; II, 1913, p. 641 ; III. 1919, p. 496 ; FR. L. Wadding , op.cit. , IV, Quaracchi, 1931, p. 666 ; V, 1931, p.740.

⁽²⁾ - أنظر: G. Golubovich, op.cit., I , pp.365-366 ; FR. L. Wadding , op.cit. , V , p.6 , n.7.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull , Blanquerna , Cap.65, pp.230-231 , n.3.

⁽⁴⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.132.

⁽⁵⁾ - أنظر: Ramon Llull , Blanquerna , Cap.65, pp.230 , n.4.

⁽¹⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.132.

⁽²⁾ - أنظر: A. Cortabarría , artículos citados: Pensamiento, p. 91; Estudios Filosóficos, pp.112-114

⁽³⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.133.

وشروحاته المختلفة، والتمرس في علوم الدفاع عن المسيحية انطلاقاً من تدارس كتاب القديس توما الاكويني " خلاصة ضد الكفار Summa contra gentes " وكتاب رامون مارتي "خنجر الإيمان ضد المسلمين واليهود Pugio fidei"، ثم يتم توجيههم للدير لدراسة اللاهوت لمدة سنتين، وبعد إنهاء فترة التكوين هذه، يرسلون إلى مهامهم التنصيرية (1).

أما عن رهبان دير ميرامار فإن تكوينهم ينصب أساساً على المنهج التبيري والدفاعي لما يسمى بـ"الأسباب اللازمة أو الضرورية rationes necessariae" (2)، وحسب مقترحات لول عن النظام التكويني فإنها تختلف عن تكوين الرهبان الدومينيكان، من حيث أنه طالب بدراسة الفلسفة واللاهوت والكتاب المقدس كتحضير ضروري لا غنى عنه بالنسبة لمن اختاروا التخصص في البعثات التنصيرية في مدارس اللغات (3). وقد ذكر لول في كتاب "الضيقة Desconort" أنه حينما كان يعلم صغار الرهبان اللغة العربية في معهد ميرامار، لم يكن يقف بهم عند هذا الحد، وإنما تجاوزها إلى معارف المسلمين ومناهجهم، لكي يستطيعوا تحويل المسلمين عن دينهم بالحجة المقنعة، لأن الإعداد العادي للمبشرين لم يكن فعالاً فيما يرى (4).

طلب "همبرت رومانو" في كتاباته، بضرورة استخدام الرهبان، لمختلف الكتب والأعمال، من أجل مواجهة أخطاء وضلالات الوثنيين والمسلمين (يسميه السراسنة) واليهود والهرطقة والمنشقين عن كنيسة روما وأولئك الذين كانوا خارجها (1). في حين توسل رامون لول إلى البابا نيكولاس الرابع بأن: "يتم ترجمة الكتب إلى لغة مختلفة، حتى يتسنى للكفار دراستها وإدراك

¹ - أنظر: J. Ma. COLL, artíc. cit., Analecta Sacra Tarraconensi, XIX, 1946, p.234.

² - أنظر:

Ramon Llull , Quomodo Terra Sancta recuperari potest, p.96 ; Idem. , Tractatus de modo convertendí infideles , p.102.

³ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.133.

⁴ - أنظر: Ramon Llull , Desnocort , p.233.

¹ - قام همبرت رومانو وهو أحد رؤساء الدومينيكان بتأليف دراسة عن التنصير، بعنوان "رسالة في التبشير الصليبي ضد المسلمين Tractatus de Pradicature contra sarracenos"، سنة 1247م، أكد فيها على أن تنصير المسلمين لا يحدث إلا في حالات نادرة مثل أسرى الحرب. ومع هذا لا يعتنقون المسيحية إلا في الظاهر. أنظر:

J. J. Berthier, B. Humberti de Romanis Opera de Vita regulari,II, Romae, 1889, p.187.

ضلالاتهم" ⁽¹⁾، كما أعرب البابا كليمنت الخامس للول عن أن مدارس اللغات (الأديرة) ينبغي أن تكون مصدراً لـ: "الكتب الملائمة، وأن تقوم بتدريسها" ⁽²⁾. وفي سياق مُتصل بتعلم العربية، يذكر "همبرت رومانو" عام 1255م، أن الرهبان الواعظين كانوا يتعلمون اللغة العربية في اسبانيا في أوساط السراسنة ⁽³⁾. هذا ويروي لول أن : "البابا أوفد رسلاً إلى جميع أراضي الكفار، كي يتعلموا لغاتهم المختلفة، ومنهم إلى مناطق أخرى وهكذا..." ⁽⁴⁾. كانت أحد أفكاره أن على البابا والكرادلة: "بصفتهم رجال دين أن يتعلموا اللغات المختلفة، وأن يكونوا رفقة المنصرين في هذه الأراضي، التي قد يفهم أناسها وشعبها وعظ البابا وكرادته دون ترجمان" ⁽⁵⁾.

ثمّة جانب آخر لهذه المسألة يتعلق بدير ميرامار، هو معرفة الإسلام في القرن 13م، حيث شهد غرب أوروبا اللاتيني حركة علمية وفكرية، وبدأ المفكرون المسيحيون في محاولة معرفة الإسلام سمّاها سوزنر بحقبة التعقل والأمل ⁽⁶⁾. وقد جرت في اسبانيا أولى هذه المحاولات، وهي ظاهرة مفهومة، بحكم التطور التاريخي للبلاد، التي عاش فيها المسلمون والمسيحيون جنباً إلى جنب ولم تجمعهم دائماً علاقات عدائية ⁽¹⁾. ففي القرن 11م، وبعد سقوط طليطلة في يد الفونسو السادس عام 1085م، ظهر أول مركز حقيقي للدراسات العربية، من خلال العمل الذي قام به الأسقف ريموندو (1125-1151م) ⁽²⁾. كما شهد عام 1141م، قدوم رئيس دير كلوني، بطرس

¹ - يتضمن الالتماس المقدم للبابا نيكولاس الرابع أفكاراً وتفصيل كثيرة عن مدارس اللغات حسب تصور لول، كما يتميز الكتيب بمنهج تربوي، وقد جعله بمثابة الدليل الذي يسترشد به النشأ كي يصبحوا رجال دين وأتقياء مسيحيين، ويضع التنصير ضمن أولوية الأهداف المسطرة لهم. حتى أنه يغرس فيهم فكرة الموت من أجل المسيح. أنظر:

Ramon Llull , Tractatus de modo conuertendi infideles, pp.102-103.

² - أنظر: Ramon Llull , Liber de fine , p.8.

³ - أنظر: Ugo Monneret de Villard, op.cit. , p.39.

⁴ - أنظر: Ramon Llull , Libre de Blanquema cap. 80, p.297, n.3.

⁵ - أنظر: Ibid. , cap.87 , p.338 , n.1.

⁶ - سوزنر (ريتشارد) ، مرجع سابق ، ص ص. 77-113.

¹ - أنظر:

A. Van der Vyver , Les plus anciennes traduccions latines médiévales (Xe et Xle siècles) des traités d'astronomie et d'astrologie, Osiris, I , 1935, pp. 658-691 ; J. Ma. Millas Y Vallicrosa, Assaig d'història de les idees físiques i matemàtiques de la Catalunya medieval, 1, Barcelona, 1931.

² - أنظر:

A. Gonzalez Palencia, Noticias sobre don Raimundo, arzobispo de Toledo (1125-1152), en Spanische Forschungen der Gorresgesellschaft, I, Reihe, Band, Miinsteri w., 1937, pp.130-136.

المبجل إلى إسبانيا ⁽¹⁾، وقد كان واضحاً جداً في رأيه حول الإسلام، إذ أنه استغرب مكافحته بقوة السلاح، وأنه لا مبرر ولا مسوغ للقتال، لأن الخطر الحقيقي له يكمن على الصعيد الفكري، لذا لا بد من الاجتماع والتدارس للتعرف عليه حتى تتجح مساعي القضاء عليه ⁽²⁾. لكن هذه الفكرة لم تتحقق إلا بعد مرور خمسين سنة، حينما اجتمعت جهود الرهبان الدومينيكان في حقل الترجمة ⁽³⁾.

وتم إنجاز أولى هذه الأعمال المؤسسية بترجمة موجز لعلوم الدفاع المسيحية-العربية المعنون بـ: "خلاصة موجزة ضد الهرطقة والسراينة أو الاسماعيليين Summula brevis contra haereses et sectam saracenorum, sive Ismaelitarum" ⁽⁴⁾. كما تم تعيين "بيدرو الطليطلي" لترجمة : " مناقشة موجزة لبعض المسلمين والمسيحيين في الجزيرة العربية، ومجادلة لنواميس السراينة والمسيحيين Libellus disputationis cujusdam saraceni et cujusdam christiani in Arabia super legem saracenorum et fidem christianorum inter se" ⁽¹⁾. ومن المحتمل أن لول عرف هذين العاملين، وألهمته طريقتهما في تأليف الكتاب الذي يضم مجادلته المعروفة في بجاية مع عمار المسلم والمعنونة بـ: "مجادلة رامون المسيحي مع عمار السراسيني Disputatio Raimundi christiani et Hamar saraceni" ⁽²⁾.

¹ - حول هذه الرحلة أنظر:

J.-H. Pignot, Histoire de l'Ordre de Cluny... jusqu'à la mort de Pierre-le-Vénérable, III, Paris, 1868, pp.288-295.

² - سودرن (ريتشارد)، مرجع سابق، ص ص.80-81.

³ - أنظر:

P.F. Mandonnet, Pierre le Vénérable et son activité littéraire contre l'Islam, Revue thomiste, I, 1893, pp.328-342.

⁴ - أنظر:

Ed. TH. BIBLIAN DER, Machometi Saracenorum principis ejusquesuccessorum vitae ac doctrina, ipse Alcoran... , Basilea, 1543, pp.2-6.

¹ - أنظر:

E. K. Neuvonen, Los arabismos del español en el siglo XIII, en Studia Orientalia, XI, Helsinki, 1941, p.161.

² - أنظر:

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam, p.136.

وقد رعى بطرس المبجل أول ترجمة للقرآن إلى اللاتينية، وهي تلك التي قام بها الإنجليزي "روبرت كيتون Robert Ketton"، حيث شكّلت المعلم البارز والأساسي في مجال الدراسات الإسلامية بأوروبا الغربية في العصور الوسطى⁽¹⁾. ذهب بطرس إلى أنه من أجل مواجهة فعالة ضد المسلمين، في المجال اللاهوتي، من الضروري المعرفة الدقيقة بنصوصهم الدينية⁽²⁾، وهو ما شكّل استباقاً لفكر لول في هذه الناحية، حيث عبّر لول للبابا نيكولاس الرابع سنة 1292م في العريضة المقدمة له عن أنه: "وجب ترجمة كتيبه الذي يعالج طرق تحويل الكفار، إلى لغات مختلفة، ليتمكن الكفار من تدارسه، ومعرفة ضلالتهم"⁽³⁾، مع توافر نسخ حقيقية للنصوص الإسلامية. وفي جانب آخر، مثلما هو حاصل في الدراسات العبرية حين تدرس هذه اللغة، ويلقى التلمود عناية خاصة مع تدارس شروحاته، فإن الأمر عينه بالنسبة للقرآن وتعليقاته وعلومه، حيث كان شائعاً دعوة علماء مسلمين (ممن تبقى في جزيرة ميورقة وآثر البقاء فيها)، لتدريس اللغة العربية للربان الذين يحضرون في هذه المدارس. هذا الإجراء الذي اعتبر رائداً في القرن 13م⁽¹⁾. وهذا ما اقترحه لول حينما ذكر أنه "حينما يشتري أحدهم لنفسه أسيراً سراسنيا، فليتعلم العربية منه"⁽²⁾. لذا فإنه من المحتمل، أن دير ميرامار احتوى على مدرسين من الأهالي المسلمين⁽³⁾.

على أن تعبير "مدرسة اللغات"، لم يكن ضيقاً، بل توسّع ليشمل جملة من المواد التعليمية اليهودية والثقافة الدينية والفلسفية والصوفية الإسلامية، وهذا ما يعني أنه تم إنشاؤها كمراكز للتكوين المعرفي الجيد للربان. وكان لهذا النموذج من المدارس حسنات عدة، أهمها تمهيد

⁽¹⁾ - سوزرن (ريتشارد)، مرجع سابق، ص.80.
الجدير بالذكر أن كيتون اعتمد في ترجمته على استخراج المعاني التخمينية بدون تحليل وفهم حقيقي للغة العربية، ورغم استعانتة ببعض التفسيرات للقرآن فإنه كان يميل إلى الاختصار وإلى حذف بعض الآيات وأغفل ترجمة العديد من المفردات، ولم يقدّر وزناً لخصوصيات الأسلوب ولصعوبة تحديد المعاني اللغوية في القرآن فإنه لا توجد أية واحدة مترجمة تعطي المعنى المقارب لحقيقتها، الشيء الذي جعل الترجمة غير أمينة وملينة بالأخطاء الشنيعة. للمزيد ارجع إلى: فوك (يوهان)، تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ترجمة: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، ط.2، بيروت، 2001، ص.ص.17-20.

⁽²⁾ - أنظر: Ugo Monneret de Villard, op.cit., p.17.

⁽³⁾ - أنظر: Ibid., p.102.

⁽¹⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam, p.136.

⁽²⁾ - أنظر: Ramon Llull, Vita caoetanea, p.50, n.12.

⁽³⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam, p.136.

الطريق لحوار ممكن بين المسلمين والمسيحيين ⁽¹⁾. وبالنسبة للول فإن ميرامار وحدها لا تكفي، لذا نجده يقدم العرائض للباباوات وملوك وأمراء غرب أوروبا، من أجل إنشاء كراسي أخرى لتعليم اللغات الشرقية، في روما، باريس، طليطلة، جنوة، البندقية، بروسيا، المجر، حيفا، أرمينيا، جبل الطور وحتى في أقاليم المغول وغيرها، وبعض من هذه النقاط الجغرافية، قريبة من الوثنيين كما يقول لول نفسه ⁽²⁾.

يتبين أن دير ميرامار ليس كافياً حسب لول، لتحقيق مهمة التنصير ول: "عبادة وخدمة المسيح، نظراً لأعداد المسلمين وكثرتهم مقارنة بالمسيحيين الذي نجدهم محاطين من كل جانب بالكفار" ⁽³⁾، فالمشروع الذي تصوره لول، وأدرك أنه يتطلب أن يكون ذا صبغة علمية "Scientiam" ⁽⁴⁾، مما يكشف عن أحد قناعاته، بالإضافة إلى طابعه التنصيري، سيكون فكراً محضاً وستكون أسلحته أسلحة روحية "Arma spiritualia" ... لأنه : "سلاح بدون أدنى تكلفة، وبدون أضرار، وغير قابل للكسر، ولا يصدأ مهما كانت العوامل، ولا يذوب مهما كانت شدة الحرارة، لأنه بالغ القوة أكثر من الأسلحة المادية في تأثيرها ..." ⁽¹⁾. مما يعني، أن لهذه المدارس فضلاً في رفع مستوى الوعي بالحاجة إلى العمل السلمي حول الإسلام واليهودية. وفي هذا الصدد نستذكر ما ذهب إليه "روجر باكون" ⁽²⁾، فخلال عام 1250م، ألف مقالاً سياسياً دينياً يشرح فيه حججه، والذي أعيد صياغته لاحقاً من طرف لول ⁽³⁾.

¹ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.137.

² - على الرغم من رؤية لول المختلفة مع رؤية الدومينيكان لتفسير هذا النوع من المدارس، إلا أنه لم يكن يختلف معهم في لب التفكير التنصيري، حتى أنه قام بمحاكاتهم في العديد من النقاط. خاصة فيما يتعلق بنقاط إنشاء هذه المدارس المطلة على الشعوب التي استهدفها التنصير. أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam, p.113.

³ - أنظر: Ramon Llull , Vita caoetanea , p.48 , n.5.

⁴ - أنظر: Loc.cit.

¹ - أنظر: Ramon Llull , Liber de articulis fidei sacrosanctae et salutiferae legis christianae, siue Liber Apostrophe, ed. Salzinger, IV, Moguntiae 1729, p.57.

² - كتب روجر باكون حول أهمية دراسة اللغة العربية، بغية دراسة الفلسفة، وكذا من أجل تحويل الكفار. و على الصعيد الشخصي كانت له دراية معتبرة بهذه اللغة. أنظر:

Cfr. M. BOUYGES, Roger Bacon a-t-il lu des liures arabes?, Archives d'histoire doctrinale et littéraire du moyen âge, V, 1931, pp.311-316.

³ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.137.

لقد كانت فكرة التصير هي الدافع الحقيقي وراء انشغال رجال الدين الكاثوليك بترجمة القرآن ومن هنا جاءت فكرة السيطرة على نبع العقيدة الإسلامية⁽¹⁾. لذا فمن الواضح، أن القرآن كان أداة عمل أساسية في كل ميرامار ومدرسة اللغات الدومينيكانية. فإضافة إلى استخدام الرهبان سنة 1273، لترجمتين متوفرتين للقرآن، فإن مدرس العربية المختار من الأهالي قد يكون استخدم النسخة الأم والحرفية لسور القرآن حسب ما يفترضه غارسيا بالو⁽²⁾. النسخة الأولى للقرآن والتي ترجمت إلى اللاتينية، تجاوز وجودها أكثر من قرن وهي النسخة المترجمة من طرف الانجليزي "روبرت كيتن" الذي أقام في اسبانيا أثناء عمله في الترجمة سنة 1145م⁽³⁾، أما الثانية وهي أكثر دقة من الأولى فأشرف على ترجمتها المشرع ماركوس، وأنهاها في طليطلة سنة 1310م⁽⁴⁾. ولا يستبعد غارسيا بالو قيام رامون لول بترجمة القرآن لإخوته من رهبان ميرامار، وإن كان قد استدعى أحد الأهالي المسلمين، لتعليم اللغة العربية. مع إنه من المرجح قيامه بالتعليق عليه⁽¹⁾.

في كتاب "الوثني والحكماء الثلاثة"، يُعطي لول عينات مُختلفة عن معرفته بالجنة والجحيم الإسلاميتين، كما يكتب فيه عن النبي محمد. ولكن معرفته ليست مُتوسعة، إذا ما قورنت بمعرفة رامون مارتى، الذي استعان في كتبه عن الإسلام والمسلمين بمصادر عربية وإسلامية كثيرة، وإحالاته عليها بدقة، وترجمته لعناوينها ولأجزاء من محتوياتها ترجمة ملائمة، ويقول في كتابه "Explanatio Symboli" أن الجنة الإسلامية جنة مادية وهي تعارض ما يسميه بالجنة الروحية⁽²⁾. لكن لول ومارتي يتشاركان في رسم صورة عن شخص محمد وتاريخه وشريعته،

¹ - فوك (يوهان)، مرجع سابق، ص.16.

² - أنظر:

³ - أنظر: A. J. Martin Duque, El inglés Roberto, traductor del Corán, Hispania, XXII, 1962, pp.483-506.

⁴ - أنظر:

MANDONNET, op.cit., pp.328-342.

¹ - أنظر:

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam, pp.137-138.

² - أنظر:

Cortabarría Beitia Angel, Les sources arabes de l'explantio Simboli du dominicain catalan, Ramond Martin, MIDEO, 16, 1983.

من هذه المصادر، يوجد: القرآن الكريم، وسيرة ابن هشام، وصححي مسلم والبخاري، بالإضافة إلى أعمال الكندي، والغزالي، وابن رشد. وتجدر الإشارة إلى أنه قد ترجم إلى اللاتينية لهذا الأخير كتابه حول "العلم الإلهي" الذي اشتهر بين محققيه بـ: "فصل المقال" وضمن هذه الترجمة كتابه الموسوم بـ: "خنجر الإيمان ضد المسلمين واليهود". أنظر:

Cortabarría Beitia Angel, El estudio de las lenguas en la Orden Dominicana, Estudios Filosóficos, n. 51, 1970, p.363.

متعمدين الخلط في ذلك بين الحقيقة التاريخية لشريعة الإسلام وتلك الشخصية وبين ما أسعفه خيالهما المتريص بالإسلام، ونصوص أسلافهما الذين أرخوا قبلهما العنان لأحقادهم الدفينة عند مجادلتهم لهذا الدين وأهله، ورفضاً نبوة محمد لأنها لا تستجيب لنموذج النبوة حسب المعتقد النصراني.

المُلاحظ أنه وعلى الرغم من انشغال لول الشديد بالإسلام ونبّيه الكريم، إلا أنه لم يصنف كتاباً خاصاً شتّع فيه على المسلمين عقائدهم، ولا وضع مصنفاً "ضد المسلمين" Tractatus contra Saracenos على دأب غيره من المنافحين عن المسيحية في خصوص إسبانيا، وعموم أوروبا اللاتينية، بل جُلّ ما صنعه هو أنه ضمّن أعماله كثيراً من العناصر التي بمقتضاها صار يرفض الدين الإسلامي كعقيدة، ونبّيه عليه السلام كرسول، كما صنع في "كتاب التثليث والتجسد" Liber de Trinitate et Incarnatione الذي نشره في برشلونة عام 1308، ودحض فيه براهين المسلمين واليهود المخالفة لعقيدة التثليث. ويرى غارسيا بالو أن إنشاء مدارس اللغات كان من ضمن أهدافه معرفة الإسلام أيضاً، خاصة وأن كثيراً من التصورات الموجودة في غرب أوروبا كانت موروثاً عن الشرق البيزنطي، كما أن همبرت رومان أكد أن هناك سوء فهم وغموض حول شخصية محمد ناتجة أساساً عن قصور في المعرفة، وأن معرفة لول بشخصية النبي محمد لا تختلف بشكل عام مع تلك الرؤية التي اعترف غارسيا بالو أنها لا تصمد أمام النقد العلمي⁽¹⁾.

في ظل مُناخ يطبعه الصراع المحتدم والمستمر بين المسيحية والإسلام، عاش دير ميرانمار، ولم تكن الأسلحة المستخدمة في الصراع التقليدي بينهما قادرة على حل الخلاف الدائر، خصوصاً من طرف الصليبيين، لذا يرى خوان فيرنيت أنه كان من الضروري اللجوء إلى أسلوب جديد بعد أن أثبتت الأسلحة عدم فاعليتها، وهو اضطلاع الفرانسكان والدومينيكان بمهام جديدة والعزم على حل الخلاف بين الإسلام والمسيحية، كان من ضمن هذه المهام إنشاء مدارس اللغات الشرقية في

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.139.

⁽¹⁾ - أنظر:

القرن 13م، كوسيلة للحوار بين الديانتين ⁽¹⁾. وما شجّع رامون لول على تأسيس دير ميرامار في جزيرة ميورقة دوناً عن بقية البقاع، هو وجود جاليات إسلامية بقيت بها بعد غزو خايمي الأول لها، إضافة إلى أنه قبل غزوها عرفت حضارة زاهرة قوامها ذكاء التقاليد العربية مثلما يعترف به جارسيا بالو ⁽²⁾. ولعل احتمالية تواجد العنصر العربي في دير ميرامار، تجعله أول معهد لدراسة اللغة العربية من هذه الناحية، ويسبق في ذلك معهد اللغات الدومينيكانية الذي ترأسه الراهب "ميجيل دي بيناثار Miquel de Bennazar"، مما يدل على أهمية الجزيرة في تلك الفترة ⁽³⁾.

لم تلق هذه المؤسسة النجاح المُنتظر، بسبب اعتماد لول الوثيق على التغيرات السياسية، حيث علّل المؤرخ "هيلجارث" هذا الاعتماد بذكره لثلاثة عوامل رئيسية ⁽⁴⁾، أهمها العامل الأول الذي قدره أيضاً "دومينيك أورفوا" كسبب رئيس لفشل معهد اللغات وهو التنافس الشديد بين فرنسا وأراجون وقوة الأولى والروابط التي تجمعها بميورقة، مما جذب لول نفسه إلى تبعيته لباريس حيث فقدت ميورقة استقلالها مما ترتب عنه التوقف التام لنشاطات هذا المعهد وتخلي مؤسسها والعقل المدبر لها عن تسييرها ⁽¹⁾، خاصة أنها كانت من ضمن ممتلكاته، ولم تكن ملكية للكرسي الرسولي، أو ملكية لرامون لول أو حتى ملكية للربان الفرنسيسكان ⁽²⁾. لذا فإن اختفاء هذه المؤسسة لا يُمكن أن يتحمل مسؤوليته خايمي الثاني، لأنه كما رأينا، قد حدث في عام 1293م، أن تمّ تجريده من ممتلكاته، وطرده خارج الجزيرة، ولم يعد إليها حتى حوالي سنة 1299م، مما ترتب عنه إغلاق الدير لأبوابه لمدة ست سنوات ⁽³⁾.

⁽¹⁾ - أنظر: J. VERNET, Traducciones moriscos de El Corán, en Der Orient in der Forschung, Festschrift für otto Spies zum 5 abril, 1966.

⁽²⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.139.

⁽³⁾ - أنظر: Ibidem.

⁽⁴⁾ - أنظر: J.N. Hillgarth , Ramon Llull i el naixement del Lul·lisme , pp.73-163.

⁽¹⁾ - أنظر: Dominique Urvoy , Penser L'Islam , pp.244-245.

⁽²⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), El Miramar de Ramon Llull, pp.235-247.

⁽³⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.132.

آخر ما ذكرته الوثائق عن معهد ميرامار، تعود إلى سنة 1292م⁽¹⁾. ويرثي رامون لول سنة 1295م، في كتابه "الضيقة Desconort"، ما آل إليه الدير⁽²⁾، الذي لم يدم نشاطه لأكثر من 17 عاماً. وهي تفوق بذلك المدة التي دامها كل "معهد اللغات studia lingúarum" الدومينيكاني الموجود في تونس، الذي دام لـ 16 عاماً، والأمر نفسه بالنسبة لمعهد مرسية الذي استمر عمله لتسع سنوات، وكذا المعاهد التي تأسست في برشلونة وبلنسية التي استمرت لعشر سنوات، والأمر عينه لمعهد شاطبة الذي دام لـ 12 سنة⁽³⁾. والاستثناء الوحيد هم الدومينيكان في ميورقة الذي استمر عملهم لثلاثين سنة⁽⁴⁾. وعلى ما يبدو، فإن رهبنة الفرانسيكان قد اتخذت قراراً بإغلاق ميرامار، بسبب المشاكل الداخلية من جهة، وغياب رامون لول من جهة أخرى، وفي الوقت الذي خرج فيه الملك خايمي الثاني من الجزيرة بعد تجريده من ممتلكاته، حدث أن تخلى كل من الراهبين "برنات دي فولك" و "سيمو دي كوما" على إدارة الدير أيضاً⁽¹⁾. ومع ذلك، فإن المجتمع الصغير من المنصرين والناشئ في ميرامار لم يكتب له الدوام طويلاً، ومن المحتمل أنه وقع ضحية للاضطرابات السياسية الناجمة عن حرب صلاة المساء الصقلية⁽²⁾.

2- جهود لول التنصيرية من خلال أسفاره.

أ- ظاهرة التنصير قبل رامون لول.

قبل ظهور لول ونشاطه التنصيري، كانت أحد المفاتيح المميزة للتنصير المسيحي هي تأكيدها على الوحدة. وقد نشأت هذه الفكرة من التجربة الأوربية الذاتية في التحويل إلى المسيحية.

⁽¹⁾ - أنظر: P. Andreu de Palma de Mallorca, Nuevos documentos lulianos de los siglos XIII y XIV, Estudios Lulianos, II, 1958, pp.323-324.

⁽²⁾ - أنظر: Ramon Llull , Desconort, p.246.

⁽³⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), El Miramar de Ramon Llull, pp.130-131.

⁽⁴⁾ - أنظر: Analecta Sacra Tarraconensia, XXXV, 1962, pp.267-281.

⁽¹⁾ - أنظر:

P. Andreu de Palma de Mallorca, Nuevos documentos lulianos de los siglos XIII y XIV, Estudios Lulianos, II, 1958, pp.323-324.

⁽²⁾ - أنظر: Abulafia David , A Mediterranean emporium , p.209.

ففي أثناء فترة مبكرة من التوسع المسيحي، أصرت روما على استخدام اللاتينية في الطقوس الدينية باعتبارها لغة الغرب الوحيدة⁽¹⁾. هذا التأكيد الأولي على الوحدة، بدأ أولاً بالطقوس ثم تلاه بالعقيدة. وصاغته سياسة روما بوضوح تجاه مجموع الهراطقة الذين ظهوروا في وقت مبكر كالأريوسيين، وحددته مجرى الأحداث في وقت الانشقاق الكبير سنة 1054م بين روما وبيزنطة، وتواصل تأثير علاقة روما مع جميع من هم خارج حظيرة المؤمنين المنتسبين للكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وهم كل من المنشقين المسيحيين وغير المؤمنين، واستمرت طوال حياة رامون لول.

كانت ميزة هذه الأخيرة خلق وحدة حقيقية في العالم الغربي، وإحساس بشخصية مسيحية في الغرب الأوربي، وشاركت نفس الهدف الذي كان مهما بالنسبة لمشاريع من قبيل الحروب الصليبية. نتيجة أخرى لهذا التأكيد تمثلت في أن العالم المسيحي عرّف عن نفسه بمصطلحات دينية. ومع ذلك فقد صيغ الكثير من البناء الخيالي لهذه الفكرة العامة لأوروبا المسيحية، ولم يوجد هناك جحود بأن مؤلفي العصور الوسطى كرامون لول مثلاً الذين كتبوا عن هذه المواضيع كالحروب الصليبية، والبعثات التنصيرية والتحويل، استعملوا هذا البناء الخيالي في تعبيرهم عن أفكارهم⁽¹⁾.

خاصية أخرى لعملية التنصير المسيحي تمثلت في الأساس في فهمها للهداية. على الرغم من أن الجذور والأصول اللاتينية لهذه الكلمة Conversion تعني "أسلوب حياة"، ففي البدء احتوى تحويل جزء من الشعوب الجرمانية إلى المسيحية في أوروبا بشكل بسيط على قبول بعض ركائز العقيدة والتوصية على طقوس العبادة. هذا الفهم الأساسي للهداية كان كافياً لتحويل الجماهير خلال عهود كل من قسطنطين، كلوفيس وشارلمان، لكن فيما بعد تطلب الأمر أكثر من معرفة شخصية للإيمان المسيحي من أجل أن تكون عملية التحويل للمسيحية ذا معنى. تحولت

⁽¹⁾ - أنظر:

Stephen Neill , A History of Christian Missions , Pelican History of the Church , ed. Owen Chadwick , Harmondsworth , 1964 , revised , 1986 , p.73.

⁽¹⁾ - حول قضية العصور الوسطى المسيحية، أنظر :

John Van Engen , "The Christian Middle Ages as an Historiographical Problem" , American Historical Review , 91 , 1986 , pp.519-552.

البعثات التنصيرية منذ البداية إلى مثال لتوسع الكنيسة البابوية كنموذج للتنصير عن طريق القول والفعل.

يؤكد المؤرخ "هيلجارث Hillgarth" على أهمية حياة القديسين خلال هذه الفترة، ويناقش بأنه بدون حياة القديسين فقد بقي الجزء الأكبر من غرب أوروبا مخالفا باستمرار للديانة المسيحية الجديدة⁽¹⁾. مُستشهدا بـ "مارتن براجا Martin of Braga"، ويُجادل بأن التحويل الحقيقي لم يستلزم فقط نبذ الماضي الوثني ولكن تبني حياة جديدة من الواجبات تجاه الإله والتسامح تجاه الجيران الآخرين⁽²⁾. هذا التأكيد على العيش وعلى الوعظ بواسطة الفعل، كانا قد ظهرا على يد أوائل الأساقفة المنصرين، ورجال الدين المسيحيين وحياة القديسين في أوروبا المسيحية، إستمرت حتى القرن الثالث عشر عندما أصبحت على قدر كبير من الأهمية خصوصا النشاطات التي قام بها الفرنسيسكان داخل أوروبا وفي كل مكان في الأراضي غير المسيحية⁽³⁾. في فكر رامون لول، خاصة في حياته، نعثر على المثل التنصيرية الرسولية وأهمية التحويل إلى المسيحية التي تستلزم طريقة جديدة في الحياة، معبرا عنه بشكل بارز في أسلوب قوي ومتماسك.

خاصية أخرى للتنصير المسيحي ظهرت منذ بداية هذه الحركة وهي الوعظ عن طريق الكلمة. بيده Bede، على سبيل المثال، في "تاريخه الكنسي Ecclesiastical History" أكد على أن الوعظ بالكلمة أكثر من المعجزات في التأثير، وركز كثيرا على الأديرة بوصفها مراكز مهمة للتنصير. ويمكن لمشاريع التنصير هذه أن تكون أكثر فعالية إذا إستندت إلى الحوار والمجادلة. هذه التقنية، شدد الدومينيكان على استعمالها، وهم الذين سخروا مقرات الوعظ بالمنعمة عليهم لتولي مسؤولية تدعيم تعليم وتلقين المسيحية عقيدة وعملا، بالإضافة إلى الرغبة في إنشاء أدوات فكرية لمحاربة العقائد الدينية لغير المسيحيين، اليهود والمسلمين على وجه الخصوص. كان كل من إلقاء المواعظ، المناظرة والجدال أساليب كثيرة الاستعمال طوال العصور الوسطى، لعل

⁽¹⁾- أنظر: Hillgarth , Modes of Evangelization of Western Europe in the Seventh Century, klett-cotta publisher , 1987 , p.321.

⁽²⁾- أنظر: Loc.cit.

⁽³⁾- أنظر:

E.R. Daniel , The Franciscan Concept of Mission in the High Middle Ages , Lexington , 1975.

أحد أشهر هذه الممارسات السجال الذي وقع في مدينة برشلونة سنة 1263م، لكن العديد من السجلات الأخرى حدثت بشكل غير رسمي⁽¹⁾. يعود أحد أكثر التطورات المبتكرة للتقنيات التنصيرية إلى أصول إسبانية خاصة في *Studia linguarum*، كثير من المدارس الخاصة أنشئت وأديرت من طرف الدومينيكان الذين رسموا مخططات لتزويد البعثات التنصيرية المستقبلية بتعليم في اللغات الأساسية والعقائد الخاصة بغير المسيحيين (خاصة المسلمين)⁽²⁾.

كانت قضية اللغة قضية حيوية خاصة بالنظر إلى أهمية اللغات الأجنبية في ترجمة الطقوس الدينية. وتعتبر الـ *Codex Cumanicus* خير مثال على هذا⁽¹⁾. ووفق ذلك، كان

⁽¹⁾- أنظر: Robert Chazan , Barcelona and Beyond. The Disputation of 1263 and its aftermath , Berkeley , 1962.

إضافة إلى البيبليوغرافيا التي استعملها ولها اهتمام خاص بهدف هذه الدراسة التي تخص : المناظرات التي وقعت في ميوركا عام 1286م ، منها الدراسة النقدية للطبعة اللاتينية في Ora Limor ، The Disputation of Majorca , 1286 : A Critical Edition and Introduction (In Hebrew with Latin text) , Jerusalem , 1985 ; a new edition of the text is available in Ora Limor , ed. , Die Disputation zu Ceuta 1179 und die Disputation zu Mallorca 1286: Zwei antijudische Schriften aus dem mittelalterlichen Genua , Monumenta Germaniae Historica , Quellen zur Geistesgeschichte des Mittelalters , Munich , 1994 .
وقد صدر أيضا بواسطة "جيلبرت داهان". أنظر:

Gilbert Dahan , Disputatio contra Iudeos , Controverse avec les Juifs , Introduction , Edition critique et traduction , Paris , 1993.

⁽²⁾- أنظر سلسلة المقالات التي كتبها "ج.م. كول" :

J.M. Coll , "Escuelas de lenguas orientales en los siglos XIII y XIV" , Analecta Sacra Tarraconensia , 17 , 1944 , pp.115-138 ; 18 , 1945 , pp.59-89 ; 19 , 1946 , pp.217-240 ; B. Bischoff , "The Study of Foreign Languages in the Middle Ages" , SP. , 36 , 1961 , pp.209-224.

يستشهد "بيشوف" بشكل لافت بمثال بارز في القرن الثاني عشر يتمثل في المعجم اللاتيني العربي:

"free from features of polemical or missionary tendency against Islam..." , p.212.

حازت هذه المدارس أيضا على نصيب من النقاش في :

R.I Burns , "Christian-Islamic Confrontation in the West : the Thirteenth Century Dream of Conversion" , American Historical Review , 76 , 1971 , pp.1386-1434.

⁽¹⁾- أنظر: Bischoff , op.cit. , p.223.

سجلت المصادر الخاصة بالبعثات التنصيرية المسيحية نحو الشرق الأقصى قصصا جذابة حول مشاكل التأويل والترجمة اللغوية. أحد هذه القصص هي قصة شهداء الفرنسيسكان الأربعة في "تهانا Thana" في الهند التي رواها مفسرهم الدومينيكاني "جوردانوس"، أنظر:

"Chronica XXIV Generalium Ordinis Minorum" , Analecta Franciscana , 3 , 1897 , pp.597-613.

وحول الـ *Codex Cumanicus* أنظر:

G. Golubovich , ed. , Biblioteca Bio-bibliografica della Terra Santa e dell'Oriente francescano , vol.3 , Quaracchi , 1913 , pp.1-28.

هذا المجلد مصدر ثري للبعثات التنصيرية الفرانيسكانية في الشرق خلال فترة متأخرة من القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر.

رامون لول مُنصرًا متشوقًا لهذه القضية ولمثل هذه الدراسات التنصيرية، على الرغم من أن طموحه لهذه المشاريع كان فريداً وقد عقد النية لتعليم طلابه منه الأعظم في هذا المجال.

في الأخير، هناك صفة مُميزة أخرى للنشاط التنصيري المبكر ظلت مستمرة طوال العصور الوسطى تمثلت في تعاونها مع المجال السياسي، أو العلماني. في البداية، تطورت الديانة المسيحية بمساعدة الملوك أو النبلاء المحليين ⁽¹⁾. فبدون دعم الحُكام الذين إعتنقوا الكاثوليكية، لم يكن المنصرون ليأملوا كثيراً في تحقيق تحويل الشعوب إلى المسيحية على نطاق واسع وفَعَال. هذا المظهر من التنصير في العصور الوسطى كان وثيق الصلة خلال حياة رامون لول، عندما كانت جهود منسقة قد أنجزت لتجزئة جهود الكنيسة لتنصير المسلمين في إفريقيا، شرق أوربا، والمملكة اللاتينية في المشرق، وما وراء هذه المناطق ⁽²⁾.

من أمثلة هذه الجهود، العمل الذي قام به الراهب الفرنسيكاني المشهور "جون مونتي كورفينو John of Monte Corvino"، الذي قام بالتنصير في الشرق الأقصى، وطموحاته للقيام بتحويل ضخمة للمسيحية في أوساط المملكة المغولية، انطلاقاً من محاولته تحويل الخان الأعظم إلى المسيحية ⁽¹⁾. وقد كان للتعاون المبكر بين القادة العلمانيين والمنصرين، أثر كبير في

⁽¹⁾ - أنظر: Hillgarth , "Modes of Evangelization" , p.314.

⁽²⁾ - كان التقاطع بين السياسة و الإقتصاد والبعثات التنصيرية أمراً ملاحظاً بشكل جد بارز في المشرق. على سبيل المثال، كان الراهب والمنصر الرحالة الإيطالي "أودوريك بوردنوني Odoric of Pordenone " حريصاً جداً على الإرتحال إلى المناطق المستقرة سياسياً والأمنة أقاليمها . أنظر: Odoric of Pordenone , Relatio , ed. A. Van de Wyngaert , Sinica Franciscana , vol.1 , Quaracchi , 1929 , pp.381-495.

ولما قد يحدث للمنصرين الذين يظلون طريقهم ويفتقد أثرهم، أنظر: the reference to the Martyrs of tana السابق الذكر ، الهامش 106. بالإضافة إلى معرفة بعض الثقافات التقليدية للأفراد التي كان على المنصر أن يكون على دراية بها. فخلال مرحلة مبكرة من التنصير في آسيا الوسطى. إعتقد الخان بأن المنح والهدايا الموهوبة من قبل الدبلوماسيين والمنصرين هي عبارة عن إتاوة يدفعونها لها.

⁽¹⁾ - حول البعثات التنصيرية إلى المشرق وإبرامها للعلاقات الدبلوماسية بين الحكام الشرقيين والحكام الغربيين، خصوصاً مع إيلخانات فارس، أنظر النصوص الواردة في: Anastasius Van den Wyngaert , Itinera et Relationes Fratrum Minorum Saeculi XIII et XIV , Sinica Franciscana , I , Quaracchi , Florence , 1929.

Ibid , pp.345-355
وأنظر رسائل جون مونتي كورفينو:
هذه الرسائل المؤرخة بتاريخ 08 جانفي 1305 و 13 فيفري 1306، حملها التجار والمنصرون إلى أوربا على التوالي. للمزيد عن هذه الرسائل والتنصير المسيحي في الشرق، أنظر:

Christopher Dawson , ed. , The Mongol Mission : Narratives and letters of the Franciscan Missionaries in Mongolia and China in the Thirteenth and Fourteenth Centuries , London , 1955.

استعمال هذا التعاون في الدعاية الصليبية. أصبح توسع الكنسية عن طريق الحروب الصليبية، أو ما يعرف بـ *dilatatio fidei* عنصرا موافقا للاهوت الحرب الصليبية في العصور الوسطى (1).

بالإضافة إلى البعثات التنصيرية الواسعة النطاق، كان على الكنيسة أن تتعامل مع مشكلة مُرتبطة بالتنصير، وهي الأفراد غير المسيحيين الذين يعيشون تحت الحكم المسيحي. و الجماعات موضع النقاش هي المسلمين واليهود والذين تركز ثقلهم في مناطق المتوسط، ولذلك كان لزاما أن تطور التقنيات الخاصة بالتنصير لمخاطبة هذه الجماعات، وهذه التقنيات تطورت بسرعة أثناء عهد رامون لول . علاقات المسيحيين بغير المؤمنين بالمسيحية والذين يعيشون بين ظهرانهم ضببطت وعدلت باطراد بواسطة القانون المدني والكنسي. الحجج الكنسية المتعلقة بالسلطة القانونية للكنيسة على غير المؤمنين الذين يعيشون بين المسيحيين، التي عرفت في عهد لول ظلت مُستعملة لتطبق بشكل عالمي (2).

وعلى المدى الطويل، ظهرت إستراتيجيات جديدة، ودعت الحاجة إلى ظهورها وتطورها لمخاطبة مجموع المنشقين المسيحيين. إشمطت هذه الجماعات على البيزنطيين على الخصوص، لكن أيضا هناك اليعاقبة، والنساطرة، وآخرون يعيشون في الشرق. وسوف نرى أن رامون لول كان إستثنائيا عندما حاول التميز في منهجه التنصير حينما إستحدث أدوات جديدة للتنصير، وإبتدع ما يعرف بالفن الذي بقي مستخدما بعد وفاته.

(1)- أنظر: B.Z. Kedar , *Crusade and Mission : European Approaches towards the Muslims* , Princeton , 1984 , p.159.

يدعوها بنيامين كيدار بـ "حرب صليبية من أجل دفع عجلة البعثات التنصيرية". وحول النصوص الكنسية ،أنظر: James Muldoon , "Extra Ecclesiam non est imperium : The Canonist and the Legitimacy of Secular Power" , *Studia Gratiana* , 9 , 1966 , pp.551-580 ; *Ibid* , *Popes , Lawyers and Infidels* , Philadelphia , 1979 ; *Humbert of Romans , Opus Tripartitum* , ch.20 , p.200.

يُصرح بشكل واضح بأن الحرب الصليبية ضرورية لأن المسلمين أعرضوا وصدوا عن تلقي الوعظ.

(2)- حول إسبانيا، أنظر :

R.I. Burns , *Islam under the Crusaders : Colonial Survival in the Thirteenth-Century Kingdom of Valencia* , Princeton , 1973. Ricolodo da Monte Croce , *Liber Peregrinacionis* , ed. J.C.M. Laurent , *Peregrinatores medii aevi quatuor* , Leipzig , 1864 .

قصة الجهود التنصيرية التي بذلها القديس فرانسيس مع السلطان في دمياط ⁽¹⁾، تُسجل بداية عصر جديد من التنصير المُنظم في جزء من الكنيسة المسيحية، وقد ساهمت عوامل عديدة في هذا. فقد كانت منظمات الرهبان المتسولين قادرة على تكييف وتحويل المثل العليا التي ألهمتهم في إنشاء منظماتهم، والتي تركزت في الأصل على المسيحيين والمنشقين بينهم، وتكريس طاقاتهم لغير المؤمنين بالمسيحية أيضا. وبالتالي، ترجمت مهن الوعظ والحياة المثالية وفق الإستراتيجية التنصيرية والحماسة لها ⁽²⁾.

علاوة على ذلك، ليس من الصدف بأن معظم الهراطقة داخل المجتمع المسيحي أخذت ثورتهم بنجاح ومنهم الكاثاريون الأطهار، وأصبح المسيحيون أنفسهم أكثر خبرة وعلمًا بالمعتقدات الأساسية والطقوس العملية للكنيسة، وواتتهم الفرصة لإلقاء الوعظ على غير المسيحيين خارج أوروبا. بالإضافة إلى ذلك، من المحتمل أنه ليس من الصدف الإهتمام بالبعثات التنصيرية نما حينما أصبح المسيحيون على دراية بالأراضي والشعوب حولهم. العالم المسيحي الذي عرف عن نفسه دينيا بحث عن الانتشار والتوسع لهذه المناطق والتي أصبحت معروفة بواسطة الحروب الصليبية، الرحلات والتجارة ⁽¹⁾. مرة أخرى، التوافق بين التوسع السياسي والتوسع الديني كان جليا

⁽¹⁾ - هل نجحت مساعي القديس فرانسيس في تنصير السلطان؟ الحقيقة أن الهدف الرئيسي لهذه الرواية لم يكن تنصير السلطان، بل أن الجهد الذي مارسه فرانسيس والذي جعل منه قديسا، كان الهدف منه رغبته في الإستشهاد حسب الزعم المسيحي. أنظر : Thomas of Celano , Vita prima , n.55 , Analecta Franciscana , 10 , Quaracchi , 1926-1941 , p.42 ; Thomas' Vita secunda , n.30 , Ibid. , p.149.

وحول رحلة القديس فرانسيس إلى مصر أنظر:

L. Lemmens , "De Sancto Francisco Christum praedicante coram sultano Aegypti" , Archivum Franciscanum Historicum , 19 , 1926 , pp.559-578.

⁽²⁾ - أنظر:

St. Francis' Regula non bullata , ed. D. Flood , Die Regula non bullata der Minderbruder , c. XXIII Regula Bullata , "De euntibus inter Saracenos" , الفصل السادس عشر من : Werl/Westf. , 1967 , p.73 ; et alios infideles" ,

L. Wadding , Annales Minorum , vol.1 , pp.81-82. وأنظر أيضا :

من أبرز الدراسات المفيدة لتواريخ النشاطات التنصيرية التي قام بها الرهبان المتسولون، أنظر:

B. Altaner , Die Dominikanermissionen des 13 Jahrhunderts : Forschungen zur Geschichte der kirchlichen Unionen und der Mohammedaner und Heidenmission des Mittelalters , Habelschwerdt , Raymond J. Loenertz , La Societ  des Fr res Peregrinants , Institutum Historicum Fratrum 1924. Praedicatorum Dissertationes Historicae , fasc. VII , Rome , 1937.

هذا العمل يتشارك مع المقالات الاولى لـ "Loenertz" في نفس الموضوع.

⁽¹⁾ - حول معرفة المسيحيين لهذه المناطق، أنظر: J.K. Wright , The Geographical Lore at the Time of the Crusades , London , 1965 ; John Black Friedman , The Monstrous Races in Medieval Art and Thought , Cambridge , Mass. , 1981 ; Jacques Le Goff , "The Medieval West and the Indian Ocean : an Oneiric Horizon" , in Time , Work and Culture in the Middle Ages , trans. A. Goldhammer,=

واضحاً. وأخيراً، في مثل هذا المناخ التوسعي والاستكشافي ليس مفاجئاً بأن من بين دوافع المنصرين كأودوريك بوردينون، الفريولي الذي قام بأسفار واسعة في كافة أنحاء الشرق، الفضول والمغامرة (1).

ب- رحلة لول الأولى الى تونس ومجالاته (1292م).

يُعدّ لول من أبرز الرحالة الأوروبيين في تلك الفترة (2)، فقد قضى الشطر الأخير من حياته متنقلاً بين الحواضر الأوربية والإسلامية في إفريقية، خاصة في الثلاثين سنة الأخيرة من عمره. وتعتبر الرحلات التي قادته إلى تونس وبجاية الأكثر أهمية في جهوده من أجل التصير، والملاحظ أنه اختار الجزء الشرقي من إفريقية، مفضلاً إياه عن الجزء الغربي رغم قرب الجغرافي من جزيرة ميورقة ومملكة أراجون التي كانت تربطها علاقات تجارية مع هذه المناطق الإسلامية (3).

في نهاية سنة 1292م، أي في السنة نفسها التي أضاع فيها الصليبيون آخر نقطة ارتكاز لهم على الساحل الشرقي في عكا، قرر لول الذهاب بنفسه إلى المسلمين بقصد تصيرهم، وإقناعهم بحقيقة المسيحية عبر نهجه الخاص في البرهان. فبعد تجربة فاشلة في إقناع البابا بمقترحاته، ورد في سيرته الذاتية أنه ارتحل إلى جنوة حيث مرض وأصابته أزمة روحية (1)، ليقرر السفر بحراً من جنوة إلى تونس التي كانت هي وغيرها من المناطق الإسلامية في إفريقية، ملاذاً للمسلمين الفارين من حرب الاسترداد في الأندلس، والتي كانت قد لعبت دوراً مهماً في المجال اللغوي بحكم موقعها الممتاز في إفريقية، واستضافت كذلك المسيحيين بسبب تجارتها النشطة مع

=Chicago , 1980 , pp.189-200 ; Rudolf Wittkower , "Marvels of the East : A Study in the History of Monsters" , Journal of the Warburg and Courtauld Institutes , 5 , 1942 , pp.159-197.

لا شك أنه لا يمكن لأي كان أن يحل محل الرحالة وسجلاتهم التي دونوها، الكثير منها صدرت في :

Van den Wyngaert , Sinica Franciscana , vol.1. وأيضاً: Golubovich , Biblioteca Bio-bibliografica

(1)- حول أودوريك أنظر: Van den Wyngaert , Sinica Franciscana , vol.1 , Quaracchi , 1929 , pp.381-495.

(2)- أنظر الخريطة المعنونة بأسفار رامون لول في آخر هذا الفصل.

(3)- أنظر:

A. LLINARES, Le séjour de Raymond Lulle a Bougie (1307) et la "Disputatio Raymundi christiani et Hamar saraceni" , Estudios Lulianos, IV, 1960, p.63.

Ramon Llull , Vita coetanea , IV, p.49.

(1)- أنظر:

الموانئ الأوروبية. إضافة إلى أنها كانت قبلة الفرنسيين والدومينيكانيين منذ نشأتهم. ولهذا ليس مفاجئاً أن يولي لول وجهه نحوها، خاصة وأن رامون دي بينيافورت في لقاء له مع لول في مدينة برشلونة قد أوصاه بذلك ⁽¹⁾. ووفق السيرة الذاتية، كانت رحلة لول إلى تونس، هي أول رحلاته التنصيرية، عقب الأزمة الروحية التي عصفت به في جنوة ⁽²⁾. ولقد نصحه أصدقاؤه بعدم الذهاب إليها، إلا أنه أصرّ على ذلك، وحمل معه كتبه ⁽³⁾.

حاول لول من خلال تجربته الأولى في تونس أن يضع فنه الأعظم في مجادلاته موضع التنفيذ مع المسلمين ⁽⁴⁾. كما تضمنت هذه التجربة طريقته في المجادلة والنقاش مع المسلمين الذين تصفهم السيرة الذاتية بالحُكماء ⁽⁵⁾. وقد دعاهم إلى حوار مفتوح حيث ورد في السيرة الذاتية أنه بدأ مهمته من خلال وضع نفسه على الأرض التي لن يرفض فيها المسلمون المعركة. ولفرط ثقته واعتداده بنفسه، أخبرهم لول بأنه قد قدم إليهم بعد أن أصبح على دراية واسعة بالحجج المدافعة عن المسيحية، وأنه يرغب في أن يسمع من العلماء المسلمين في تونس حُججهم وبراهينهم المُنافحة عن دينهم. وإذا كان بوسعهم أن يثبتوا له قوة حججهم وعلو كعبها على حججه هو، فإنه مستعد حينئذ بأن يردد عن المسيحية ويعتق الإسلام ⁽¹⁾.

وبعد عدة أيام من النقاش والجدال المُحتدم، يزعم لول أنه خاطب المُسلمين على النحو التالي: "يتوجب على كل رجل حكيم، الحفاظ على الإيمان الذي يُعزى إلى الإله الخالد، وأعتقد

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull , Vita coetanea , IV , p.50.
خلال هذه المحادثة التي دارت بينهما في حوالي سنة 1240م، نصح سان رامون دي بينيافورت لول بالدعوة للمسيحية في تونس، كما طلب منه أن يقيم في مدرسة اللغات الخاصة بالدومينيكانيين، على أمل أن يكون أحد مسيريهما والقائمين بشؤونها. أنظر: Garcias Palou (Sebastian) , El Miramar de Ramon Llull , p.125.

⁽²⁾ - أنظر: Ramon Llull , Vita coetanea, IV, p.49; Valenti J. I. , Dues crisis en la vida de Ramon Llull , La nostra Terra , VII , Mallorca , 1934 , pp.341-356.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull , Vita coetanea, VI , p.57.
⁽⁴⁾ - أنظر:

Harvey J. Hames ,The Art of Conversion , p.19.
من المحتمل أيضاً أنه جادل اليهود أيضاً هناك، بحكم وجود مجتمع يهودي في تونس يمارس التجارة. أنظر: D. Cohen , Le parler arabe des juifs de Tunis , Paris , 1964 , pp.2-6.

⁽⁵⁾ - أنظر: Ramon Llull , Vita coetanea, VI , p.61.

⁽¹⁾ - أنظر: Hillgarth , Ramon Llull and Lullism , p.23.

أن حكماء العالم تتوافر فيهم صفات الخير الأعظم والقوة والمجد والكمال، وما إلى ذلك، وجميع هذه الأمور تتسق مع عظم المساواة والتوافق ... الآن، أن أفهم أن الحجج التي قمت بتحديدتها قبلي، أنتم أيها السراسنة الذين تتبعون القانون المحمدي، غير مُجدية ولا تجعلكم تفهمون الصفات المذكورة سابقاً وغيرها من الصفات الإلهية القويمة، والأصيلة الخالدة (بالإله)، وبدونها فإن هذه الصفات يمكن أن تكون غير مجدية منذ الأزل. فأعمال الخير يمكن أن تكون سبباً للخير، وقادرة على أن تصبح الخير نفسه، ولأن تكون قادرة على فعل الخير... إلى غيرها من الصفات الأخرى⁽¹⁾. لكن منذ أن قصرتم هذه الأعمال إلى اثنتين من الصفات الإلهية وحدها، وهما الحكمة والإرادة⁽²⁾، فإنكم من الواضح قد اعتبرتم الصفات الأخرى كالخير والعظمة وغيرها، لا طائل منها. ونتيجة لذلك قمتم بوضع اللامساواة والخلاف بين هذه الصفات، وهذا ليس مقبولاً. لكن عن طريق الاعتراف بأن الأعمال الأساسية للصفات والأسباب تكمن في المساواة والتوافق الحقيقي والأبدي، فإننا نحن المسيحيون نبين بوضوح أن هناك ثالثاً، الأب والإبن والروح القدس جوهر إلهي فريد واحد في الطبيعة"⁽¹⁾.

طريقة رامون لول في عرض المُعتقدات بناءً على القيم التي تجسدها - وهو ما أسماه بـ «الصفات الإلهية» - تُعطى له بلا جدال الأولوية على أي لاهوت وضعي⁽²⁾. وحسبما يظهره لول في هذه الفقرة، فإن إنكار الثالث هو كفر ويفترض بطبيعة الحال أن لا وجود للإله. وأن

⁽¹⁾ - يشير رأي لول هنا إلى مذهب المبادئ (الأساسيات) المترابطة. وفيه يوضح أن المرء لا يحتاج إلى افتراض وجود العالم منذ الأزل من أجل أن يعتقد بأن الإله لا طائل منه. وهو يدعم بذلك الحجج التقليدية لعلماء الكلام المسلمين المضادة لفرقة المعتزلة، التي تذهب إلى الاعتقاد بأن العالم أزلي. أنظر:

Juan Tusquets , Ramon Lull : Pedagogo De La Cristiandad , Instituto San José de Calasanz, Madrid , 1954 , p.196 ; Carreras y Artau , Historia de la filosofía española , Filosofía cristiana de los siglos XIII al XV, XV, Asociación Española para el Progreso de las Ciencias , Madrid , Vol.I , 1943, p.155.

⁽²⁾ - هذه الفكرة خاصة بالغزالي الذي يصر على أن خلق العالم هو فعل يدل على الإرادة النقية والخالصة. وقد كان لول يدرس الغزالي أثناء تعلمه اللغة العربية وعلى الخصوص كتاب "المعارف العقلية" وهي الأمر الذي دفعه إلى وضع كتاب عنوانه "منطق الغزالي". أنظر:

G. Quadri , La philosophie arabe dans l'Europe médiévale des origines à Averroes , Payot , Paris, 1960, pp.126-138.

Ramon Llull , Vita coaetanea, pp.161-163.

⁽¹⁾ - أنظر:

⁽²⁾ - أورفوا (دومينيكي) ، المفكرون الأحرار في الإسلام ، ترجمة : جمال شحيد ، دار الساقي ، بيروت ، 2008، ص.230.

الإله بطبيعته يجب أن يكون ناشراً للخلود، وأن الأب أوجد الإبن وكلاهما يتنفسان من خلال الروح القدس⁽¹⁾. وتُشير السيرة إلى أن لول وعد بأن يثبت صحة التجسد إنطلاقاً من فنه الأعظم.

على الرغم من وثوقه التام في الحجة، إلا أن لول أدرك أنه لا توجد حجة منيعة من الدحض. ويظهر هذا على سبيل المثال، في نهاية "كتاب الوثني والحكماء الثلاثة"، حينما يستمع الوثني إلى الحجج المتتابعة والمتعارضة لكل من اليهودي والمسيحي والمسلم، ويتركهم على حالهم وتلهفهم، من دون أن يبدي رأيه النهائي في أي من الديانات الثلاث المتنافسة سيعتق. ويعترف لول هنا صراحة بالدور الضروري لفضل اللاهوت المسيحي في إتقان العمل الذي بدأه بالحجة والدافع⁽²⁾.

في الواقع، تُجسد الصفحات التي تسرد مجادلاته اللاهوتية في تونس، فكر لول في علوم الدفاع عن المسيحية، والتي استخدمها في مشروع تنصير المسلمين، وهي نفسها أساليب الدفاع والمُحاجة الموجودة في كتاب "الفن المختصر لإيجاد الحقيقة Art abreujada d'atrobare veritat"، والذي جاء رداً على مُقترحه لكتابة "أحد أفضل الكتب في العالم للرد على أخطاء الكفار Unum librum meliorem de mundo contra errores infidelium"⁽³⁾، والأخير يُشكل الأساس لجميع الأعمال المُتبقيّة، ذات الغرض التنصيري⁽¹⁾. ويظهر هنا أن رامون لول متفائل ويعتقد أنه من الممكن في نهاية المطاف بناء عالم ديني يُسلم به من الجميع بلا نقاش.

داخل إطار مهمة لول التنصيرية في تونس، يبرز مبدأ مهم متصل بهذه البعثة، وهو استخدامها كوسيلة لتنصير مسلمين آخرين في بقاع أخرى، ومما يتضح مما سبق، أن لول تمكن من التحوار مع ما تُسميهم سيرته بالخبراء بالقانون المحمدي، وقدم نفسه لهم على أنه خبير

⁽¹⁾ - هذه الحجة مماثلة لتلك التي نجده عند بوناڤنتورا. أنظر:

St. Bonaventure , Itinerarium mentis in Deum , 6 , Franciscan Institute, Saint Bonaventure University, N.Y. ,1956, p.2.

Ramon Llull , Vita coetanea, p.59.

⁽²⁾ - أنظر:

Loc.cit.

⁽³⁾ - أنظر:

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.182.

⁽¹⁾ - أنظر:

وعارف بالمسيحية، مع إعلانه استعداداه الكامل لسماع الحجج البرهانية لبيان حقيقة الدين الإسلامي، وحتى تحوله عن المسيحية إلى الإسلام في حالة اقتناعه. ويرجع بعض الدارسين الغربيين هذه الأمور إلى امتلاك لول لروح الحوار (1).

في نفس السياق، يتبنى الباحث "محمد أركون" رأي المؤرخ الفرنسي "دومينيك أورفوا" القائل بأن لول كان يتمتع بروح منفتحة مسكونة بالبُعد الإنساني للبحث عن الحقيقة، وأن مُحاوريه في تونس لم يكونوا أبدا ندا له في مجال المناظرة. ولو أنهم كانوا عكس ذلك، فإنهم على الأقل كانوا مطلعين على تلك المناظرة الشهيرة التي جرت بين عالم المنطق المسيحي "متى بن يونس" (ت 940م) وعالم النحو المسلم "أبو سعيد السيرافي" (ت 979م) (2). لكن كل ذلك يختفي في ضوء حقيقة مُحاوله مُحاكاة لول لنموذج "شهداء قرطبة" المبني على النيل من الدين الإسلامي، والذي قام به في رحلته إلى بجاية.

لقد اجتهد الفرانسيكان في كسب غير المؤمنين إلى الحياة الأبدية في المسيحية. لكن هذه المهمة لم تكن يسيرة. فعند مفترق القرنين الثالث عشر والرابع عشر جرى إلقاء اللوم على عدم كفاءة المبشرين المسيحيين عن الفشل في إقناع الكفار (أي المسلمين) بأن المسيحية هي الدين الحق. وقد انتشرت قناعة بأنه كان بوسع الدعاة المسيحيين نفي الإسلام إلا أنهم لم يعرفوا كيف يثبتون صحة مُعتقدات المسيحية (1). وقد أعرب عن هذا الرأي بقوة رامون لول في إحدى نقاشاته بتونس مع ملكها المستنصر بالله (1284م-1295م): "يقال إن رجلا دين مسيحياً معيناً يعرف العربية كان يجادل الملك في تونس، وقد أثبت رجل الدين هذا عبر هجوم على الأخلاق الإسلامية أن محمداً خاطئ وزائف. وقد اقتنع الملك بذلك، الذي كان يعرف شيئاً من المنطق والفلسفة الطبيعية، وقال للمسيحي: من الآن فصاعدا أرفض أن أكون مسلماً، فلتثبت لي أن ديانتم حقة وسوف أعتقها وأتكفل باعتناقها في جميع أرجاء مملكتي من جانب جميع رعاياي، تحت طائلة الإعدام. فأجاب رجل الدين: الدين المسيحي لا يمكن إثباته، ولكن هاك العقيدة مكتوبة بالعربية

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.183.

(1) - أنظر:

(2) - أركون (محمد) ، مرجع سابق ، ص.252.

(1) - ماستناك (توماش) ، مرجع سابق ، ص.275.

واقبلها ... فأجاب الملك : إنني أرفض التخلي ببساطة عن ديانة لأجل اعتناق ديانة أخرى دون إثبات ودون فهم الديانة الجديدة. لقد أسأت التصرف، لأنك أخذت مني إيماني ولم تهني شيئاً في المقابل"(1).

وفيما تذكره السيرة أن لول عند تعريفه بعقائد المسيحية للعلماء المسلمين الذين لا نجد أسماء لهم في سيرته الذاتية، سعى رجل مشهور منهم إلى ملك تونس أبو حفص لإيغال صدره ضد هذا الرجل الذي فند القانون المحمدي والذي أقنع البعض بحججه، ولأن هدفه تخريب عقول المسلمين، فقد توسل الملك لقطع رأسه (2). وتُضيف السيرة، أن مجلس السلطان الحفصي انعقد بعد أن تم سجن لول (3)، وتدارس الشكاوي الكثيرة التي طالت عمل هذا المسيحي، وطالب الكثيرون من الملك إدانة لول بالموت، حتى أن السلطان نفسه كان ميالاً إلى إصدار هذا الحكم. لكن على الرغم من ذلك، فإن السلطان لم يقدم على هذه الخطوة، والسبب الذي تأتي السيرة على ذكره، هو أن موقفاً حاسماً اتخذه حكيم مسلم (أحد العلماء)، الذي قال بأنه سيكون من غير المشرف إصدار حكم الإعدام بحق لول، على أساس أنه رغم سعيه إلى نشر المسيحية، إلا أنه رجل يتسم بالخير والحكمة. وأضاف بأنه يستحق الثناء من طرف أي مسلم يريد تحويل الآخرين إلى الشريعة المحمدية (1). واستقر الأمر بالسلطان أبي حفص إلى قرار طرد لول من تونس بدل إعدامه (2). ذلك أن السلطان الحفصي لا يستطيع إعدام رعية تتبع الملك خايمي الثاني، الذي تربطه بأمراء البلاد الإسلامية صداقات وعلاقات دبلوماسية (3).

وعلى منوال سير القديسين، تسرد السيرة نقل لول من السجن، وتعرضه للضرب والإهانة، ونقله خارج البلاد على متن سفينة جنوية، وتهديد السلطان له إن هو ولى وجهه شطر أرضه

¹ - أنظر: Ramon Llull , Liber de acquisitione terrae sanctae , III , E , fol. 547^{ra-b}; Idem. , Blanquerna : 84 , p.356 ; Felix , I , pp.693-694.

² - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , pp.185-186.

³ - أنظر: Ramon Llull , Vita coetanea, p.64.

¹ - أنظر: Ibidem.

² - أنظر: Loc.cit.

³ - أنظر: Dufourcq (Charles-Emmanuel), op.cit., p.299.

خلال صعوده في السفينة، فسوف يتعرض للرجم، وتغرق السيرة في وصف الكوارث والأهوال التي لاقتها سفينة لول في طريقها قبل وصولها إلى وجهتها (1). لقد بقي لول في مدينة تونس، طوال فصل الصيف من عام 1293م، ولم يحقق المأمول، وكان يتوق قبل طرده من تونس إلى تحويل لولو عدد يسير من المسلمين إلى المسيحية، وهو مازاد من محنته، التي حدثت له قبل مجيئه إلى تونس. ويصف بعض الدارسين الإسبان إقامته الأولى في تونس بالمأساوية وهي التي حملت طابعا دينيا ودبلوماسيا في آن واحد، ومما حدا بالسلطان إلى اتخاذ قرار الطرد، على الرغم من الامتيازات الممنوحة للرعايا القطلانيين، هو أن لول فشل في تحقيق شرط أساسي للمقيمين في الفنادق التي يقيم فيها التجار والدبلوماسيون، وهو عدم التدخل في الأمور الدينية (2).

ج-رحلة رامون لول الأولى إلى مدينة بجاية.

تتبع لول في أسفاره طرق التجارة القطلانية، وكانت مدينة بجاية أحد أهم المدن المشهورة في التجارة المتوسطية. وكل المعجبين الجغرافيين والمسافرين المارين من بجاية، أعجب الإدريسي بالنشاط التجاري البجائي بالوصف التالي : "... الطلبات قد أحضرت، السلع تباع بشكل جيد. سكانها من التجار الأثرياء. ونجد تجار حرفيين لا نجدهم في العديد من البلدان الأخرى ... نخزن الفائدة ونبيع السلع بمبالغ طائلة " (1).

فيما يشهد على كثرة التبادلات التجارية في مدينة بجاية، هو إعطائها اسمها لنوع من الجلد، في الوقت نفسه هي مصدر لاسم أعطي للشمعة الصغيرة (الشمعة) فتسمية المدينة التي يصنع فيها الشمع، بنفس اسم تسمية صادراتها في بداية القرن الرابع عشر يبين مدى أهمية نسبة الصادرات مقارنة بالقرون التي مضت. ناهيك عن التجارة البحرية النشطة التي جمعتها بالممالك

¹ - لم يجد لول غضاضة في أن يصعد على متن سفينة جنوبية، في وقت كان الصراع التجاري فيه على أشده في غرب المتوسط. ويعود ذلك إلى أنه في نهاية القرن 13م، كان هناك نسبة كبيرة من الميورقيين من مواطني مدينة جنوة. إضافة إلى انفتاح جنوة التجاري على جزيرة ميورقة ومينائها ووجود قاعدة بحرية نقطة تموين لهم هناك. حتى أن واحدة من المؤسسات القطلانية المعروفة التي تم تأسيسها سنة 1302م في جنوة، كانت من طرف مواطنين من ميورقة. وتوطدت الصداقة بينهما بموجب معاهدة وقعت سنة 1302م، تنص على وضع النقاط الجنوبية في ميناء بجاية تحت تصرف الميورقيين. أنظر:

Dufourcq (Charles-Emmanuel), op.cit., pp. 3435, 60,61 et 423.

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , pp.186-187.

² - أنظر:

¹ - الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مج.1، القاهرة، 2002، ص.262.

المسيحية، والامتيازات المتبادلة بينهم كحرية الصيد في مياهها والتي منحتها للقطلانيين وجنوة⁽¹⁾. وكانت أحد هذه العوامل التي ساهمت في سفر لول إلى بجاية، هو انخراط ميورقة في تجارة نشطة معها، وهي أقرب لها جغرافيا من برشلونة، حيث كانت لميورقة سفنها، وتجارها، وتقاليدها، وأهدافها، وطموحاتها، التي يبدو أنها لم ترق للبرشلونيين وغطت على أعمالهم التجارية وحجبتها، خاصة بعد اهتمام تجار ميورقة الكبير بطرق المرور البحرية، وكانت لديهم وبشكل مستقل احتكار تجارة كميات كبيرة من الصوف مع بونة. ولكنها مارست، وبشكل خاص، أنشطة تجارية في بجاية، فمنذ عام 1300م، اقترح ملك ميورقة خايمي الثاني، على أحد رعاياه من سكان الجزيرة، تعيينه كقنصل فيها، لكن هذا المسعى لم ينجح، بسبب تدخل ملك أراجون الذي أحبط هذه المحاولة⁽²⁾.

تمثلت هذه المحاولة أولى مظاهر رغبة الميورقيين في التملص من سلطة ملك أراجون المباشرة. وفي الواقع، كانت ميورقة قد توقفت بالفعل عن الخضوع، بتاريخ 24 جويلية 1298م، حينما أقدم خايمي الثاني ملك ميورقا من برينيان، بتفويض "بيدرو فونيار Pedro de Fonollar" من أجل استلام جزر البليار ومعاقلها⁽¹⁾، والتي كانت قد انتزعت، بخسارة ميورقة (1285م)، يابسة (1286م) وأخيراً منورقة (1287م)⁽²⁾.

وكان مثل هذا التنافس بين أراجون والقطلانيين من جهة، وبين أراجون وميورقة من جهة أخرى، من الأمور التي شجعت ملك ميورقة على تحدي احتكار أراجون، بأن أوعز خايمي الثاني إلى رعاياه بأنهم ليسوا في حاجة لاستخدام الفنادق الخاصة بهم⁽³⁾. وفي وقت لاحق، سنة

⁽¹⁾ - أنظر:

Félix (María Pareja), Islamología , Vol.I , Editorial Razón y Fe , Madrid , 1952 , pp.178-179.

⁽²⁾ - أنظر:

Dufourcq (Charles-Emmanuel) , L'Espagne Catalane et le Maghrib , p.419.

⁽¹⁾ - أنظر:

Pons M. (Antoni) , Els reis de la Casa de Mallorca Barcelona, Ed. Barcino , Barcelona , 1957, p.37.

⁽²⁾ - أنظر:

Ibid. , p.31.

⁽³⁾ - كانت أهم الفنادق في تونس وبجاية في تلك الفترة والأكثر نفوذاً هي الفنادق التي يملكها تجار مملكة أراجون. والتي سُميت بـ"الفنادق القطلانية"، حتى أن خايمي الأول كان يذكر هذه الفنادق بكلمة "فنادقنا" وكانت مداخيلها مراقبة مباشرة من قبل الملك. ويعود أول ذكر لهذه الفنادق سنة 1253م بتونس وبجاية سنة 1259م. للمزيد ارجع إلى: ريمي كونستابل (أوليفيا)، إسكان الغريب=

1302م، أراد أن يُظهر دليل تحرّر ميورقة من كل ما يتعلق بأراجون، بإنجازه معاهدة صالحة لخمس سنوات بين ميورقة وصاحب بجاية الحفصي أبي البقاء خالد الذي خلف والده أبي زكرياء⁽¹⁾. وبموجب هذه المعاهدة يُنظم الميورقيون الفنادق الموجودة في بجاية والفنادق الأخرى الموجودة في الموانئ التابعة للسلطان الحفصي، وعلاوة على ذلك، تمّ تعيين قنصل. وعلى ما يبدو أيضاً، أن الإعفاء من الرسوم الجمركية، الذي كان من نصيب ميورقة قد أثار حفيظة الكثير من المنافسين. حتى موثقوا ميورقة تواجدوا في بجاية، من أجل صياغة الوثائق التي احتاجها تجار ميورقة في مُعاملاتهم⁽²⁾.

زخرت بجاية بتشكيلة غنية في وسطها العلمي في العصور الوسطى، كانت غير تابعة لعالم من العلماء. وفي القرن الثالث عشر يقترح "دومينيك أورفوي" تحليلاً مهماً بالاعتماد على مرجع تعريفى يسمى عنوان الدراية للغبريني (توفي عام 1315م)، هذا الكتاب كان مرجعاً كاملاً على حياة علماء بجاية، يذكر منهم الغبريني (كان ينتمي إلى الوسط العلمي لبجاية في الوقت الذي كان رامون لول مقيماً بها)، ويذكر أيضاً زهاء المائة شخصية مشهورة من القرنين الثاني عشر والثالث عشر. ويتجاهل "روبير برانشفيك" أي تأثير ثقافي لإفريقية على أوروبا المسيحية، وإن كان موجوداً فهو ضعيف إذا ما قورنت بتأثير أقطار إسلامية أخرى، ويضيف إلى أنه من الظلم أن لا ندخل في الحساب ما جناه في إفريقية من فائدة، تفكير الأوربيين الذين أقاموا بها، ويأتي على ذكر رامون لول⁽¹⁾، الذي شجعت كل هذه العوامل إضافة إلى عامل العلاقات التجارية، في الماضي قدماً للذهاب إليها، بغرض الحوار والجدال الديني مع أهلها⁽²⁾.

=في العالم المتوسطي: السكن والتجارة والرحلة في أواخر العصر القديم وفي العصر الوسيط، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2013، ص ص. 284-290.

⁽¹⁾ - برانشفيك (روبير)، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، ترجمادي الساحلي، ج. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص ص. 152-153.

⁽²⁾ - شهد تاريخ 12 نوفمبر 1302م، تعيين أول قنصل لميورقة في مدينة بجاية، وهو التاجر "بينيت بلانكاس Benet Blancas" الذي تمّ تعيينه من طرف حاكم الجزيرة، نائب الملك، وفقاً لهيئة المحلفين في المدينة.

أنظر: Dufourcq (Charles-Emmanuel), L'Espagne Catalane et le Maghrib, p.420-421.

⁽¹⁾ - برانشفيك (روبير)، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، ترجمادي الساحلي، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص. 372.

⁽²⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam, p.209.

تُقدم "السيرة المعاصرة" وصفاً دقيقاً لنشاط لول في مدينة بجاية، ولا تغفل حتى عن تلك الأحداث المأساوية التي ألمّت له. وتبدأ بسرد كيف أن رامون لول بعد أن أهدى للبابا كليمنت الخامس كتابه المعنون "كتاب الغاية Liber de Fine" في روما ⁽¹⁾، عاد إلى ميورقة، ليبحر منها إلى بجاية ⁽²⁾، وبالتحديد في ربيع سنة 1307م ⁽³⁾. وقبل سنة 1301م، لم تطأ قدما رامون لول أرض جزيرة ميورقة، بسبب سفره الدائم، فقد سافر بحرا إلى قبرص سنة 1300م. وقبل عزمه السفر إلى بجاية، حاز جميع التفاصيل والبيانات المتعلقة بالعلاقات التي تجمع ميورقة مع بجاية، حتى يكون على بينة من أمره. وفي الواقع، شهدت السنة التي قام بها بالسفر إلى بجاية، تبادلاً ودياً للرسائل بين ميورقة وصاحب بجاية. إضافة إلى ذلك، أنه في ماي 1307م، كان اتفاق الامتيازات لا يزال سارياً وفي وقت كانت فيه المالكية تتخلص من رواسب حكم الموحيدين ⁽⁴⁾.

تُعتبر هذه الرحلة رحلته الثانية التي قادته إلى إفريقية، أي بعد أربعة عشر سنة من إقامته بتونس عاصمة الحفصيين، حيث اتصل فيها ببعض علماء المسلمين وطلب مناظرتهم في أمور الدين، وحدد قاضي المدينة الزمان والمكان لتلك المناظرة ⁽¹⁾، ولكنه بدلاً من أن يستفيد من تجربته في تونس فیتوخی مزيداً من الحذر في دعوته ولا يحاول إثارة عامة المسلمين عليه، وإذا به يتجه وقبل موعد المناظرة مباشرة إلى جمهور المسلمين ربما مدفوعاً بشعوره باليأس، وبمزيد من الوقاحة والعداء خاطبهم بأعلى صوته قائلاً بأن: "الديانة المسيحية مقدسة وهي الصحيحة وأن العقيدة الإسلامية زائفة ومبنية على مغالطات وأنا مستعد لاثبات ذلك" ⁽²⁾، وكررها عدة مرات باللغة

⁽¹⁾ - من أجل القيام بذلك، ورغم الحالة السياسية المشحونة بين البابوية وأراجون، استخدم لول اسم ملك أراجون خايمي الثاني في إهدائه. لكن ملك أراجون لم يكن يعلم بهذا مثلما أوضحه لول في "كتاب مجادلة رامون مع عمار السراسني". أنظر: Ramon Llull, Liber disputationis Raimundi christiani et Hamar Sarraceni, p.III, p.47, n.8.

⁽²⁾ - أنظر: Ramon Llull, Vita coetanea, p.68.
⁽³⁾ - تعتبر سنة 1306م، سنة مجهولة في حياة لول، فلا يعرف عنها الكثير على وجه اليقين. فلا نعرف هل بقي في ميورقة طوال هذه السنة قبل أن يغادرها إلى بجاية. أنظر: Galmes, op.cit., p.45.

⁽⁴⁾ - أنظر: Dufourcq (Charles-Emmanuel), L'Espagne Catalane et le Maghrib, p.420-421.
⁽¹⁾ - سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج.2، ص.1239. وأنظر أيضاً:

Aziz Suryal (Atiya), The Later Crusades, p.91 ; R.Brunchvig, op.cit., Tom.1, p.463 ; J.N.Hillgrath, op.cit., p.26.

⁽²⁾ - جاء في النص اللاتيني: "Lex christianorum est vera, sancta et Deo accepta, lex autem Sarracenorum falsa et erronea; et hoc sum paratus probare".

أنظر: Ramon Llull, Vita coetanea, p.68 ; J.N.Hillgrath, op.cit., p.26 ; N.Daniel, op.cit., pp.311-312.

العربية، ويصف الباحث "ماورسيو دي إيريارتي" لول بالشخص المتهور والجرئ تارةً، وبالمُتمسك والمُندفع تارة أخرى (1)، جرّاء هذه الكلمات، والتي لم يحسب فيها لول ردّ فعل حشد من المسلمين المتجمعين في ساحة كبيرة عامة (2)، فثارت ثائرة المسلمين وهجموا عليه يريدون الفتك به مستحلين دمه، خاصة أنه انتهك الشروط التي تتعلق بإقامة المنصرين والقساوسة والأقليات المسيحية المقيمة في الفنادق والمحظور عليهم، وبشكل قاطع، المساس بالدين الإسلامي ورموزه.

لم يُنقذ لول إلاّ تدخل السلطات التي ألقت القبض عليه، وساقته إلى قاضي المدينة الذي تسميه السيرة بالمفتي حيناً، ويسميه لول بالأسقف حيناً آخر، والذي كان له دور في إنقاذه من الجموع الغاضبة عن طريق أعوانه حسبما تذكر السيرة أيضاً (3)، حيث جرت محاكمته حسب مقتضيات الشريعة الإسلامية، وقد حاول القاضي الذي كان معروفاً بسمعته الكبيرة كفيلسوف (4)، أثناء المحاكمة إفهامه الدين الإسلامي على حقيقته على أمل إقناعه باعتناق الإسلام، وأن استمراره في رأيه الأول سيكلفه حياته بقوله: "ما هذا الحمق الذي أدى بك إلى التهجم على شريعة محمد الحقّة؟ ألا تعلم أنّ من يتجرأ على مثل هذا يتعرض للقتل؟" (1)، وحسب نفس المصدر فإن لول أصمّ أذنيه واستمر في طعنه للإسلام، وأنه لا يخشى الموت في سبيل المسيح حتى أنه توسّل للمفتي بأن يُعطيه فرصة لإظهار حقيقة الدين المسيحي وإثبات بطلان "الدين المحمدي" عن طريق ما سماه بـ"الأسباب الضرورية" أو حتى علم الكلام الذي وجده عند مسلمي ميورقة. وكان له ذلك، حيث رأى فيها لول فرصة مناسبة لكي يظهر شهرته كفيلسوف وضيع في الحوارات الدينية ذات الطابع التأملّي (2).

لا شك أن هُجوم لول على الدين الإسلامي بشكل مُباشر وعلمانية، ورفضه جملة وتفصيلاً، يعود بالأساس إلى أن لول وعى بأن تنصير مسلمي بجاية لا يقتضي في بدايته التبشير بالمسيحية

¹ -أنظر: Mauricio de Iriarte (S.J.) , Vida y carácter (tres ensayos) , Escelicer, Mdrid , 1955 , p.54.

² - أنظر: Ramon Llull , Vita coetanea , p.68.

³ - أنظر: Ibid. , p.70.

⁴ - أنظر: Ibid.: «Erat enim episcopus ille famosus in philosophia».

¹ - أنظر: Loc.cit.

² - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.212.

بين صفوفهم بقدر ما يستلزم التمهيد إلى ذلك وإقناعهم بزيغ دينهم وعدم صحته، وقد اهتدى إلى وسائله الخاصة في البرهان كالأسباب الضرورية، وحتى تلك التي تخص الجدل وعلم الكلام الإسلامي. لكن المفتي حسب السيرة، طالبه أولاً بدلائل وإثباتات على صحة الثالوث، الذي نفاه الإسلام في القرآن، لذلك اتبع لول في طرق اثباته للثالوث، مفهوم الخالق حسب كل من أنسلم وابن سينا، ودمجه مع مذهبه الخاص للصفات الإلهية ⁽¹⁾. وهو منهج ذي حجج متعددة، اتسم به فكر لول، وحاز إعجاب معاصريه من المسيحيين كما يذكر "غارسياس بالو" ⁽²⁾. وسار بهذه الطريقة في الجدل حيث يقول أن "كل ما في الكون يسير بدقة، وهو كمال بحد ذاته، ولا يحتاج أن يتوسل لأي شيء خارج ذاته. وفي اللحظة التي تعترف بها بالخالق، وهو الخير المطلق، فلا حاجة للتوسل إلى غيره، لأنه خلافاً لذلك، فقد أنكرت صفة الكمال فيه" ⁽³⁾.

استمر لول في نقاشه مع المفتي عن الثالوث بقوله: "لكنك تتكرر الثالوث المبارك، وإذا افترضنا بعدم وجوده، فإن الخالق لن يكون موجوداً منذ الأزل، حتى يخلق العالم. لذا، أعتقد بأن الإله أكثر كمالاً لخلقه العالم في وقته المناسب المعلوم" ⁽¹⁾. ويعتقد لول بأنه أقنع المفتي ويدعوه إلى احترام الثالوث: "هذا ما يؤدي إلى تغيير موقفكم واحترام الثالوث. فوفقاً لعقيدتي، الخير منتشر منذ الأزل وإلى الأبد ... وهذا في حد ذاته سبب وجيه، كونه منتشراً في حد ذاته. فالإله الأب الخير الطيب، صلاحه يوجد الإبن، وكلاهما مستوحى من الروح القدس" ⁽²⁾. وهذه نفس

⁽¹⁾ - للمزيد عن تصور الإله عند أنسلم وابن سينا ارجع إلى: عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج. 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984، ص ص. 40-66.

⁽²⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam, p.212.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull, Vita coaetanea, p.70.
هذه الحجة التي قدمها لول في جداله، هي تلك الحجة الثالثة التي اقتبسها من حجج القديس أنسلم لإثبات الثالوث. وتقوم على فكرة "الكمال" الذي تحوزه الأشياء، ووجود تفاوت في مراتب الكمال بين الموجودات، ولابد من وجود كمال أعلى، هو الكمال الأول، وهو الله. لكن هذا البرهان لا يجيب على فكرة الثالوث، كما أنه ليس برهاناً عقلياً تاماً، مثلما يقول عبد الرحمن بدوي. أنظر: بدوي (عبد الرحمن)، موسوعة الفلسفة، مادة أنسلم، ج. 1، ط. 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000، ص. 235.

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull, Vita coaetanea, p.70.
هذه الحجة استخدمها لول في دحضه للرشدية اللاتينية، ووجهاً مثلما يدعي هو، للمسلمين الذين لا يعترفون بقضية "الخلق منذ الأزل". حيث أن ابن سينا يعتقد بأن الخلق هو ما يصاحب الجوهر الإلهي، ويرافق دائماً وبالضرورة ما يسمى الجوهر. فالجوهر الإلهي هو من طبيعته، والفيض هو في الوقت نفسه إبداع وخلق. أنظر:

M. Cruz Hernandez, La filosofía árabe, Madrid, 1963, p. 91 s. y 94 s.- ID., Historia de la Filosofía Española, Filosofía Hispano-Musulmana, I, Madrid, 1957, p.137.

⁽²⁾ - أنظر: Ramon Llull, Vita coaetanea, p.70.

الحجج التي أوردها في جداله أمام الفقهاء في تونس خلال رحلته الأولى، وحسبما ورد في السيرة، فإن المفتي صُنع، ولم يستطع الردّ على هذه البراهين، وكان أن رفض الخوض في هذا الموضوع والمناقشة فيه (1).

لكن في الواقع، يبدو أن وعظ لول لم يكن فعّالاً، فالحجج الفلسفية والجدلية التي ساقها، لم يحملها جمهور المستمعين من المسلمين مأخذ الجد، ولا يمكنها أن تتال من إيمان المسلمين، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالقضايا الصعبة والشائكة كالصفات الإلهية والتجسّد والأقانيم الثلاث، والتي كان من المستحيل التوصل إلى اتفاق فيها بين المسلمين والمسيحيين، لاسيّما أنها كانت من أهمّ القضايا التي تُشكل الخلاف السرمدي بين الإسلام والنصرانية. إضافة إلى أن المفكرين المسيحيين في العصر الوسيط، قد أطلقوا العنان لخيالهم في مجال إثبات صحة الثالوث. فهم يفسرونه انطلاقاً من وجود أثار الألوهية في الكون، وجاهدوا ليعرضوا علناً -في فرحة شاعرية كما يصفها إتيان جيلسون- النظام الثلاثي لتركيب الأشياء الذي يرمز في رأيهم إلى الثالوث (1).

تواصل السيرة سرد أحداث النقاش، بأن المفتي بعد عجزه عن الرد على حُجج لول، أمر على الفور، بسجن لول (2). وفي اليوم الموالي، طالب كثير من رجال الدين المسلمين بما فيهم المفتي، بإصدار حكم الإعدام فيه (3). ومما جاء في السيرة، أن الآراء كانت منقسمة في هذا

Ramon Llull , Vita coetanea, p.70

(1) - أنظر:

(1) - يورد جيلسون ثلاثة مفكرين صاغوا مثل هذه الحجج، وهم: هوج دي سان فيكتور (1096م-1141م) والقديس بونافنتورا (1221م-1274م) ورامون لول. للمزيد ارجع إلى: جيلسون (إتيان) ، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2011 ، ص.134.

Ramon Llull , Vita coetanea, p.70.

(2) - أنظر:

يشير الكاهن "بينفينيدو فالفيدي"، بأن قرار السجن الذي حكم به علماء مسلمون ومنهم المفتي، كان يهدف بالأساس، إنقاذ لول من الرجم من طرف الغوغاء. ويسوق عدداً من الأدلة بناء على رواية "بلانكرنا"، منها أنه في غمار النقاش والجدال، سرت روح الصداقة بين المفكر المسيحي وخصومه من العرب، والتقاؤهم عدة مرات على موائد أكل. أنظر:

Fr. Bienvenido Valverde , Actualidad del método luliano en sus diálogos con los musulmanes, Estudios Lulianos, V, 1961, p.201.

(3) - ورد في السيرة الذاتية عبارة "رجال الدين" بمفهومها المسيحي، رغم أنها تعني المسلمين، ويخلط لول دائماً بين المسميات الإسلامية والمسيحية. Die antecrastina congregati sunt clerici legis coram episcopo "... أنظر:

Ramon Llull , Vita coetanea, p.72.

الشان، حيث أن أحد المارة سمع أن شخصاً مسلماً صدف وأن أبحر رفقة لول، من جنوة و تونس في نفس السفينة (1).

إضافة إلى أنه في الغالب، يكون قد سمع عذاته وحججه العقلية. إلى الدرجة التي دفعته بمنعه من الشهادة لصالح لول، بعد اقتناعه، مخافة أن يقنعهم لول بحُججه (2). ويستشف من هذه العبارات أن لول نجح في إقناع الكثير من مسلمي بجاية بصحة المسيحية. وفي أثناء فترة سجنه، تردد عليه الكثير من رجال الدين المسلمين الذين أرسلهم "المفتي"، بغية إقناعه بإعتناق الإسلام أو القانون المحمدي كما تذكر السيرة. محاولين إغواءه بالزواج المتعدد، وتكريمه بالمال والقصور إن هو ارتد عن دينه (3). وقد ذكر لول في العديد من نصوصه السجالية، أن هذا النوع من الإغراءات والوعود كانت شائعة جدا بين المسلمين في علاقتهم مع المسيحيين (1). وهو الأمر الذي أشار به إلى رهبان "فوفارت Vauvert"، سنة 1311م (2).

ومع كثرة مُطالبات أهل بجاية بإعدامه، تدخل التجار القطلان والجنويون الموجودين في المدينة لدى السلطات، وبسبب موقعهم القوي والمؤثر، تمكنوا من إقناعها بالاكْتفاء بنفيه من بجاية فأخرج من السجن ومن ثم طرد إلى مدينة بيزا الإيطالية سنة 1308م بعد سجن دام ستة أشهر (3). وقبل وصوله إلى سواحل جنوة، نجا من الغرق وضاعت معظم كتبه، حسبما تخبرنا به سيرته (4).

Ramon Llull , Vita coetanea, p.72.

Loc.cit.

¹ - أنظر:

² - أنظر:

³ - أنظر:

Ramon Llull , Vita , p.72 ; A. LLINARES, Le dramatique épisode algérien de la vie de Raymond Lulle, Revue de la Mediterranée, 1959, pp.390-391 ; ID., Le séjour de Raymond Lulle a Bougie (1307) et la "Disputatio Raymundi christiani et Hamar saraceni" , Estudios Lulianos, IV, 1960, pp.63-72.

¹ - أنظر:

Ramon Llull , Disputatio Raimundi christiani et Hamar saraceni , p.III, ed. Salzinger, IV, Moguntiae, 1729, n.1, p.46.

Ramon Llull , Vita coetanea, p.74.

² - أنظر:

³ - تُسهب السيرة في رواية ما عاناه لول في طريقه من المفتي إلى السجن، من تعذيب وضرب بالعصي والشد على لحيته الطويلة، وجره بقسوة، وسجنه مع حفنة من اللصوص والرعاع. ولا غرو أن سير القديسين مليئة بحكايات من هذا القبيل، من أجل تصوير المثل الأعلى وما لاقاه من محن في سبيل المسيحية. أنظر:

Ramon Llull , Vita coetanea, p.74 ; Aziz Suryal (Atiya) , The Later Crusades , p.91 ; J.N.Hillgrath , op.cit. , p.26 ; N.Daniel , op.cit. , pp.311-312.

Ramon Llull , Vita coetanea, p.77.

⁴ - أنظر:

وجاء في Vita beati Raymundi Lulli أو ما يعرف بالسيرة، أن رجال الدين ورامون لول اتفقوا على أن يقوم كلا منهما بتأليف كتاب يعرضون فيه حجج وبراهين ديانتيهما (1). على الرغم من أن الكتاب الذي ألفه في السجن والمسمى "مجادلة رامون المسيحي وعمر المسلم Disputatio Raimundi christiana et Homeri Saraceni" والذي تضمن ردوده على حجج المسلمين عليه أثناء وجوده في بجاية، لا يتكلم عن وجود كتابين، بل كتاب واحد فقط ألفه هو. ويصف خاصة شخصا يسميه "Homeri" حيث يقول عنه إنه أحد المثقفين المسلمين في تلك المدينة والذي جاء بأمر من المفتي لجداله (2)، وأقرب الأسماء العربية لو أنه وصلنا بأكمله إذ أنه فقد منه في البحر قبل وصوله إلى بيزا. ويقول لول في سيرته أنه اقترح على عمار هذا بأن يكتب كتابا يعرض فيه الحجج الإسلامية (1). لكن في الواقع، لم يقم عمار بتأليف هذا الكتاب، ولا حتى جزء منه. لكن لول هو المؤلف الوحيد للكتاب المشار إليه سابقاً (2).

يُستدل من مؤلفات لول الأخرى التي تلت ذلك الكتاب (3)، بأنه كان يتكون من مقدمة وثلاثة أجزاء، والثاني منها ذو أهمية دينية كبيرة، وأما الثالث فهو ذو قيمة تاريخية بالإضافة إلى بعض الآراء التي تضمنها في الكيفية التي ينبغي أن تكون عليها المناظرة، وفي الجزء الأول منه، يوضح، باللغة العربية، الأسباب التي دفعته إلى تحرير الكتاب (4). وخلاصة ما يقول لول في الجزأين الأول والثاني أن عمر Homeri أثناء مناظرته له وضع سبع قواعد أساسية للإسلام وأحد عشر خاصية لله سبحانه وتعالى مُبيناً أنه ما من خاصية منها أتت بالمصادفة، كما بين أن الثالوث المقدس (الأقانيم الثلاثة) وتجسيد الألوهية في المسيح عليه السلام شيء مستحيل، ثم

Ramon Llull , Vita coetanea, p77.

¹ - أنظر:

Ramon Llull , De prologo, op. cit., p.1

² - أنظر:

J.N.Hillgrath , op.cit. , p.26 and pp.99-101 ; Aziz Suryal (Atiya) , op.cit. , p.91 ; R.Brunchvig , op.cit. , Tom.1 , p.464.

Ramon Llull , De prologo, p.1 ; Ramon Llull , Vita coetanea , p.77.

¹ - أنظر:

Et cum Raymundus iam suo libro daret efficacem operam...” , Ibidem.

² - أنظر:

³ - كان هذا الكتاب من جملة المؤلفات التي ضاعت خلال العاصفة التي حدثت للول قبل وصوله إلى جنوة، وقد أعاد تأليفه باللاتينية . وتحتوي المكتبة الوطنية في باريس على نسختين منه . أنظر:

A. LLINARES, Le sejour de Raymond Lulle a Bougie (1307) , p.70.

Ramon Llull , Pars. I, De positione et disputatione saraceni, pp. 2-12.

⁴ - أنظر:

يتناول عُمر هذه القواعد والخصائص ويعالجها الواحدة تلو الأخرى بهدف إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى وبُطلان ما يقول به المسيحيون (1)،

يزعم لول بأن عُمر انتهى في مناظراته إلى عرض المال والنساء عليه إذا هو إعتنق الإسلام فيجيبه لول على ذلك بوعده بالحياة الأبدية إذا قبل التنصر، ثم يشرع في الرد على أقوال عمر وحججه لإثبات صحة الثالوث المقدس وتجسد الألوهية في المسيح. ثم يختتم الجدل بأربعين حجة تهدف إلى إثبات أن اليهودية دين جيد وأن المسيحية أفضل منها لأنها أكمل وأشمل، وأما الإسلام فهو على حد زعمه خطأ وكله مغالطات (1)، وهذه الحجج الأربعين هي الوصايا العشر، والفضائل السبع، والأسرار المقدسة السبعة، والشرائع الكنسية الأربعة عشر (2)، وما إلى ذلك.

أما الجزء الثالث فيدور حول محور واحد هو أن أساس المناظرة بينه وبين عمر كان المنطق كما هو المفروض وليس التهديد بقوة السلطة. ثم يصف فيه رحلته إلى بجاية وأيامه في سجنها ثم طرده منها، ويعرج بعد ذلك على ذكر مشروع الحملة الصليبية التي يقترحها وجهوده في ميدان التنصير مبيناً الأخطار المحدقة بالمسيحية حاصراً إياها في المسلمين والتتار، وآراءه في كيفية اتقائها (3). ومن الثابت أن لول استفاد من تجربته ببجاية في صقل بعض آرائه المتعلقة بالتنصير كما يتضح مما جاء في كتابه "الخلاف" إذا ما قورن بمؤلفاته التي سبقتها.

تُشير "السيرة المعاصرة"، بوضوح، إلى أنه بمجرد الانتهاء من تأليف هذا الكتاب، قام حاكم بجاية "خالد الأول" من مقر تواجده في قسنطينة (4)، بإصدار مرسوم لطرد فوري للول من بجاية بعد أن كان معتقلاً (5). الأمر الذي يشي بخطورة كتاب لول، حسب رأي العلماء المسلمين،

⁽¹⁾ - أنظر : Aziz Suryal (Atiya) , op.cit. , p.92.

⁽¹⁾ - أنظر : Aziz Suryal (Atiya), op.cit. , p.92; J.N.Hillgrath , op.cit. , p.26.

⁽²⁾ - أنظر : Aziz Suryal (Atiya), op.cit. , p.92.

⁽³⁾ - أنظر : Ibid. , pp.92-93.

⁽⁴⁾ - الحكام الحفصيون، كانوا في الواقع، مستقلين عن عاصمة المملكة، (1284م-1309م) وبسطوا هيمنتهم على "قسنطينة". أنظر:

A. LLINARES, Le sejour de Raymond Lulle a Bougie (1307) , p.64.

Ramon Llull , Vita coetanea, p.77.

⁽⁵⁾ - أنظر:

الذين رأوا فيه خطراً على العقيدة الإسلامية، ويبدو أنهم راسلوا حاكمهم من أجل استصدار هذا القرار، حسبما يرى الباحث "غارسياس بالو"⁽¹⁾، الذي يذهب أيضاً إلى أن إقامة لول في بجاية وإن كانت مأساوية وغير ذي نتيجة، إلا أنها أعطت طابعا إيجابيا في إمكانية الحوار الذي امتد لستة أشهر⁽²⁾.

يُناقش بعض الباحثين الغربيين وعلى رأسهم "غارسياس بالو"، و"دومينيك أورفوا"، أن فشل رامون لول في إقناع مُسلمي بجاية بصحة المُعتقد المسيحي، مردّه المناخ الفكري المتراجع في بجاية. والذي شهد عودة الملكية وقضائها على الفكر العقلاني الموجود في عهد الموحدين، والذي ارتكز على المنطق والفلسفة اللذين افتقدتهما من قام بمُجادلة لول⁽¹⁾.

لكن إذا كان الحال كذلك، فما تفسير الكلمات التي تُلَفِّظُ بها لول وهو لم يبدأ بعد جداله الديني، خاصة أنه تفوّه بها باللغة العربية، وبصوت عال⁽²⁾، وقد كانت أغلظ وأعنف من تلك التي تُلَفِّظُ بها في تونس. ولا ريب أنها خرجت من لسان إنسان يائس، تتم لغته عن راديكالية في الخطاب، وتطرف وتعصب واضحين، وهذا باعتراف فصيل آخر من دارسيه⁽³⁾، ناهيك عن رفضه التام للدين الإسلامي. وهي بذلك تقطع أي أمل في الحوار أو حتى المباشرة فيه، على الرغم من أنه هو نفسه كان عاقد العزم على جعل هذا الحوار مبنيا على التفاهم. لذا ليس من المستغرب أن يهب مستمعوه إلى ضربه أو رشقه بالحجارة أو حتى الفتك به. والأمر المثير للاهتمام هو أن الحادثة هذه وردت في سيرته الذاتية، وتؤكد ما فعله بصريح العبارة، في حين سكنت المصادر الإسلامية عن هذه الحادثة، بل لا نجد فيها ذكراً لهذا الشخص.

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.215.

Ibidem.

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , pp.210-211 ; Urvoy, Dominique ,⁽¹⁾ أنظر: Penser l'Islam , pp.233-234.

Ramon Llull , Vita coaetanea , p.68.

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.211.

⁽¹⁾ - أنظر:

⁽²⁾ - أنظر:

⁽¹⁾ - أنظر:

⁽²⁾ - أنظر:

⁽³⁾ - أنظر:

د- إقامة رامون لول في جنوب إيطاليا.

قام رامون لول بدور خطير في تنصير مسلمي مُستعمرة "لوتشيرا" (الواقعة قرب فوجيا Foggia) في إيطاليا أو لوجارة كما تذكرها المصادر الإسلامية، والتي تقع إلى الشمال الشرقي من نابولي⁽¹⁾، وسكان لوتشيرا جميعهم مسلمون فقد ذكر المؤرخ "جمال الدين بن واصل" أنه ذهب في سفارة من قبل السلطان الظاهر بيبرس إلى الملك مانفريد بن الإمبراطور فردريك الثاني إمبراطور الإمبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة 1261م، وحين اجتمع به وجده متميزا محبا للعلوم مثل أبيه، وذكر أنه بالقرب من البلد الذي نزل فيه مدينة تسمى "لوجاره" أهلها كلهم مسلمون من أهل جزيرة صقلية، وتقام فيها الجمعة وسائر الشعائر الإسلامية" وهي على هذه الصفة من عهد أبيه الإمبراطور، ووجدت أكثر أصحابه الذين يتولون أموره الخاصة به مسلمين ويُعلن في مُعسكره بالأذان والصلاة"⁽¹⁾. وكان الإمبراطور فردريك الثاني قد نقل هؤلاء المسلمين من صقلية إلى لوجاره، فاشتغلوا فيها بالزراعة، وأخذ فردريك في تجنيدهم في جيشه لبراعتهم في صنع السهام ورميها، وأصبحت لوجاره بعد ذلك وكأنها جزيرة صغيرة وسط بحر من القوى الصليبية. وبعد سقوط أسرة الهوهنشتاوفن الألمانية وقيام أسرة أنجو الفرنسية في تلك البلاد اشتد الضغط على هؤلاء المسلمين بقصد تنصيرهم، غير أنهم تمسكوا بعقيدتهم الإسلامية ولغتهم العربية⁽²⁾.

كان سكان هذه المُستوطنة الإسلامية، هدفا لنشاط لول التنصيري، وهذا دليل بارز على أنه كان عارفا بالأوضاع السياسية في تلك الفترة، وقد أشار رامون لول على شارل الثاني كونت أنجو بأن يقوم بتنصير مسلمي لوجاره عن طريق الإقناع وشئ من الضغط، ثم إكراههم على اعتناق النصرانية إذا رفضوا، وأن يعهد إلى المسلمين الذين يرتدون إلى النصرانية بمناصب ذات أهمية

⁽¹⁾ - كان أول من أسس هذه المستعمرة هو الإمبراطور فردريك الثاني. أنظر:

D. Abulafia, Monarchs and Minorities in the Christian Western Mediterranean around 1300: Lucera and its Analogues , in S.L. Waugh and PD. Diehl (eds), Christendom and its Discontents, Cambridge , 1996 , pp.234-263.

⁽¹⁾ - ابن واصل (جمال الدين محمد)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج.4 ، تحقيق: حسنين محمد ربيع ، القاهرة، 1960 ص.248.

⁽²⁾ - للمزيد حول المستوطنة الإسلامية "لوتشيرا" ، ارجع إلى:

Egidi (Pietro) , La colonia saracena di Lucera e la sua distruzione , Napoli , 1912.

لإغراء الآخرين. وقد منح آل أنجو ترخيصاً لرامون لول مؤرخاً بـ 01 فيفري 1293م، بعد عودته من تونس باتجاه نابولي، ومرفوقاً بتسهيلات أمنية، للحديث مع الأسرى المسلمين الموجودين في قلعة البيضة Ovo بنابولي⁽¹⁾. ومن المحتمل أن هذه الجدالات التي انغمس فيها لول جمعته أيضاً بمواطنين من لوتشيرا، والتي تظهر في الجزء الرابع من كتابه المعنون "جدال اللاتين والساسنة من كتاب الحكماء الخمسة Disputatio latini et saraceni del Liber de quinque sapientibus"⁽¹⁾، الذي حرره في مدينة "فيزوف Vesubio"، وقدمه للبابا سلسنتين الخامس⁽²⁾، بين أكتوبر 1294م، عندما غادر بيروجيا، متجهاً إلى نابولي، و13 ديسمبر من نفس السنة، حينما تخلى البابا عن منصب البابوية⁽³⁾.

صدف أن تواجد في لوتشيرا عدد من المسيحيين، الذين فروا إليها لاجئين في أوائل سنة 1290م، خوفاً من محققي محاكم التفتيش واضطهادهم، فقد اعتبر هؤلاء بمثابة الهراقة⁴. وتم ضبط بضاعة أحدهم وهو "بييترو دا ميلانو Pietro da Milano" ومصادرة أملاكه، وتم استخدام المال الناتج عن هذه المصادرة، لدفع أجور مسؤولي شارل الثاني في لوتشيرا⁵. وقد كان للمسلمين حظ من هذه الملاحقات التي طالتهم من الدومينيكان. ففي فيفري 1294م، أمر شارل

¹ - أنظر: M. BATLLORI, S. J., El lulismo en Italia, Revista de Filosofia, 1943, pp. 258 y 265-266. ¹ -ناقش فيها القضايا التقليدية وهي الثالوث، التجسد والعقائد المسيحية التي نفاها الإسلام. أنظر: Ramon Llull , Disputatio latini et saraceni del Liber de quinque sapientibus , Ed.Salzinger, IV, Moguntiae, 1729, pp.31-50.

² - أنظر:

Ramon Llull , Petitio Raimundi ad Coelestinum quintum, Ibídem, pp. 50-51 , Garcias Palou (Sebastian), La fecha del "Desconhort", en relación con las visitas del beato Ramon Llull a la Corte papal, Estudios Lulianos, VII, 1963, 79-87 . ID., Cronología de las cinco primeras permanencias del beato Ramon Llull, en la Corte Papal, Ibídem, X, pp.81- 93.

³ - أنظر:

A. POTTHAST, Regesta Pontificum romanorum (1198-1304), II, Berlín, 1875, nn. 23948-23-989 ; Garcias Palou (Sebastian) , El beato Ramon Llull y la cuestión de la renunciabilidad de la Sede Romana, Analecta Sacra Tarraconensia, XVII, 1944 ; P. L. OLIGER, Petri Ioannis Olivi "De renuntiatione papae Coelestini V", Archivum Franciscanum Historicum, XI, 1918, pp.308-373.

⁴ - أنظر:

Julie Anne Taylor , Muslims in Medieval Italy: The Colony at Lucera , Lexington Books, Oxford , UK , 2005 , p.174.

⁵ - أنظر:

Egidi, p: Codice diplomatico dei Saraceni de Lucera 1235-1343 , Naples , 1917 , N.48 ; Julie Anne Taylor , Muslims in Medieval Italy , p.174.

الثاني أنجو، حاكم لوتشيرا أن يساعد لول الذي كان يخطط لزيارة هذه المدينة لوعظهم عن الإيمان المسيحي. ولابد أن سمعة لول في هذا المضمار كانت قد سبقته، بوصفه معروفا بتنظيمه وإلقائه للخطب على الجاليات الإسلامية واليهودية في إسبانيا⁽¹⁾.

بالفعل زار لول بنفسه لوتشيرا سنة 1294م، حاملا رسالة من شارل الثاني كونت أنجو إلى "جيرار" حاكم لوتشيرا يأمره بتسهيل مهمة لول ومناظرة مسلميها لتحويلهم إلى النصرانية، إضافة إلى قيامه بمحاولة لتصير أسرى لوتشيرا من المسلمين الموجودين في "قلعة أوفو Castel dell'Ovo بنابولي"⁽¹⁾. وكان من بين المسجونين أيضاً مسلمون من إفريقية، تم أسرهم بتهمة ممارسة القرصنة أو غيرها من الجرائم. وقد تم القضاء نهائياً على أولئك المسلمين فنُفِروا أيدي سباً فمنهم من فرّ إلى أفريقية ومنهم من سافر إلى المشرق أما الذين احتجزوا فقد جرى تصديرهم كرهاً وأصبحت تلك المدينة نصرانية خالصة⁽²⁾. وقبل زيارة لول هذه، وقعت مناسبة واحدة على الأقل، عرفت محاولة تصير المسلمين مقابل الإفراج عنهم من السجون. ففي مارس 1284م، أصدر "بارثولوميو دا كابوا Bartolomeo da Capua"، تعليمات إلى أمر قلعة "ملفي Melfi" بتحرير المسلمين الذين تحولوا إلى المسيحية⁽³⁾.

اندمجت اهتمامات ومطامح لول التنصيرية في جنوب إيطاليا، مع تزايد نشاط هيئات المتسولين، الذين طمعوا في حملات تصير جماعية⁽⁴⁾. وبالفعل ساهم ذهاب لول إلى لوتشيرا لتصير أهلها من المسلمين، في تشجيع أفراد آخرين من هيئة الدومينيكان للقدوم إلى هذه المستعمرة، منهم "جيوفاني دا سان مارتينو Giovanni da San Martino"، الذي تواجد في

⁽¹⁾ - أنظر: Kedar , crusade and mission , p.196.

⁽¹⁾ - أنظر: Egidi (Pietro), Codice diplomatico dei Saraceni de Lucera , N.100.

⁽²⁾ - أنظر: Ibid. , p.33.

⁽³⁾ - أنظر: Julie Anne Taylor , Muslims in Medieval Italy , p.174.

⁽⁴⁾ - أنظر:

M.D.A. Cassuto, The Destruction of the Academics in southern Italy in the 13th century (Hebrew), Studies in Memory of Asher Gulak and Samuel Klein, Jerusalem , 1942 , pp. 139-52 ; J. Starr, 'The Mass Conversion of Jews in Southern Italy (1290-93), SP. , 21, (1946) , pp. 203-211.

لوتشيرا بعد بضعة أشهر فقط من اتصال الملك بـ"جيرار" حاكم المدينة وطلبه التحقيق في أمر المسيحيين الذين زعم أنهم تحولوا من المسيحية إلى الإسلام. ذلك أن الموظف الرئيسي للملك "بارثولوميو دا كابوا" كتب إلى جيرار باسم سيده، يبلغه عن إرسال المبعوثين لهذه المهمة، مما يبين الأهمية القسوى لهذه الإرساليات في عهد لول. وأصدر تعليمات لحاكم لوتشيرا بأن يعلن أمام الملأ أنه على المسيحيين الذين ارتدوا عن الإيمان الكاثوليكي أن يمثلوا أمام "جيوفاي دا سان مارتينو" في غضون فترة محددة من الزمن. معلنين توبتهم ومظهرين لطلب الرحمة. وقد تم اتهام عدد من المسيحيين بممارسة الصلاة وفقا للعقيدة الإسلامية، حيث كتب عنهم "جيوفاي دا سان مارتينو" بأنهم : " تواصلوا مع السراسنة وتم الغدر بهم من طرف هؤلاء، وعلموهم عبادتهم الإلهية"⁽¹⁾.

باستثناء الجدالات التي خاضها لول مع سكان لوتشيرا والأسرى المسلمين الموجودين في نابولي، لا تمدنا الوثائق بالمناطق الأخرى التي زارها لول في صقلية⁽²⁾. ولم يتجاهل لول تلك البيانات المتعلقة بالوضع الحقيقي لمسلمي صقلية، خاصة بعد إقامته في لوتشيرا. لذلك، فإن الغرض الرئيسي من رحلته لجزيرة صقلية والإقامة فيها، لمدة عام واحد (بداية من ماي 1313م إلى غاية ماي 1314م) على ما يبدو كان مختلفا عن الدوافع التي قادته إلى تونس وقبرص وبجاية، إذ أنه كان حدد لوتشيرا هدفا له. ومن المرجح أنه استفاد من الروح التنصيرية للملك فردريك الثالث، الابن الثالث لبيدرو ملك أراجون، وشقيق خايمي الثاني في نفس المملكة، وابن اخ خايمي الثاني من ميورقة⁽³⁾. ما يعني، أن ذهاب لول إلى صقلية، كان بناء على رغبة ملكه،

⁽¹⁾ - أنظر:

Egidi, p: Codice diplomatico dei Saraceni de Lucera , N.99 ; Julie Anne Taylor , Muslims in Medieval Italy , p.174.

⁽²⁾ - بسبب الثورات التي أشعلوها إبان النصف الأول من القرن 13م، ومنذ نفيهم وإبعادهم ، بقي عدد قليل من المسلمين في صقلية، وعاش معظمهم في الخفاء، وليس في مدينة مسينيا بل في الجبال. أنظر:

M. AMARI, Storia dei Musulmani di Sicilia , 2a. ed. , Catania , 1933-1939 , III, p. IIIa y pp.894-895 ; D. URVOY, op. cit., p.128.

⁽³⁾ - أنظر:

Francesco Fiorentino , Raimondo Lullo in Sicilia: itinerario bio-bibliografico Il Mediterraneo del '300: Raimondo Lullo e Federico III d'Aragona, re di Sicilia. Omaggio a Fernando Domínguez Reboiras. Atti del Seminario internazionale di Palermo, Castelvetro-Selinunte (TP), 17-19 novembre 2005 cur. Alessandro Musco - Marta M.M. Romano, Turnhout, Brepols 2008

وجزء من خطة طموحة ومهمة وبرنامج شاملين، بهدف تحويل الوجود الإسلامي فيها إلى المسيحية.

كان لول يُكّن احتراماً وتقديراً كبيرين لفردريك الثالث، حتى أنه رشّحه لمنصب "السيد العام لمنظمة الروح القدس"⁽¹⁾، التي بيّن لول أحد أهدافها، وهي توحيد جميع الهيئات العسكرية الرهبانية المعروفة في العصر الوسيط في هيئة واحدة⁽²⁾. وعبر عن تصوره للدور المثالي المنوط بمملكة صقلية، في كتابه المعنون بـ: "كتاب الفرق المرتبط بالقوى الإلهية Liber de differentia correlativorum divinarum dignitatum"، الذي حرّره في جزيرة ميورقة بتاريخ جويلية 1312م⁽³⁾. أي قبل أن يبدأ إقامته في صقلية بعام واحد. وفي الصفحات الأخيرة لهذا الكتيب، يبين أنه كرّسه للإله، ويوضح أهمية فردريك الثالث والحاجة الماسة إلى تشجيعه والاعتماد في وصفه حين يقول أنه: "سيد طويل القامة، فاضل متفان يهتم بالعلوم، وله حظ وافر من النبل". ويضيف لول: "أنه سيد مبجل فريدريك ملك صقلية"⁽⁴⁾. وفي سبتمبر من نفس السنة (أي 1312م)، أنجز لول في مدينة ميورقة: "كتاب الطريقة الجديدة el Liber de novo modo demonstrandi"⁽⁵⁾، الذي خصّصه أيضاً لـ: "لجلالة السيد اللامع فردريك العظيم، الملك

(Instrumenta patristica et mediaevalia. Research on the Inheritance of Early and Medieval Christianity 49. Subsidia Lulliana 3) pp. VI-539, pp.43-84.

⁽¹⁾ - أنظر:

Garcias Palou (Sebastian), El candidato de Ramon Llull para el cargo de Maestro General de la Orden militar del Espiritu Santo, Estudios Lulianos, 1972, pp.63-77.

Ramon Llull, Memorial Quomodo Terra Sancta recuperari potest, p.96.

⁽²⁾ - أنظر:

يرى لول في هذا الكتيب أن على: "البابا والسادة الكرادلة أن يقوموا بتوحيد هيئة الاسبتارية وفرسان المعبد وهيئة فرسان سانتياجو وهيئة قلعة رباح في هيئة واحدة تحت مسمى واحد هو هيئة الروح القدس". أنظر أيضاً:

A. FLICHE-V. MARTIN, Histoire de l'Eglise, VIII, 1940, 474-476 ; R. GARCIA VILLOSLADA, S. J., Historia de la Iglesia Católica, II, Edad Media, Madrid, 838 ; J. GUTTON, L'Ordre de Calatrava, Paris, 1955, pp.1-9.

J. AVINYO, Les autres autèntiques del beat Ramon Llull, Barcelona, 1935, p.269.

⁽³⁾ - أنظر:

Ramon Llull, Liber de differentia correlativorum divinarum dignitatum, STOHR,

⁽⁴⁾ - أنظر:

Introductio generalis (ad Opera messanensia) R.O.L., I, p.12.

Ramon Llull, ed. Salzinger, IV, Moguntiae, 1729, p.16.

⁽⁵⁾ - أنظر:

ونعمة الله المسبغة على صقلية، ولأحرارها الذي يؤمنون بالإله، وكذا رئيس أساقفة البلاط الملكي أرنالد دي راساكو" (1).

الظاهر من خلال الإهداءات السابقة، أن لول كان يعرف فردريك الثالث وأرنالد دي راساكو Arnaldo de Rassaco (1306-1324م) معرفة شخصية. لكن على الرغم من ذلك، يصعب تأكيد ما إذا كان لول قد التقى الأخير قبل سنة 1313م. ومن المحتمل جدا أنه لدى عودته من تونس (1293م)، يكون قد توقف في صقلية، قبل أن يواصل رحلته إلى لوتشيرا. على الرغم من أن فردريك لم يتوج ملكا في تلك الفترة (1)، أين كان يشغل منصب القائد العام في جند أخيه خايمي الثاني ملك أراجون (2). ولم يكن أرنالدو دي راساكو أيضاً قد عين أسقفا في البلاط الملكي بعد (3).

في سنة 1292م، أي قبل أربع سنوات من تتويج فردريك ملكا على صقلية، في كاتدرائية بالرمو (25 مارس 1296م)، كان لول قد رشح فردريك لمنصب القائد العام لمنظمة الروح القدس. وفي تلك المناسبة، وصفه دون تعيينه بالاسم بالـ "القوي والمختار valens et devotus" (4). وعن طريق المواطن الجنوبي "ب. سبينولا P. Spinola". تلقى فردريك هدية من لول، حوت مجلدات عدة، منها "كتاب مواد الإيمان Liber de articulis fidei"، و"كتاب الروح Liber de anima" ومؤلف يتعلق بالسيدة العذراء (5).

في الحقيقة، كانت سيرة هذا الملك تستحق الثناء والتقدير بالنسبة للول. فقد كان مسيحيا عظيما داعية للسلام، لا يمكن أن يتسامح أبداً مع قضية القتال بين الإخوة، كما أنه لم يعمد إلى

¹ - أنظر: Ramon Llull, ed. Salzinger, IV, Moguntiae, 1729, p.16.

¹ - لم يتوج فردريك ملكا حتى تاريخ 25 مارس 1296م. أنظر:

Olivar Bertrand R. , El nostre Frederic de Sicilia, Barcelona, 1960, p.23.

² - أنظر: Ibid. , p.14.

³ - أدار أرنالدو الأبرشية من فيفري 1306م إلى غاية سنة 1324م. أنظر:

Raimundi Lulli Opera Latina, Introductio generalis , Volume I , Brepols, Palmae Maioricarum , 1959 , p.12.

⁴ - أنظر : Ramon Llull , Memorial Quomodo Terra Sancta recuperari potest, p.97.

⁵ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.220.

الاضرار بالكرسي الرسولي وهو ما صرح به أكثر من مرة عند اعتلائه عرش التريناكريا (1). وتصور لول أن الغرض من ذلك كله هو تحويل الكفار إلى المسيحية ونشر السلام المسيحي في العالم. حتى أنه ذهب إلى أبعد من ذلك، حينما اقترح تشكيل هيئة ملكية تساهم في حياة روحية مسيحية من وظائفها التشجيع على عيش في حياة فقر طوعية، وتجسيد البساطة في القصر الملكي، وإنشاء مدارس لتدريب الوعاظ (1). يصبح من خلالها الملك مدافعا عن روحية المسيحية، وعن النوايا الحقة لمُعتنقيها (2). ومن المُرجح أن فردريك تلقى مؤلفات لول الثلاث، في بداية حكمه من سنة 1296م (3).

هذه المودة التي كان يُكنها لول لملك صقلية، ظهرت مرة أخرى في سنة 1312م، حينما كرس له "كتاب المشارك المسيحي والمسلم Liber de participatione christianorum et saracenorum" (4)، الذي حرّره في جويلية من نفس السنة، لأغراض تنصيرية بحتة، في ضوء معرفته بحرص الملك الكبير على المضي في مشروع تنصير "الكُفار" (5). و"كتاب مختصر في التأمل Liber de compendiosa contemplatione"، الذي أنهاه بمدينة "ميسينا"، في ماي 1313م، مما يشهد على وجوده بتلك المدينة.

لم يكتب لول عن إقامته في صقلية في سيرته الذاتية، لأنه عندما روى سيرته للرهبان الكارثوسيان في "فوفرت Vauvert"، توقف عند إشارته لـ "كتاب ميلاد المسيح Liber natalis Pueri parvuli Christi Iesu" (6)، في ليلة رأس السنة الميلادية 1310م. لهذا كان أمل لول

(1) - كتب فريدريك إلى أخيه خايمي الثاني ملك أراجون، يُخبره بأنه لن يوافق على أي اتفاق سلام معه، مالم يترك له صقلية وبشكل نهائي ولأبنائه من بعده، فيما يتنازل عن استخلاص مداخل الكنيسة. لكن لما تأكدت سيادته على العرش، نكث عهده وراح يُمعن في مُضاعفة ضرائب الكنيسة لصالحه، كما أنه اقترح عقد قران يربط أخته "سانتا ايزابيلا Santa Isabel" بملك البرتغال. انظر:

Olivar Bertrand R., op.cit., pp.50-51.

J. STOHR, Introductio generalis, p.11.

Olivar Bertrand R., op.cit., pp.45-49.

(1) - أنظر:

(2) - أنظر:

(3) - تبدو بعضُ مضامين هذه المؤلفات بسيطة، والبعض الآخر يحمل طابعا سياسيا محضا، على أنها في المُجمل تعكس التزامه في تحويل المسلمين إلى المسيحية. أنظر:

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.222.

Ed. Wieruszowski, Estudis Franciscans, XXIX, 1935, pp.109-110.

(4) - أنظر:

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.222.

(5) - أنظر:

Ramon Llull , Vita coetanea , p.83.

(6) - أنظر:

كبيراً في أن يُجسد فريديريك الثالث (1296م-1337م)، أهدافه في تنصير المسلمين⁽¹⁾، ويكشف كتاب "المشارك المسيحي والمسلم" بوضوح أن لول كان مُدركاً للروح التنصيرية لملك صقلية وحماسته الشديدة لها، ما جعله يطيل المقام في ميسينا ويمكث فيها مدة عام كامل⁽¹⁾.

في هذا الكتاب، يطلب لول من الملك فريديريك الثالث، بصفته مصدراً للتفاني "cum sit fons devotionis"، إرسال مسيحيين مثقفين وعارفين بالدين الإسلامي إلى تلك المدينة الإفريقية، وكذا يطلب من ملك تونس، إرسال حكمائه من "السراسنة" إلى صقلية، بهدف الحوار والمساجلة حول المسيحية وشريعة محمد، تلك الجدالات التي كانت لاتزال دائرة. وأشار لول بأنه كتب مؤلفاً، لتقديمه لهذين الملكين⁽²⁾، ويعتبر عملاً موجهاً للمسلمين. إضافة إلى كتاب آخر معنون بـ"طريقة جديدة للبرهان De novo modo demonstrandi"، خصصه لملك صقلية ورئيس أساقفة بلاطه⁽³⁾، ويعرض فيه معلومات عن الدين الإسلامي، ولم يكن الغرض منه أن يرصد دعماً لمشروعه فقط ولا لقاء ما يُحرره قلمه، بل تقديم المُثل التنصيرية، وتبليغ المنصرين بالأساليب الدفاعية الفعالة، من أجل اعتمادها في مجادلاتهم المحتملة مع المسلمين، والتركيز على أهم القضايا كاثبات صحة الثالوث والتجسد ومواضيع إسلامية تتعلق أساساً بالخلق والبعث⁽⁴⁾.

كان لول عارفاً ومُلماً بأوضاع المسلمين في جنوب إيطاليا، فقد أدرك أنه حتى بعد ترحيل ونفي أعداد كبيرة منهم، إلا أن هناك عدداً معتبراً لا يزال يتواجد بها، فوضع على عاتقه برنامجاً شاملاً لمحاولة تنصيرهم وادخالهم في حضيرة الكاثوليكية⁽⁵⁾. فاعتنى بمسألة تدريب الكهنة والأساقفة على طرق الجدل الخاصة به، ولهذا يقرر "يوهان شتوهر Johannes STÖHR" بأن هذه المهمة استغرقت منه مدة عام كامل، حتى إذا فرغ منها غادر الجزيرة مطمئناً على نتائج

STÖHR, Introductio generalis (ad Opera Messanensia), p.11.

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.223.

Ed. H. Wieruszowski, Estudis Franciscans, 47, 1935, pp.110.

Ramon Llull , De novo modo demonstrandi , Ed. Salzinger, IV, Moguntiae, 1729, p. 16, n. 10, col.

Ramon Llull , , De Divina Trinitate, pp. 3-5.

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.223.

⁽¹⁾ - أنظر:

⁽¹⁾ - أنظر:

⁽²⁾ - أنظر:

⁽³⁾ - أنظر:

23.

⁽⁴⁾ - أنظر:

⁽⁵⁾ - أنظر:

عمله⁽¹⁾. ذلك أنه بين تاريخي أوت 1313م وماي 1314م، حرّر لول حوالي 37 كتيباً، تتمحور كلها على عمل المنصرين الذين اختارو العمل في مجال الإسلام بهدف تنصير أهلّه. ويميل الباحثون وعلى رأسهم "جارسياس بالو"، إلى الاعتقاد بأن النجاح والتجاوب الذي صادفه لول في صقلية، شجعه إلى السفر مرة أخرى إلى بلاد المسلمين، حيث يمكنه تحقيق مزيد من النتائج على المدى البعيد⁽²⁾.

خلفاً للرأي السابق، يشتبه "ج شتوهر" باستبعاد هذه الفكرة تماماً، ويميل إلى القول بأن لول قطع إقامته في الجزيرة بسبب فشله في حضّ المنصرين على العمل في الأراضي الإسلامية، وأنه لم يستطع التغلب على معارضة أعضاء بعض التنظيمات الدينية المتمزتين الذي أصروا على رفض مقترحاته، ومنهم أساقفة في البلاط الملكي، وأساقفة الأبرشيات ومساعدتهم والموجودين في "مسينا Messina" و "باتي Patti" و "ليباري Lipari" و "باليرمو Palermo" و "سيراكوزا Siracusa"⁽³⁾. والظاهر أن الدافع الذي حدا ببعض رجال الدين الكاثوليك الموجودين في صقلية لمعارضة لول هو عدم قناعتهم بالطرق والأساليب الدفاعية الخاصة به، وارتياهم لنجاحاتها وفعاليتها، هذا إذا لم يفهموها أصلاً لتعقيدها كما حدث مع لول وطلاب وأساتذة جامعة باريس، حينما لم يقووا على استيعاب "قنه الأعظم".

مما سبق، يظهر أن لول سخر جهوده وكتاباتاته كلها خلال إقامته في صقلية، من أجل تنصير المسلمين، ووجهها كلها إلى جميع الفئات التي ظن أنها لن تدخر جهداً في سبيل هدفه بداية من الملك إلى جميع رجال الدين المسيحيين، الذين قابل بعضهم كتاباته باستحسان كبير، خاصة تلك التي ألفها في ميسينا، فلول تصور بأن هذه البعثات هي بمثابة أوامر صادرة من الكرسي الرسولي⁽⁴⁾، وهو نفسه كان قد كتب إلى البابا نيكولاس الرابع سنة 1292م يطلب منه أن يزود رجال الدين الكاثوليك بكتبه التي ألفها في الحجاج مع المسلمين⁽⁵⁾. وعلى الرغم من أنه كان

STÖHR, Introductio generalis (ad Opera Messanensia), op.cit. , la nota 37, p.13.

¹ - أنظر:

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.224.

² - أنظر:

STÖHR, Introductio generalis (ad Opera Messanensia), p.13.

³ - أنظر:

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.224.

⁴ - أنظر:

Ramon Llull , Quomodo Terra Sancta recuperari potest, Ed. Rambaud-Buhot, p.96.

⁵ - أنظر:

معروفا في تلك الفترة ببالرمو، عدم وجود أناس يتحدثون العربية⁽¹⁾، بسبب ظروف ترحيل ونفي المسلمين منها، إلا أن هذا لا ينفي احتمالية وجود عدد قليل من رجال الدين الكاثوليك العارفين بها من جهة، ووجود عدد قليل من المسلمين من جهة أخرى، مما شجع لول على العمل هناك، مرتكزا على دعم الملك فردريك الثالث وأسقفه راساكو⁽²⁾.

من بين الكتب التي ألفها لول قبل مغادرته الجزيرة "كتاب عزاء المُتسكين Liber de coholsatione eremitarum" الذي حرر منه نسخة أخرى باللغة العربية كما يقول هو⁽³⁾، إضافة إلى تأليفه كتابا آخر "كتاب مدينة الله Liber de civitate Dei" تأسيسا بكتاب القديس أوغسطين⁽⁴⁾. والملاحظ أن جميع "الكتيبات" التي ألفها خلال إقامته في صقلية، كانت مُوجهة في المقام الأول إلى جميع رجال الدين لغرض تكوينهم وإطلاعهم على المعتقدات الإسلامية، وتمكينهم من مجادلة المسلمين في أي حوار مُحتمل⁽⁵⁾. وهكذا غادر لول ميسينا في ماي 1314م، بعد أن

M. AMARI, op.cit., pp. 894-895.

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.226.

Ramon Llull , Liber de coholsatione eremitarum, ed. Stóhr, R.O.L., 1 , p.120.

⁽¹⁾ - أنظر:

⁽²⁾ - أنظر:

⁽³⁾ - أنظر:

⁽⁴⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Liber de civitate Dei, ed. Stóhr, R.O.L., II, Palmae Majoricarum, 1960, p.201.

⁽⁵⁾ - تناولت معظم هذه الكتيبات مسائل الاختلافات السرمدية بين الإسلام والمسيحية الكاثوليكية، وتحليلها من وجهة نظر لول ، وتسمى بـ"مؤلفات ميسينا las obras mesinianas" منها :

Ed. StÖhr, ROL, I, pp. 94-503; II, pp. 21-201. Liber de definitionibus Dei "كتاب تعريف الإله". أنظر:

Idem. , I, pp.125-132.

Liber de accidente et substantia "كتاب الحدث والمادة". أنظر:

Idem. , I, pp.138-142.

Liber de actu maiori "كتاب أعظم الوقائع". أنظر:

Idem. , I, pp.189-199.

Idem. , I, pp.205-217.

Liber de medio naturali "كتاب العالم الطبيعي". أنظر:

Idem. , I, pp.223-232.

Liber de scientia perfecta "كتاب العلم الكامل". أنظر:

Idem. , I, pp.237-262.

Liber de infinita et ordinata potestate "كتاب القوة اللانهائية". أنظر:

Idem. , I, pp.267-275.

Liber de Minore loco ad maiorem "كتاب احترام العظيم". أنظر:

Idem. , I, pp.300-308.

Liber de sanctitate Dei "كتاب قداسة الإله". أنظر:

Idem. , I, pp.313-317.

Liber de divina unitate "كتاب الوحدة الإلهية". أنظر:

Idem. , I, pp.322-327.

Liber de inventione Dei "كتاب اكتشاف الإله". أنظر:

Idem. , I, pp.393-401.

Liber de concordantia et contrarietate "كتاب التناقض والتناقض". أنظر:

Idem. , I, pp.407-435.

Liber de potestate pura "كتاب القوة النقية". أنظر:

Idem. , I, pp.441-451.

Liber de intelligere Dei "كتاب الإدراك". أنظر:

Idem. , I, pp.461-483.

Liber de divina voluntate infinita et ordinata "كتاب إرادة الإله اللانهائية". أنظر:

Idem. , I, pp.489-503.

Liber de Deo maiore et Deo minore "كتاب الإله العظيم والابن". أنظر:

Idem. , II, pp.21-40.

Liber de affirmatione et negatione "كتاب النفي والايجاب". أنظر:

Idem. , II, pp.45-58.

Liber de justitia Dei "كتاب عدل الإله". أنظر:

Idem. , II, pp.62-69.

Liber de fine et maiortate "كتاب نهاية الغالبية". أنظر:

Idem. , II, pp.84-95.

Liber de perfecto esse "كتاب الكمال". أنظر:

Idem. , pp.101-116.

Liber de objecto finito et infinito "كتاب المتناهي والكائن اللانهائي". أنظر:

Idem. , pp.121-130.

Liber de memoria Dei "كتاب ذكر الإله". أنظر:

أمضى سنة كاملة في جزيرة صقلية، لم تترك لنا الوثائق أدلة عن جداله للمسلمين فيها، ليتجه بعدها إلى تونس في رحلته الثانية إليها.

هـ - رحلة لول إلى شرق المتوسط (قبرص وأرمينيا).

لم يكن هدف الرحلة التي قادت لول إلى قبرص مباشرة، التوجه إلى جمهور المسلمين وتطهيرهم، مثلما كان الحال في تونس وبجاية وصقلية، ولا المثل الداعية إلى توحيد العالم المسيحي تحت لواء الكاثوليكية⁽¹⁾، على الرغم من أنه في أول إقامة له بالشرق المسيحي (1279-1282م)⁽²⁾، لم ينكر وجود عدد من اليعاقبة والنساطرة عاشوا فيها لعدة قرون⁽³⁾، فضلا عن وجود مسلمين يعيشون في الجزيرة⁽⁴⁾، إضافة إلى الإغريق والمارونيين الذين لم تأت السيرة الذاتية على ذكرهم.

في أواخر العام 1300م، قرّر رامون لول السفر إلى بلاد الشام حينما تواردت إلى أسماع سكان ميورقة أخبار عن غزوها من جانب المغول، وذلك لمقابلة غازان خان -الذي كان قد اعتنق الإسلام- ودعوته إلى الدخول في المسيحية. ولكنه وصل متأخراً فلم يستطع مقابلة غازان خان حيث انسحب المغول قبل وصوله. ولأن قبرص وأرمينيا كانتا هم السبيل الوحيد للوصول إلى المغول، فقد توجه لول إلى قبرص في الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر عام 1300م وأوائل عام 1301م⁽⁵⁾، ولعل لول كان عارفا باقتراح ملك أراجون "خايمي الثاني" لفتح المجال للتفاوض مع

Idem. , pp.151-160.

Liber de perseitate Dei "كتاب استحقاق الإله". أنظر:

استخدم لول في هذه الكتيبات تقنيات كثيرة تتصل بالمنطق، وأسلوبها ابعده ما يكون من النسيج الأدبي، بحكم تخصصها في الحجاج.

أنظر: Anthony Bonner , The Art and Logic of Ramon Llull: A User's Guide , BRILL, 2007 , p.251.

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , pp.189-190.

⁽¹⁾ - أنظر:

Garcias Palou (Sebastian) , El Miramar de Ramon Llull , p.195.

⁽²⁾ - أنظر:

⁽³⁾ - تذكر السيرة الذاتية اليعاقبة في مفردة Iacopinos والنساطرة بـ Nosculinos . أنظر:

Ramon Llull , Vita coetanea , p.68.

⁽⁴⁾ - لم تقتصر السيرة على ذكر المسلمين بالسراسنة، بل جاءت على ذكرهم بالمؤمنين "Momminos". أنظر:

Ibidem. أغفلت السيرة طائفة المارونيين الذين كانوا يعيشون بكثرة في جزيرة قبرص، على الرغم من أن لول أدرجت الفئات السابقة ضمن خانة المنشقين .

⁽⁵⁾ - يدعم هذا الرأي إنهاء كتابه "كتاب الإله Libro de Deu" في بداية شهر ديسمبر من سنة 1300م في جزيرة ميورقة، أي قبل هذه الرحلة . أنظر:

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.189.

ملك قبرص، عن طريق سفيريه "بيري دي بورتس Pere des Portes " (1293م) و"بيري سوليفرا Pere Solivera " (1300م)، بغية التحالف مع القبارصة، والتأسيس لعلاقات جيدة من أجل مشاريع مستقبلية لمملكة أراجون⁽¹⁾.

لم يكن لول يعرف اللغة اليونانية ولم يتحدث بها ولا كان يكتب بها، ولهذا السبب، فإن خلافاته مع المسيحيين المنشقين القبارصة، استعصت حتى على المترجمين من رجال الدين⁽²⁾، على الرغم من وجود عدد كبير منهم وأغلبهم من المتحدثين باللغة الفرنسية⁽³⁾. ولكن استقرار المسلمين في الجزيرة لأربعة قرون، قبل غزو الصليبيين لها، واحتكاكهم بالمسيحيين النساطرة واليعاقبة على وجه الخصوص، مكن للغة العربية، التي لم يجد لول صعوبة في التواصل مع الناطقين بها⁽⁴⁾.

طلب لول من ملك قبرص الصليبي هنري الثاني دي لوزجان الذي كان واحداً من أهم الشخصيات الرئيسية الفاعلة في السياسة المسيحية بالشرق، أن يساعده في مهمة تنصير

ومن دواعي المفاجأة والغرابة أن لول، الذي عاش حياته مُهتماً كثيراً بأحداث العالم المسيحي، لم يزر مدينة روما بمناسبة إحياء عيد ميلاد المسيح سنة 1300م، والذي صادف أيضاً ذكرى رشامة البابا بونيفاس الثامن.

⁽¹⁾ - أنظر:

L. NICOLAU D'OLWER, L'expansió de Catalunya en la Mediterrània oriental, Barcelona, 1926, p.165.

Ramon Llull, Vita coetanea, p.68.

⁽²⁾ - أنظر:

⁽³⁾ - أنظر:

L. BREHIER, L'Eglise et l'Orient au moyen-âge. Les Croisades, Paris, 1928, cap.VIII.

⁽⁴⁾ - يشير رامون لول في "كتاب الغاية" إلى أن "المنشقين لهم كثير من الطوائف، ولكنهم ينقسمون إلى ثلاث فئات رئيسية: اليونانيين، النساطرة واليعاقبة". "أنظر:

Ramon Llull, Darrer llibre sobre la conquesta de Terra Santa (Liber de Fine), Gayà, Jordi & Pere Llabrés (eds.), Barcelona, Facultat de Teologia de Catalunya/Fundació Enciclopèdia Catalana, 2002, p.84.

لهذا فإن مؤلف لول ذا الصبغة الدفاعية عن المسيحية والذي يتحدث عن انشقاق الكنيسة الشرقية، اقتصر عملياً على تنفيذ الخطأ الجوهرى للثالوث عند اليونانيين والخطأ الخاص بطبيعة المسيح الأولى عند اليعاقبة والنساطرة. وفي رحلة لول الأولى إلى شرق المتوسط تكون له سوء فهم وتصور مغلوطين لعقائد هذه الفئات، ففي "كتاب عقيدة الطفل Doctrina pueril" (1282م)، الذي ألفه خلال عودته، أدرج هذه الطوائف في خانة الأمم الوثنية. أنظر:

Ramon Llull, cap. 72. De gentils, p.128, n.3

ويشير لول أيضاً إلى موالاة النساطرة للمسلمين في كتاب "مجادلة رامون المسيحي وعمار السراسيني" (1308م) بقوله: "بواسطة الوعود التي يطلقها المسلمون عن جنتهم بالثروات والنساء، استطاعوا تحريف حقائق وقوانين المسيحيين، إلى درجة أنهم قدموا المساعدة للمسلمين، كما أن فريقاً منهم خدم في جيش السلطان، ومنهم من قال أن ثلث جيش السلطان كان مكوناً من مسيحيين". أنظر:

Ramon Llull, Disputatio Raimundi christiani et Hamar saraceni, op.cit., Edic. Salzinger, IV, Moguntiae, 1729, p.46, n.1.

المسلمين، وزعم له أن خير وسيلة لتحويل المسلمين إلى المسيحية هي أن يكشف لهم -حسب تصويره- خطأ عقيدتهم. ولا تمدنا المصادر تفاصيل عن العمل الذي قام به لول مع ملك قبرص في سبيل تحقيق هدفه بتنصير المسلمين. ولكن ملك قبرص كان حينذاك على إمام بأوضاع بلاد الشام في تلك الحقبة خاصة وأنه كان قد تلقى رسالة من ابن تيمية هي الرسالة المعروفة بالرسالة القبرصية وفيها شرح ابن تيمية عقيدة التوحيد التي هي عقيدة الإسلام، وأن الأنبياء جميعاً بُعثوا بدعوة واحدة هي التوحيد وأن لا معبود بحق إلا الله، وأن النصارى انحرفوا عن عقيدة التوحيد واتبعوا القسيسين والرهبان وما أحدثوه من تحريف في دين المسيح، وأشار إلى التناقض الواقع في عقائد النصارى والعبادات التي ابتدعوها ثم قارن بين اليهود والنصارى، وأشار إلى أن أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هي الأمة الوسط. ودعا ابن تيمية ملك قبرص إلى اتباع الدين الحق وبحث الأمر بجد وسيجد أن ذلك سيفضي به إلى الإسلام، كما أوصاه بإطلاق سراح الأسرى المسلمين الذين أسره القبارصة في البحر غدرًا⁽¹⁾.

يبدو أن ملك قبرص أطلع لول على رسالة ابن تيمية، وكان لول حينذاك يجمع مادة كتيبه، فردّ لول على رسالة ابن تيمية بأن بعث إليه بكتاب قديم ألفه أحد علماء الكنيسة الشرقية ويدعى بولس الراهب أسقف صيدا الأنطاكي (ت 770م). وقد أشار ابن تيمية إلى هذا الكتاب الذي بعث به لول من قبرص إلا أنه لم يصرح باسم المرسل، وردّ ابن تيمية على ذلك الكتاب بكتابه الفريد "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" وقد صرح ابن تيمية بأن سبب تأليفه لكتابه الجواب الصحيح أن كتاباً ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى، بما يحتج به علماء دينهم وفضلاء ملتهم قديماً وحديثاً، من الحُجج السمعية والعقلية، فاقترض ذلك أن نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب، وبيان الخطأ من الصواب لينتفع أولو الألباب، ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب. وأن أذكر ما ذكره بالفاظهم بأعيانها فصلاً فصلاً، وأتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعاً وأصلاً، وعقداً وحلاً. وما ذكره في هذا الكتاب هو عمدتهم التي يعتمد عليها

⁽¹⁾ - لهذه الرسالة القبرصية تسمية أخرى هي : خطاب لسرجواس ملك قبرص، والمثير فيها أن ابن تيمية طالب ملك قبرص بفك أسر أهل الذمة قبل المسلمين، وقال عبارته الشهيرة : إنهم اهل ذمتنا". ارجع إلى: ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني)، الرسالة القبرصية، تحقيق : قصي محب الدين الخطيب ، دار المطبعة السلفية، الرياض، 1974، ص.39.

علمائهم في هذا الزمان، وقبل هذا الزمان، وإن كان قد يزيد بعضهم على بعض بحسب الأحوال، فإن هذه الرسالة وجدناهم يعتمدون عليها قبل ذلك، ويتناقلها علمائهم بينهم، والنسخ بها موجودة قديمة وهي مضافة إلى بولص الراهب أسقف صيدا الأنطاكي، كتبها إلى بعض أصدقائه وله مصنفات في نصر النصرانية ... وقد عظم هذه الرسالة وسماها : الكتاب المنطقي الدولة خاني المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم" (1).

يتضح من نصوص كتاب بولس الأنطاكي التي أوردها ابن تيمية، أنها تحاول تشكيك المسلمين في دينهم وإثبات صحة دين المسيحية، وهي الطريقة التي سار على منوالها رامون لول. وقد فند ابن تيمية تلك الرسالة فصلا فصلا وأثبت أن جميع الأدلة التي يستدلون بها على صحة معتقدهم إنما هي أدلة تثبت فساد عقيدة المسيحيين وانحرافهم عن الدين الحق الذي بعث به سائر الأنبياء. وأثبت بالأدلة القاطعة صحة دين الإسلام، وأنه الدين الحق (2).

تذكر السيرة أن لول أثناء إقامته في "ليماسول" بجزيرة قبرص أقعده المرض، وبقي في ضيافة "جاك دي مولاي" سيد هيئة فرسان المعبد، الذي أكرمه وأحسن وفادته (3)، لأنه كان يمثل لهم نموذجا أعلى للقتال ضد المسلمين (4)، هذا على الرغم من الطلب الذي قدمه لول للبابا نيكولاس الرابع لدمج وتوحيد جميع الهيئات العسكرية في منظمة واحدة تدعى "هيئة الروح القدس" (5). وربما بسبب امتنانه لصنيع قائد هيئة فرسان المعبد، لم ينضم لول أبدا لمقترح فيليب

¹ - ابن تيمية (أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني) ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج. 1 ، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وآخرون، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999، ص. 101.

² - نفسه، ص. 101.

³ - أنظر: Ramon Llull , Vita coetanea , p.68.

⁴ - في الواقع، كانت هيئة فرسان المعبد، الهيئة الوحيدة المستعدة لمواصلة الحرب ضد المسلمين، في وقت لم يبد فيه أي كيان لاتيني في غرب أوروبا أدنى استعداد لتنظيم أو تجهيز حملة جادة، حتى أن بعضها عكف على ربط تجارته بالمسلمين، على الرغم من الحضر الذي أقره البابا بتحريم التجارة مع مصر، ليأتي البابا بونيفاس الثامن فيما بعد لاتخاذ جملة من الإجراءات ضد هيئة الاستبائية. أنظر:

D. Urvoy, op.cit. , p.186.

⁵ - أنظر: Ramon Llull , Memorial Quemado Terra Sancta recuperari potest, p.96.

الرابع الوسيم والبابا كليمنت الخامس القاضي بجل هذه المنظمة ومُصادرة أملاكها (1). ولو أنه لم يعلن رفضه الصريح أيضا.

بعد رحلته الأولى إلى قبرص، اتجه لول إلى أرمينيا، ففي التاريخ الذي يحمله "كتاب إيمان المرء بالإله Libre que deu hom creure de Deu"، نعلم أنه تواجد في ميناء "آياس Ayas" بتاريخ جانفي من عام 1302م. لكنه مكث لمدة قصيرة جدا، ودليل ذلك ما وثقه لول في "كتاب الأمثال الألف Mil proverbis" حينما يذكر عودته السريعة لجزيرة ميورقة في نفس السنة (2). ويتضح سبب زيارته لأرمينيا، كونها أكثر من قبرص تمثل مصدر خطر على المسلمين، وحكمها من طرف الملك "هيثوم الثاني Haiton II" ولعل لول رغب كثيرا في لقائه، خصوصا أنه قد ساعد "غازان خان" في مشروعه لغزو بلاد الشام (3). لكن لا شيء تحقق، خاصة بعد أن تنازل هيثوم الثاني على العرش لصالح أخيه، على أن الوضع في أرمينيا بالنسبة للول كان أفضل من قبرص، نتيجة للاتصالات والحروب التي عقدها الأرمن مع المغول، مما جعل مأمورية تنصيرهم في نظر لول سهلة جدا، وهو ما أسر به للبابا نيكولاس الرابع سنة 1292م -أي قبل رحلته لأرمينيا.

يظهر أن مشروع تنصير المغول قد دفع لول إلى تأليف مجموعة من الكتب منها "Liber super psalmum" ويعرف أيضا باسم "sive Liber tartari et christiani" سنة 1285م (4). وكذا "كتاب الغاية Liber de Fine" سنة 1305م، و"كتاب استرداد الأراضي المقدسة Liber de acquisitione Terrae Sanctae" (1309م)، ويكرر في هذه المؤلفات السبب الذي يجعل تحقيق مثل المشروع سهلا ويسيرا وهو عدم وجود قانون ديني يحكمهم، وهو نفس السبب الذي صاغه في مُذكرة تحمل عنوان "امكانية استرداد الأراضي المقدسة memorial

¹ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y la abolición de los templarios, Hispania Sacra, XXVI, pp.123-136.

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.192.

Loc.cit.

Ramon Llull , Liber super psalmum Ed. Salzinger, IV, Moguntiae, 1729,p. 30.

² - أنظر:

³ - أنظر:

⁴ - أنظر:

Quomodo Terra Sancta recuperari potest"، التي عرضها على أول بابا فرانسيسكاني⁽¹⁾.

ليس معروفا في ضوء الوثائق والبيانات المتاحة، ما إذا كان لول خاض نقاشات ومجادلات في أرمينيا الصغرى مع المنشقين، مثل تلك الذي خاضها في قبرص. خاصة أن أرمينيا كانت موطننا لليعاقة والمونوفزيت، المعروفين تحت اسم الأرمن الغريغوريين⁽²⁾. لكن من المرجح جدا أن لول كان يعرف أسماء ملوك التتار، المنقول بعضها في كتاب له بعنوان "حول مدى ملائمة الإيمان وفهم وجوده وهدفه Liber de convenientia fidei et intellectus in obiecto حرره عام 1304م⁽³⁾، وكذا كتاب "مجادلة رامون المسيحي مع عمار السراسيني"⁽⁴⁾. لكن الأمر المثير الذي يراه لول لحل المشكلة الشرقية والتي يعتبرها مشكلة عالمية، يتمثل أساسا في إخضاع المسلمين، ويقول أنها مفتاح أساسي لهذه المعضلة. خاصة أن الأخبار التي كانت ترد على جزيرة ميورقة في أواخر عام 1300م وأوائل 1301م، كانت ذات طابع إسلامي محض، الأمر الذي كان كافيا للتحرك الفوري للول نحو قبرص كما تذكره السيرة⁽⁵⁾.

بالحديث عن الزيارة المحتملة للول إلى بيت المقدس، وعلى الرغم من أن السيرة المعاصرة سككت عن ذكرها، إلا أن هناك إشارة وحيدة في مؤلفاته عن زيارته لها انطلاقا من قبرص⁽⁶⁾. ومما يُعزز إمكانية حدوث هذه الرحلة، العلاقات الجيدة التي ربطت ملك أراجون مع سلطان مصر

¹ - شكّل المغول، في فكر لول، أحد العناصر المهمة في القضايا الشرقية التي طرحها للنقاش. وسيأتي النقاش حول هذه المسائل عند الحديث عن المخططات الصليبية لرامون لول. أنظر:

Garcias Palou (Sebastian), Cisma y problema oriental, Ecclesia, XIX, n.942, agosto, 1959, pp. 127-128.

² - أنظر: HEUSSI-MULERT, Atlas zur Kirchengeschichte, III, A y B, Tübingen, 1919 .

³ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.193.

⁴ - أنظر: Ibidem .

⁵ - أنظر: Ramon Llull , Vita coetanea , p.66.

⁶ - أنظر:

Fernando Dominguez Reboiras , Ramon Llull : El mejor libro del mundo , Arpa editores , Barcelona , p.250.

المملوكي⁽¹⁾. ففي رسالة مؤرخة بـ 06 أبريل 1300م، تحمل نبذة ودية، وافق السلطان الناصر محمد بن قلاوون بسخاء، على سلسلة من طلبات الملك خايمي الثاني تتضمن تسهيلات تجارية بحرية، ولكنها تتيح أيضا "لأولئك الذين يريدون زيارة أورشليم انطلاقا من أراجون في سلام وأمن". والأمر الأكيد أن رامون لول لم يفوت هذه الفرصة المتاحة⁽²⁾. إذ ينعكس ذكر هذه الرحلة في "كتاب الغاية" بشكل مجازي كما هي عادة كُتاب العصور الوسطى⁽³⁾.

لم تتمخض جهود لول ورحلته إلى الشرق عن نتائج عملية لصالح المسيحيين، فدولة المماليك في تلك الفترة كانت في أوج قوتها في مصر والشام وفيها الكثير من العلماء الأفذاذ أمثال ابن تيمية وتلاميده. إضافة إلى أن الجيش المغولي تعرض للهزيمة مرة أخرى سنة 1303م في مرج الصقر خارج دمشق⁽⁴⁾.

و - رحلات لول الأخيرة إلى إفريقية⁽⁵⁾.

ترك لول جزيرة صقلية بعد إقامته فيها لمدة عام كامل، ألف خلالها العديد من الكتب قدرت بنحو ثلاثين عنواناً. ومن الصعب تحديد مدى رضاه عن إقامته هناك وإلى أي مدى تحققت آماله التي عقدها على ملكها فردريك الثالث. ولكن الأمر الأكيد هو أن فشلاً جديداً وخيبة أمل أخرى صادفته في العديد من محاولات الحصول دعم الملوك والأمراء المسيحيين، بسبب أوهامه الكبيرة

⁽¹⁾ - محمد محمود أحمد النشار، علاقة مملكتي قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك (1260-1341م / 658-741هـ)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997، ص.ص. 98-122.

⁽²⁾ - أنظر: Fernando Dominguez Reboiras , Ramon Llull : El mejor libro del mundo , p.250.

⁽³⁾ - جاء في "كتاب الغاية" ما يلي: "لقد وقفت أكثر من مرة بجانب مذبح القديس بطرس في روما. ورأيت مزينا بكثير من الزخرف، ومضاء بشكل لافت. رأيت كيف أن البابا احتفل مع كرادلته، بحضور جوقة كبيرة من المرتلين التي أشادت وباركت بسيدنا المسيح. مع ذلك، هناك مذبح آخر هو في الأصل سيد جميع المذابح الأخرى. عندما رأيت أضواء فقط اثنين من المصابيح، وواحد منها كسر. هاته المدينة التي زرتها (يعني بيت المقدس) بالكاد يعمرها خمسون نسمة، ولكن الثعابين كامنة في كل مكان من زواياها. إنها أسمى المدن جميعاً، إننا نتحدث عن المدينة السماوية". أنظر:

Ramon Llull , Liber de Fine , R.O.L. , IX , p.272s.

⁽⁴⁾ - أنظر: محمد محمود أحمد النشار، المرجع السابق، ص. 130 وأنظر أيضاً: Aziz Suryal (Atiya), op.cit. , p.91.

⁽⁵⁾ - ارجع إلى شرح ياقوت الحموي لإفريقية، حيث يذكر من بين حدودها أنها تمتد من طرابلس الغرب من جهة برقة إلى بجاية، وقيل إلى مليانة. الحموي (ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله)، مُعجم البلدان ، مج.1، دار صادر، بيروت، 1977 ، ص.228.

وتقاؤه المفرط. وليس هناك معلومات إضافية تُوضح علاقاته مع ملك صقلية خلال إقامته في الجزيرة⁽¹⁾.

ليس معروفًا لدينا بدقة متى وكيف انتقل لول إلى تونس، ولكن من المُفترض أنه وفد إليها من جزيرة صقلية، والتي على الأرجح، تعود إلى العلاقات الطيبة التي تربط المملكتين وسهولة العثور على سفينة نقله من هناك. مع ذلك، هناك وثيقتان مشكوك في صحتها توثقان عودة لول إلى ميورقة بين جوان وجويلية من عام 1314م ورحلة إلى بجاية في سفينة أبحرت من ميورقة في 14 أوت 1314م. رحلته البحرية من بالما دي ميورقة إلى بجاية الواردة في الوثائق (المشكوك فيها تاريخياً) التي تعود إلى تاريخ تقديسه سنة 1612م⁽²⁾: "لاحظ أن اليوم، الثلاثاء 14 أوت من سنة 1314م، المعلم رايغونددو لولوس ركب على متن السفينة للذهاب إلى بجاية، وكان في توديعه جمع غفير من الناس وخاصة هيئة المحلفين، ومنهم لويس دي سان مارتين Luis de San Martín واندريس رويج Andrés Roig ... والأخ أنطونيو فيرير Antonio Ferrer وغيرهم كثير، واعتراهم شعور عظيم لمهمة لول، وبعد شهر كتب إلى أعضاء هيئة المحلفين على شاكلة هذه الطريقة..."⁽³⁾.

يعتقد "غارسياس بالو" أن لول أبحر من صقلية إلى قطلونيا، من أجل الحفاظ على اتصالاته مع أسرة أراجون، في محاولة منه للحصول على التوصيات والمعلومات، لأن تجاربه السابقة في العمل التنصيري علمته أن العقبات التي اعترضته كان سببها عدم وجود أي تسهيلات أو معلومات مفصلة عن المناطق التي يزعم التنصير بها⁽⁴⁾.

على أي حال، وسواء انطلق لول من جزيرة صقلية، أو عن طريق ميورقة أو بجاية، فقد وصل لول إلى تونس بتاريخ سبتمبر أو أكتوبر من عام 1314م⁽⁵⁾. وكان هناك آمنة على نفسه

¹ - أنظر: Fernando Dominguez Reboiras , Ramon Llull : El mejor libro del mundo , p.335.

² - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.233.

³ - أنظر: Ramon Llull , Epístola Raimundi quam misit ad iuratos Maioricarum , en : ROL , Vol.II.

⁴ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.233.

⁵ - لم تأت سيرة رامون لول "الحياة المعاصرة" على ذكر أحداث رحلته الثانية إلى تونس، إذ انها تتوقف عند أحداث سنة 1311م. ويقرر "غارسياس بالو" أنه تواجد في تونس قبل تاريخ 04 نوفمبر 1314م، ودليل ذلك الرسالة التي أرسلها الملك خايمي الثاني

من الاضطهاد بسبب توصيتين من ملك أراجون إلى كل من السلطان ابن اللحياني وترجمانه القطلوني. إضافة إلى أن ابن اللحياني سلطان تونس لم ينسى أن مملكة أراجون وبمساعدة من فردريك الثالث ملك صقلية، قد سهلوا مهمة جلوسه على العرش، وهي قضية كانت معلومة بالنسبة للجميع، والأكد إذا أن هذا الأمر لم يغفله رامون لول حينما قرر الإبحار إلى تونس⁽¹⁾. وبفضل هذه الرعاية السامية، يبدو أنه تمكن من القيام بمهمته التصيرية بدون صعوبات تستحق الذكر، وذلك طوال سنة ونصف السنة وفي شهر ديسمبر، كما جاء في خاتمة كتابين أنهما هناك، موجهين إلى ملك وقاضي تونس، تحدث فيهما ببراعة واقتدار. ويقول أنه كان مدهوشا للحرية التي دفعته إلى تأليف هذين الكتابين اللذين كرسهما إلى تبيان زيف "الطائفة المحمدية". أسرفت مؤلفاته في ذكر تفاصيل رحلته الأخيرة إلى تونس، فقد حرر لول 25 عملاً تتضمن مجادلاته مع ملكها ورجال الدين المسلمين⁽²⁾.

لثقة لول العمياء بأن المنطق والحجاج به سبيل إلى الهداية إلى المسيحية، فقد ضمّن مؤلفاته والتي تُعد الأخيرة طريقته في الجدل، وأنها طريقة جديدة أكثر ملائمة للواقع. من هذه الرسائل أيضاً، رسالة أهداها لول إلى أحد فقهاء تونس، ولترجمة تلك الرسائل إلى اللاتينية، طلب بواسطة الملك خايمي الثاني، أن يُرسل إليه تلميذه السابق الراهب الفرنسيسكاني سيمون بيجسيردا. وقد تدخل ملك أراجون عن طيب خاطر لدى الفرنسيسكان لتلبية الطلب المذكور. وهو ما يظهر في الرسائل التي وجهها خايمي الثاني إلى المسؤول عن تنظيم الإخوة الأصاغر التابع للفرنسيسكان في أراجون وحامي الدير في لاردة⁽³⁾، التي تخبرهم بمجادلات لول في تونس، وتحريره لبعض الكتب⁽⁴⁾. بالإضافة إلى ذلك، يشير إلى تمكنه من تنصير خمسة من المسلمين الذين كانوا نبلاء ومُتقنين⁽⁵⁾.

إلى رامون لول، والمحركة في لاردة بتاريخ 05 نوفمبر 1314م. ولولا الرسائل المتبادلة بين خايمي الثاني ولول والمؤلفات التي حررها لول والمؤرخة بتونس لما عرفنا شيئاً عن تواجده الثاني في تونس. أنظر الملحق رقم 04.

⁽¹⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian) , Ramon Llull y el Islam , p.233.

⁽²⁾ - أنظر : Fernando Dominguez Reboiras , Ramon Llull : El mejor libro del mundo , p.337.

⁽³⁾ - أنظر: Garcias Palou (Sebastian) , Ramon Llull y el Islam , p.235.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ibid. , p.335.

⁽⁵⁾ - أنظر: Ibidem.

من بين الكتب التي ألفها لول خلال إقامته الثانية في تونس، نجد الكتاب المعنون بـ"خطة الفن Ars consilii"، وهو مُوجه كما يقول لول إلى "الأمرء وعلية القوم ومن دونهم principibus et praelatis et eorum submissis" (1). وقد ترجم لول هذا العمل أيضا إلى اللغة العربية، حتى يزيل اللبس عن بعض القضايا التي تعذرت على المترجم نقلها إلى القضاة المسلمين الذين جادلهم لول ، كما يظهر في العمل امتنان للسلطان ابن اللحياني وكذا القضاة (2). والجدير بالذكر أنه لم يتطرق في بداية هذا الكتاب إلى قضايا التجسد والثالث، خاصة أن عقيدة التثليث هي أول ما يتصادم في نظره والنظرة الإسلامية للتوحيد، ولكنه أثارها فيما بعد، بعد شهرين، في كتابيه المعنوين بـ"كتاب اكتشاف المزيد Liber de inventione maiore" و"كتاب وكلاء المزيد Liber de agentia maiore"، اللذين حررهما في سبتمبر من عام 1315م (3).

في رحلته الثانية التي قادته إلى تونس، استفاد لول مرة أخرى من العلاقات الدبلوماسية والتجارية التي ربطها راعيه الملك خايمي الثاني مع الملوك الحفصيين (4). وأيضاً تلك التي وقعها سانشو الأول ملك ميورقة في نوفمبر 1312م مع ملك تونس أبو زكرياء ابن اللحياني (1311-1317م)، في الوقت الذي عزز رامون مونتانيير ملكيته لجزيرة جربة. وقد شجع هذا الوضع لول على العمل وأيقظ من جديد أحلامه التبشيرية (5). وخلال أربعة عشر أو خمسة عشر شهراً، وهي مدة إقامة لول الثانية في تونس، تمكن من العمل والعيش بهدوء كبير، على عكس الظروف التي نشط بها في إقامته الأولى بتونس وبجاية. لكن وفي بعض الأحيان، كان لول يعمل بشكل سري مختفياً في بيوت التجار، ويرتدي ملابس عربية، ودعاه البعض بالقسيس (1).

Ramon Llull , Ars consilii , en : R.O.L. , Vol.II , p.217.

¹ - أنظر:

Garcias Palou (Sebastian) , Ramon Llull y el Islam , p.235.

² - أنظر:

Ramon Llull , Liber de agentia maiore , en :R.O.L. , Vol.II , p.288.

³ - أنظر:

⁴ - أنظر:

Dufourcq , "La Mediterranée et le Christianisme : cadre géopolitique et économique de l'apostolat missionnaire de Ramon Llull" , Estudios lullianos , 24 , 1980 , pp.5-22.

Fernando Dominguez Reboiras , Ramon Llull : El mejor libro del mundo , p.337.

⁵ - أنظر:

Garcias Palou (Sebastian) , Ramon Llull y el Islam , p.238.

¹ - أنظر:

مع ذلك، يبدو أن لول كرّس تقريبا كل كتاباته التي حرّرها في تونس إلى السلطان ابن اللحياني، الذي خصّص له "كتاب عن الله والعالم Liber de Deo et de mundo"، الذي نقش في واجهته عبارة : "Alcadi Saraceno, episoopo Tunicii, et suis Sapientibus clericis". وهو العمل الذي يُركز فيه بشكل كبير على العقائد المسيحية الرئيسية التي نفاها الإسلام وهما عقيدتا التثليث والتجسّد، ويقترح تلقين استدلالاته العقلية للسلطان والقاضي وجميع رجال الدين في مملكته ⁽¹⁾. كما أنه أولى أهمية للقضايا الأخرى مثار النقاش مثل: الله وأصل الشر والصفات الإلهية، وهي مسائل كانت فيها اختلافات جذرية بين المسيحيين والمسلمين في الأندلس. ويدعي لول أن القاضي أو المفتي ورجال الدين التابعين له عبروا عن استحسانهم لحججه وعبروا عن ذلك بجملة أوردها لول : "أن المسيحيين أفضل وأقرب إلينا من الطوائف الأخرى Lex christianorum est melior et verior alia lege" ⁽²⁾. والمحمّل أن جواب القاضي ومن معه كان الآية الكريمة "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيّينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" ⁽³⁾. مما يوحي بالجو المفعم بنوع من الاحترام خلال المجادلات التي دارت بينهم في تونس.

في ظل هذه الظروف السياسية والدينية الملائمة، من غير المعقول أن يكون لول قد مات تلك الميته العنيفة التي تصفها بعض المصادر المسيحية المتأخرة، أي رجما بالحجارة حتى الموت، حتى وإن كان لول قد أسّر برغبته في الاستشهاد على الطريقة المسيحية، وأن ينهي حياته مثلما ذكر في بعض من مؤلفاته على الأراضي الإسلامية، فقد ظل في تونس حتى ديسمبر 1315م أو بداية عام 1316م، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، إذا كان لول قد قام بحركته الاستشهادية في تونس، فإنه كان على كل من قائد الجند المسيحي "غييرمو رامون دي مونكادا"، أو السفير "أولومار" أو الترجمان "خوان جيل"، وخاصة الأخير الذي أوصاه خايمي الثاني، أن

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull , Liber de Deo et de mundo , en : R.O.L. , Vol.II , p.341.

⁽²⁾ - أنظر: Ibid. , p.341.

⁽³⁾ - سورة المائدة ، الآية 82.

يرسلوا للملك بخبر وفاة لول، وهو ما لم يحدث أو يوثق. مما يؤكد أن حياة لول لم تنتهي في تونس أو بجاية (1).

تلقى لول رسالة من خايمي الثاني تتضمن نسخة من خطاب توصية كان قد أرسلها من قبل إلى سلطان تونس مع المترجم الذي يدعى "خوان جيل" إلى تلك المدينة (2). ويظهر في هذه الرسالة حجم القلق الكبير الذي أولاه خايمي الثاني للول وتقديره لشخصه: "جلالة الملك، أبلغكم أن اللامع رامون لول، تابعنا، هو في مدينتكم تونس، حيث بسرور يريد أن يعيش ويكون. لهذا السبب، يا جلالتك، ولأننا نعرف جيدا رامون لول المذكور آنفاً، ونعرف أنه رجل حكيم ومثالي السلوك، والذي نحبه كثيراً، فنحن نناشدك، من أجل شرفنا، أن توصي به خيراً في مملكتك، وسنكون ممتنين للغاية..." (3). بعد بضعة أشهر حينما يعود لول إلى الملك خايمي الثاني، يطلب منه أن يأمر الأخ "سيمون دي بيجسيردا Fray Simón de Puigcerdá"، وهو تلميذ سابق له، للذهاب إلى تونس، ومرافقته وترجمة بعض الأعمال من القطلانية واللاتينية. وقد كتب خايمي الثاني على الأقل أربعة رسائل لرؤساء هيئة الفرانسكان من أجل تنفيذ هذا الطلب (4).

كانت الظروف السياسية في الرحلة الثانية مختلفة عن تلك الظروف التي قام خلالها لول برحلته الأولى لبجاية وتونس، ففي عام 1293م، تاريخ اقامة لول الأولى في تونس، كانت بجاية وتونس تحت راية دولة واحدة، أما في رحلته الثانية فكانتا دولتين حفصيتين. كما أنه قام بمشروعه التنصيري وهو مدرك لتلك الأوضاع التي برز فيها مشروع احتلال إفريقية من طرف أسرة أراجون، حيث أنها تدخلت بصورة متكررة وعميقة في شؤون إفريقية على اختلاف أنواعها خلال الربع الأخير من القرن الثالث عشر والربع الأول من القرن الرابع عشر (1). وقد أبرم خايمي الثاني معاهدة مع قشتالة تقضي باقتسام إفريقية في حال غزوها المحتمل، وتم الاعتراف له دون سواه بحقه في كافة المناطق الواقعة شرقي المغرب الأقصى. وفي سنة 1314م، فكر خايمي الثاني،

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam, p.239.

Hillgarth J.N., Diplomatarium Lul.lià, N.45-47.

Loc.cit.

(1) - أنظر:

(2) - هذه الرسالة مؤرخة بـ 04 نوفمبر 1314م. أنظر:

(3) - أنظر:

(4) - أنظر:

Hillgarth J.N., Diplomatarium Lul.lià, N.48-51.

(1) - برونشفيك، مرجع سابق، ج.2، ص ص.454-455.

باعتباره الصديق الرسمي لسلطان تونس ابن اللحياني، في مشروع احتلال إفريقية، مُتعللاً بأمل اعتناق السلطان الحفصي للدين المسيحي (1).

مثلت مسألة تنصير ابن اللحياني لكل من ملك أراجون وشقيقه فريديريك ملك صقلية، مسألة على درجة كبيرة من الأهمية، حيث تمت معالجتها بشكل سري بينهما عام 1312م. وإذا حدث وتحقق مسعاهما، وتمّ تنصير السلطان، فسيفتح المجال لحل المشاكل العالقة بينهما. وعلى وجه الخصوص، ستنبض صفحة فريديريك الثالث بالنسبة للبابا الذي طلب منه إعلامه بالوضعية الدينية للسلطان (2). وبالنسبة للبلاط الأراجوني، فقد كانت قضية تنصير السلطان قضية بالغة الأهمية، وحملها محمل الجد في تعامله معها، ذلك أن السفير الخاصة بأراجون ويدعى "أولومار" كان برفقة قسيس مخصص لهذه المهمة، وسافر إلى تونس في جويلية من عام 1314م، ولو أنها أخفقت في مهمتها (3).

كل هذا يُفسّر بما فيه الكفاية، ذهاب رامون لول في عام 1312م، إلى المجمع العام المسكوني المنعقد في فيين، وكتب إليه فيما كتب تصوره لتبادل فكري جدالي بين المسلمين من أهل تونس والمسيحيين من أهل صقلية (4)، من أجل تحقيق خطته التنصيرية، وهو نفس الاقتراح التي طرحه من قبل على ملك صقلية فريديريك الثالث.

ويظهر أن لول قد أدرك أيضا وجود جند مسيحي عامل في خدمة سلطان تونس، مما يظهر بمظهر السلك الملحق بالجيش الأراجوني، وقد كان ملوك أراجون يسعون إلى مواصلة التحكم فيه. وفي غضون تلك الفترة أيضاً، قدم الأسطول الحربي الأراجوني أو الميورقي، مرات

¹ - نفسه، ص.455.

² - أراد فريديريك الثالث منع منافسيه القطلانيين من الاستفادة من ميل سلطان تونس إلى المسيحية. لكن مع ذلك، كان الملك خايمي الثاني في وضع جيد في هذه المسألة، لأن السكرتير العام للميليشيا المسيحية الخاصة بالسلطان، أبلغ ملكه خايمي الثاني بأن السلطان وضع ثقته في الجند المسيحيين. بالإضافة إلى ذلك، أن "غيبرمو رامون دي مونكادا" القائد العام للميليشيا، أخبر خايمي الثاني بما أسره له ابن اللحياني من ميوله المسيحية، ونفس الشيء حدث مع القطلاني "خوان جيل Juan Gil"، المترجم الذي أوفده خايمي الثاني، الذي راسل ملكه بشأن نية سلطان تونس في إعادة النظر في معتقده الإسلامية. أنظر:

Dufourcq (Charles-Emmanuel), L'Espagne Catalane et le Maghrib aux XIII et XIV siècles, p.489.

Dufourcq (Charles-Emmanuel), L'Espagne Catalane et le Maghrib, p.491.

³ - أنظر:

⁴ - أنظر:

Ramon Llull, Liber de participatione christianorum et sarracenorum, en : R.O.L., Vol.XVI, p.246 ; Francesco Fiorentino Raimondo Lullo in Sicilia, p.49.

متتالية، يد المساعدة إلى الحفصيين في تونس أو بجاية، مقابل تعويضات مالية، وهذا ما يُفسّر عودة لول مرة ثانية إلى إفريقية وبالضبط إلى تونس، خاصة مع تزامنه مع المشروع المزعوم المتعلق باعتناق اللحياني للمسيحية⁽¹⁾. إضافة لما علمه من تسامح سلطان تونس ابن اللحياني في المسائل الدينية والامتيازات التي منحها للقطانيين⁽²⁾، وكذا لعلمه بأن والدته سلطانة تونس كانت مسيحية، وقد كشف "غييرمو دي مونكادا Guillermo de Moncada"، القائد الأعلى للجند المسيحيين المرتزقة في تونس، بأن ابن اللحياني كان مسيحيا، وبأنه كان يقول أنه يريد أن يموت مسيحيا واعتقد بأنه تلقى العماد⁽³⁾.

كان مشروع تنصيب السلطان الحفصي يسري في دواليب السياسة الأراجونية وشغل بال دبلوماسيتها مدة سنة ونصف، ويبدو أن التعليمات الكتابية التي وجهها خايمي الثاني إلى ترجمان سلطان تونس "خوان جيل" وإلى رامون لول نفسه بتنصيب السلطان والجهد الذي قام به لول لم تؤت أكلها. ذلك أن ابن اللحياني قد أجبر فيما بعد على الفرار نهائيا من عاصمته من طرف أحد المنافسين. والحق مثلما يقر به برونشفيك، أن النصوص المسيحية تبدي ثقة مفرطة ومتناهية حينما تتحدث عن إمكانية تنصيب بعض الملوك المسلمين⁽⁴⁾.

هناك وثيقة من الوثائق الأراجونية، يرجع عهدها إلى ما بعد تلك الفترة بقليل، مؤرخة بسنة 1325م، تدّعي أن ابن اللحياني قد تعمّد فعلا وربما وافق على احتلال بلاده من طرف النصارى، إن اقتضى الحال⁽¹⁾. هذه الحقيقة تفنّدها المصادر الإسلامية، التي تورد أن ابن اللحياني المخلوع قد عاش بعد ذلك في البلاد الطرابلسية وفي المشرق مدة تتأهز العشر سنوات، ولم تأت على ذكر الارتداد عن الإسلام أو حتى اتهامه أو أنه محل شبهة في مسألة تحوله الديني. فلئن كانت أمه مسيحية، إلا أن ذلك لا يؤهله لاعتناق المسيحية، أكثر من غيره من السلاطين المسلمين الذين

⁽¹⁾ - برونشفيك، مرجع سابق، ج.2، ص.455.

D. Urvoy, op.cit., p.235.

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam, p.233.

⁽²⁾ - أنظر:

⁽³⁾ - أنظر:

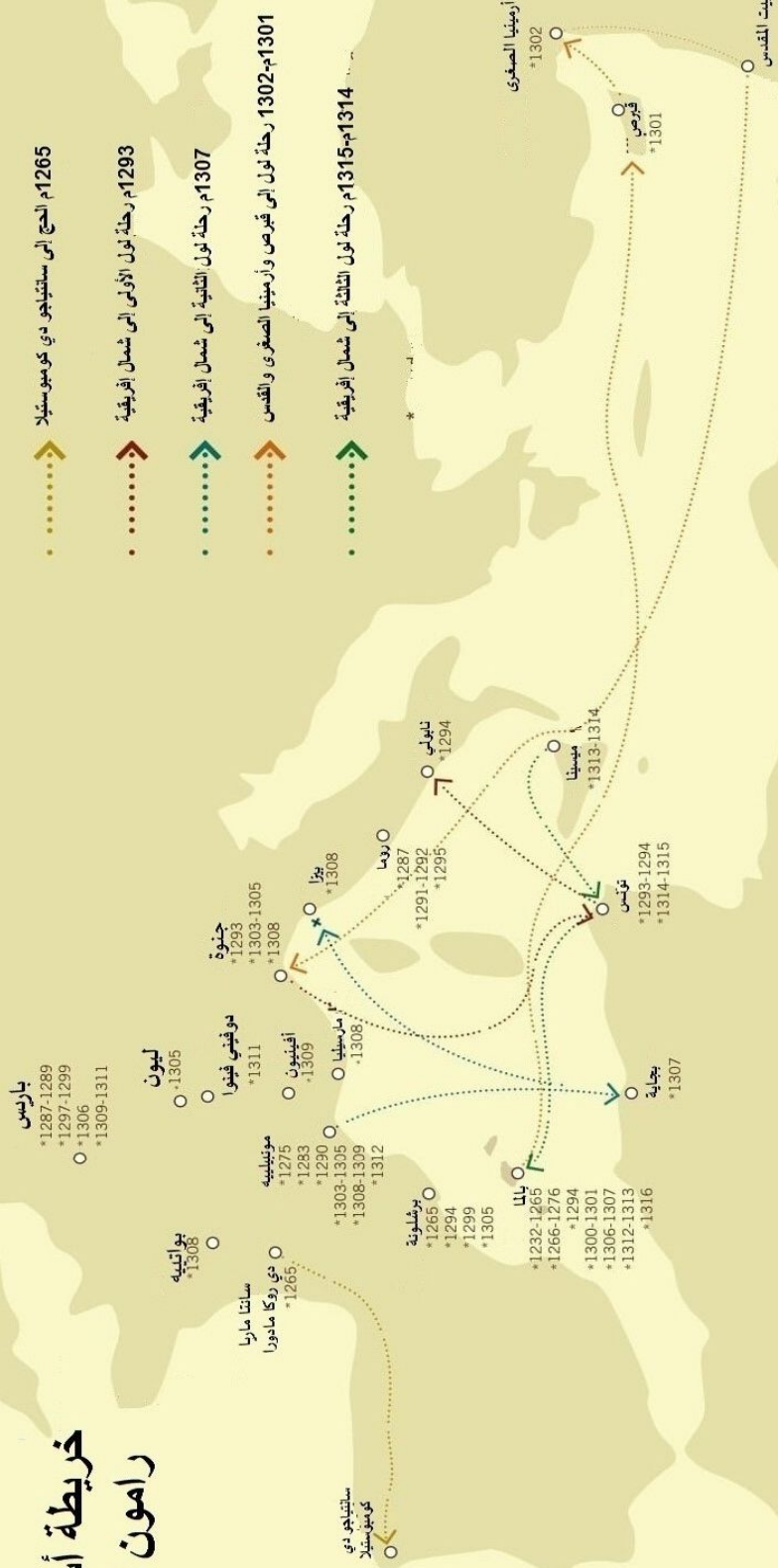
⁽⁴⁾ - برونشفيك، مرجع سابق، ج.1، ص.495.

⁽¹⁾ - أنظر: Finke Heinrich, Acta Aragonensia, Vol.III, N477, N.789, Berlin-Leipzig, 1922.

كثيراً ما كانوا في مثل وضعه ⁽¹⁾. وحتى وأن تمّ ربطه، أثناء توليه الحكم، بعلاقات طيبة وودية إلى أبعد حد مع بعض المنصرين، وخاصة رامون لول، فإن ذلك لا يعني اعتناقه لديانتهم ولو بصورة سرية.

¹ - برونشفيك ، مرجع سابق، ج.1، ص. 495.

خريطة أسفار رامون لول



الفصل الرابع

مخططات رامون لول

الصليبية.

- 1- واقع الحركة الصليبية قبل رامون لول.
- 2- مفهوم الحركة الصليبية في مؤلفات رامون لول.
- 3- كتابات لول في الفكر الصليبي.
 - أ- كتاب الحملة 1291م.
 - ب- كتاب الغاية 1305م.
 - ج- كتاب استرجاع الأراضي المقدسة 1309م.
- 4 - أهمية ضريبة العشر عند رامون لول.
- 5 -رامون لول وهيئة فرسان المعبد Les Templiers .
- 6 -رامون لول والمغول.

عاصر لول فترة ضعف الصليبيين ثم انهيار دولتهم في بلاد الشام ، فتملكته فكرة وضع نفسه في خدمة الحركة الصليبية، فمنذ أن اتخذ هذا القرار في سنة 1263م، ولحين وفاته في أواخر سنة 1315م كان شُعلة من النشاط، فقد ألف من الكتب والرسائل والتقارير أكثر من الذين سبقوه أو لحقوه من الدعاة الصليبيين، ورحل إلى مراكز الثقافة في أوروبا يلقي المحاضرات على المثقفين فيها ويناقشهم في مشاريعه كما طاف في أقطار المشرق وسافر إلى أفريقية ثلاث مرات، وقابل الباباوات والكرادلة وحضر المجالس الكنسية واتصل بملوك وأمراء أوروبا، ولم يوقفه شيء عن حماسه في خدمة الحركة الصليبية إلا الموت، فنال تبعاً لذلك شهرته الواسعة عن جدارة.

1- واقع الحركة الصليبية قبل رامون لول.

من أجل المعرفة التامة بمُساهمة لول في المخططات الدعائية للحروب الصليبية ، من الضروري إلقاء لمحة على واقع الحركة الصليبية قبل لول. خاصة أن هذا الواقع شكل بوضوح الخلفية والحافز لعمل لول حول هذه المواضيع. ومثل هذه النظرة العامة ترفع اللبس والغموض عن العديد من القضايا التاريخية.

كان للتحوّلات التي طرأت على واقع غرب أوروبا اللاتيني، أثر كبير في تطور مختلف المفاهيم التي عرفتتها الحركة الصليبية قبل رامون لول. وتراوحت بين مصطلحات الحرب العادلة والحرب المقدسة والحج المسيحي العسكري وغيرها. وقد بدأ هذا بالمفهوم الذي صاغه القديس أوغسطين عن الحرب العادلة⁽¹⁾، وتطور في موقف الإمبراطور شارلمان ودوره الذي قام به لصالح البابوية. حيث طلبت من الأخيرة مساعدته ضد اللومبارديين، فضلاً عن حملاته ضد السكسون لإجبارهم على اعتناق المسيحية، وكذا حملته المشهورة ضد المسلمين في الأندلس⁽²⁾، كل هذا أدى إلى التقريب بين فكرة الحرب العادلة والحرب المقدسة⁽³⁾.

⁽¹⁾ - عبده قاسم (قاسم)، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1999، ص.16.

⁽²⁾ - فلوري (جان)، الحرب المقدسة: الجهاد، الحروب الصليبية، ترجمة غسان مایسو، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، 2004، ص.130-137.

⁽³⁾ - نفسه، ص.147.

في الأندلس وصف كثير من الدارسين الحرب الدائرة ضد المسلمين، بمُصطلحات أقرب إلى الحملات الصليبية، وقد ارتفعت الحملة الكاثوليكية ضد مُسلمي الأندلس إلى مُستوى السابقة الصليبية بسبب نشاط الأديرة الكلونية التي دأبت على التحريض ضد المسلمين⁽¹⁾. وقد تبنى ملوك قشتالة وليون وأراجون، إيديولوجية الحملة الصليبية وأطرها الحقوقية، في صورة ما يُعرف بحرب الاسترداد⁽²⁾.

غزو النورمان لجزيرة صقلية وانتزاعها من المسلمين، له هو الآخر دلالة صليبية واضحة، إذ أن البابا نيقولا الثاني بعد عقده لمعاهدة ملفي سنة 1059م، مع قادة النورمان روبرت جيسكارد ورجار، أسبغ بركته على حملتهم المزمعة على مسلمي صقلية، والتي انتهت بطردهم من آخر معاقلهم في "نوطس Noto" سنة 484هـ/1091م⁽³⁾.

خلال القرن 11م، ومع تصاعد حركة الإصلاح في الكنيسة الغربية، صارت البابوية قوة سياسية ذات مصالح دنيوية واضطلعت بدور عسكري. لكنها كسلطة دينية بحثت عن تبرير يتناسب مع طبيعتها. وقد عرفت فكرة الحرب المُقدسة رُسوخاً مع بداية بابوية أوربان الثاني، الذي ارتكزت خطبته في كليرمونت سنة 1095م، على الربط بين الغفران المسيحي والحرب ضد

⁽¹⁾ - عبده قاسم (قاسم)، ماهية الحروب الصليبية (الأديولوجية-الدوافع-النتائج)، عين للدراسات الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، 1993، ص ص.51-52.

⁽²⁾ - تولان (جون)، السراسنة والإفرنج: مزاحمت ومنافسات وتلاقات، في : أوروبا والعالم الإسلامي تاريخ بلا أساطير، ترجمة: بشير السباعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016، ص.61. أحسن مقدمة لتاريخ حركة الاسترداد يُمكن العثور عليها عند "لوماكس". أنظر:

Derek William (Lomax), The Reconquest of Spain, Longman, London, 1978.

وأنظر أيضاً:

Charles Julian (Bishko), The Spanish and Portuguese Reconquest 1095-1492, in K. Setton, et. Al. Eds., A History of the Crusades, vol.3, Madison, 1975.

للمزيد عن الحرب الصليبية في الأندلس ارجع إلى : بوكنة (عبد العزيز)، الحوض الغربي للبحر المتوسط وقواه: السياسة والدينية والإقتصادية قبل وأثناء الحركة الصليبية 442 - 691هـ / 1050 - 1291م، إشراف أ.د. موسى لقبال، دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2007، ص ص.233-293.

⁽³⁾ - للمزيد ارجع إلى: تومي (رشيد)، العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان منذ وفاة الملك روجر الثاني إلى سقوط المملكة (1154-1194م)، إشراف أ.د. موسى لقبال، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2006.

المسلمين لاسترجاع الأراضي المقدسة في بلاد الشام⁽¹⁾. واستطاع أن يوحد شعوب الغرب الأوروبي في مشروع عام عُرف بالحملة الصليبية الأولى.

سبق الحملة الصليبية النظامية حملة الفقراء أو حملة الشعب، وهي حملة قام بها الفقراء والأقنان وجمهور قليل من الفرسان، حيث كان الوعد الكنسي بالخلاص والفوز بالغنائم سببا مقنعا لمغادرة حياتهم البائسة والتوجه إلى تحرير القدس. وهذه الحملة قادها بطرس الناسك حتى وصولها إلى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية. وكانت الجموع تندفع دون توقف ودون انتظار أوامر القيادة، خلفت وراءها خرابا ونهبا في المجر والصرب واليونان وآسيا الصغرى، حتى سحقهم قوات السلاجقة الأتراك في 21 أكتوبر عام 1096 م. وكان عدد الصليبيين 25 ألف رجل⁽²⁾.

أما الحملة النظامية (489-493هـ/1096-1099م) فتألفت جيوشها الأساسية التي أرسلها البابا من الفرنسيين المدربين جيّدًا والفرسان النورمنديين. وشارك فيها جودفري البولوني، وريموند كونت تولوز، وروبرت الفلاندري، وبيهموند من تارنتو. وانضمت إليهم القوات البيزنطية في القسطنطينية وتمكن الجيش الموحد من الاستيلاء على نيقية عام 491هـ ، 1097م. وبعد ذلك، انقسم الجيش وسار الأوروبيون الغربيون نحو القدس، وخاضوا العديد من المعارك الدموية على طول الطريق، وكان أكثرها صعوبة حصار أنطاكية، حيث هلك الكثيرون بسبب الهزيمة التي ألحقها بهم الأتراك، ورحل الآخرون. ووصل الصليبيون إلى القدس في صيف 493هـ، 1099م، واستولوا على المدينة المقدسة بعد ستة أسابيع من القتال، ثم عاد معظمهم لأوطانهم. وقسم القادة الأراضي التي احتلوها إلى أربع دول سمّوها دول الصليبيين اللاتينية، وتضم مقاطعة إديسا (الرها) وإمارة أنطاكية، ومقاطعة طرابلس، ومملكة القدس⁽³⁾.

⁽¹⁾ - حول المضمون البلاغي لخطبة البابا أوربان الثاني ارجع إلى:

Jonathan Riley-Smith , the crusades : a short history , (new haven and london , 1987) , pp.2-10.

⁽²⁾ - رايلي سميث (جوناثان)، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2 ، القاهرة، 1999، ص ص.95-108.

⁽³⁾ - للمزيد حول الحملة الصليبية الأولى ارجع إلى: عبده قاسم (قاسم)، الحملة الصليبية الأولى: نصوص ووثائق تاريخية، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة، 2001.

بعد أن استرد عماد الدين زنكي (ت 541هـ ، 1144م) إمارة الرها، دعا القديس برنارد كليرفو إلى الحملة الصليبية الثانية (542-544هـ/1147-1149م) . وكانت قد أعقبت فترة من الهدوء، وكان قادتها لويس السابع ملك فرنسا وكونراد الثالث هوهنشتاوفن إمبراطور الجرمان (ألمانيا)، وهي أول حملة يشترك فيها الملوك ، تعرضت فيها الجحافل الألمانية لضربة قوية تمثلت في الجوع والمرض بعد هزيمة لحقت بها أمام فصائل الخيالة التابعة لسلطان قونية السلجوقي جوار ضرليوم، كما منيت القوات الفرنسية بهزيمة خطيرة بجوار خونة. أنهك السلاجقة الصليبيين بغاراتهم المتواصلة. وفي 24 يونيو 1147 تلاقى لويس السابع وكونراد الثالث ووصية العرش ميليساندا مع أعيان القدس . ومضوا لحصار دمشق الحصينة ، لأن فتحها كان يبشر بغنائم وفيرة. دام الحصار خمسة أيام (من 23 إلى 27 جويلية) لكنه فشل (1).

تابع المسلمون مهاجمتهم للصليبيين، وتمكن السلطان صلاح الدين الأيوبي من توحيد مصر وسوريا عام 579هـ ، 1183م، وهزمهم عام في معركة حطين، في 4 يوليو 1187 وقعت معركة حطين المشهورة. حيث انتصر فيها السلطان صلاح الدين الأيوبي سلطان مصر . فحرر القدس في 2 أكتوبر 1187⁽²⁾، الأمر الذي دفع البابا جريجوري الثامن إلى الدعوة إلى حملة صليبية جديدة. 1187. وقاد الجيوش الصليبية ملك فرنسا فيليب أوغست الثاني ، وملك إنجلترا ريتشارد الأول الذي كان يلقب برتشارد قلب الأسد ، وملك الجرمان (ألمانيا) فريديك الأول برباروسا . لكن برباروسا غرق في 1190م في نهر اللامس . فتشردت صفوف قواته . أما الفرنسيون والانجليز ، فلم ينتهوا من الاستعداد للحملة حتى 1190م ، وفي الطريق عمل ريتشارد الأول على توسيع نفوذه في صقلية مما وتر العلاقات مع الملك الفرنسي وأضعف التحالف بينهما. قام الصليبيون بحصار مدينة عكا التي استسلمت في 12 يونيو 1191 م وغادر فيليب عائدا إلى فرنسا⁽³⁾، وجرت مذبحة بأمر ريتشارد وتحت قيادته في عكا. بعدها تمت محاولاته لاحتلال مدن أخرى.

⁽¹⁾ - للتوسع حول هذه الحملة ارجع إلى: عبد السميع الجنزوري (علية)، إمارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.2، القاهرة، 2001.

⁽²⁾ - عبد الفتاح عاشور (سعيد) ، الحركة الصليبية، ج.2، ط.9، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2010، ص ص.77-102.

⁽³⁾ - نفسه ، ص ص.117-135.

لكنها باءت كلها بالفشل ، وفي عام 1192م، عقد الصلح مع صلاح الدين ، واحتفظ الصليبيون بشريط ساحلي يمتد من صور إلى يافا، وسمح صلاح الدين للحجاج والتجار بزيارة مدينة القدس والأماكن المقدسة¹.

دعا البابا انوسنت الثالث الأوروبيين إلى الحملة الصليبية الرابعة (599-601هـ/1202-1204م). وكانت خطة الصليبيين الأولية تتلخص في دفع القوات إلى مصر، لضرب القوة الإسلامية الكبرى في المنطقة. ثم شنّ الحرب منها باتجاه القدس. لكن البنادقة الذين تولوا أمر توجيه وتوفير وسائل النقل والغذاء للحملة مقابل 85 ألف مارك ذهبي، أثروا في مسار الحملة ووجهوها إلى القسطنطينية عمدا. لأن الصليبيين لم يوفروا المبلغ المتفق عليه. وأسفرت الحملة عن تخريب وتدمير القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ومركز الثقافة الإغريقية العريقة، ولم تتخذ البابوية إجراءات فعلية تجاه هذا الحدث. وكانت تلك الحملة تمثل انحطاط الحملات الصليبية التي أصبحت فيما بعد بحاجة إلى تبرير مقنع ، بعدما كانت أمرا إلهيا باسم الكنيسة⁽²⁾.

بعد ذلك سعى البابا انوسنت الثالث إلى بدء حملة صليبية جديدة عام 1213م . فبدأ بحملة وعظ دامت حتى انعقاد المجمع المسكوني الرابع عام 1215م، الذي اتخذ سلسلة من الإجراءات التي تتعلق بتنظيم الحملات الصليبية. تحركت قوات مجرية وجنوب ألمانية بقيادة اندارش الثاني وقوات نمساوية. ووصلت إلى عكا. وتوقفت هناك حتى انضمت إليها قوات ألمانية وهولندية فتوجهوا إلى مدينة دمياط في شمال شرق الدلتا بمصر علي النيل . واستولوا عليها عام 1219م . وتحت إلهام نائب البابا هونوريوس الثالث والقاصد الرسولي "بيلاجيوس" استكمل الهجوم نحو مدينة المنصورة. وفي ذلك الوقت بالذات بدأ فيضان النيل، ففتح المصريون السد علي النهر. وقطع المسلمون طريق التراجع على الصليبيين. فحاصرت قوات المسلمين الصليبيين بأعداد كبيرة. وغرق المئات بمياه الفيضان. وأسر الملك لويس التاسع بدار ابن لقمان بالمنصورة فطلب الصليبيون الصلح وإطلاق سراح الملك لويس. قبلت الملكة شجر الدر زوجة السلطان

¹ - عبد الفتاح عاشور (سعيد) ، الحركة الصليبية ، ص ص 155-161.

² - للمزيد حول الحملة الصليبية الرابعة، ارجع إلى: غنيم (إسمت)، الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية، دار المعارف، القاهرة ، 1982.

الكامل الأيوبي الصلح إدراكا منها بخطر المغول في المشرق. وكان الكامل قد مات ليلة معركة المنصورة ووقع الصلح في 30 أوت 1221م لمدة 8 سنوات، وكان على الصليبيين مغادرة دمياط، ونفذوا ذلك في أوائل سبتمبر من نفس العام ومنيت الحملة الصليبية الخامسة بالفشل الذريع⁽¹⁾.

قاد الإمبراطور الألماني، فريدريك الثاني هوهنشتاوفن، الحملة التي عرفت بالصليبية السادسة (626-627هـ/1228-1229م)، وهو الذي أراد أن يحقق مقاصده دون أن يسحب سيفه من غمده في صيف 1228م، ولم تحظ هذه الحملة بمباركة البابوية بل حُرِمَ الإمبراطور من الكنيسة لتأخره في تنفيذ نذره بأخذ الصليب. تفاوض فيها فريدريك مع السلطان الكامل مما أسفر في فبراير 1229م عن صلح لمدة 10 سنوات، تنازل بمقابله السلطان عن القدس باستثناء منطقة الحرم ، وبيت لحم والناصرية وقسم من دائرة صيدا وطورون وكانت الحملة الأولى التي لا تبارك انطلاقها البابوية⁽²⁾.

2- مفهوم الحركة الصليبية في مؤلفات رامون لول.

على غرار جميع كتاب ومؤتقي العصور الوسطى الأوربية، لم يظهر مصطلح الحرب الصليبية بهذا المفردة في كتابات لول، سواء بالقطانية لغته المحلية "Croada" أو حتى باللغة اللاتينية لغة المثقفين ورجال الدين في ذلك الزمان. ويعود ذلك للمفاهيم التي ظهرت وتطورت بالنسبة لمفردة "الصليبية". فقد أخذت الحملة الصليبية في بدايتها مفهوم الحج، وكانت الطريق المؤدية إلى القدس الأرضية في المعنى المجازي عند مسيحيي العصور الوسطى، بمثابة "مرآة شاحبة" لكنها أيضاً ضمان للقدس السماوية. ويصبح هذا الحج تجربة سلمية للتكفير عن الذنوب، كما يصبح الطواف بالمقدسات المسيحية -التي دنسها المسلمون حسب دعاية الباباوات- تجربة لأسطول التوبة. ولأن الكتاب اللاتين استخدموا لفظة "الحاج Peregrinus" حتى القرن الثالث

⁽¹⁾ - من أجل تفاصيل أكثر عن هذه الحملة ارجع إلى: سعيد عمران (محمود)، الحملة الصليبية الخامسة: حملة جان دي برين على مصر 615-618هـ/1218-1221م، دار المعارف، ط.2. القاهرة، 1985.

⁽²⁾ - للمزيد حول هذه الحملة ارجع إلى: تومي (رشيد)، حملة الإمبراطور الألماني، فريدريك الثاني على بلاد الشام عام 626هـ/1229م، حملة عسكرية أم رحلة دبلوماسية؟، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع.19، جوان 2012، الجزائر، ص.32-9.

عشر، فإن ذلك مرده أن الحاج الفقير والأعزل لم يكن محظورا عليه حمل السلاح لحماية نفسه ودرأ المخاطر التي تتطوي عليها الطريق الطويلة والصعبة نحو الأراضي المقدسة (1).

تدرجيا ومع تتالي تنظيم العديد من الحملات، ظهرت مصطلحات جديدة، على سبيل المثال : مصطلح "auxilium المساعدة" وكذا "Succursum العون"، وهي مصطلحات تظهر بالفعل موقفا دفاعياً هدفه الحفاظ على مملكة بيت المقدس التي كانت غير ثابتة الأركان في تلك الفترة.

في القرن 12م، دخل مصطلح الـ "Passagium" حيز الاستخدام في الكتابات الدعائية، ومن الواضح كما أسلفنا الذكر، أن رامون لول لم يتحدث في أعماله عن "الحرب الصليبية Cruzada"، بل وظف مصطلح الـ "Passagium" باللاتينية (أو بالقطانية Passatge)، وهو مصطلح غامض في الأصل وغني في الإيحاءات (2).

بالنظر إلى أن الكتاب المقدس مثّل للمثقفين ورجال الدين اللاتين الزاد الفكري طيلة العصور الوسطى، فإن هذه الكلمة Passagium انطلاقاً من أصلها البحري والتجاري، غنية بمضامينها الإنجيلية (تشكل ملحمة سيفيسائية) والأخروية الخاصة بسفر الرؤيا (المرور إلى حياة أفضل، وكذا معنى قربان استشهادي) وهي مضامين قام الدعاة بتعيينها. لكن مع تعدد وتكاثر البعثات الصليبية، كان من الضروري وجود تمييز لاحق، ولهذا السبب سوف يتم تعريف وتحديد "الحملة العامة Passagium generale" فقط كبعثة تتطوي، على الأقل وبشكل عمدي، على

(1) - يناقش "فرناندو دومنيز ريبواراس" في تقديمه النقدي لكتاب الحملة الخاص برامون لول، فكرة الحُجاج المُشكلين لجيش بسبب تسليحهم ، ويجادل بأنه إذا أمكننا تسمية لفيف من الحجاج المسلحين بالجيش فإنه ليس من الصعب إذا الانتقال من العمل السلمي البريء إلى الهيكل العسكري للرحلة. فالـ "ite" (الحملة العسكرية) hierosolymitanom نحو بيت المقدس و via sancti Sepulchri (الطريق نحو القبر المقدس) تعني بالضرورة أكثر من حاج بسيط ويرى. أنظر: Ramon Llull , Liber de Passagio , en Raimundi Lulli Opera Latina, Edidervnt Blanca Garí, Fernando Domínguez Reboiras , Volume 28 , Brepols, 2003, p.258.

(2) - بالبحث عن أصل مصطلح Passagium maris نجد أنه كان يعني العمل المشترك الذي قام به تجار المدينة لحماية أنفسهم بأفضل شكل من القرصنة. حيث كانت قوافل سفن الشحن المنظمة بشكل دوري من طرف المدن البحرية في غرب المتوسط والمتجهة بانتظام إلى شرقه، تصطحب معها دائماً سفناً حربية لحمايتها. وكان إنجاز هذه الرحلات يتم بشكل دقيق ومنظم، وفي بعض الجمهوريات البحرية، أصبح يتم تحت رقابة صارمة، بحيث لا يسمح بإبحار السفن بشكل منفصل. وجاء تنظيم الأسطول من أجل استرجاع الأراضي المقدسة ليعاد تسميته بالـ "Passagium" أو الرحلة. وفي العصر الذي عاش فيه رامون لول، كانت هذه التسمية الشائعة لما يعرف اليوم بالحرب الصليبية Cruzada، وقد دعا الملك خايمي الأول حملته التي خطط فيها لغزو ميورقة باسم الـ "Passatge" بدعم من النبلاء ومن بينهم والد رامون لول نفسه، وجاء ذكرها في الحوليات التي تركها الملك نفسه. أنظر: Llibre del fets del rei en Jaume , A cura de Jordi Bruguera , T.II , Editorial Barcino , Barcelona , 1991 , p.65.

عالم المسيحية ككل والمعتمدة رسمياً بواسطة مرسوم بابوي والتي تمنح لها امتيازات خاصة (1).
أما ما عداها من البعثات فلن تكون إلا "حملة خاصة Passagia Particularia".

3- كتابات لول في الفكر الصليبي.

أ- كتاب الحملة 1291م.

حملت مُذكرة لول الدعائية الأولى لحملة صليبية عنوان "Passatge"، حيث حررها بعد فترة وجيزة من سقوط عكا آخر معاقل الصليبيين في الشرق (18 ماي 1291م)، وكان قد بعث بها إلى البابا نيكولاس الرابع. يعرض لول في هذه المذكرة، مع قدر كبير من التفاصيل، التدابير التي ينبغي اتخاذها لتنفيذ خطة فعّالة ومهمة إلى الشرق الإسلامي، بما في ذلك التدابير العسكرية ذات الصلة باسترداد الأراضي المقدسة. هذا العنوان لا يظهر في المذكرة، إلا بعد سنوات، في عمله الشعري "الضيق Desconhort" (2).

جاء العنوان الرئيسي للكتيب: "مناقشة إمكانية تنصير غير المؤمنين Tractatus de modo convertendi infideles" مرفوقاً برسالة مُوجهة للبابا، مؤرخة في روما من نفس السنة، والتي تحمل خاتمتها عنوان: "كيفية استرداد الأراضي المقدسة Quomodo Terra Sancta recuperari potest" لتكون ملخصاً للعمل السابق. ويبدو أن عنوان "الحملة Passagio" (بالقطلانية De Passatge)، الذي وضعه لول في وقت لاحق، يُشير إلى الرسالة

¹ - لم توجه "الحملة العامة Passagium generale" والتي دعا إليها الباباوات، حصراً إلى الأراضي المقدسة ضد المسلمين، خاصة بداية من القرن 13م، ولكنها وجهت أيضاً إلى أعداء البلاط البابوي، وهنا من الضروري التمييز بين "Crux transmarina" (الموجهة نحو الشرق) و "Crux cismarina" (الموجهة إلى الوثنيين في الشمال، النبلاء الرومانيين، الهرطقة، الجبلينيون أو المتحربين من التجنيد تحت إمرة البابا). أما Passagium Particular فهي تحاول قبل كل شيء، تعزيز وتقوية الجيوب المسيحية أو الأراضي المحصورة في فلسطين، سوريا، أرمينيا وقبرص. أنظر:

Franco Porsia , Progetti di crociata: il De fine di Raimondo Lullo , Chimienti Editore, Taranto , 2005 , pp.64-73.

² - يلخص لول في أربعة أبيات مضمون العمل بشكل شامل:
"... كنت قد كتبت "الحملة Passatge"، وأظهرت بوضوح
كيف أن الصريح المقدس يمكن أن يسترد
والرجال الذين يعرفون كيفية التبشير بالإيمان المقدس دون خوف من الموت

أنظر:

Ramon Llull , Desconort , O.R.L. , VOL.XIX , Diputació Provincial de Balears , Palma, 1936, p.231.

بدلاً من العمل. والواقع أن عنوان العمل يُبرز بجلاء أن لول لم يكن في نيته معالجة قضية "الحرب فيما وراء البحار Passagium de Ultramar"، ولكن معالجة مسألة تنصير المسلمين. في حين أن موضوع رسالته إلى البابا المُرَفَّقة مع الكتيب، تناول تنفيذاً عملياً لحملة صليبية عامة "Passagium generale" وتوضح معنى أن لول أراد حملة مُسلحة ضد المسلمين (1).

تكمن الأهمية البالغة التي تُعزى إلى "كتاب الحملة" في جدته الظاهرة، ففي كلا العاملين (الكتيب والرسالة)، يناقش لول لأول مرة تفاصيل وجزيئات التكتيكات العسكرية، أي استخدام القوة في مواجهة المسلمين، وهو خيار رفضه بشكل جلي في مؤلفات سابقة له (2). وستكون هذه الأعمال هي الأولى من سلسلة كتيبات ستظهر بشكل منتظم ودائم تقريباً عند تتويج كل بابا جديد، والتي تتفاوت في حجمها ووجود الاختلافات بينها في المحتوى والتخطيط والمهام والعمل العسكري ضد المسلمين والمنشقين (3).

⁽¹⁾ - أنظر: DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando , Ramón Llull y la cruzada , p.259.

⁽²⁾ - ينتقد لول علنا الحرب الصليبية في "كتاب التأمل Libre de Contemplació" حينما يقول عنها أنه: "... يذهب فيها الكثير من الفرسان إلى الأراضي المقدسة فيما وراء البحار مُعتقدين بإمكانية الغزو بقوة السلاح وفي هذا الجهد والعناء الكبير الذي بذلوه لا يحصلون على شيء إيجابي" ويضيف لول بأن "هذه الأرض المقدسة لا يمكن فتحها فقط إلا بمحاكاة المسيح وحوارييه لنشر الديانة المسيحية في جميع أنحاء العالم ... عن طريق الحب والصلاة وذرف الدموع والدم". "لهذا السبب ... فإن الضريح المقدس والأراضي المقدسة فيما وراء البحار يمكن استردادهم فقط .. عن طريق الوعظ وليس بقوة السلاح". أنظر:

Ramon Llull , Libre de Contemplació , O.R.L. , VOL.IV , p.59.

وفي نفس السياق، يتحدث لول في كتاب "ضد المسيح الدجال Liber Contra Antichristum" عن أن: "... تجارب الحروب والمعارك التي قادها الملوك المسيحيون وغيرهم من الأمراء وكبار البارونات وكذا الفرسان وبقية المحاربين من العامة ضد السراسنة (المسلمين) مكنتنا من تبين أنبل شيء وهو أن تحويل العالم إلى المسيحية وغزو الأرض المقدسة فيما وراء البحار لا بد أن يتم بالمعارك الحسية ...". أنظر:

Ramon Llull , Liber Contra Antichristum , R.O.L. , VOL.XXXVI , Brepols , 1975 , p.286.

وفي روايته الأدبية "بلانكرنا" يزيد لول من حدة انتقاداته، مؤكداً على الادعاء السخيف لكل من يريد غزو الأراضي المقدسة بالقوة، وهي طريقة محمد، وليس عن طريق الوعظ والشهادة كما فعل يسوع ورسله. أنظر:

Ramon Llull , Blaquerne , Traduit du Catalan par Patrick Gifreu , editions du Rocher , Monaco , 2007 , p.45.

⁽³⁾ - من أوائل هذه الأعمال نجد "عريضة ريموندي للبابا سيلستين الخامس من أجل تنصير الكفار Petitio Raimundi pro conversione infidelium ad Coelestinum V Papam , 1294 , 'pla 73 : Bo III, 15)

"عريضة ريموندي للبابا بونيفاس الثامن من أجل تنصير الكفار Petitio Raimundi pro conversione infidelium ad Bonifatium VIII Papam , 1295, (Pla 75 : Bo III, 21)

"كتاب الغاية Liber de Fine" موجه للبابا كليمنت الخامس ad Clementem V 1305

'كتاب استرداد الأراضي المقدسة Liber de acquisitione Terrae Sanctae (1309) (Pla 165 : Bo IV , 12)

"الترتيبات العشرة التي ينوي ريموندوس تقديمها إلى المجلس العام (في فيين) Ordinationes decem quas Raimundus intendit praesentare in Concilio generali (Viennae) 1311.

"كتاب الوجود Libri de ente quod simpliciter est per se et propter se existens et agens

كما قام لول بذكر الحملة، ولكن بدرجة أقل، في بعض كتاباته قبل وبعد سنة 1291م، على سبيل المثال "كتاب مريم المقدسة Liber de Sancta Maria

هذا الكُتيب أنهى وبشكل حتمي جميع النظريات حول توجه رامون لول السلمي تجاه المسلمين. ويبدو أن صورة لول كمدافع عن برنامج تنصيري، استندت بشكل خاص على الخلاف الفكري والحوار السلمي، والتي تعود إلى الأيام الأولى من نشاطه الفكري بعد تغيره المفاجئ، عندما كانت المثالية الخاصة بالمتنصرين حديثا لا تزال تسمح برؤية ساذجة في المواجهة بين الديانتين، والتي هيمنت على المشهد السياسي في البحر المتوسط. ولعل سقوط عكا يقف وراء هذا التغير في الرأي حسب كثير من الباحثين (1).

يُعنون "بينيامين كيدار" أحد فصول كتابه بـ "أراء رامون لول العديدة"، ويقدم فيه آراء مثيرة للاهتمام حول موقف لول تجاه الإسلام وأهله. يكشف فيها تناغمه مع الرأي العام لزمه، في رمقه الأخير من حياته، بعد كان شادا عنهم في رفضه الصريح للحرب الصليبية خلافا لروح المسيح، ورأيه الثاني حول الحاجة الملحة لاتخاذ إجراءات عسكرية عقابية ضد المسلمين الذين يرفضون قبول التنصير. وجاء "كتاب الحملة" الخاص بلول ليقدّم عينة لجميع وجهات النظر الموجودة في العصور الوسطى حول هذا الموضوع الحساس (2).

هذا النطاق من الأحداث الذي لا يمكن إنكاره، تطلب من المُفسرين الأكثر اعتدالا وتعقلا محاولة إدراجها زمنيا من أجل مراقبة تطور موقف لول إزاء الإسلام وأهله، والذي كان لا بد من أن تُمليه الظروف وجميع حالات الإخفاق وخيبات الأمل التي مر بها لول وكذا تجربته الطويلة التي احتوت على لقاءات وخلافات مع المسلمين، وتفانيه المستمر في تطوير وتحضير البرامج التنصيرية في فضاء جغرافي واسع شمله البحر المتوسط من سبتة إلى قيليقيا. وتميل معظم الآراء حول هذا الموضوع إلى الدعوة إلى الدفاع عن التطور التدريجي لموقف لول تجاه الحرب الصليبية

¹ - أنظر:

DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando , Ramón Llull y la cruzada , p.261.

² - يورد "بينيامين كيدار" ما نصه: "... من الأمور الاستثنائية فعلا هي مواجهة رجل ركض تقريبا في سلسلة كاملة من المواقف، بداية من رفضه للحملة الصليبية على أساس أنها إغواء سلمي غير مسيحي، من خلال دعم البعثات التنصيرية وإحلال الصليب في وقت واحد، إلى الدعوة إلى إطلاق حرب صليبية مرة أخرى ضد من رفض التحول إلى المسيحية ... ويُدافع لول بشكل عاطفي وأسلوب بلاغي على كل من موقفه السابقين ...". أنظر:

B. Kedar , op.cit. , p.189.

التي تخلق رؤية أكثر واقعية وعملية للواقع. فمن الطبيعي إذا أن سقوط مدينة عكا فسح المجال لتكوّن تحديد وتجربة عُقدية في تطور إيديولوجية لول⁽¹⁾.

مع ذلك، يعتقد الباحث "فرناندو ريبواراس"، أن مسألة موقف لول من الحرب الصليبية هي أكثر تعقيداً مما يمكن أن تقدمه القراءة المُتقاطعة لهذه النصوص. حيث أن مجموعة مُتعددة ومتنوعة من الآراء التي يُمكن استخلاصها من عمل لول لا تتعارض فقط مع بعضها البعض، ولكن لديها تناسق عميق مع فكره⁽²⁾. وليس هناك من سبب في النظر إلى سقوط عكا (ليس باعتبارها صدمة للمعاصرين كما ادعت الحوليات اللاحقة) كحدث مفصلي وحاسم لوقف أو انقطاع سير الفكر اللولي. لكن مع ذلك، النصوص التي يُمكن استخلاصها في المؤلفات المبكرة، تشي بأن لول، لا يرفض من البداية فكرة الحرب المادية (أو الجسدية كما يُسميها) مما يجعل قضية تغيير فكره إزاء رأيه بالحرب السلمية إلى قبوله بالعنف العسكري ضد المسلمين، موضعاً لشك كبير، في الفكر اللولي⁽³⁾.

¹ - فيما يخص مسألة التغير في الرأي، يعطي "برتولد ألتانير B. Altaner" على سبيل المثال، تفسيراً نفسياً حينما يقول أن: "لول تعب من تنظيم الحملات السلمية بتقديم تنازلات لبيئته العسكرية". انظر:

Altaner, Berthold , Glaubenszwang und Glaubensfreiheit in der Missionstheorie des Raymundus Lullus , Ein Beitrag zur Geschichte der Toleranz gedankens, dins «Historisches Jahrbuch», 47 , (1928), pp.586-610.

ويميز "جوردي روبيو Jordi Rubio" ثلاثة مراحل لموقف لول إزاء الحرب الصليبية، كما سبق ذكره أعلاه، فقد اعتبر سقوط مدينة عكا تقريباً بالإجماع، حادثاً حاسماً ساهم في تغيير إيديولوجية لول. انظر: O.E. , Vol.I, Barcelona , 1957, p.94. ويشير "لودفيج فونز Ludwig Vones" إلى سبب آخر، وهو هجمات بني مريّن في جنوب إسبانيا للاستيلاء على جبل طارق. انظر:

Ludwig Vones , Mission et frontiere dans l'espace mediterraneen: Tentatives d'une societe guerriere pour la propagation de la foi ,en : Guyda Armstrong and Ian N. Wood (ed.) , Christianizing Peoples and converting Individuals , Turnhout , 2000 , pp.203-222.

² - أنظر: DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando , Ramón Lull y la cruzada , p.262.

³ - إلى جانب النصوص التي تمّ الاستشهاد بها كدليل على سلمية لول المُبكرة، ولا تحمل في سياقها تطرفاً والذي نريد استهدافه، والتي يمكن العثور عليها في أوائل فقرات مؤلفات لول التي لا يرفض فيها "قوة السلاح في مواجهة الكُفار". انظر على سبيل المثال "كتاب التأمل في الله".

Ramon Lull , Liber de Contemplació , los caps. 112 , 29 ; 284, 24 ; 287, 17 ; 309 , 22, 24 ; 358, 29 ; 360, 9.

وأيضاً في رواية "بلانكرنا": أنظر: Ramon Lull , Blaquerne , p.331-339. والحجة التي أوردها لول في هذه المؤلفات هي نفسها حرفياً تقريباً المذكورة في مقدمة "كتاب الحملة". ففي الفصل 81 من نفس العمل (يتحدث عن كاردينال السلام) وبعالج (الحملة ضد أعداء الصليب، وفي الفصل رقم 87، يتحدث لول عن كاردينال آخر "...لجأ إلى النزاع العلماني وحاول الحصول على عون الملوك والأمراء المسيحيين والبابا بالتوجه إلى البلاد غير المسيحية والتي لم يسمح أهلها بسماع كلمة الإله، والهجوم عليها واحتلالها بقوة السلاح". أنظر:

Ramon Lull , Blaquerne , p.376.

وفي كتاب "المزمور"، يُثير لول قضية الطريق المزدوج لمواجهة المسلمين . أنظر: M.O.G., IV , p.376 : Int.V , p.30.

تتماشى هذه التناقضات الظاهرة وكذا أي تحليل في السياق مع الأفكار المركزية في إيديولوجية لول المتجانسة، حيث أن التصير بدون إكراه لجميع الكفار وخاصة المسلمين تمليه الإرادة الحرة والتي تُتجز من خلال الفهم العقلاني للحقيقة العظمى والموجودة في الإيمان المسيحي والذي يتحقق بفضل الطريقة الجديدة. ويظهر تحليل مُفصل لكتابات لول أنه يُخضع كل شيء لتحقيق هذا المشروع، ولو بشكل طوباوي آخر، فبالنسبة له، يمكنه تحقيقه بشمل تام، إذا تم توفير الظروف التي يُمكن من أن تجعله قابلاً للحياة. ويجب أن تُتجز مهمة تصير المسلمين من خلال الفهم والحوار مع التخب المثقفة والمتعلمة. وأن تُدرس العمليات العسكرية دائماً من خلال وظيفتها في مساعدة خلق ظروف مواتية للبعثات التصيرية والحوار (1).

عن مُحتواه، تضمّن "كتاب الحملة" مُذكرة معنونة بـ "كيفية استرداد الأراضي المقدسة Quomodo Terra Sancta recuperari potest"، وهي وثيقة موجزة نسبياً قدمها لول للبابا والكرادلة، تضمنت كتاب أدعية للكهنة ونواياه الواضحة. لم يُدخل لول في فيها "مقدمة تضرع" والتي كانت معتادة في هذا النوع من كتب الأدعية، أراد لول فيها أن يظهر كيفية المُضي قُدماً لاستعادة الأراضي المقدسة. في بدايتها يعرض مقارنة لقيمة قرع الطبول في الحرب، وفجأة، ودون مزيد من الغوص في النقطة السابقة، يطلب من البابا وكرادته بتوحيد جميع الهيئات العسكرية الدينية في هيئة واحدة. يدعو هذه الهيئة الجديدة بـ "هيئة الروح القدس" (2).

لا يبدو أن لدى القائد الأعلى أو سيد هذه الهيئة الجديدة القيادة العسكرية العليا، على الأقل في الأعمال العسكرية عن طريق البحر، كما يجب عليه أن يكون على وفاق تام مع أعضاء هذه الهيئة. يحمل القائد الأعلى منصب الأميرال الذي سيكون القائد العام للحملة المنتظرة فيما وراء

=ويظهر هذا الرأي بشل واضح في الفصل 20 من "كتاب مريم المقدسة. أنظر: Ramon Llull , Liber de Sancta Maria , en R.O.L., Edidervnt Blanca Garí,Fernando Domínguez Reboiras , Volume 28 , Brepols, 2003, p.178.

(1) - أنظر: DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando , Ramón Llull y la cruzada , p.263.

(2) - لا يعطي لول سبباً أو تفسيراً لهذه التسمية سوى أنها لرعاية الأقوم الثالث من الثالث الأقدس. انظر: Ramon Llull , Quomodo Terra Sancta recuperari potest , en R.O.L. , Vol.XXVIII , p.328.

البحار (تم تسميته في المذكرة بسيد البحار Dominus maris) ⁽¹⁾. وظيفة هذا الأميرال، مثلما يوضحها لول في كتابات لاحقة تصبح "الملك المحارب bellator rex"، الذي يقود سلسلة من السفن التي تشكل أسطولاً منتظم (guleas vivas) وهدفها المنشود هو السيطرة على الساحل الشامي بأكمله. ولا يغفل لول عن محطة تزويد هذا الهيكل إذ سيكون مكان إيواء هذا النظام العسكري العظيم في قيليقيا (أرمينيا الصغرى) وليس في رودس أو جزيرة قبرص أين كانت تُقيم الهيئات العسكرية الموجودة في تلك الفترة. ويشمل هذا الإجراء مراقبة الحصار البحري الذي اقترحه الباباوات باعتباره فرضية لكل حملة صليبية. وفي بضعة أسطر، يقترح لول حلاً لنقطتين حاسمتين في النقاش الحالي: الهيئات العسكرية والحظر التجاري على الساحل الشرقي للبحر المتوسط ⁽²⁾. وكل الكتاب المعاصرين له، يكشف لول عن البيانات الاستراتيجية-التكتيكية التي تُثبت معرفته بالجغرافيا السياسية.

يُقدم لول هنا منظوراً جديداً، وهو خُضوع الجيش والجهاز العسكري للبعثة التنصيرية، أي تحول المهمة العسكرية إلى مهمة فكرية. هذه الميليشيا الجديدة تُكلف، إلى جانب قائد عسكري

⁽¹⁾- أنظر: Ramon Llull , Quomodo Terra Sancta recuperari potest , p.328.
⁽²⁾- هناك بعض الالتباس يكتنف العلاقة بين الهيئات العسكرية الدينية والحملات الصليبية. والمتفق عليه بشكل عام هو أنه من إحدى المهام الرئيسية للهيئات العسكرية هي مواصلة الحرب التي كانت مستمرة بشكل أكبر أو أقل ضد الكفار (المسلمين). أما فيما يتعلق بالبعثات التبشيرية، فلم يكن لهم التزام صريح، ولم تكن إدارة أي حملة صليبية مسؤولة عنها أيضاً. وقد وجب عليهم المشاركة في الحملات الصليبية باعتبارهم "crucesignati صليبيين". وكان من عادة هيئة فرسان المعبد وفرسان الاسبتارية ارتداء زي يحوي الصليب على صدورهم لتخليد ذكرى آلام المسيح، فبالنسبة لهم كان بمثابة نذر للطاعة ولم يكونوا أحراراً في فعل شيء آخر. وكان واضحاً جداً أن سلسلة من المراسيم البابوية منعت أخويات الهيئات العسكرية من أن يصبحوا صليبيين. ويعود أول اقتراح لتوحيد هذه الهيئات في هيئة واحدة إلى البابا جريجوري العاشر في مجمع ليون 1274م الذي كان واعياً لمسألة استعادة وظيفتهم العسكرية المحددة والحد من نفوذهم وقوتهم في البلدان المسيحية في غرب أوروبا. وبعد سقوط مدينة عكا، تم التأكيد على الطبيعة المعقدة لعمل الهيئات العسكرية. وانحطت معنويات الاسبتارية وفرسان المعبد وتراجعوا إلى جزيرة قبرص، وافتقروا إلى فكرة واضحة عن دورهم في المستقبل. فقط بعد سنوات تتوضحت أهدافهم، وبرز على سبيل المثال، القائد العام الجديد لهيئة الاسبتارية، بدأ فولكيه دي فيلاري Foulques de Villaret بغزو جزيرة رودس ونقلت الهيئة العسكرية الألمانية قيادتها من البندقية إلى بروسيا محددة بذلك هدفاً جديداً. وقد انتقد الرأي العام في غرب أوروبا تنصل الهيئات العسكرية من مهامهم العسكرية على الحدود المسيحية ونسب لهم ظلماً مسؤولية كبيرة في سقوط عكا. وفي مقترحه الموجه للبابا بخصوص توحيد الهيئات العسكرية، لم يعتزم فيه لول فقط خدمة الحملة الصليبية، ولكن أيضاً إضافة مهام جديدة للهيئات العسكرية وهي خدمة البعثات التبشيرية. وقد تصور لول الهيئات العسكرية الدينية كمؤسسات مدعومة للحفاظ على الحرب الدائمة (يذكر لول قضية "القتال المستمر continuum praelium) أي استبدال أو استكمال الإجراءات المحددة للحملة الصليبية. كما أدرك لول على الفور الوضع الجديد، وبالتالي فإن أفكاره حول البعثات التبشيرية ودور الكفاح المسلح ضد المسلمين في الدفاع عن المسيحية تتغير فقط مع تغير الوضع السياسي في الشرق. أنظر:

Prawer J., Military Orders and Crusader Politics in the Second Half of the XIIIth Century , in: J. Fleckenstein and H. Hellmann, Die geistlichen Ritterorden Europas, Sigmaringen , 1980 , pp.217-229 ; A.J. Forey , The Military Orders in the Crusading Proposals of the late thirteenth and early fourteenth century' , Traditio 36 , 1980 , pp.317-345.

كبير، قائداً كبيراً آخر في علم اللاهوت الذي، بطبيعة الحال، ستكون في خدمته قوة مُسلحة، ليست مُدعمة فقط بالسيوف والرماح، بل بـ"الأسباب الضرورية" rationes necessariae⁽¹⁾، وسيُشكلون بذلك موكبا من الفرسان الحُكماء، الذين يُقبلون على تدارس اللاهوت والفلسفة بعد تعلمهم للغات المسلمين (يسميهـم بالكُفار) والمنشقين⁽²⁾. بالإضافة إلى ذلك، ينبغي عليهم أيضاً أن يكونوا على أهبة الاستعداد للمعاناة في سبيل الاستشهاد والوعظ لنشر كلمة المسيح في جميع بقاع العالم، ومطلوب من هذه القوات الورعة والمتقفة أن تحمل معها مكتبة تحتوي على كتب مُكرسة خصيصاً للجدل الديني مع تلك الشعوب التي يجب أن يُمارسوا فيها مهام التنصير. وينتهي الوصف الموجز للأعضاء المُتعلمين بالاقتناع بأن أي ديانة أو انشقاق يُمكن مُحاربتـه بالأسباب الضرورية، أي الحُجج العقلانية المُقنعة والغير قابلة للطعن⁽³⁾.

لجيش هذه الهيئة العسكرية الجديدة عدد قليل، والكثير من الكتائب الأدبية (يتذكر لول حماسة حملات محو الجهل والبعثات الشعبية أكثر من قتال الحملات الصليبية) وهدفها الأول هو تدمير الانشقاق. ويتطلب ذلك تسوية نهائية للانقسام بين المسيحيين⁽⁴⁾. ويحتل هذا الموضوع حيزاً أساسياً في فكر لول، وكان في تناغم مع البابا الذي وجّه إليه هذا الكُتيب، خاصة مع إدراك لول باختلال القوى الذي كان مُنكشفاً في الشرق. لذلك رأى لول أن وحدة المسيحيين ستكون من الناحية الإستراتيجية، إيجابية للغاية.

ويُحكم احتكاك لول بالعالم الإسلامي عرف أن "دار الإسلام" ليست مجموعة مُتجانسة من الشعوب، ورأى أنه منذ وفاة "نبي الإسلام" محمد والعالم الإسلامي يعيش انشقاقات داخلية ونزاعات وحروب، وقد ساهم تنوع العوالم التي تطور فيها الإسلام في مضاعفة حدوده، لكن في نفس الوقت جعل من المستحيل بقاءه في رؤية موحدة. ومع ذلك، كانت الرؤية الموحدة لعالم الإسلام شائعة في الغرب المسيحي، وكانت بمثابة الأساس لجميع المخاوف التي غرستها صورة

Ramon Llull , Quomodo Terra Sancta recuperari potest , p.329.

⁽¹⁾ - أنظر:

Ibid. , p.328.

⁽²⁾ - أنظر:

Id. , p.329.

⁽³⁾ - أنظر:

Loc.cit.

⁽⁴⁾ - أنظر:

النبي محمد وأتباعه. ومن ناحية أخرى، فإن وحدة العالم البيزنطي التي تحققت بتوحيد عدد كبير من الكيانات المتنوعة إثنياً قد تفككت، كما أن تفوقها البحري كان مُهدداً بشكل خطير. وفي الواقع، ظلت رومانيا مجموعة سياسية متماسكة، إذا ما قورنت بالوصف الذي وضعه لول هنا لحدود مايسميهم بالكفار، إذ يرصد لول التهديد والضغط الذي مارسه المغول والشعوب التركية على الحدود الإسلامية. وعلى الرغم من ذلك، فقد كان جوهر الوحدة البيزنطية في مأزق كبير، إذ كان يُواجه التوسع المسيحي من الغرب اللاتيني أو الاستسلام لخطر الإسلام أو قبول شروط الحُكام اللاتين الذين طالبوا بإعادة توحيد العالم المسيحي تحت وصايتهم، وهو ما يعني بالنسبة لهم أن يتلاشوا ويختفوا لصالح المسيحية الغربية التي كانت غريبة عنهم. ولم تكن العقيدة هي التي تفصل اليونانيين واللاتين، فقد جاءت المشاكل الفقهية ثانوية وقابلة للحل. بل كان جوهر الخلاف متأصلاً على مستوى الحساسية بين الطائفتين المسيحيتين، والتي كانت فيها الاختلافات متجذرة. ففي بيزنطة، أوغل الشعب والرهبان في روحانية جديدة رفضوا تركها أو تقديمها إلى المسيحيين الأجانب الذين كانوا مُهتمين فقط بتحقيق النجاحات السياسية المادية التي عُرِف بها الغرب على التقدم الروحي للمسيحية الشرقية⁽¹⁾. وتمّ رفض كل جهد يُبذل في سبيل تحقيق اتحاد على المستويين السياسي والمذهبي على جميع المستويات الهرمية والشعبية التي تُهيمن عليها الكراهية المُغذاة من الموقف المتعطرس لللاتينيين. وبالتالي، فإن ضعف بيزنطة بعد وفاة الإمبراطور "ميخائيل باليولوجوس" عام 1282م يتناقض مع احتياطي جديد من الدينامية بين المسلمين الممثلين في مصر المماليك من شأنها دكّ حصون الأراضي المقدسة اللاتينية⁽²⁾.

وفي الناحية الاقتصادية، كانت الهيمنة على السوق التجارية في غرب أوروبا أمراً لا مراء فيه. فقد نظمت الجمهوريات البحرية كمدينة جنوة، وقبلها بصفة أفضل، مدينة البندقية، اتصالات منتظمة مع الشرق. ولم تقع حروب في البحر المتوسط بسبب أن الأساطيل المسيحية كانت سيئة السمعة، والعلاقات في البحر كانت واضحة تحكمها المصلحة التجارية المادية. كما أن هناك

⁽¹⁾ - للمزيد حول جذور المشكلة والقطيعة الدينية بين اللاتين والبيزنطيين ارجع إلى: إسحاق تاوذرؤوس عبيد، روما وبيزنطة من قطيعة فوشبوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين 869-1204م، دار المعارف، القاهرة، 1970.

⁽²⁾ - أنظر: DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando , Ramón Llull y la cruzada , p.305.

المزيد من الصراعات بين المضيفين المسيحيين وبين المراكز التجارية الشرقية⁽¹⁾. إن هذه العلاقات الطيبة تمثل مقياساً للحالة السلمية في البحر المتوسط، والأسباب الدينية فقط هي من أمكنها كسر طبيعة هذه المشهد المثالي، ولعل مقترحات لول بهذا الشأن تتناغم مع هذا التحليل الواقعي للوضع⁽²⁾.

يرى لول أن اتحاد جميع المسيحيين اللاتين واليونانيين، كخطوة تسبق تنصير التتار، سيكون الهدف التالي، وهو أمر من شأنه أن يضع الإسلام في موقع صعب بين جبهتين. وحول هذه الفكرة الأخيرة التي يعتبرها لول مثالية يترك تحذيراً مفاده: أنه إذا اعتنق التتار الإسلام وليس المسيحية، فإن أمراً سيئاً سيحدث لكل العالم المسيحي⁽³⁾. وإذا صدف وأن انجزت المهمة المنشودة بالنسبة لكل من المنشقين والتتار، فإنه يجب على القائد اللاهوتي الأعلى للهيئة الروح القدس أن يضمن أن المسلمين يعرفون ما هي الأمور التي يعتقدونها المسيحيون حقاً، لأنه كما يقول لول، أن المسلمين يعتقدون بأن المسيحيين يؤمنون بأمور لا يؤمن بها آخرون منهم⁽⁴⁾. هذه الاستراتيجية نشأت من يقين لول، الذي ينص على أن السراسنة المثقفين سيعتقدون المسيحية لو كانوا يعلمون ما يعتقدونه المسيحيون حقاً⁽⁵⁾.

لكن لول لا يوضح بدقة ماهية العلاقات بين صلاحيات القائد الأعلى للهيئة والأدميرال، إذ تبدو غير واضحة ومُعقدة بعض الشيء. فكل من القائد العسكري والمعلم اللاهوتي سيعتمد إدارياً

⁽¹⁾ - للمزيد حول نشاط الجمهوريات البحرية الإيطالية التجاري في البحر المتوسط ارجع إلى: عادل زيتون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى: بحث في النشاط التجاري للجمهوريات الإيطالية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط 13-14 م، دار دمشق للنشر ، دمشق ، 1980.

⁽²⁾ - أنظر: DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando , Ramón Llull y la cruzada , p.305.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull , Quomodo Terra Sancta recuperari potest , p.329.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ibidem.

⁽⁵⁾ - بالنسبة للول، تمثل المعرفة التامة والعادلة لإيمان الآخر "شرطاً لا غنى عنه" *conditio sine qua non* للحوار بين الأديان، والتي يقترحها كنقطة انطلاق لتنصير المسلمين وغيرهم. وحسب لول تستمد الاختلافات بين المؤمنين، في معظمها، من معلومات ناقصة ومشوهة عن إيمان ومعتقدات الآخرين. وسيكون التوافق أسهل إذا كان الخلاف ينطوي على معرفة دقيقة بإيمان الآخر. أنظر:

Jordi Gayà , *Ipsi non credunt, quod credamus sicut credimus* , *Cristología en el Arbor scientiae*, XIII, en : Fernando DOMÍNGUEZ REBOIRAS et alii (eds.) , *Arbor scientiae* , Turnhout , 2002, pp.273-286.

على القائد الأكبر لهذه الهيئة الجديدة ⁽¹⁾. على أنه يجب أن يضمن أن الملك الشجاع والورع، مستعد للعزوف عن الزواج أو التخلي عن زوجته، وهو ما ينتهي به إلى توليه مقاليد منصب "القائد الأعلى" ⁽²⁾. وفي هذا الصدد، يقول لول أن البابا لديه بالفعل مُرشح لمثل هذا المنصب، لكن لا يُسميه على وجه التحديد ⁽³⁾. أمّا عن تمويل جيش هذه الهيئة الجديدة فيتم من خلال ضريبة العشور المُجباة، ويجب أن يعمل الكاردينال كوسيط ومدير لهذا المصدر المهم من مصادر الدخل وتوزيعه ⁽⁴⁾. كما يُشير لول بشكل دقيق إلى أن هذه الأموال ستُستخدم على نحو أفضل، وليس كما هو الحال حتى الآن، حينما كانت موزعة على أقطاب الكيانات الأوروبية التي لم تف بوعودها التي قطعها ⁽⁵⁾.

بعدما يفرغ لول من تحديد الجهات الفاعلة، وذكر الغرض الرئيسي وكيفية تمويل "الحملة Passagium"، يدخل لول في صلب القضايا العامة للاستراتيجية العسكرية. حيث يعتقد لول أن المسيحيين سيتفوقون في جميع المعارك الضارية ضد الموريين (المغاربة)، ولكن هذا لن يتحقق إلا من خلال نظام تسليح أخف وزناً، وأكثر مرونة وفعالية في المناوشات أو العمليات في أوقات مُحددة ⁽⁶⁾. ويعتقد لول أن أحد مزايا الاتحاد مع اليونانيين والعمل المشترك مع الأرمن والتتار والجيورجيين سيكون حتماً إضافة المُشاة الخفيفة الجديدة، وهؤلاء الشعوب لهم من الخبرة الكثير

¹ - أنظر: Ramon Llull , Quomodo Terra Sancta recuperari potest , p.329.

² - أنظر: Ibid. , pp.329-330.

³ - يعتقد "جارسياس بالو" أن لول يُشير إلى الشاب "فيدريكو"، شقيق خايمي الثاني ملك أراجون، والذي سيتولى فيما بعد مملكة التريناكريا (صقلية). أنظر:

Sebastian Garcias Palou , El candidato de Ramon Llull para el cargo de Maestre General de la Orden Militar del Espíritu Santo“, EL 16 (1972) , pp.63-77.

⁴ - أنظر: Ramon Llull , Quomodo Terra Sancta recuperari potest , p.330.

⁵ - مسألة "العشور" واستخدامها (أو هدرها مثلما يحبذ بعض الباحثين) وأهميتها في تاريخ فكرة الحرب الصليبية، سنأتي على ذكرها في هذا الفصل، وهي قضية مهمة جداً تظهر في كثير من الأحيان في مؤلفات لول. ففي رواية "بلانكرنا" يتحدث لول عن واعظ مجنون كان مُخصصاً لرفع الأموال المجباة، ولا يخلو عمل من ذكر هذه الأمور في مؤلفات لول التي كان موضوعها الحرب الصليبية. وعلى سبيل المثال، في "كتاب الضيق"، ينشد لول بعض الأبيات التي تحمل هذا الموضوع:

هذه الحملة تم منحها
من كل ما يملك رجال الدين والديويون
ومع كل المدة التي يدومها الغزو
من أجل الضريح، وهذا كل ما أمر به

أنظر: Ramon Llull , Desconort , O.R.L. , pp.246-247.

⁶ - أنظر: Ramon Llull , Quomodo Terra Sancta recuperari potest , p.330.

ليقدموه ضد المسلمين الذين يقول عنهم لول أنهم مازالو متفوقين على المسيحيين. ومع هذه القوة الضاربة المزدوجة للمسيحيين، سينتهي تفوق المسلمين الحربي عن طريق البر، ويُشير لول أيضاً إلى أن المغاربة لديهم هيكل عسكري أكثر هرمية وأكثر فعالية وأن على المسيحيين تقليدهم ومحاكاتهم، من خلال إنشاء نظام قيادة جديد مما يُساهم في فرض المزيد من الانضباط (1)، الأمر الذي ينعكس على الفعالية العسكرية التي ستُعزز على الأرض، وإذا افترضنا التفوق المسيحي عن طريق البحر، فسينتهي بذلك حُكم المماليك.

يواصل لول مقترحاته في هذه العملية حينما يوصي باستخدام عنصر المفاجأة في العمل العسكري المتزامن حيث تتم مُهاجمة ميناء مدينة الاسكندرية، وهو ميناء تجاري حيوي بالنسبة للمسلمين، واحتلال جزيرة رشيد التي تسيطر على خليج هذا الميناء (2)، الأمر الذي يدفعنا للتساؤل عن مدى معرفة لول بهذه المنافذ وهل زارها حقاً؟ ويُشدد لول بعدها إلى أن مُهاجمة السلطان (ويعني بهم المماليك) في مركزه الأكثر تعرضاً للإمداد يُفضي إلى تحرير طريق إلى القدس التي ستكون الطريق إليها مفتوحة للحلفاء المسيحيين والتتار. ويرى لول في هذه الاستراتيجية الشاملة أنها سهلة وممكنة (levis est et possibilis) وأنه واثق من الحصول على دعم ومُباركة الإله الذي يريد أن تعتنق البشرية جمعاء الديانة المسيحية (3).

القسم الثاني من "كتاب الحملة" جاء تحت عنوان "إمكانية تنصير الكفار El Tractatus de modo convertendi infideles"، ومن العنوان يظهر أن لول لا يترك مجالاً للشك بأن "الحملة Passagium" ليست سوى جزء لا بد من دمجها في برنامج تنصيري أوسع. يُقدم هذا الجزء من الكتاب الكيفية التي يُمكن من خلالها تحويل المسلمين -الذين يسميهم لول دائماً بالكفار- إلى المسيحية، ويناشد لول البابا وكلية الكرادلة الذين قدم لهم العمل بدراسة ماورد فيه

Ramon Llull , Quomodo Terra Sancta recuperari potest , p.331.

¹ - أنظر:

Loc.cit.

² - أنظر:

Ibidem.

³ - أنظر:

بعناية (أراد منهم دراسة مسحية للعمل Circumspicere) مُذكرًا إياهم بأنه ليس مبتدءا في هذا النوع من المسائل، ولكنه خبير كرّس حياته ولفترة طويلة لهذه المهمة (1).

ينقسم العمل إلى ستة أجزاء: يتناول الجزء الأول العمل العسكري عن طريق البحر، ويُعالج الجزء الثاني العمل العسكري عن طريق البر، أما الجزء الثالث فيتحدث عن الطريقة الصحيحة للتحويل إلى المسيحية، ويعرض الجزء الرابع الأسباب التي تدعو إلى وضع المُقترحات النظرية للأجزاء الثلاثة الأولى موضع التنفيذ دون أي تأخير، وجاء الجزء الخامس ليُفسّر بأنه لا بديل عن هذا البرنامج، وأخيراً تحدث الجزء السادس عن تمويل هذا المشروع. ويُظهر تعداد الفهرس وزيادة التمديد للجزئين الرابع والخامس بوضوح أن نية هذا الكُتيب ليست الاستراتيجية نفسها، بل بالأحرى الأساس النظري للإيديولوجية التي يعتزم لول غرسها في عقل البابا والكاردينالات باعتبارها إيديولوجية لا مفر منها ولا بديل لها.

قبل أن يبدأ لول في عرض البنود التي يحتوي عليها الكُتيب، يُمهّد بفقرة صغيرة لكنها مهمة حول كيفية النقاش والجدال. يبين فيها أنه واضح جدا كون أن أسبابه ودوافعه ليست مجرد تكهنات بعيدة عن الواقع أو الخيال العقلي، ولكنها تستند إلى حقائق لا يُمكن إنكارها وفقاً لمجموعة من الأطر منها على وجه الخصوص الحقائق على الأرض، والطرق البحرية والوضع الحقيقي للدول التي تتبادر إلى الذهن، وتخضع تلك الحقائق المُجرّدة إلى فحص وتدقيق فكري وليس إلى نتائج نبضات عاطفية غير مرغوب فيها (2). يريد لول إذا أن يوضح أن النقاط التي تمّ تطويرها في هذا الكُتيب، قد تمّ النظر فيها عن طريق أعمال الذاكرة والفهم والإرادة وفقاً للكرامات الإلهية، أي قبل التحدث عن الموضوع، قد درس ووازن جميع الجوانب وربط السلطات الثلاث للروح والمبادئ المطلقة للفن اللولي، وهو المثال الأعلى من الموضوعية والجهد العقلي (3).

⁽¹⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Tractatus de modo convertendi infideles , en R.O.L., Edidervnt Blanca Garí, Fernando Domínguez Reboiras , Volume 28 , Brepols, 2003, p.336.

Loc.cit.

⁽²⁾ - أنظر:

Ibidem.

⁽³⁾ - أنظر:

في الجزء الأول يتحدث لول عن الحرب عن طريق البحر، ويقول بأنه ينبغي رصد ميزانية معتبرة والتي سبق الإشارة إليها في المذكرة: والسبب أن القوة البحرية للمسيحيين مُتفوقة كثيراً على قوة السراسنة. وسيقول لاحقاً مرة أخرى بأنها حقيقة واضحة وذات سمعة لها صدى، ففي عرض البحر "المسيحيون أكثر قوة Christiani sunt potentiores" (1). ويستند هذا اليقين إلى الهيمنة المسيحية على جزر البحر الأبيض المتوسط. فامتلاك الجزر كأساس للمجال البحري هو مبدأ أساسي لجميع الدول أو الجمهوريات البحرية الذين سعوا إلى تسيد البحر المتوسط، ولا سيما العمل التوسعي الذي اضطلعت به أسرة أراجون (2). وهي حقيقة شهيرة أوردها ابن خلدون في مقدمته حينما أقر أن المسيحيين في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، لم يكونوا قادرين على أن يطفوا بسفينة واحدة في البحر المتوسط بسبب إغلاقه من طرف الملاحية الإسلامية وتحوله إلى بحيرة إسلامية، لكن بعد ذلك وفي زمنه، يعترف بأن هذه الحقيقة لم يعد لها معنى (3). فبالنسبة لرامون لول أن تفوق الأساطيل المسيحية على نظيرتها الإسلامية والذي يمتد من سبتة إلى قيليقيا، هو أمر لا جدال فيه ولا نقاش. وتكريس هذا الواقع يخدم بالأساس "الحملة" المنشودة وهو الهدف من هذا الجزء الأول من العمل.

في ثانيا الرسالة التمهيدية، تحدث لول عن أميرال واحد، لكنه هنا أتى على ذكر ثلاثة أميرالات لكل واحد منهم أسطول يهدف للسيطرة على منطقة ساحلية من البحر لتتحول إلى منطقة مسيحية. تمتد المنطقة الأولى من المحيط الأطلسي إلى طرابلس الغرب (4)، والمنطقة الثانية من ليبيا إلى قيليقيا، والثالثة تمتد إلى السواحل البلقانية واليونانية والتركية. ويتعهد هؤلاء الأدميرالات بشن حرب مُستمرة ضد الإسلام (5)، وإحكام الحصار البحري على سواحل البحر المتوسط بهدف

¹ - أنظر: Ramon Llull , Tractatus de modo convertendi infidels , p.336.

² - أنظر:

Álvaro Santamaria, La reconquista de las vías marítimas, Anuario de estudios medievales, 10 , 1980 , pp.41-133.

³ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، المقدمة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 1999، ص ص.447-454.

⁴ - أنظر: Ramon Llull , Tractatus de modo convertendi infidels , p.337.

⁵ - يستخدم لول هنا مرة أخرى مصطلح "الحرب المستمرة Continuum praelium"، وهو مصطلح استخدمه لول امام مجلس شيوخ مدينة بيزا. أنظر:

DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando , In Civitate Pisana , not.38 , p.418.

إضعاف قوة المسلمين. ومن شأن التفوق البحري الواضح للمسيحيين، والمُنظم تنظيمًا مُحكمًا، أن يُنهي التجارة الإسلامية الضعيفة ويؤدي إلى زيادة إمكانات التجارة والسوق المسيحيتين. هذه الإستراتيجية هي الأساس المثالي للـ"الحملة العامة" ولن تواجه أية مقاومة من جانب القوى الإسلامية، واستخدام هذا المجال الحيوي عن طريق البحر هو المفتاح لنجاح هذا المشروع (1).

إنّ الكشف عن التفوق المسيحي البحري الواضح الذي أورده لول، قصير وموجز جداً مقارنة بالمطالب التي تتطلبها الحملة العسكرية البرية. وكان لول يُدرك أن سلطان مصر المملوكي لن يُقدم على مواجهة عسكرية عن طريق البحر. ويستهل لول القسم الثاني بالحديث عن العمل العسكري على مستوى البر، الذي يضطلع به كل من الفرسان والمُشاة حيث يتوافق مع الهيئات العسكرية الكبرى الثلاثة (2)، هيئة فرسان المعبد والاسبتارية وهيئة الفرسان التوتون، ومن المُثير للانتباه أن لول هنا لا يتحدث عن اتحاد الهيئات واندماجها في هيئة واحدة، مما يوحي أن الرسالة كتبت بعد هذا العمل، لأنه في جميع المؤلفات التي أعقبتها يتحدث عن الوحدة.

يُحدد لول هدفاً أولاً وهو إخضاع اليونانيين، على أن هناك أمراً فريداً يذكره وهو اقتراح موافقة البابا للعمل العسكري ليكون هناك: "... سيفان، الروحي والجسدي". لتتوسع مهام البابا ولا تقتصر فقط على تنظيم "الحملة" بل تولي المسؤولية المباشرة لها، ويفترض لول أن دور السيد الروحي العظيم في الرسالة التمهيدية هنا، أن البابا نفسه يكون مصحوباً بكتيبة واحدة من اللاهوتيين والدعاة الذين يعرفون لغات المنشقين وأساليب الدحض الفكرية للاختلافات العقائدية مع المنشقين (3). وإذا لم يجر الحوار للخير والصالح العام، سيضطرون إلى استخدام القوة واحتلال أراضيهم بمساعدة الذراع العلماني. ويترك لول حلاً بديلاً مفاده أنه إذا كان الإمبراطور البيزنطي وأساقفته لا يُريدون أن يعترفوا بالحُكام اللاتينيين في أراضيهم فيمكنهم أن يرسلوا وفداً من رجال الدين إلى البلاط البابوي لمناقشة خلافاتهم العقائدية مع اللاتين. وبعد اقتناعهم بضلالتهم (وهو الأمر الذي يُشكك فيه لول بشدة) سيعودون إلى بيزنطة لإبلاغ إخوانهم في الدين، وإذا لم يرغبوا

Ramon Llull , Tractatus de modo convertendi infidels , p.337.

Loc.cit.

Ibid. , p.338.

¹ - أنظر:

² - أنظر:

³ - أنظر:

بعد هذا الحوار في الانضمام إلى روما، فإنهم سيضطرون إلى القيام بذلك بأيّة وسيلة كانت مُباحة أو مُحَرمة، لأن الاتحاد بين المسيحيين هو الأساس لضم المسيحيين الدائم للأراضي المقدسة. ومُشاركة اليونانيين في هذا الهدف هي أمر ضروري للغاية في إستراتيجية لول. وتتطلب مهمة إذعان واخضاع اليونانيين صبرا كبيرا، وحتى لو لم تتحقق في عهد بابوية واحدة، فمن الأهمية بما كان أن يتم الشروع فيها والمُثابرة في تحقيقها، ولول مقتنع بشدة أن انتصار المسيحية على الإسلام يمر عبر اتحاد المسيحيين (1).

حينما يخضع اليونانيون لطاعة روما ويتم غزو الأراضي المقدسة بنجاح بحرا وبراً، يبدأ لول في وصف المهمة الأكثر تعقيدا وصعوبة حسبه، وهي الحفاظ على تلك السيادة، واستراتيجية لول في هذا الصدد هي الإخضاع التدريجي لشعوب الساحل الشامي. ويُسدي لول بعض النصائح لتأمين التمويل من خلال الأوصياء والمُشرفين، ويختتم بالتحذير من أن مُقترحاته لا يُقصد بها أن تكون شاملة وهي بحاجة أن تكون مُفصلة بشكل مُلائم، وأنّ المُهم بالنسبة له هو توضيح أنه، وكما أظهرت التجربة، ما هو مهم ليس الغزو ولكن حفظ وصيانة ما تمّ غزوه. وتظهر إمكانية الحفاظ على ما تمّ غزوه من خلال المثال الذي يضره لول الخاص بالتاريخ الإداري والحربي الطويل للإمبراطورية الرومانية، التي تراجعت عندما تجاهلت المصلحة العامة لصالح المصلحة الخاصة (2).

يتأمل القسم الثالث في الأفكار السياسية وانعكاساتها السابقة للدخول في رؤية لول حول كيفية تنصير الكفار، وتمثل أول إجراء في تسجيل مختلف الديانات والطوائف "Sectas" الموجودة في العالم. وتحقيقا لهذه الغاية تؤسس في روما، باريس، جنوة، البندقية، بروسيا، المجر،

¹ - أنظر:

Ramon Llull , Tractatus de modo convertendi infidels , pp.337-338 ; Idem. , Desconort , O.R.L. , p.247.

² - أنظر:

Ramon Llull , Tractatus de modo convertendi infidels , p.340.
"الصالح العام أو المشترك" يجب أن يكون فوق المصالح الخاصة هي نقطة تعامل معها لول بشكل كبير، على سبيل المثال في "كتاب مريم القديسة Liber de sancta Maria" تصبح القضية طاغية بشكل كبير. ويقدم لول "الحملة" في خطابه النوايا الأولى والثانية التي تشكل أساس نظريته السياسية. وفي كتاب "Phantasticus" يقول أنه إذا كانت الحروب الصليبية فاشلة فلأن ذلك مرده القصد والنية التي تبغي المصلحة الخاصة (من أجل نفسه أكثر من أجل الإله propter Deum propter seipsos).
Ramon Llull , Phantasticus , en : R.O.L. , Vol.XVI , op.190 , Lin.569-581. أنظر:

أرمينيا، ومدينة قافا Cafa وأماكن أخرى، معاهد لتعليم مختلف اللغات التي يتحدث بها الكفار ومنهم المسلمون ⁽¹⁾. وسوف يعجب طلبة هذه المعاهد بصفات المُبشرين، كما تصورها لول وهي: رجل دين غيّر على دينه، مُحب للمسيح حتى درجة الاستشهاد في سبيله، سلوكه الأخلاقي عال لا تشوبه شائبة وضليع في علم اللاهوت والفلسفة. على أن يتم إرسال هؤلاء الطلبة للتطبيق تدريجياً إلى أراضي الكفار للتصير بالوعظ والمجادلة وفقاً لأسلوب الفن اللولي، أي المُحاجة عن طريق "الأسباب الضرورية Rationes necessarias" ⁽²⁾. وهذه الحجج التي لا جدال فيها يُمكن العثور عليها في الكتاب المقدس وفي غيرها من الكتب، مثلما يُصرح بذلك "الخبير لول" (يقدم نفسه دائماً على هذه الشاكلة Sum expertus) ⁽³⁾. ولأن لول لا يزال يعتقد بشكل طبيعي في فنه "Ars"، فإنه يُشدد على وجوب إتاحة الكتب التي تحتوي على هذه الحجج للكفار المتقنين وأن تُدرس لهم بعناية، وينبغي أيضاً أن تكون الكتب التي تحتوي على نفس الحجج مُتاحة للمنشقين أيضاً ⁽⁴⁾.

يُكرر لول المرة تلو الأخرى أن هذا التحويل من شأنه أن يُسهّل مأمورية تتصير المغول وأم أخرى، وينبغي الحفاظ على هذه المدارس وتمويلها بواسطة الخزينة العامة. وإذا حافظ السراسنة على طائفة "الحشاشين Assisinos" على مقاصدهم الشيطانية ⁽⁵⁾، فحري بالمسيحيين رعاية طلاب تلك المدارس وأن لا ينقصهم شيء، ومُباركة أولئك الذين يهتمون بالحفاظ على هذه المدارس ⁽⁶⁾. وكما نعلم أن لول قد حاول بالفعل في مدريد ميرامار التي تحمل هذه الخصائص،

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull , Tractatus de modo convertendi infidels , pp.340-341.

⁽²⁾ - أنظر: Ibid. , pp.341.

⁽³⁾ - أنظر: Id. , p.341.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ibidem.

⁽⁵⁾ - تحدث لول كثيراً عن فرقة "الحشاشين" في الفصلين الثمانين والثامن والثمانين من روايته الأدبية بلانكرنا، حينما ذكر قصة أحد الحشاشين الذي اغتال ملكاً مسيحياً وكيف أنه وفي جدا لسيده وأكثر ولاء من أتباع المسيح على الرغم من أنه على ضلال. كما أتى على ذكرهم أيضاً في عريضته المُقدمة إلى البابا سيلاستين الخامس. أنظر:

Ramon Llull , Blaquerne , Ch.80 , p.332 , Ch.88, p.382 ; Idem. , Petitio Raimundi pro conversione infidelium ad Coelestinum V Papam , 1294 , 'pla 73 : Bo III,15.

وللمزيد عن فرقة الحشاشين ارجع إلى: برنارد لويس ، الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام ، ترجمة محمد العزب موسى، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ط2 ، 2006.

⁽⁶⁾ - أنظر: Ramon Llull , Tractatus de modo convertendi infidels , pp.342.

ولم يتعب ولم يسأم أبداً من الثناء على هذا النوع من المدارس التي من شأنها أن تعطي دفعة كبيرة للعمل التنصيري وتقدم مثلاً عظيماً لجميع المسيحيين.

بالنسبة للول تتمثل المهمة الأساسية لهؤلاء المنصرين في إبلاغ المسلمين المتعلمين بالمضمون الحقيقي للإيمان المسيحي. والحرص على أن يعرف المسلمون ما يؤمن به المسيحيون حقاً، كما أوضح لول ذلك في الرسالة التمهيدية، وهي مهمة مصيرية لأن لديه أملاً كبيراً " Spem maximam" في أن عقلاء الكفار سيتم تحويلهم إلى المسيحية إذا علموا ما يعتقد المسيحيون حقاً "Visa credulitate nostra" ⁽¹⁾. ومن أجل عملية إبلاغ الإيمان الكاثوليكي لغير المؤمنين، يعتقد لول أنه من المناسب إجبار المسلمين واليهود الأسرى على تعلم الإيمان المسيحي. ولما كان لول لديه يقين مطلق من أن معرفة الإيمان الحقيقي يؤدي بالضرورة إلى قبوله، فإنه يرى التنصير اللاحق من الطلاب الملتزمين نتيجة منطقية، ولهذا السبب يرى أيضاً أن يعتمد هؤلاء الطلاب لتقديم حقيقة الإيمان المسيحي في معابد إخوتهم ولو قسراً. وهذا التعليم الإلزامي سيكون وسيلة مؤكدة لتنصير الكفار الذين يعيشون بين ظهرائي المسيحيين ⁽²⁾.

ويُعد القسم الرابع الجزء الأطول في هذا الكتيب ويهدف إلى أن يكون، مع القسم الخامس، الأساس النظري لإيديولوجيا لول ككل. وهو بيان بمبادئ وكيفية إدراج خطته ضمن إحدائيات فكره. ومن بين الأسباب العديدة التي يُمكن تفسيرها لقبول رؤيته لتوسيع مدى العالم المسيحي، أراد أن يعرض عشرة فقط ⁽³⁾، والتي يمكن تلخيصها على النحو التالي:

- يستند السبب الأول إلى مفهوم الإله نفسه، الذي لا نهاية لمطالب معرفته وحبّه في كل مكان ⁽⁴⁾.

¹ - أنظر: Ramon Llull , Tractatus de modo convertendi infidels , p.343.

² - حول تنصير المسلمين واليهود بالقوة. أنظر:

Mark D. Johnston , "Ramon Llull and the Compulsory Evangelization of Jews and Muslims" , in Larry Simon , ed. Burns Festschrift , Leiden , 1995.

³ - أنظر: Ramon Llull , Tractatus de modo convertendi infidels , p.344.

⁴ - أنظر: Loc.cit.

- في تلك الخطة يتبع مثال المسيح ورساله لنشر الإيمان الذي نعتقده ونؤمن به، وعندما توقفت المسيحية عن التوسع ومضاعفة عدد المؤمنين بها جاء محمد ودمر نصف العالم المسيحي (1).

- عندما احتل الإسلام جزءاً كبيراً من الأراضي المسيحية، فإن من القانوني والجائز لجماعة المؤمنين المسيحيين القتال لاستردادها (2). والوقت قصير وعامل ضغط، فقبل المسلمين، مع الإيمان البسيط والسهل (يورد لول عبارة "من السهل أن تؤمن Facilis ad credendam) يجب السعي إلى تنصير التتار، خاصة أن مقترحات لول ستسهل من هذه المهمة، وبمجرد تحقيق هذه الغاية، ستعجل بتدمير الإسلام (3).

- هذا النشاط التبشيري يتفق مع الغرض من الخلق، أي أن الإله معروف ومحبوب من الجميع، وكل ما يتم إنجازه لهذا الغرض الأساسي من الخلق، هو جيد ومفيد للجميع (4).

- من خلال التوافق بين الإرادة العامة والإرادة الإلهية، سوف تضمن هذه الغاية النجاح المأمول. وفي الواقع، خاصة عن طريق البحر، سيكون التفوق المسيحي مطلقاً ويجب أن يوضع موضع التنفيذ. ومن الضمانات الأخرى للنجاح هي أن العقلانية المسيحية تفوق بوضوح إيمان الشعوب الأخرى (5).

هذه الفكرة التي أوردها لول هنا مقتبسة أساساً من مفهوم الفرانسكان للبعثة التنصيرية، والذي يقوم على الطابع العالمي لعمل الخلاص. أنظر:

E.R. Daniel , The Franciscan Concept of Mission in the High Middle Ages , not.14 , p.37.

Ramon Llull , Tractatus de modo convertendi infidels , pp.344-345.

(1) - أنظر: (2) - هذا التبرير للحرب ضد المسلمين، والذي كان أساساً لفكرة "الاسترداد Reconquista"، ليس ابتكاراً من طرف لول، ولكنها حجة ومبرر لطالما ما تم استخدامه. أنظر:

DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando , In Civitate Pisana , not.38 , p.419.

(3) - تحدث لول عن ما يُسمى "السلام المغولي Pax mongolica" ووضعه بمثابة الحلم، والذي لا يراه لول قابلاً للتنفيذ والتحقق إلا إذا توفرت له الأسباب والوسائل الضرورية. وقد سبق للول أن أثار هذه النقطة وعرضها على أساتذة جامعة باريس. أنظر: Hillgarth J.N. , Diplomatarium Lullianum , N.25 , pp.55-58.

(4) - مع نفس هذه الفكرة تبدأ عريضة رامون لول الموجهة للبابا سيلستين الخامس. أنظر: Petitio Raimundi pro conversione infidelium ad Coelestinum V Papam , 1294 , 'pla 73 : Bo III,15.

(5) - أنظر: Ramon Llull , Tractatus de modo convertendi infidels , p.346.

- سيكون لهذا الإجراء (يقصد الحملة العسكرية والتتصير) آثار جانبية أخرى، لعل أولها الوفاق بين رجال الدين والعلمانيين، والذي سيتحقق إذا تمّ تنفيذ هذه الخطة (1).

- ستمكن هذه الخطة المسيحيين من التصرف بحكمة وقوة، وإرادة الحكمة والقوة من شأنها التوحيد لفعل الخير (2).

- هناك تأثير إيجابي آخر لهذه الخطة هو الوحدة بين أصحاب السلطة المسيحية في العالم المسيحي، هذا الاتحاد من شأنه أن يضع حداً للقتال بين الأطراف المتنازعة من أجل تحقيق نهاية مشتركة وعالمية (3).

- يختتم لول بالعودة إلى السبب الأول الذي يكمل الفكرة التي تقوم عليها إيديولوجيته: كل المسيحيين (كل الرجال) يجب أن يكرسوا أنفسهم لخدمة الإله وصفاته. وتتفق خطة لول مع مبادئ فنه ويجب أيضاً أن تكون المرجع النهائي لأي مسيحي. فالمسيحية لا يمكن أن تكون ضد الصفات الإلهية (الكرامات)، ويجب أن تعمل وفقاً لهذه المبادئ. ولمنع تعارض المسيحيين مع الخطة الإلهية فإن الإله كما يقول لول وضع "...أشخاصاً في هذا العالم في مرتبة أعلى، ومنهم الكاهن وإخوته، وملوكاً وبارونات، بحيث يكون هناك نظام في هذا الكون، ولكل رجل منهم قلب وروح لخدمة الإله بكل ما أوتو من قدرة". إن خطة لول، حسبما يقول هو نفسه لا يوجد أفضل منها، حيث يجب أن يطبقها أصحاب السلطة هؤلاء، لأنها تؤدي إلى خدمة كاملة للإله وصفاته، والتي سيكون كل رجل ملزماً بها (4).

- يُصر لول، بأسلوبه الذي يطبع كتاباته، على أن خطته تُعتبر كبيرة وليست عرضية من قبيل الصدفة، فهي تخدم النية والقصد الأول، وليس الثاني. وأن التصرف خلاف خطته من شأنه أن يُحرّف ترتيب الأشياء. والتصرف على أساس عرضي والعمل بناء على نية ثانوية هو سبب سوء

Ramon Llull , Tractatus de modo convertendi infidels , p.346.

¹ - أنظر:

Ibid. , pp.346-347.

² - أنظر:

Id. , p.347.

³ - أنظر:

Loc.cit.

⁴ - أنظر:

حالة العالم. ولهذا السبب تطلب من لول وخطته تغييراً جذرياً في السياسة المسيحية التي تواجه المسلمين. لهذا اعترت العالم ومعه المسيحية المرض لعدم اتباع النية الحقيقية، ويتعين على العالم أن يقبل التغيير، وإذا لم يقبل العالم بهذا التغيير (عن أي تغيير *aliquam alterationem*) سيستمر في حالته المعاكسة وسوف يُصبح تدريجياً أكثر انحرافاً وبعداً عن هدفه الرئيسي . ولذلك فمن الضروري للغاية أن يأمر البابا مع الجميع ممن لديه السلطة في العالم المسيحي وغيرهم من الرجال الشجعان، بتنفيذ هذه الخطة العظيمة والهامة (*Summus pontifex et fratres eius*) *et alii viri valentes ordinent ita magnam et altam ordinationem*) ومعه سينضم العالم إلى طريق الحق، والخير سيكون أكبر وأعم، وسوف يكون هناك المزيد من العلم أكثر من الجهل، وما إلى ذلك، مما يعني أن العالم سيكون متناسقا مع الصفات الإلهية ⁽¹⁾.

مع أن القسم الخامس في جزء منه جاء تكرر لما سبق، إلا أنه تضمن حججا أخرى تدعم خطته، ويصفها لول بالمثالية وينتهي بأنه لا يُمكن أن يوجد أحسن وأفضل منها ⁽²⁾، وأن لا بديل لمقترحاته. واعتقاداً منه بأن لطريقته وسحر بيانه أثر كبير في خطف عقول مستمعيه، يعتمد إلى توظيف المبادئ المطلقة لفنه في المقترحات السابقة ⁽³⁾. ويُصرح بالمبدأ المقدس الذي يظهر في جميع مؤلفات لول وهو أن "غزو الأراضي المقدسة لا معنى له، إذا لم يتم وضع الموارد اللازمة للحفاظ على ما تم تحقيقه" ⁽⁴⁾، وحُجته التي يسوقها هي أن "الخير الإلهي لن يكون بلا حدود إن لم يكن أبدياً". وفي موضع آخر من هذا القسم، يُذكر بأقصى حد يُمكن بلوغه عسكرياً، وأن صراع المسيحيين ضد المسلمين ليس له معنى إلا إذا كان دائماً، وأن الخوف من الوجود المستمر للمسيحيين في حالة حرب سيكون وسيلة ناجعة لمنع توسع المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط. ويُشدد لول على "عظمة التفاهم" و "عظمة الإرادة"، مُبدياً أمله في وجودهما وتفعيلهما

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull , Tractatus de modo convertendi infidels , pp.347-348.

⁽²⁾ - أنظر: Ibid. , p.349.

⁽³⁾ - نفس هذه التقنيات نراها في العرائض الموجهة للبابا سيلستين الخامس والبابا بونيفاس الثامن ، كن نجده أيضاً في كتاب الغاية.وتحتل مساحات محورية للدرجة التي يصفها "فرناندو ريبواراس" بضرب من الهوس الذي اعترى لول. أنظر: DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando , Ramón Llull y la cruzada , p.314.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ramon Llull , Tractatus de modo convertendi infidels , p.350.

في السلطة السياسية التي تصبح آنذاك سخية جدا لتوفيرها للوسائل الضرورية لتحقيق خطته التي يرى أنها ليست تافهة عقيمة ولكنها جد فعالة، خاصة إذا تمت الوحدة بين رجال الدين والعلمانيين⁽¹⁾.

في القسم السادس من العمل، يبدأ لول في الاعتراف بأن خطته تتطلب نفقات هائلة وضخمة. ويتلاعب لول بالمصطلحات وأشكالها لإظهار الدليل على أن أي نقاش لطريقة تنفيذ البعثة التصيرية لن يكون ذا فائدة إذا لم يناقش في إطار "المادة" *Materia* التي تجعل من أي مشروع مهما كان قاصراً، ممكناً. ويُعلن لول من دون أي غموض بأنه لا توجد مشاكل في تمويل الحملة المنشودة، لأن هناك ما يكفي من المال لتغطية الحملة العسكرية ضد المسلمين. والمشكلة حسب لول ليست في وجود مثل هذه التكاليف ولكن الرغبة في وضعها موضعها الصحيح، فتمويل الحملة الضخم بغية إجراء عسكري ضد المسلمين، ممكن جداً باستخدام "العُشر"، وهذا يعني عُشر أرباح الكنيسة التي يجب أن توضع في خدمة الحملة⁽²⁾.

مُقارنة مع الأقسام الخمسة الأخرى، جاء هذا القسم مختصراً جداً، ذلك أن لول لم يرد الدخول في تفاصيل تتعلق بالأمور المالية، ولا يرى نفسه مخولاً أو ذا سلطة كافية للتعامل مع الأمور التي تتعلق بالاقتصاد والمال رغم أن الحديث عن موضوع الحملة يستحق ذلك، ولكنه يُلمح إلى أن الكنيسة لديها من الوسائل ما يخولها توجيه الخير المادي لتتصير الكُفار⁽³⁾.

المُلاحظ في هذا الكُتيب، أن ثلاثة أرباعه مُكرسة للأساس النظري لمُقترحات لول، وتبدوا صياغة التفاصيل الإستراتيجية أكثر إيجازاً وقصراً من عرض الأسس النظرية التي من خلالها تُسَيَّر العلاقة بين المسيحيين والمسلمين. إن الحُجج الي وضعت في القسمين الرابع والخامس هي محاولة واضحة لإظهار أركان فكر لول الذي لم يسع في المقام الأول إلى تقديم استراتيجية

Ramon Llull , Tractatus de modo convertendi infidels , p.351.

Ibid. , pp.352-353.

¹ - أنظر:

² - أنظر:

DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando , Ramón Llull y la cruzada , p.315.

³ - أنظر:

عسكرية ملموسة أو مُطلقة، ولكن التفكير في الإلتزام الأصل بالمشيحية لتتصير المسلمين وغيرهم من الكفار والحد من نفوذ وانتشار الديانات غير المشيحية في العالم.

ب - كتاب الغاية 1305م.

لقد عكس رامون لول وجهة نظر عصره عن الصليبية بوضوح، فكان نموذجاً ممتازاً للصليبي بوجهيه العسكري والسلمي اللذين أشبها وجهين لعملة واحدة . ويصفه "بول ألفاندري Paul Alphandéry" بأحد أنبياء ومنظري الحرب الصليبية الجديدة (1). وفي هذا المقام يتميز كثيرا الجانب من مشروعه المُعبر عن وجهة النظر الصليبية التقليدية المُتمثلة في ضرورة استعمال القوة العسكرية ضد المسلمين. ذلك أنه حدث في نفس الفترة التي كان فيها "هيثوم" يعد مشروعه، أن كان رامون لول يكتب مؤلفه الثاني ذي صبغة دعائية صليبية والذي سماه "كتاب الغاية Libre de Fine" حيث فرغ منه في حدود سنة 1306م والذي ضمنه مشروعه الصليبي بالإضافة إلى العديد من آرائه ومقترحاته التي استمدتها من تجاربه الطويلة في الشؤون الصليبية .

مع أن العديد من أسس هذا المشروع كان قد سبق له طرحها في مؤلفات أخرى وبصفة خاصة في تلك العريضة التي كان يعترم تقديمها إلى البابا سلسنتين الخامس سنة 1294م (2)، حيث ظهر رامون لول في مدينة نابولي الايطالية خلال الفترة من 13 أكتوبر 1294م-10 ديسمبر 1294م وكان لديه هذه العريضة التي تضمنت آراءه في ضرورة تبني سياسة صليبية جديدة بالإضافة إلى السياسة التقليدية (3)، فكان يرى العمل على اتباع خطة تنصيرية جديدة وبصفة خاصة بين التتار لخشيته من أن يعتنقوا الإسلام أو اليهودية وبذلك يشكلون أعظم الخطر على المشيحية، وكان يطمع في كسب تأييد ذلك البابا لهذه السياسة نظراً لكونه من الفرنسيين الذين كانت تربط لول بهم صلة قوية، ومع أن تلك العريضة كانت تتناول في مجملها موضوع التنصير، إلا أنها تضمنت إشارات واضحة إلى وجوب استعمال القوة، ولكن تخلي البابا سلسنتين

(1)- أنظر: Paul Alphandéry , La Chrétienté et l'idée de croisade, Albin Michel , Paris , 1995, p.474.

(2)- أنظر:

DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando , Ramon Llull : El mejor libro del mundo, p.205.

Ibid. , pp.206-208.

(3)- أنظر:

الخامس عن منصب البابوية خيب ظن لول، ومع ذلك لم ييأس فتبع البابا الجديد بونيفاس الثامن إلى روما لكونه هو الآخر من هيئة الفرانسكان وتمكن من مقابله حيث يعتقد أنه تقدم بها إلى البابا بونيفاس الثامن (1294-1303م) الذي خلف سلسيتين الخامس إثر اعتزال الأخير كرسي البابوية للتفرغ للتنسك والعبادة.

احتوى "كتاب الغاية" على مشروع صليبي مُتكامل هو خلاصة آرائه ومقترحاته، وهو عمل ذو أهمية كبيرة لمؤرخي الحركة الصليبية، وتظهر فيه آراء لول باستعمال القوة ضد المسلمين بوضوح على عكس ما يحاول بعض المؤرخين الغربيين من طمس هذه الناحية من آرائه وقصر تلك الآراء على الصليبية السلمية المتمثلة في التنصير مثل "Joseph Delaville Le Roulx" الذي يقول إن رامون لول تيقن من عدم جدوى استعمال القوة في النزاع بين الشرق والغرب فتنازل عن فكرة الحروب الصليبية وحاول أن يكسب المسلمين بالمنطق والإقناع⁽¹⁾.

يعتقد "زويمر Zwemer" أن لول أراد بفكرة توحيد الفئات العسكرية في مشروعه ليس شن الحرب وإنما خلق مجموعة من الفرسان الروحيين لتحقيق الأهداف الصليبية بالسلام والمحبة⁽²⁾، ولمؤرخ الكنيسة "نيندار Neandar" رأي مشابه لهذين الرأيين⁽³⁾، كما يعتقد "شاخت" أن رامون لول كان مثل "روجر بيكون" يرى إحلال الجهود التنصيرية التي تستند إلى فهم عميق للعقيدة الإسلامية واللغات السامية محل المساعي العسكرية⁽⁴⁾، والواقع أن هذه الأقوال لا تُمثل كامل الحقيقة وأن أي فحص لمؤلفاته كما يقول المؤرخ عزيز سوريال عطية يكشف عن رغبته الحقة في

⁽¹⁾ - أنظر:

Joseph Delaville Le Roulx , La France en Orient au xiv^e siècle , Ernest Thorin Editeur, 1886 , Paris , p.28.

⁽²⁾ - أنظر:

Samuel Marinus Zwemer , Raymund Lull, first missionary to the Moslems , New York ; London : Funk & Wagnalls Co , 1902 , p.39.

⁽³⁾ - أنظر:

August Neander , General History of the Christian Religion and Church , Vol.4 , Crocker and Brewster , 1851 , Boston , pp.190-193.

⁽⁴⁾ - شاخت (جوزيف)، بوزورث (كليفورد)، تراث الإسلام ، ج.1 ، تر. حسين مؤنس وآخرين، سلسلة عالم المعرفة، ع.11، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1978 ، ص.51.

خلق حملة صليبية مُسلحة ضد المسلمين⁽¹⁾، والنقطة الهامة الأخرى في هذه الناحية هي أنه كان يرى تعميم هذه الحرب لتشمل كافة بلاد المسلمين وليس لاسترداد الديار المقدسة فقط، ويظهر هذان الأمران بجلاء في مشروعه الصليبي الذي تضمنه "كتاب الغاية" حيث يقول: "إن الجيوش الصليبية ينبغي أن لا تقف عند حد غزو الديار المقدسة، وإنما أيضاً كافة البلاد الإسلامية يجب أن تُغزى بالجيوش"⁽²⁾. ويرى "جوردي جايا" في تقديمه للترجمة القطلانية لكتاب الغاية أن أفكار لول في هذا العمل متناقضة بشكل كامل مع أسس الحوار والاحترام التي ظهرت في مؤلفاته الأولى⁽³⁾.

قسم لول "كتاب الغاية" إلى مقدمة وثلاثة أقسام، فعالج في المقدمة أوضاع العالم الذي يشكل فيه المسيحيون الأقلية بينما يشكل غير المسيحيين (الذين يدعواهم بالكفار) الأغلبية والذين هم في ازدياد ويوسعون رقعة بلدانهم على حساب الأرض التي كانت في الأصل أرضاً مسيحية، ولذلك يرى أنه يتوجب على المسيحيين أن يبذلوا قصارى جهدهم من أجل تنصيرهم واتباعهم المذهب الكاثوليكي بالذات. وبين في القسم الأول حججه ضد المسلمين⁽⁴⁾، واليهود⁽⁵⁾ والمسيحيين المنشقين عن الكاثوليكية كالأرثوذكسية⁽⁶⁾ واليعاقبة⁽⁷⁾ والنساطرة⁽⁸⁾ والتتار⁽⁹⁾، ولم يفته أن يؤكد على ضرورة تأسيس مدارس خاصة من أجل تعليم الرهبان المنصرين اللغات الشرقية لمساعدتهم في مهمتهم التنصيرية، ويرى أنه منذ ألف عام لم توضع خطة لنشر المسيحية أفضل من هذه

⁽¹⁾ - أنظر: Aziz Suryal (Atiya) , Crusade in the Later Middle Ages , p.75.

⁽¹⁾ - أنظر:

⁽²⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Darrer Llibre sobre la conquesta de Terra Santa (Liber de Fine) , Introducció de Jordi Gayà , Traducció de Pèrre Llabrés , Departament de cultura de la Generalitat de Catalunya, Barcelona , 2002 , p.98.

⁽³⁾ - أنظر: Jordi Gayà , Introducció del Darrer Llibre sobre la conquesta de Terra Santa (Liber de Fine) , p.39.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ramon Llull , Darrer Llibre sobre la conquesta de Terra Santa (Liber de Fine) , pp.79-82.

⁽⁵⁾ - أنظر: Id. , pp.82-84.

⁽⁶⁾ - أنظر: Id. , pp.84-87.

⁽⁷⁾ - أنظر: Id. , pp.87-88.

⁽⁸⁾ - أنظر: Id. , pp.88-91.

⁽⁹⁾ - أنظر: Id. , pp.91-93.

الخطّة، وتقود هذه النتيجة المتمثلة في وجوب سير التنصير جنباً إلى جنب مع القوة العسكرية أو نظرية وجوب استعمال السيفين معاً إلى القسم الثاني من الكتاب الذي ضمنه مشروعه الصليبي. وهذا القسم يعتبر وثيقة هامة نظراً لأنها تكشف عن أفكار لول وآرائه الصليبية بوضوح وتقدم الدليل القاطع على أنه لم يكن مجرد مفكر مثالي غير عملي وإنما له آراء كثيرة تتسم بالعمق والواقعية، ويزيد في هذه الأهمية أن لول كان يعكس وجهة نظر المفكرين الصليبيين في عصره.

لقد وضع لول في "كتاب الغاية" تصوراً واضحاً للشكل الذي ينبغي أن تكون عليه الحملة الصليبية التي يقترحها، فهو يقترح أن يقودها أحد الملوك أو من ذوي الدم الملكي على الأقل يتم اختياره من قبل البابا والكرادلة وأن يكون أعوانه من أبناء الملوك أيضاً وأن يكون له مجلس استشاري يقدم له المشورة والنصح في الأمور الطارئة⁽¹⁾، ويظهر أن قائد هذه الحملة المنشودة بالنسبة للول هو ملك أراجون "خايمي الثاني"، ويظهر هذا في مراسلة بين أحد نبلاء مدينة جنوة "كريستيان سبينولا" وملك أراجون "خايمي الثاني"⁽²⁾، يذكر سبينولا فيها أنه تحدث إلى لول خلال إقامة الأخير في جنوة. وأن لول فكر في زيارة ملك أراجون، وأنه اقترح على سبينولا أن يذهب في بعثة يصحبه فيها جمع من نبلاء جنوة إلى البلاط البابوي، ليلتمسوا من البابا تحضير حملة صليبية ضد مسلمي غرناطة. وحينما رأى لول أن هذه الفكرة لا يمكن لها أن تتحقق، ولى وجهه شطر مدينة مارسيليا التي تواجد بها في ذلك الحين "أرنو فيلانوف"، من أجل نفس الهدف، خاصة إمكانية اقناع البابا بتعيين خايمي الثاني قائداً للحملة الصليبية المتوقعة⁽³⁾.

ثم يرى لول وجوب اندماج جميع منظمات الرهبان العسكرية من داوية واسبتارية وتيوتون وسواهم في هيئة واحدة تحت إمرة هذا القائد للقضاء على روح التنافس بينها والتي كانت سبباً هاماً

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull , Darrer Llibre sobre la conquesta de Terra Santa (Liber de Fine) , pp.93-95.

⁽²⁾ - نص هذه المراسلة محفوظ في أرشيف مملكة أراجون ومنشور من طرف كل من H. Finke و Hillgarth ومؤرخة بالرابع من شهر سبتمبر لكن السنة غير محددة، ويقترح H. Finke سنة 1308م. أنظر: H. Finke , Acta Aragonensia , II , 878 sv ; Hillgarth , Lull and Lullism , p.68 , n.68.

⁽³⁾ - أنظر:

J.N. Hillgarth , Date de la rencontre de Llull et d'Arnaud de Villeneuve a Marseille , dans Raymond Lulle et le Pays d'Oc , Cahiers de Fanjeaux , 22 , Toulouse , 1987 , p.70.

في الضعف الذي أصاب الصليبيين في المشرق والذي أدى بدوره إلى طردهم من بلاد الشام⁽¹⁾، هذا بالإضافة إلى ضرورة اندماج جميع المشاركين في الحملة في جيش واحد يأتصر كله بأوامر ذلك القائد الذي يسميه بـ"الملك المحارب"⁽²⁾، وأما بالنسبة للأموال اللازمة لهذه الحملة لمواجهة مصاريف التسليح والمؤن والنقل وما إلى ذلك، فيرى أن يسمح للبابا باقتطاعهم من ضريبة العشور، واستكمالاً لهذا الموضوع لا يفوته أن يؤكد على وجوب القيام بحملة دعائية كبيرة لهذه الحملة في جميع أنحاء أوروبا يتولاها رجال الدين ليحثوا الناس على المشاركة فيها.

بعد ذلك يتناول لول موضوع الطرق التي يمكن للحملة سلوكها للوصول إلى الديار المقدسة ويحددها بخمسة طرق⁽³⁾. الأول هو الطريق البري عبر شرق أوروبا إلى القسطنطينية ومنها إلى أرمينيا الصغرى ثم إلى بلاد الشام، ويرى أن هذا الطريق كثير المخاطر فضلاً عن طوله والنفقات الباهظة التي ستتكلّفها الحملة إذا ما سلكته⁽⁴⁾، وأما الثاني فهو الطريق البحري إلى مصر مباشرة وإلى مدينة رشيد بالذات⁽⁵⁾ المجاورة للإسكندرية، ويرى أنه يمكن احتلال رشيد بسهولة، على أن هذا الطريق في رأيه طويل وباهظ التكاليف أيضاً⁽⁶⁾.

يواصل لول ذكر الطريق الثالث، وهو الإبحار إلى جزيرة قبرص لكنه يبدأ في تعداد المصاعب والمعوقات لاستعماله فيرى أنه فضلاً عن طوله المفرط فإنه يحتم على جنود الحملة أن يتقنوا فن القتال في البحر والبر معاً يضاف إلى ذلك صعوبة أخرى هي عدم توفر مواد التموين اللازمة في تلك النواحي لإعادة تموين الجيش⁽¹⁾. وأما الطريق الرابع فهو طريق إفريقية، أي

⁽¹⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Darrer Llibre sobre la conquesta de Terra Santa (Liber de Fine) , p.94.

⁽²⁾ - أنظر:

Id. , p.93.

⁽³⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Darrer Llibre sobre la conquesta de Terra Santa (Liber de Fine) , p.99.

⁽⁴⁾ - أنظر:

Ibid. , p.99.

⁽⁵⁾ - تعرف مدينة رشيد في المصادر المسيحية بـ Raycet وترجمتها المراجع الغربية باسم Rosetta . أنظر :

A.S. Atita , Crusade in the Later Middle Ages , p.79 , note10.

⁽⁶⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Darrer Llibre sobre la conquesta de Terra Santa (Liber de Fine) , p.99.

⁽¹⁾ - أنظر:

Ibidem.

الإبحار إلى إفريقية مباشرة واحتلالها واتخاذها قاعدة انطلاق إلى المشرق، ويلاحظ هنا أنه قد تبنى وجهة نظر الملك الفرنسي لويس التاسع بحذافيرها، وهو لا يخفي ذلك بل يبينه بوضوح حين ذكر وجهة نظره في هذا الطريق، ومع أنه يتفق مع الملك الفرنسي في وجوب احتلال إفريقية، إلا أنه نظراً لأن فشل لويس التاسع كان لا يزال ماثلاً في الأذهان فإنه يقول بأن على الصليبيين أن لا يكرروا تجربة الملك الفرنسي بالإبحار إليها مباشرة⁽¹⁾.

انطلاقاً من تجربة لويس التاسع، يتناول لول الطريق الخامس الذي يراه أفضل الطرق وهو الذي يبدأ بالأندلس، فهو يرى أن إسبانيا المسيحية بلاد خصيبة وكثيرة الخيول مما يوفر للجيش حاجته منها، كما أنها لقربها من باقي دول غرب أوروبا يسهل على جميع القوى الأوروبية الوصول إليها ببسر، حيث يبدأ الصليبيون كفاحهم ضد المسلمين بالقضاء على مملكة غرناطة آخر معاقلهم في الأندلس والتي كانت في رأيه في وضع يمكن للمسيحيين معه تحقيق النتيجة المرجوة بسهولة، ذلك أنها كانت على حد قوله محاطة بالبحر من جهة وبمملكتي قشتالة وأراجون من جهة أخرى مما يجعل الأمر صعباً على مسلمي العدو مد يد المساعدة إليها حينما تتقدم الجيوش المسيحية لاحتلالها، ولذلك فإن جيشاً مسيحياً صغيراً يستطيع الاستيلاء عليها دون عناء كبير قلعة بعد قلعة ومدينة تلو الأخرى، وباحتلال هذه المملكة تكون الحملة الصليبية المقترحة قد حققت هدفاً هاماً من أهداف الحركة الصليبية المتمثل في طرد المسلمين من الأندلس.

بعد ذلك، لا يبقى أمام تلك الحملة إلا عبور مضيق ضيق على حد تعبيره هو مضيق جبل طارق لمحاربة المسلمين في العدو المغربية والذي لا يشكل اجتيازه أدنى خطورة أو مشقة على الصليبيين حيث تكون مدينة سبتة هي نقطة البداية لهم في تلك العدو، وبعد الاستيلاء عليها تمضي الحملة في زحفها شرقاً إلى إفريقية مجتاحة في طريقها مملكة بني زيان (بني عبد الواد) في المغرب الأوسط، ثم تكتسح إفريقية وبعد ذلك تتطلق إلى مصر سالكة الطريق البري بمحاذاة الساحل، وبعد الاستيلاء على مصر تعبر منها إلى الأراضي المقدسة التي ستكون بلا حام أو مانع بعد تحطيم قوة مصر العسكرية، يتم ذلك في نفس الوقت الذي يتخذ فيه الأسطول الصليبي

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Llull , Darrer Llibre sobre la conquesta de Terra Santa (Liber de Fine) , p.99.

مالطا ورودس قاعدتين له لمساعدة الحملة البرية في زحفها إلى المشرق⁽¹⁾. ومما سبق، يظهر أن معظم الاستراتيجيات التي فضلها لول عن الأخرى تبين لنا مدى سلامة الاستراتيجيات العسكرية التي توخاها، والطريق الأخير مثلاً، يصف فيه لول بدقة المسار الذي اتبعته حركة الاسترداد.

ويتعرض في ما تبقى من كتابه إلى أمور تهدف كلها إلى خدمة الحركة الصليبية كالمقارنة بين القوات المسيحية والإسلامية في تسليحها وعدتها وخططها العسكرية⁽²⁾، ثم موضوع فرض الحصار الاقتصادي على مصر لضعفها مؤكداً أنه إذا ما نفذت خطته بدقة فإن سلطنة المماليك ستعرض لأزمة اقتصادية الأمر الذي سيجبرها على الاستسلام للجيش المسيحية في مدة لا تتجاوز الست سنوات⁽³⁾، ثم يستعرض بعض المشاكل التي تواجهها الكنيسة والمسيحية ووسائل مُعالجتها⁽⁴⁾.

إن أول ما يسترعي الانتباه على مشروع لول أنه يمثل وجهة نظر النصارى الإسبان في الحروب الصليبية أصدق تمثيل والذين كانوا يرون أن تلك الحروب ينبغي أن توجه أولاً لطرد المسلمين من الأندلس ثم مُحاربتهم في العُدوة المغربية للحيلولة دون تجميع قواهم والوثوب إلى البر الأندلسي من جديد، وليس هذا بالأمر المستغرب من رامون لول الذي كان وثيق الصلة ببلاط ملوك أراغون، وفي سبيل ذلك تناسى المتاعب التي ستواجهها الحملة في طريقها من الأندلس إلى المشرق، وكان الداعية الصليبي "بروكارد" أكثر منه واقعية حينما عدّد تلك المصاعب في مشروعه وجعله لا يُحبذ سير الحملة في تلك الطريق. كذلك يؤخذ على رامون لول أنه أساء الظن بالمسيحيين الشرقيين إلى حد كبير، فلم يأخذ في اعتباره تبعاً لذلك محاولة كسبهم والإفادة منهم مطلقاً في مشروعه الصليبي⁽¹⁾، هذا بالإضافة إلى أنه رأى تحبيذ فكرة الاستيلاء على

⁽¹⁾ - أنظر :

Ramon Llull , Darrer Llibre sobre la conquesta de Terra Santa (Liber de Fine) , pp.99-100.

Ibid. , pp.100-102.

⁽²⁾ - أنظر :

Id. , pp.103-104.

⁽³⁾ - أنظر :

Ibid. , pp.107-111.

⁽⁴⁾ - أنظر :

⁽¹⁾ - رنسيمن (ستيفن)، تاريخ الحروب الصليبية، المغول والمماليك ونهاية الشرق الفرنجي، نقله إلى اللغة العربية : السيد الباز العريني ، مج.3، القسم الثاني، دار الثقافة، بيروت، 1997، ص.725.

القسطنطينية⁽¹⁾. ولكنه مع ذلك امتاز باتساع الأفق ويبدو ذلك من اهتمامه بموضوع التعاون والتنسيق بين الأسطول والجيش البري، فضلاً عن عنايته بموضوع التموين والأسلحة⁽²⁾.

ج - كتاب استرجاع الأراضي المقدسة *Libre De Acquisitione Terrae Sanctae* "Sanctae" (1309م).

في مارس سنة 1309م، أكمل لول مصنفاً آخر ذا طبيعة دعائية بحثة على أمل أن يسترعي إهتمام البابا كليمنت الخامس ليتبنى آراءه، وهو كتابه المسمى "كتاب استرجاع الأراضي المقدسة *Libre De Acquisitione Terrae Sanctae*" والذي ضمنه ملخص الكتاب الانف الذكر مع تغيير طفيف في الترتيب، وما يهمننا من هذا الكتاب هو أن خطته وآراءه الخاصة بمهاجمة المسلمين في كل من الأندلس والمغرب وإفريقية بقيت على حالها كما كانت في "كتاب الغاية" دون تغيير مع أنه صنفه إثر عودته إلى أوروبا مطروداً من بجاية . وأخيراً وضع خلاصة مشروعه بشقيه العسكري والتنصيري في تقرير تقدم به إلى مجمع فيين (1311-1312م) على أمل أن يوضع موضع التنفيذ.

وضع لول في مقدمة كتاب "استرجاع الأراضي المقدسة"، أجندة العمل على استعادة الفكرة الصليبية بقوله: "لكي نحصل على الأرض المقدسة، هناك ثلاثة أشياء مطلوبة قبل كل شيء. وهي الحكمة والقوة والإحسان"⁽³⁾. فالحكمة *Sapientia* في شكل نصيحة لم تكن غائبة في تلك الفترة. إذ كان لول نفسه واحداً من أكثر المسيحيين اللاتين الذين كتبوا مقالات عن الاسترداد في العقود ما بين مجمع ليون الثاني وبداية حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا⁽¹⁾. والجدير بالذكر أنه بين مجمعي ليون وفيين (1274-1314م)، تم تحرير ست وعشرين عريضة ومقالة، من طرف ملوك (منهم هنري الثاني ملك قبرص وشارل الثاني ملك نابولي) وموظف ملكي فرنسي

⁽¹⁾ - أنظر: Aziz Suryal (Atiya), *The Crusade in The Later Middle Ages* , pp.74-94.

⁽²⁾ - عاشور (سعيد عبد الفتاح)، الحركة الصليبية ، ج.2 ، ط.9 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2010 ، ص.396.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull , *Liber de passagio* , R.O.L. , Vol.49-52 , p.346.

⁽¹⁾ - هاوسلي (نورمان)، الحركة الصليبية 1274-1700م ، في تاريخ أكسفورد للمصور للحروب الصليبية ، تحرير جوناثان رايلي سميث ، ترجمة قاسم عبده قاسم، ج.2، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، 2009، ص.144.

بارز هو وليم النوجاريتي William de Nogaret وتشكيلة من الأساقفة والرهبان الجوالين، ورؤساء النظم الرهبانية العسكرية الرئيسية وأمير أرمني منفي، ورجل أعمال بنديقي، وطبيب جنوي. وكان بعضهم من الإستراتيجيين الوهميين الذين يخططون وهم جالسون في مقاعدهم الوثيرة، وكان البعض الآخر من الخبراء، على الرغم من أن هذا لم يكن واضحاً باستمرار في مشورتهم، وكتبوا جميعاً لجمهور من الباباوات والملوك عادة، على أمل وتوقع القيام بفعل ما.

هذا التدفق في المشورة كان جديداً، ومُتمايزاً ومهما⁽¹⁾. وكان من بين أسبابه أن الباباوات ابتداءً من البابا جريجوري العاشر فصاعداً كانوا يعملون حسب سنة إنوسنت الثالث (الذي كان في الغالب المسؤول عن تطورات الحركة الصليبية Fons et origo) بواسطة النصيحة الملحة. ومعظم المذكرات والمقالات المبكرة كانت مكتوبة من أجل مجمع ليون الثاني. وأول مقالة كاملة عن الاسترداد، والتي كتبها "فيدنتيسيو من بادوا Fidenzio of Padua" ربما كانت أيضاً استجابة لدعوة جريجوري العاشر وطلب مشورة مكتوبة، على الرغم من أنها لم تستكمل حتى وقت قصير قبل سقوط عكا.

مثل هذه الطلبات عكست إدراكاً واسع المدى للحاجة إلى تفكير جذري تجديدي حول كل وجه من وجوه التنظيم الصليبي فعلاً، بداية من شكل الحملة إلى تنظيم الأراضي التي يتم الاستيلاء عليها وحمايتها، لعدم تكرار أخطاء الماضي. وقد أدت هذه الاستجابة البناءة والبصيرة تجاه أخطاء الماضي إلى ما يشبه الاتفاق على النحو الذي ظهر في كثير من الجوانب الرئيسية لحملة الاستعادة الصليبية التي طال الشوق إليها، وكان لا بد أن يسبق الحملة فرض الحصار على الأراضي المملوكية لتحقيق هدف مزدوج، حرمان السلطان من واردات الحرب الأساسية (بما فيها العبيد الذين كان يتم تدريبهم ليكونوا صفوة فرسانه) وإرهاق موارده المالية. وكان يجب أن تتم

⁽¹⁾ - كانت هذه المشورة عبارة عن استراتيجيات معدلة تدريجياً، وأصبحت مدمجة في كلا المخططين البابوي والعلماني للحرب الصليبية بعد 1274م، ويبدو أن الإستراتيجية الصليبية الأساسية بقيت دون تغييرات أساسية. فمثلاً مؤلف "همبرت رومانو" المعنون Opus Tripartitum والمقدم إلى البابا جريجوري العاشر يجب على طلب البابا في شكل مشورة ونصح في مسائل تتعلق بالحرب الصليبية، والإصلاح الكنسي، والإتحاد من جديد مع الكنيسة البيزنطية، ويشتمل على خلاصة بليغة على الدوافع التي من شأنها أن تحمل الكنيسة على مواصلة الانهماك في الحركة الصليبية. أنظر:

Humbert of Romans , Opusculum Tripartitum , Fasciculus rerum expetendarum et fugiendarum , Vol.2 , E. Brown , London , 1960 , p.200.

الحملة على مرحلتين أولاهما "الحملة الخاصة Passagium Particulare" التي ستقيم رأس جسر تستغله الحملة الثانية المعروفة بالـ "حملة العامة Passagium Generale"، ولا بد من تنظيم الحملة على أسس احترافية، وتكون جيدة التمويل، وخاضعة لقيادة حاسمة، محترمة، ذات خبرة، كما يجب استبعاد المدنيين ومن يتبعون العسكريين لخدمتهم (1).

يرى "نورمان هاوسلي" بأنه سيكون من الخطأ المبالغة في هذا الاتفاق، أو الافتراض بأن هذه التجربة البازغة كان يمكن الأخذ بها. وبعض المنظرين، من المدهش أن من بينهم آخر رئيس للداوية، وهو جاك دي مولاي، رفضوا "الحملة الخاصة Passagium Particulare" وفضلوا حملة عامة مفردة يشترك فيها الجميع. ولم يكن هناك اتفاق حول المكان الذي كان يجب أن تنزل فيه الحملة. فقد تشكلت المحاور وتدخلت الأمور السياسية دائماً. وبالنسبة للمنظرين الفرنسيين "بيتر دو بوا" و "وليام النوجاريتي" كانت الحملة في جزء منها أداة لتحقيق طموحات آل كابيه، على حين كان مفكر بارز غير أناني مثل رامون لول قد سمح لنفسه بأن يتأثر كثيراً بمصالح أراجون ومصالح الفرنسيين، التي ضمّنها في خطط الهجوم التي وضعها. ومن ناحية أخرى، كانت الكتابة في فراغ سياسي مضيعة للوقت، وكان من غير الواقعي محاولة تجريد الحملة الصليبية من الأهداف الخاصة بالأسرة الحاكمة والاقتصادية للقوى الكبرى، وأحد أشد الملامح لفتاً للنظر لدى أفضل كتّاب الخطط، وهما "لول" والبنديقي "مارينو سانودو" أنهما لقيا ترحيباً بوجودهما في بلاطات الملوك، وفي الاجتماعات وفي المجامع الكنسية. لقد كانوا من كبار صانعي الشبكات ومن الواضح أن تدفق الأفكار، والتأثير كان يسير في اتجاهين (2).

سواء كانت أمام الحملة الصليبية المُنقحة والمصلحة التي دعا إليها أمثال أولئك الرجال فرصة للتحقق على أرض الواقع أم لا فهذا أمر يصعب الحكم عليه، لأنها توقفت على الخاصيتين الآخرين اللتين اعتبرهما رامون لول ضروريتين، الإحسان Caritas والسلطة Potestas¹. وأية محاولة لإثارة التعاطف العام حول الحملة الصليبية سواء على أساس ردود الفعل تجاه المصائب

¹ - هاوسلي (نورمان)، مرجع سابق، ص ص. 146-147.

² - نفسه، ص 147.

التي حدثت للصليبيين في الشرق، وعلى رأسها سقوط عكا، أو على أساس الاستجابة للدعوة الصليبية، كان محكوما عليها بالفشل منذ البداية. إذ كانت الأولى محكومة تماماً بالمصالح الخاصة والبحث العالمي عن كبش فداء، على حين كانت الثانية مشوشة بفعل تحول الدعوة الرسمية تجاه جمع الأموال بدلاً من المشاركة الشخصية.

على أية حال، كانت هناك بعض الهبات ذات المغزى، وإن كان عمرها قصيراً، في الاهتمام الشعبي، بعد سقوط مدينة عكا بوقت قصير. وقد تم ربط هذه الهبات عادة بالجانب الأخروي في الأفكار الصليبية. وكانت على خلاف الصيغة المتقدمة المحترفة للحملة الصليبية التي دعا إليها غالبية المنظرين ولكنها كانت تتميز بفضيلة بيان أن هوس المنظرين باستعادة السيطرة على الأرض المقدسة كان يمس مشاعر الناس كثيراً عندما تكون الحالة سليمة. وقد حدثت مثل هذه الهبات على فترات متقطعة كل عشر سنوات تقريباً في سنة 1300م، عندما وصلت الأنباء إلى الغرب بانتصار الإيلخان غازان على المماليك في حمص، وفي سنة 1309م وسنة 1320م، حينما أوضحت حملات "الفلاحين" الصليبية في ألمانيا وفرنسا بجلاء أن الفقراء مازالوا عرضة للانتفاضات بفعل الحماسة الصليبية⁽¹⁾.

في مرتبة أعلى في السلم الاجتماعي، نجد أنفسنا على أرض أكثر صلابة. إذ إن الأدلة أكثر ثراء، ومن الواضح أن عقيدة الفروسية، التي حافظت على كامل قوتها في وقت سقوط عكا تقريباً، تضمنت الخروج في حملة صليبية باعتباره أحد الخصائص المميزة لها. ولول نفسه تحدث على هذه العقيدة في كتاب مكرس لها والمعنون بـ "كتاب هيئة الفرسان"⁽¹⁾.

ولم تكن مُصادفة أن الحكام العلمانيين غالباً ما اختاروا إعلان أو تدشين خططهم الصليبية في سياقات المباهاة الفروسية، والواقع أن هذا ظل حقيقة حتى احتفال فيليب الطيب بعيد التدرج سنة 1454م. كما أن تقاليد العائلات الصليبية، لا سيما في فرنسا وإنجلترا، عرضت العديد

⁽¹⁾ - هاوسلي (نورمان)، مرجع سابق، ص ص. 148-149.

⁽¹⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Libro de la orden de caballería , Nota preliminar y traducción de Luis Alberto de Cuenca , Alianza Editorial , Madrid , 2016.

من النبلاء للاستجابة بحماسة للمشروعات الصليبية التي كانت تعرض في البلاط البابوي والبلاط الملكي. وكانت حماسهم تشوبها باطراد شكوك بشأن الدوافع والمقاصد الحقيقية لأولئك الذين يقدمون المشاريع، وقد عبّر هذا عن نفسه في ذلك القدر المتزايد من الاهتمام بالالتزام الرسمي بأخذ شارة الصليب، ولكن كان من الممكن، مرة أخرى، منذ زمن الخطط الصليبية لملك إنجلترا "إدوارد الأول" في ثمانينات القرن 13م، حتى خطط فيليب السادس ملك فرنسا الصليبية أوائل ثلاثينات القرن 14م، تجنيد الرجال المحاربين (1).

4 - أهمية ضريبة العُشر عند رامون لول.

لعل أهم الأمور المتصلة بالحرب الصليبية تلك التي تتعلق بالتمويل، فلقد كانت كافة التغيرات التي ورد ذكرها آنفاً مكلفة للغاية، ولكي يتم التعامل مع النفقات المتصاعدة دوماً لشن حملة صليبية اقترح مجمع ليون الثاني فرض ضريبة على العلمانيين في جميع أنحاء أوروبا. وقد تهشم هذا الاقتراح على صخور الشك والخصوصية، بيد أن المجمع حقق نجاحاً دائماً في إجراءاته المالي الرئيسي الآخر، أي فرض ضريبة العشر على مدى ست سنوات على الكنيسة كلها. فقد كان قد تم الاعتراف بالضرائب على الدخل الكنسي منذ عدة عشرات من السنين على اعتبار أنها الوسيلة الوحيدة التي يُعتمد عليها لضمان تدفق التمويل للحملات الصليبية.

لكن إجراءات تحصيل، وجمع، ونقل الأموال كانت قد ظلت عشوائية حتى ذلك التاريخ. وكان أعظم إسهام لجريجوري العاشر في الحركة الصليبية أنه وضع يده على الطريقة التي فرض بها هذه الضريبة على أسس مؤسسية ثابتة. فقد أنشأ البابا ستاً وعشرين إدارة تحصيل، وفي مرسومه الذي صدر سنة 1274م بعنوان *cum pro negotio*، أرسى خطوطاً إرشادية مفصلة لتقدير قيمة دخول رجال الكنيسة لأغراض الضريبة. وفي السنوات التي أعقبت وفاة جريجوري سنة 1276م تعين على خلفائه القيام بتعديلات على إجراءاته، ولكن بموت البابا بونيفاس الثامن سنة 1303م كانت البابوية تمتلك نظاماً شاملاً بالضرائب أمكنها أن تعول عليه في تمويل المشروعات

(1) - هاوسلي (نورمان)، مرجع سابق، ص ص 149-150.

الصليبية. والواقع أن هذا النظام كانت قد تمت أول تجربة رئيسية له في ذلك الحين، على شكل العشور العديدة والإعانات التي فرضها الباباوات لكي يمولوا سلسلة الحملات الصليبية التي شنوها ضد الصقليين المتمردين وحلفائهم فيما بين سنة 1282م وسنة 1302م⁽¹⁾.

هكذا كان الباباوات أنفسهم هم الذين جعلوا من الممكن تنفيذ الحملة الصليبية في سياق قومي من أجل كسب الحلفاء وتحديد السياسة الأوروبية، من خلال المطالبة بالدخل الكبير الذي توفر العشور المُجباة لتمويل الحملات الصليبية، والتي أصبحت كذلك جزءا من دخل البابا⁽²⁾. وبالنسبة لرامون لول، فقد فهم بأن سقوط عكا كان يُمكن أن يكون فرصة فريدة لإنهاء هذه الممارسة وتركيز الجهود من أجل حملة صليبية حقيقية في يد البلاط البابوي.

في هذا السياق، جاء لول ليقتراح إنشاء "الملك المُحارب Bellator Rex"، وهو الملك الذي لن يكون له أي دور سوى توحيد الجهود المسيحية لصالح حملة صليبية، ووضع حد للتوزيع الفاضح لضرائب العشور، مُدعياً أن المال كله له وحده (أي للملك المُحارب) والخاص بالحملة الصليبية والذي كان يُستخدم في أغراض أخرى⁽³⁾. لكن هذا الأمر لم يتحقق، إذ واصل الباباوات سياستهم التي تصبُّ في الدعم المالي الصارخ من جانب الملوك المسيحيين على حساب الأراضي المقدسة. ولم يكن للملوك سوى التعهد الرسمي بحمل الصليب، والذي يستخدمونه كوسيلة وذريعة فعّالة لمواصلة ملء خزائنهم، على حساب العمل العسكري المشترك الذي رغم طوباويته، فإن لول رأى أنه قابل للتنفيذ. واستشهد الباباوات دائما بالحاجة إلى استرداد الأراضي المقدسة باعتبارها السبب الرئيسي لفرض هذه الضريبة، مع العلم أنها لم تستخدم لهذه الأغراض. وبينما حاولت

⁽¹⁾ - هاوسلي (نورمان)، مرجع سابق، ص. 151.

⁽²⁾ - أنظر: DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando , Ramón Llull y la cruzada , p.279.

⁽³⁾ - في "كتاب الحملة" يتحدث لول بوضوح عن هذا الشخص، ولكن لا يُشير إليه باسم "الملك المحارب" بل بـ"الأميرال الأوحَد unus Admirallus". أنظر: Ramon Llull , Liber de passagio , R.O.L. , Vol.49-52 , p.329. تفاصيل هذا الاقتراح تطورت في كتابات لول، كما ذكر أنفأ، وإذا ما تم تنفيذها حسب لول فسوف يتم حل العديد من المشاكل التي حالت دون تنظيم "الحملة". وهذا هو السبب الذي دفع مؤرخا مثل "نورمان هاوسلي" إلى الإقرار بأن فكرة "الملك المحارب"، هي تصور جد مبتكر مقارنة بأفكار المنظرين المعاصرين لرامون لول. أنظر:

Norman (Housley), Documents on the later Crusades, 1274-1580 , Macmillan , 1996 , p.7.

البابوية عبثاً أن تذكر المصير الحقيقي لتلك الإيرادات، فإنها قبلت هذا الوضع الخاص⁽¹⁾، من خلال الانحياز في الصراعات الأوروبية وتأييد مصالح الملوك ضد الأقليات المهمشة⁽²⁾.

كان فرض البابوية الضرائب على الكنيسة إنجازاً غير عادي. ويمكن أن يبدو بسيطاً بصورة خادعة. ففي سنة 1292م، مثلاً كانت إيرادات أسقف روشستر قد قدرت باثنتين وأربعين جنيهاً استرلينياً، بما في ذلك الإيجارات، ومصائد الأسماك، والطواحين، والأسواق والمحاكم: وتبع ذلك أن تعين عليه دفع ما يقرب من أربعة جنيهاً ونصف سنوياً من أجل ضريبة العشر التي كان البابا نيقولاس الرابع قد منحها لإدوارد الأول لمشروع حملته الصليبية⁽³⁾. ومن الأمثلة الجديرة بالذكر أيضاً، أن الترخيص البابوي لجمع العصور بين عامي 1301-1327م، قدّم للخزينة الإنجليزية ما نسبته 92 ٪ من إيرادات دخلها⁽⁴⁾، والأمر ذاته ينطبق على فرنسا في النصف الأول من القرن 14م⁽⁵⁾.

بيد أن هذا الحساب الصريح الواضح أحاطت به الصعوبات. فهل كانت ضريبة العشر ستقوم على أساس تقدير للدخل يقوم به محقق محايد، وهو ما كان استهلاكاً للوقت وسيكون أوانه قد فات بسرعة، أم كان الدفع سيتم بطريقة الاستعادة على أساس ضمير القسيس ومعرفته -التي لم تكن دقيقة دائماً بطبيعة الحال- بما كان عليه دخله في سنة بعينها؟ كيف كان سيتم إيجاد المحاسبين والجباة ومكافأاتهم، وكيف كان سيتم الإشراف على عملهم ومراقبته؟ كيف كان يمكن تأمين الحصيلة بأفضل طريقة ونقلها؟ وبالإضافة إلى هذا، كانت هناك مجموعتان هائلتان من

⁽¹⁾ - في عام 1305م، خصّص البابا كليمنت الخامس ضريبة العصور لمدة ثلاث سنوات لصالح الملك الفرنسي فيليب الوسيم، وبرر هذه المنحة بسبب تنامي الحديث عن نية فيليب الوسيم لشن حملة على إقليم الفلاندرز وإعادة تنظيم الاقتصاد الفرنسي. أنظر: Registrum Clementis Papae V, ed. Monachorum O.S. Benedicti, Roma 1885-1892, nos. 243. 244.

⁽²⁾ - اتهم الباباوين "كليمنت الخامس" و"يوحنا الثاني والعشرين"، على سبيل المثال، الحركات المناهضة للملكية في اسكتلندا والفلاندرز بأنهما عقبة أمام الحملات الصليبية، وأن نضالهم كان له أثر عكسي على استرداد الأراضي المقدسة. أنظر: Sophia Menache, Clement V, Cambridge University Press, 2003, p.58.

⁽³⁾ - هاوسلي (نورمان)، مرجع سابق، ص.153.

⁽⁴⁾ - أنظر:

W. Lunt, Financial relations of the Papacy with England to 1327, Cambridge (Mass.), 1939, pp. 307-319.

⁽⁵⁾ - أنظر:

Samaran-G. Mollat, La fiscalité pontificale en France au XIV^e siècle, Paris, 1905, pp.12-16.

المشكلات تتعلق بدافع الضرائب والقادة العلمانيين الذين تلقوا الأموال للأغراض الصليبية. وكانت وسائل المقاومة التي استخدمها القساوسة، من الإجراءات المراوغة والذرائع إلى التحدي الصريح، عديدة وماكرة. وعند الطرف الآخر من العملية، كان من الضروري استخدام بعض الوسائل لضمان أن الأموال التي تم تسليمها قد أنفقت بالفعل على حملة صليبية، وأن الحسابات كانت تحفظ ويتم التحقق منها، وأن المبالغ التي لم تتفق قد أعيدت (1).

ليس مُستغرباً إذن، أن يتحدث لول عن تمويل الحرب الصليبية بشكل حذر، خاصة أنه كان قادراً على الكشف عن خلافه مع هذه الممارسة الفاضحة والتلاعب بالعشر، والتي مارسها الأساقفة والعلمانيون على حد سواء (2)، وقد أثبتت هذه المشكلات أنها تستعصي على الحل: فالقساوسة المتهربون من الضرائب، والجباة المزورون، وقطاع الطرق، وشركات الصرافة المفلسة، والحكام الذين اختلسوا الضرائب الصليبية، كانوا ملامح ثابتة في الفضاء الاجتماعي-الاقتصادي الأوروبي طوال فترة أواخر العصور الوسطى. ومثل معظم النظم الضريبية في العصور الوسطى، كانت الضريبة التي فرضتها البابوية على الكنيسة عرضة للسقوط، ولكثير من النقد، ومرفوضة، ومكلفة. ومع هذا لم تكن تتسم بالكفاءة.

لكن على الرغم من كافة أخطاء الممارسة التي شابت ضريبة العشر، فإنها وفرت شطراً كبيراً من الأموال التي كانت الحركة الصليبية قد باتت تعتمد عليها في ذلك الحين، ومن ثم جعلت من الممكن استمرار الحركة. كما أنها، طبعاً، حفزت الاستمرار. إذ إن فرض ضريبة عشر لمدة ست سنوات من أجل الحملات الصليبية، ليس فقط في مجمع ليون سنة 1274م ولكن أيضاً في المجمع العام الذي عقده كليمنت الخامس في فيين سنة 1312م، والذي جلب مبالغ طائلة من الأموال كان من المفروض إنفاقها على الرحلة إلى الشرق، وساعدت بالتالي على إبقاء هذا الموضوع حياً في المجال السياسي. كما أن الاستعداد من جانب البلاط البابوي لمنح حاكم فرد

(1) - هاوسلي (نورمان)، مرجع سابق، ص.153.

(2) - أنظر:

Throop (Palmer) , Criticism of the Crusade: A Study of Public Opinion and Crusade Propaganda , University of Michigan , 1940, not.34 ; N. Housley , Documents on the later Crusades , p.159 ; DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando , op.cit. , p.423.

حق فرض ضريبة على رجال الكنيسة في بلاده، سواء مباشرة من أجل حملة صليبية أو لسبب تم تصويره على أنه تجهيز جوهري لمثل هذا المشروع، كان له نفس التأثيرات تماماً. ربما كان وجود الحملة الصليبية في أواخر العصور الوسطى أكثر من أي شيء آخر هو وجود جيوش المصرفيين والإداريين الذين شغلوا أنفسهم في جمع الأموال وتوزيعها والتي بدونها لم يكن ممكناً عمل شيء⁽¹⁾.

إلى درجة كبيرة، كانت السلطة Potestas في رأي لول، هي المال، ولم يكن هناك ما يكفي منه لشن حملة صليبية، أو بقدر أكبر من الدقة، جعلت الظروف السياسية في أوروبا حوالي سنة 1300م من المستحيل جمع ما يكفي من المال. ذلك أن الثقة المتزايدة بالنفس والحاجات المحلية الملحة للحكام العلمانيين في العالم الغربي كانت تعني أنه بينما كانوا سيقبلون فرض الضرائب البابوية على الكنيسة في أراضيهم، ولا سيما إذا ما كان بوسعهم أن يأملوا في أن يستمتعوا على الأقل بنصيب من الأموال التي تم جمعها، فإنهم لم يكونوا ليسمحوا بتصدير هذه الأموال لكي يستخدمها حاكم آخر يكون من المفترض أن ينظم حملة إلى الأرض المقدسة⁽²⁾.

وعلى مستوى الواقع، لم يكن بوسع أي قائد معين لحملة استرداد صليبية بالتالي، أن يعمل على جمع الموارد اللازمة. وقد حاول فيليب السادس، الذي يحتمل أنه كان أقرب ما يكون، في أوائل ثلاثينات القرن الرابع عشر، من بدء حملة استرداد صليبية Passagium أن يتجاوز هذه المشكلة بجمع ضرائب علمانية داخل فرنسا، ومن خلال الضغط على البلاط البابوي لجلب الأموال من خارج فرنسا والإمارات التابعة لها. ولكن الإجراء الأخير لم يكن ممكناً أن ينجح لأن تأثير البابوية في المجال السياسي كان قد ضعف إلى حد بعيد. وهنا نجد سخرية مزدوجة. فقد كان عم فيليب السادس، وهو فيليب العادل، هو الذي أوضح بصورة ساطعة هذا الضعف في سياق صراعه الكبير ضد البابا بونيفاس الثامن، وكان السبب وراء ضغط فيليب السادس هو خلق

⁽¹⁾ - هاوسلي (نورمان)، مرجع سابق، ص.155.

⁽²⁾ - نفسه، ص.155.

نظام ضريبي بابوي يوضح المدى المؤثر للسلطة التي كانت البابوية لا تزال تحتفظ بها، على النقيض، داخل الكنيسة (1).

لا غرابة في أن عدداً قليلاً من المعاصرين كانت لهم رؤية واضحة عن هذه التحولات الدقيقة الحاسمة في القوة والنفوذ، وتأثيرها على الحملة الصليبية، وتولد لديهم انطباع عن التخبط والمراوغة والرياء من جانب حكامهم. وإذا ما استخدمنا العبارة الصادمة لأنثوني لوتريل Anthony Lutrell، نقول إنها كانت "حقبة من الأزمات والارتباكات". وكانت تتم مناقشة مشروع وراء الآخر بغرض إعادة الاستيلاء على الأرض المقدسة ومساعدة قبرص وأرمينيا الصغرى، أو الاستيلاء على القسطنطينية مرة أخرى من البيزنطيين، وكلها أمور طرحها لول في مخططاته. وكانت هذه الأهداف الأخيرة تبدو تجهيزية للأهداف الأولى (أي إعادة الاستيلاء على الأرض المقدسة).

وقد تم التخلي عن كل هذه الأهداف تقريباً، مما راكم قدراً كبيراً من خيبة الأمل. ولحك الملح في جرح الإحباط الشعبي مثلما يقول "هاوسلي"، حدث بالفعل أن تمت حملات صليبية من نوع أو آخر، ففي سنة 1309م، مثلاً لم تكن هناك أقل من ثلاث حملات صليبية، في شمال إيطاليا وغرناطة، والبحر الإيجي. وفوق هذا وذاك أدى سقوط الداوية في سنة 1307م-1312م إلى إشاعة الذعر والاضطراب. وإذا كان هذا الحادث قد حل، بالنسبة للبعض، مشكلة أولئك الذين وقع عليهم اللوم بسبب أحداث 1291م (أي سقوط عكا على أيدي المماليك)، وانتهت لسبب قاهر المسألة المثارة عن توحيد النظم الرهبانية العسكرية، فإنها أثارت أيضاً أسئلة مزعجة عن قوة التاج الفرنسي ودوافعه.

وإذ واجه بعض الناس التأجيل المتكرر لبرامج الحملة الصليبية، وتحويل ميزانيات الحملات الصليبية من جانب كل من الباباوات والحكام العلمانيين، والمشكلات الاستراتيجية والمالية الملحة المتعلقة باستعادة السيطرة على الأرض المقدسة، فلا شك في أنهم قد ركنوا إلى اليأس. وكما نعرف من انضمام "هيومبرت الرومان" إلى ناقيدي الحركة الصليبية، فإنه منذ وقت مبكر مثل سنة

¹ - هاوسلي (نورمان)، مرجع سابق، ص ص. 155-156.

1274م وافق بعض الناس من قبيل "أدم سالمبيني Salimbene Adam " على أن "ليست مشيئة الرب استعادة الأرض المقدسة" (1). ويأتي دفاع لول عن السيطرة الكاملة على الحملة الصليبية من طرف البابا، استجابة لمعرفة عميقة لهذه المؤسسة العتيقة، على الرغم من أنها بداية من بابوية أفينيون ستدخل في أزمة انحدار وسقوط (2).

5 - رامون لول وهيئة فرسان المعبد Les Templiers.

كان لول تواقاً إلى وجود رجال مثل القديس برنارد في زمنه (3). لكن أحد الباحثين في تراث لول وهو المؤرخ "هيلجارث"، رأى أن القديس برنارد قد قام من بين الموتى مُتمثلاً في شخص لول. وعندما دعا لول إلى الحرب الصليبية في بيزا في عام 1308م - مُقترحا تكوين جمعية جديدة، هي جمعية الفرسان الدينيين المسيحيين التي يجب عليها الانكباب على "خوض معركة متصلة ضد الساراسان الغادرين لأجل استرداد الأرض المقدسة" (4) - كان موقفاً إلى درجة أنه يبدو، في نظر هذا الباحث، وكأنه "قديس برنارد تقريباً redivivus وقد عاد إلى الحياة" (5).

لكن زمن القديس برنارد قد ولى. وكان برنارد قد أثنى على فرسان الهيكل أو فرسان المعبد الذين كانوا جمعية الفرسان المسيحية النموذجية. لكن هيئة فرسان المعبد تم القضاء عليهم في زمن لول - ليس على أيدي أعداء الصليب من المسلمين، بل على أيدي فيليب الرابع، ملك فرنسا، وهو الملك الأكثر مسيحياً. فحتى عندما كان لول يدعو في مدينة بيزا، كان فرسان الهيكل قد اتهموا بالهرطقة، وكان قد تم اعتقال أعضاء الهيئة على أيدي عملاء فيليب. وفي عام 1310م، جرى، حرقاً على الخازوق قرب باريس، إعدام أربعة وخمسين من أعضاء هذه الهيئة بتهمة الارتداد إلى الهرطقة. وفي مجمع فيبين (1311-1312م)، استسلم البابا للضغط، من جانب

¹ - هاوسلي (نورمان)، مرجع سابق، ص ص. 156-157.

DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando , Ramón Llull y la cruzada , p.281.

² - أنظر:

Ramon Llull , Felix, or the book of wonders , X , 121 , p.1099.

³ - أنظر:

Ramon Llull , Vita Coetanea , p.42.

⁴ - أنظر:

Hillgarth , Ramon Llull and Llulism , p.100.

⁵ - أنظر:

الملك الفرنسي وألغى هيئة فرسان الهيكل. وفي عام 1314م، جرى إعدام قائدها "جاك دي موليه"، آخر أستاذ عام لجنود المسيح الذين امتدحهم برنارد (1).

لم يُدافع لول عن هيئة فرسان الهيكل، على الرغم من أنه هو شخصياً كان مديناً بالعرفان لزعيمها. فخلال رحلاته إلى قبرص كما ذكرنا سابقاً، كان لول قد سقط مريضاً و"جرى استقباله بكل سرور" من طرف "جاك دي موليه" الذي أخذ لول إلى بيته إلى أن استعاد عافيته (2). ومن الصعب أن نعرف رأي لول بالضبط في الاتهامات الموجهة ضد مضيفه السابق وفرسانه. وربما يكون "قد سمح لنفسه بتصديق أن فرسان الهيكل مذنبون" (3).

على أن ما هو معروف هو أن لول قد قبل "سياسة الفرنسيين الشرقية" (4) في السنوات التي تعرض فيها فرسان الهيكل للهجوم تحديداً. وكان أحد عناصر تلك السياسة، التي دعا إليها فيليب الرابع، توحيد الهيئات العسكرية المسيحية. وكانت هذه السياسة إحدى أفكار لول حتى قبل أن يعلق آماله على الملك الفرنسي (5). لكن لا يجب أن يعطي ثقلاً زائداً عن الحد للأفكار. وربما يكون لول قد وصف نفسه بأنه جامع الخيال، لكنه كان واقعياً بما يكفي لأن يعرف أن "السياسة الواقعية" هي السياسة التي تصوغ الواقع. وكان هو نفسه يريد صوغ الواقع وكان على قناعة بأن

¹ - أنظر:

Barber (Malcolm) , The Trial of the Templars , Cambridge University Press , Cambridge , 1993 , p.54 ; Idem , The New Knighthood , A History of the Order of the Templars , Cambridge University Press , Cambridge , 1995 , chap.8.

² - أنظر:

Ramon Llull , Vita Coetanea , p.35.

³ - أنظر:

Barber (Malcolm) , The New Knighthood , p.309.

⁴ - أنظر:

Hillgarth , Ramon Llull and Lullism , pp.85-86.

⁵ - أنظر:

Ramon Llull , Blanquerna , 88 , p.327 ; Hillgarth , Ramon Llull and Lullism , p.71 ; Barber (Malcolm) , The New Knighthood , pp.284-285 ; Pindl (Theodor) , Ramon Llull , Protagonist des interkulturellen Dialogs , Concordia , N°30 , 1996 , pp.40-41.

بعد حوالي عشرين سنة من صياغته لهذا التصور، مارس لول ضغوطه لقبول فكرته هذه في مجمع فيين، حيث رأى بأن: "تتحد جميع الهيئات العسكرية في هيئة واحدة، والتي من شأنها الحفاظ على الحرب المستمرة فيما وراء البحار ضد المسلمين حتى تسترد الأراضي المقدسة وتخلص من قبضتهم". أنظر:

Ramon Llull , Vita Coetanea , p.44; Ramon Llull , Petitio Raymundi De secunda ordinatione , pp.165-166.

"ما أقوله ممكن ويجب أن يحدث وسوف يؤتي ثماراً عظيمة ⁽¹⁾. لكنه كان بحاجة إلى دعم حتى يحدث ذلك. وربما يكون لول قد عاش في عالمه الخاص، لكنه كان يرى أنه في العالم الخارجي يكمن المستقبل في نوع السلطة الذي نجحت المملكة الفرنسية في البدء بفرضه ⁽²⁾.

على مدار قرنين، كان فرسان الهيكل "قد ظهرُوا بوصفهم جزءاً لا يتجزأ من التكوين السياسي للجماعة المسيحية اللاتينية، وهو جزء لا غنى عنه في النضال ضد الكفار وفي خدمة الحملات الصليبية وفي تمويل الباباوات والملوك" ⁽³⁾. والحال أن القضاء على فرسان الهيكل إنما يشير إلى تغير مهم في "التكوين السياسي" المسيحي ⁽⁴⁾. لقد ظلت الحرب ضد المسلمين ذات أهمية محورية. إلا أنها سوف تُخاض بشكل مُختلف ⁽⁵⁾. وكجزء من التخطيط لحملة صليبية جديدة، أشار البابا إلى أنه يريد مناقشة اقتراح دمج فرسان الهيكل وفرسان الاسبتارية في نظام واحد، وهي فكرة كانت تنمو أكثر فأكثر في في نهاية القرن 13م وأوائل القرن 14م.

يبحث رامون لول في كتابه المعنون "Tractatus de modo convertendi"، عن حل لمعضلة التنافس المحتدم بين الهيئات العسكرية الدينية، بطرح اقتراح مفاده: بأنه في حالة ما جرت محاولة لاسترجاع الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين، فإنه يجب على كل الهيئات العسكرية أن تُقاتل في جبهات مختلفة "واحدة من قيادتي الهيئتين وجب أن تُعسكر في إفريقية وعلى الأخرى أن تُعسكر في تركيا"، بينما يجب على هيئة فرسان التيوتون أن تُثبت أقدامها في منطقة ليقونيا Lycaonia". وبهذه الطريقة يحفظ "بقاءهم في انسجام ومحبة" ⁽¹⁾، على الرغم من أنه لم يطور مخططه بشكل مفصل.

¹ - أنظر: Ramon Llull , Disputatio clerici et Raymundi phantastici , prologue , trans. in Gottron 1912., p.96.

² - ماستناك (توماش) ، مرجع سابق ، ص ص. 311-312.

³ - أنظر: Barber (Malcolm) , The New Knighthood , p.280.

⁴ - ماستناك (توماش) ، مرجع سابق ، ص.312.

⁵ - نفسه.

¹ - أنظر:

Ramon Llull , Tractatus de modo convertendi infideles, en ROL, Edidervnt Blanca Garí, Fernando Domínguez Reboiras , Volume 28 , Brepols, 2003, p.339.

يضيف لول بأن خطة من هذا النوع، لو وضعت موضع التنفيذ، فإنها من دون شك كانت لتساعد في التخفيف من حدة الخلاف والتقليل من الاحتكاك الذي استشرى بين مختلف الهيئات العسكرية الدينية، ولكن بالمقابل كان تطبيقه سيؤدي أيضاً إلى مشاكل عملية تتعلق ببعض القضايا الحساسة مثل حقوق الملكيات، وهو أمر أثار مخاوف لول بشدة، حينما طرح قضية ممتلكات وكنوز هيئة فرسان المعبد في العديد من فقرات كتاباته المتأخرة⁽¹⁾.

6 - رامون لول والمغول.

جاء دخول المغول إلى المسرح التاريخي الأوسع ليكون العامل الأول في تغيير النظرة للمسألة الإسلامية بأوروبا العصور الوسطى، ذلك أن هذا الحدث الضخم ترك تأثيرات متعددة الوجوه والجوانب على الأوروبيين. فمن ناحية كان الظهور القوي لهؤلاء صدمة للأوروبيين من حيث أنه أطلعهم بما لا يقبل الشك على آفاق جغرافية واسعة وجديدة بالنسبة لهم تقطنها أعداد هائلة من البشر، فليس هناك ما يدعو إلى الاعتقاد أن المثقفين الأوروبيين فيما بين "بيده" و"بطرس المبجل"، كانوا يعرفون خارجاً غير الخارج الإسلامي⁽²⁾، وقد أدى ذلك إلى انفساح في النظرة مكنً بطرساً من القول أن المسلمين يعدون ربع سكان المعمورة، هذا إن لم يتجاوز عددهم ذلك إلى النصف⁽¹⁾.

ما من شك في أن هذا التقدير كان خطوة واسعة نحو الحقيقة، فبالمقارنة مع العالم الخارجي الأوسع تراجعت المسيحية عدداً ومساحة، ومع ذلك بقي الإسلام بالنسبة للأوروبيين في الدرجة الثانية من حيث الإهتمام. إذ في منتصف القرن 13م، ومع ظهور آفاق جغرافية وبشرية جديدة تبين للاهوتيين والمثقفين أن صورة بطرس المبجل عن العالم هي صورة متفائلة جداً أيضاً

⁽¹⁾ - أنظر:

J. Garcia de La Torre , Preocupación de Ramón Llull por el destino de los bienes del Temple, ante la disolución de la Orden , Estudios Iulianos, Vol.XXIII, Issues 2-25, Escuela Lulistica 'Mayoricense, 1979 , pp.197-201.

⁽²⁾ - سوزرن (ريتشارد) ، مرجع سابق، ص ص 84-85.

⁽¹⁾ - تختلف تقديرات بطرس المبجل لعدد المسيحيين والمسلمين في العالم من رسالة لأخرى، أنظر:

Petri Venerabilis , Tractatus adversus sectam saracenorum , P.L. , CLXXXIX , Ds Migne , Paris , 1890 , pp.650-656.

فمقابل كل مسيحي في أوروبا والعالم كان هناك عشرة غير مسيحيين أو أكثر، بل إن بعضهم زعم أن غير المسيحيين يزدون عليهم بمائة ضعف، وهكذا لم يعد أحد يعرف بالتأكيد وزن المسيحيين في العالم، وكانت الدهشة تزداد كلما حدثت معرفة جديدة بصقع مجهول⁽¹⁾.

نظر اللاهوتيون في النصف الثاني من القرن 13م، بقلق إلى حقيقة تزايد غير المسيحيين (الكفار) عدداً وعدة، ومنهم لول نفسه، غير أنه كانت هناك عوامل مغرية: فالمغول الذين ظهروا على المسرح التاريخي -رغم نزعتهم التخريبية المدمرة- لم يكونوا من المسلمين، ثم إنه لم يكن لعقائدهم وزن فكري يؤبه له، وهكذا فإنهم لم يكونوا يشكلون خطراً على المسيحية الأوروبية من الناحيتين: الفكرية والعسكرية. ثم نشأ موقف معقد نوعاً ما فالمغول القساة كانوا بحكم الضرورات الجغرافية أعداء للإسلام وليس للمسيحية الأوروبية، وقد أمل لاهوتيون كثيرون إمكان استخدام المغول أداة لضرب الإسلام، عن طريق اتباع سياسة ذكية في التعامل معهم وفهم أهدافهم القريبة⁽²⁾.

وكانت هناك آثار أخرى لظهور المغول في تاريخ القرن الثالث عشر، فقد أدرك الأوروبيون بوضوح كثرة المشتركات بين المسيحية والإسلام في المجالين: العقدي والأخلاقي وما كان ذلك جديداً تماماً إذ بدأ الأمر في القرن الثاني عشر. لكن غرابة وثنيات المغول في القرن الثالث عشر وضعت القواسم المشتركة بين المسيحية والإسلام في ضوء جديد. وأظهر تحرك المغول إلى العالم الإسلامي وجود أقليات مسيحية شرقية قوية بينهم ما كان الأوروبيون يعرفون عنها شيئاً من قبل. ورغم أن هذه المعرفة المفاجئة سرعان ما ضاعت بين الحقيقة ومبالغات الخيال، فإنها كانت حاسمة في تغيير نظرة أوروبا المسيحية إلى الخارج. ومع بدايات النصف الثاني من القرن الثالث عشر كان الموقف بين أوروبا والإسلام قد بلغ درجة عالية من التعقيد وتشابك المسائل فصعدت آمال كثيرة، واختلطت العلل بالأهداف، وظهرت أسباب جديدة للقلق⁽¹⁾.

⁽¹⁾ - سوزرن (ريتشارد) ، مرجع سابق ، ص.85.

⁽²⁾ - نفسه ، ص.86.

⁽¹⁾ - نفسه، ص.87.

وعود التحالف السياسي بين المغول والغرب المسيحي من أجل شن حملة صليبية ضد العدو المشترك بينهما، الإسلام، تجلى أيضاً كـرغبة بالنسبة للمسيحيين في تنصير المغول وتحويلهم إلى المسيحية⁽¹⁾، ووفقاً لحيثياتهما على حد سواء شكلا خطوة نحو التنصير النهائي للمسلمين. خايمي الأول ملك أراجون نفسه كان حاضراً في مجمع ليون الكنسي سنة 1274م، حين تم تعميم رسولين من المغول علناً. ونظراً لتزايد الموارد المخصصة لتمويل الجهود التنصيرية للمسلمين واليهود من طرف هيئتي الدومينيكان والفرنسيسكان منذ منتصف القرن 13م، وتحت إشراف "رامون دي بينيافورت" الذي بدأ في وقت مبكر، فإنه ليس من المستغرب أن طموحات مماثلة كانت قد دعت لتنصير المغول، أكثر حماساً وتوهجاً قادها في معظم الأحيان رامون لول. وهو نفسه يأتي على هذا الوصف: "insuficiens procurator infidelium" وزير غير جدير بالكفار⁽²⁾ موظفا إياه في كل من طاقاته التي لا تعرف الكلل وصلاته السياسية مع ملوك أراجون من أجل مهمة تنصير المسلمين، اليهود والمغول والوثنيين الآخرين، وكذا الهراطقة والمنشقين وإعادتهم إلى حظيرة الكاثوليكية⁽¹⁾.

"القضية المغولية" هي موضوع تكرر كثيراً في كتابات رامون لول الواسعة النطاق، والتي عاد إليها مراراً وتكراراً على مدى ما يقرب من أربعة عقود. وعلى الرغم من الظروف المتغيرة والسياقات المختلفة لمؤلفاته وتأكيدات متطابقة مختلفة، حيناً نظرية مجردة، وحيناً سياسية، وحيناً مقترحات إقناع من خلال المناظرات، وحيناً آخر صليبية- تبقى الصورة المجردة للتناثر التي

⁽¹⁾ - أنظر:

D. Sinor , "The Mongols and Western Europe" , in K. Setton et al. , eds. , A History of the Crusades , vol.3 , Madison , 1975 , pp.513-544 ; Sylvia Schein , "Gesta Dei per Mongolos 1300 : The Genesis of a Non-Event" , "English Historical Review" , 95 , 1979 ; James D. Ryan , "Nicholas IV and the Evolution of the Eastern Missionary Effort" , Archivum Historiae Pontificiae , 19 , 1981 , pp.79-85.

⁽²⁾ - أنظر:

Ramon Llull, Disputatio fidelis et infidelis, in Raymundi Lulli operum, 8 vols. (Moguntiae: Officina Typographica Mayeriana, per Joannes Georgium Haffner, 1729), vol. 4, 1-53 at 1.

⁽¹⁾ - أنظر:

Benjamin Liu , The Mongol in the Text , in "UNDER THE INFLUENCE : Questioning the Comparative in Medieval Castile" , EDITED BY CYNTHIA ROBINSON AND LEYLA ROUHI , Brill , netherlands , 2005 , pp.308-309.

تخليها مستقرة على نحو مدهش. فقد بقي التتار بالنسبة للول وثنيين بشكل جوهري، سريعي التأثير بالفطرة أو حتى ميالين إلى التنصر؛ ويشير Ramón Sugranyes de Franch إلى "هذه الحالة من المرونة التي نجد عليها المغول، هي من وجهة نظر دينية"⁽¹⁾. فروح التتار مثلاً هي مثل السجلات البيضاء روحياً والجاهزة تنتظر عمل البعثات التنصيرية المسيحية فضلاً عن أن مناطقهم مناطق مفتوحة للتنافس والجدال ضد الإسلام واليهودية.

بالنسبة لرامون لول بطبيعة الحال، التتار ليسوا فقط مثلهم مثل "Gentile الكفار"، طبقة تضم العديد من الفئات المتنوعة، يقول إنهم: "مغول، تتار، بلغار، هنغاريين من المجر الصغرى، كومنينيين، نساطرة، روس، جنوبيين (ربما المنتسبين إلى مستعمرة جنوة في شبه جزيرة القرم المعروفة في القرن 13م) وغيرهم كثير من الوثنيين، الذين يشكلون شعوباً بلا دين"⁽²⁾، جنباً إلى جنب مع هراطقة متنوعين آخرين، وثنيين وروحانيين الذين يعتبرون جميعاً لا ينتمون إلى الديانات السماوية المنظمة: الكاثوليكية الرومانية والأرثوذكسية اليونانية، الإسلام واليهودية. تعريف معنى "وثني Gentile" في عمل لول المبكر "عقيدة الطفل Doctrina pueri/ (1274-1276م) يؤكد على جهلهم الفطري بالإيمان يقول لول: "الوثنيون شعب بدون إيمان وليس لديهم أية معرفة بالإله"⁽¹⁾. وجهلهم الشديد هذا جعلهم بالطبع من المرشحين الرئيسيين للتنصير، إذا كان هناك فقط منصرفون كثر، مثل لول، لنقل رسالة المسيحية لهم، في هذا الصدد يتحدث لول: "بالكاد لا يوجد هناك أي شخص يرسل لهم سفيراً ولا لكي يساعدهم في إظهار الطريق القويم"⁽²⁾.

الفراغ الروحي للوثني هو الذي زوّد الحالة الإطار في مؤلف لول المعنون بـ "الوثني والحكماء الثلاث" (1274-1276م) من أجل برهنة أساليبه العقلانية والتي تخدم المتحدث

⁽¹⁾ - أنظر:

Ramón Sugranyes de Franch, Ramón Llull: docteur des missions, Extracto del vol. V de Studia Monographica et Recensiones (Palma de Mallorca: Schola Lullistica, 1951), pp.15-16.

⁽²⁾ - أنظر:

Ramon Llull, Doctrina pueril, ed. Gret Schib, Els Nostres Clàssics, A104 (Barcelona: Barcino, 1987), 166-67 and note; Llibre d'Evast e Blanquerna, chap. 61, p. 160.

⁽¹⁾ - أنظر:

Ramon Llull, Doctrina pueril, 166.

⁽²⁾ - أنظر:

Ibid., 167.

الجاهل لثلاثة رجال حكماء (أحدهم مسيحي والثاني مسلم والأخير يهودي) والذي يبحثون عن إقناعه بصواب معتقداتهم. مع ذلك فهذا الوثني متقف جدا في مجال الفلسفة، ولا يملك أي تجربة إيمانية تماما: "ذلك الوثني لا يحوز أي معرفة بالإله، ولا يصدق بالبعث، ولا يعتقد بوجود حياة أخرى بعد موته"⁽¹⁾.

على أية حال، أصبح التتار بالنسبة للول مُمثلين بامتياز لنوعية الوثني الذي يُمثل قالبا جاهزا مستعدا للتصُّر. في كتابه "كيفية إمكانية استعادة الأرض المقدسة Quomodo Terra Sancta recuperari potest" (1292م)، والذي يُعرف أيضا باسم "كتاب الحرب الصليبية Llibre del passatge"، كتب لول ما نصه: "يمكن بسهولة أن نكتسب التتار داخل حظيرة الإيمان الكاثوليكي، لأنهم خُلقوا ووجدوا بدون إيمان"⁽²⁾، ويتعلق الجزء الأول من "كتاب الغاية Liber de fine" (1305م) بالجدل التبريري ومُناظرة دفاعية "de disputatione infidelium"⁽³⁾، وينقسم إلى أجزاء وفقاً للمواضيع ذات الصلة بالبعثة التنصيرية: "ضد المسلمين، ضد اليهود، ضد المنشقين، ضد التتار أو الوثنيين"⁽¹⁾. وهنا "التتار" جاءت بمعنى غير الموحدين، ودعاهم لول بالوثنيين: "التتار -مثلهم مثل الشعوب الوثنية الأخرى- لا يملكون المعرفة ولا حتى الدين"⁽²⁾.

في رواية Blanquerna، قائمة طويلة لأنواع متعددة من الشعوب الوثنية الواردة في كتاب "عقيدة الطفل" ترجع في كثير من الأحيان ببساطة إلى التتار، بهذه الطريقة تختصر قائمة الكفار إلى عدة أماكن إلى: "المسلمين، اليهود، التتار وجميع الكفار"⁽³⁾. في أحد أحداث روايته

⁽¹⁾ - أنظر:

Ramon Llull, Llibre del Gentil e dels tres savis ed. Antoni Bonner, 2nd ed., Nova Edici de les Obres de Ramon Llull (Palma: Patronat Ramon Llull, 2001), p.6.

⁽²⁾ - أنظر:

Raimundus Lullus, Quomodo Terra Sancta recuperari potest/Tractatus de modo convertendi infideles, ed. Jacqueline Rambaud-Buhot, Raimundi Lulli Opera Latina, fasc.III (Mallorca: Schola Lullistica, Studiorum Mediterraneorum, 1954), p.96.

⁽³⁾ - أنظر:

Raymundus Lullus, Libellus de fine (Palma: Typis Raphaelis Moya, 1665, reprinted in facsimile, Petra, Mallorca: Col.legials de la Sapiència, 1986), p.6.

Ibid. , p.7.

⁽¹⁾ - أنظر:

Ibid. , p.50.

⁽²⁾ - أنظر:

Ramon Llull , Llibre d'Evast e Blanquerna, chap. 86, p. 244; chap. 75, p. 200.

⁽³⁾ - أنظر:

Blanquerna ، حيث يتم تصور مدارس اللغات في دير ميرامار بغرض إرسال المنصرين المختصين لغوياً "في جميع بلاد الشعوب الكافرة"⁽¹⁾، المثال البارز لخطط هذه الرواية ولول بطبيعة الحال هو خيار التتار. في هذا السيناريو، يتم تحويل ثلاثين من خمسين تتربا إلى المسيحية، وخمس من عشر رهبان تعلموا بنجاح : "لغة التتار"⁽²⁾؛ وسافروا جميعا لمقابلة الخان الأعظم ونجحوا في إقناعه بتبني الإيمان المسيحي.

النموذج المغولي المثالي يمثل على نحو مشابه للوثني المثالي في كتاب لول المعنون ب: "Quicumque vult Liber super Psalmum" (1288م)، المعروف أيضاً بـ "كتاب التتار Llibre del Tartar"، الذي تشبه بدايته إلى حد كبير كتاب "الوثني والحكماء الثلاثة"، على شكل سلسلة من المحاورات حيث أن التتري يعرف بنفسه : "أنا تتري"⁽³⁾، كوثني عقلاني، يحتفظ بنجاح مع يهودي، وآخر مسلم، وراهب مسيحي جاهل، وأخير مع راهب رواية Blanquerna ، حيث يجعلهم لول اثنين. وسوف يعترف التتار في وقت لاحق بأنهم كانوا أكثر من صفحة بيضاء: "عندما قدمت إليكم، كنت تماما مثل وعاء فارغ، لا أمتلك شيئا من الحقيقة، كنت معبئا من لاشئ"⁽¹⁾. بقي التتار غير مقتنعين وغير راضين بالحجج التاريخية التي ساقها اليهود، ولا بتفسيرات المسلمين للقرآن، ولا "بجهل الراهب المسيحي"⁽²⁾. فقط راهب الرواية قادر على التأثير عليه من خلال التفسير الفلسفي لكل مقاطع المزامير⁽³⁾. في نهاية المطاف، تحول المغولي إلى المسيحية، وعُمد من طرف البابا، واتخذ اسما مسيحيا هو "Largus"،

Ramon Llull , Llibre d'Evast e Blanquerna , chap. 80, p. 218.

¹ - أنظر:

Ibid. , chap. 80, p. 222.

² - أنظر:

³ - أنظر:

Ramon Llull, Liber super Psalmum Quicumque vult sive Liber Tartari et Christiani, in Raymundi Lulli operum, 8 vols. (Moguntiae: Officina Typographica Mayeriana, per Joannes Georgium Haffner, 1729), vol. 4, 1-30 at 4, p.29.

Ibid. , p.28.

¹ - أنظر:

Ibid. , pp.2-4.

² - أنظر:

³ - أنظر:

Hames, Harvey J. , The Art of Conversion, pp. 96-97; Soler i Llopart, Albert , "El Liber super Psalmum Quicumque de Ramon Llull i l'opció pels Tàrtars." S.L. , 32 (1992), pp.14-16.

وأعلن عن نيته في في التبشير بين مواطنيه: "أنا مستعد للذهاب إلى أراضي التتار، وأنا أتوسل إليك أيها الأب المقدس، بأن ترسل خطاباتك إلى ملكهم؛ وأنا سأكون رسولا مُخلصا في إظهار وإثبات حقيقة الإيمان"(1).

تشبي كتابات لول المبكرة، على وجه الخصوص، بفقر في المعرفة أو ربما قلة اهتمام بالبرهان التجريبي، وحتى من جهة أخرى، بالمغول الحقيقيين: على سبيل المثال، تقارير "بلانو كارييني" و "روبروك" حول المعتقدات والممارسات الدينية للمغول. يصف "دومينيكا أورفوا Urvoy Dominique" هذا الرأي المبكر حول المغول الوثنيين بالغامض جداً و-"النسج العقلي الخالص"(2)، والتي سوف تعدل فيما بعد فقط بعد أسفار لول إلى قبرص وأرمينيا سنة 1302م. بالطبع، فإن مؤلف كتاب "فن اكتشاف التفاصيل في الكليات Ars inveniendi particularia in universalibus" بالكاد يمكن اعتباره "تجريبي"، بل مؤمن بمذهب الخلاص العالمي، لذا فإنه ليس مستغرباً ولا مفاجئاً أن يعتمد مراراً وتكراراً إلى اختيار تعريف وتحديد المغول بالوثنيين في حالتهم النقية من الطبيعة، حيث كتب في سنة 1292م بأن: "التتار هم شعب وحشي"(3)، وفي سنة 1309م كتب مرة أخرى بأن: "التتار أو الوثنيون هم رجال وحشيون لا دين لهم"(1)؛ هم سجلات فارغة تنتظر من يكتبها عند تنصيرهم.

حتى في مؤلفاته اللاحقة، التي دونها بعد سقوط عكا وهزيمة الصليبيين سنة 1291م، تحتوي على أكثر من كتاباته السياسية(2)، يواصل لول إعادة التحديد الشامل للمغول كوثنيين بدون دين أو فهم، على الرغم من أنه واضح تماماً من وصفه الثلاثي الجوانب لامبراطورية المغول في خاتمة كتاب "مجادلة ريمون المسيحي وعمار السرازيني" (1308م) وبحلول هذا الوقت كان لديه

Llull, Liber super Psalmum Quicumque vult, p.29.

¹ - أنظر:

Urvoy (Dominique), Penser l'Islam, pp.213-14; Soler i Llopart, op.cit., p.4.

² - أنظر:

Lullus, Quomodo Terra Sancta recuperari potest, p.105.

³ - أنظر:

¹ - أنظر:

Llull, Llibre de la conquesta de Terra Santa, p.15; Urvoy (Dominique), Penser l'Islam, p.214.

² - أنظر:

Badia Lola and Anthony Bonner. Ramón Llull: vida, pensamiento y obra literaria. Barcelona: Quaderns Crema, 1993, pp.30-31.

طريقة للوصول إلى معلومات دقيقة ومضبوطة بشأن الأوضاع الجغرافية والسياسية⁽¹⁾. على ما يبدو، أن لول يقترح حجتين متقاربتين تتعلقان بالحاجة لتنصير المغول، الأولى أن مثل هذه المهمة في حد ذاتها مرغوب فيها بشدة لغايات روحية لخدمة جميع الكفار، والثانية هذه المهمة مرغوب فيها لغايات سياسية، تنصير المغول بغية اتخاذهم حلفاء لازمين في النضال المستمر والشديد ضد الإسلام وأهله، وضمان تحالفهم مع الصليبيين في أي مشروع عسكري مستقبلي.

يظهر الرأي الأخير بشكل أكثر دنيوية، ف"خيار التتار" أو برنامج تنصير المغول هو إلى حد كبير مشروع نفعي عملي وليس مشروعاً طوباوياً⁽²⁾. يصف لول نفسه هذا النهج المتكون من شقين والموجه للمغول بأنه مزيج متناسق من "السيوف" الروحية والجسدية و"المترفة" حين يقول: "لقد مرّت سبعون سنة حتى الآن منذ أن هبط التتار من الجبال وامتلكوا قوة أكثر من المسلمين والمسيحيين في هذا العالم. لذلك، أيتها الكنيسة، هل تتأمين عندما عُهدت لك الكثير من الثروات، بدل أن تقومي بوظيفتك بالسيف الروحي وكذلك السيف الجسدي واللذين يعتبران واحداً؟"⁽¹⁾. "السيف الروحي"، كما يوضح لول في التماسه للبابا المؤقت سلعستين الخامس في سنة 1294م (مثل عدد من الالتماسات المتعاقبة الموجهة للكرسي البابوي بين 1292م و1311م)، يُجند في معركة من أجل قلوب غير المسيحيين، وعقولهم وأرواحهم، "الكنز الروحي" للكنيسة (أو الثروة الروحية) أي رأس المال الفكري الممثل من طرف: "رجال ورعين، سواء كانوا من رجال الدين أو العلمانيين الذين أرادوا تعلم لغات مختلفة وذهبوا للتبشير بالإنجيل في جميع بقاع العالم ... وهكذا أنشأوا مدارس في البلاد المسيحية وفي أراضي التتار؛ وأن الكاردينال الذي حمل هذا المنصب

¹ - أنظر:

Llull, Disputatio Raymundi Christiani & Hamar Saraceni, pp.46-47; Bonner, op.cit. , p.67.

² - أنظر:

Bonner, A. Notes de bibliografia i cronologia lul.lianes , Estudios lulianos , 24 ,1980 , p.76; Soler i Llopart, op.cit. , pp. 3-4.

¹ - أنظر:

Lullus, Libellus de fine, p.58; Llull, Disputatio Raymundi Christiani & Hamar Saraceni, p.46.

على عاتقه سيتولى مهام البعثات التنصيرية وإدارة المدارس وشؤون طلابها، وسيواصل حتى يجعل العالم كله مسيحياً⁽¹⁾.

وكجزء من هذا "الكنز الروحي" يذكر لول في مواضع أخرى تأليف كتب: "ذي طراز عال بغية تنصير التتار والوثنيين"⁽²⁾، والذي قد يكون نموذج منها هو كتاب لول المعنون: "Liber Quicumque vult super Psalmum"، الذي يوصي فيه "لارجوس" بتنصير التتار، عن طريق الترجمة، كـ"دليل vademecum" لقادة البعثات التنصيرية. بالضبط، هذا هو البرنامج الذي كان لول يدعو إليه على الأقل منذ سنة 1270م، والذي يوصف بشكل واضح في فقرة يستشهد بها مبكراً في رواية "Blanquerna" تتحدث عن مدارس اللغات الخاصة بالتتار.

يُنَاطَر "السيف المادي" حشد وتعبئة "الكنز المادي Trezor corporall"؛ وجمعت الكنيسة رأسمالها السياسي والاقتصادي واللذين يمكنها من إعلاء ونشر الحملة الصليبية: "للإستيلاء على أراضي الكفار والأراضي المقدسة فيما وراء البحار بقوة السلاح". علاوة على ذلك، الرأس مال الاقتصادي الذي يمثله عشر الكنيسة يجب أن تنقل لتمويل هذه المهام للأبد⁽¹⁾.

حضر لول بشكل كامل حول هذه المشاريع المزدوجة في أعمال لاحقة مثل "كتاب الغاية Liber de fine" (1305م) وفي خاتمة "كتاب جدال رامون المسيحي وعمار السرازيني" (1308م)⁽²⁾. بقيت توصياته الثلاث، على الرغم من كل شيء متناسقة بشكل لافت. الأولى، تأسيس وإيجاد مورد مالي لمدارس التنصير واللغات في داخل أوروبا وخارجها، ويشترط ديمومتها، خاصة بالنسبة لتنصير المغول، الذين هم بمثابة قوة عسكرية ويسهل تحويلهم للمسيحية نظراً لأنهم قوم بدون دين. الثاني، إعلان حرب صليبية على طول وامتداد "الحدود ضد المسلمين"، بدءاً من

⁽¹⁾ - أنظر:

Josep Perarnau i Espelt, Un text català de Ramon Llull: la 'Petició de Ramon al Papa Celestí V per a la conversió dels infidels': edició i estudi, Arxiu de Textos Catalans Antics 1, 1982, pp. 9-46.

Lullus, Libellus de fine, p.57.

⁽²⁾ - أنظر:

⁽¹⁾ - أنظر:

Perarnau i Espelt, Josep, La Disputació de cinc savis de Ramon Llull: estudi i edició del text català, Arxiu de Textos Catalans Antics, 5, 1986, Un text catal, pp.34-35.

Ramon Llull, Disputatio Raymundi Christiani et Hamar Saraceni, pp.46-47.

⁽²⁾ - أنظر:

غرناطة، لأنها قريبة وتحوي كنزاً عظيماً، ثم الانتقال إلى إفريقية وأخيراً إلى الأراضي المقدسة. ثالثاً، تمويل هذه المساعي عن طريق تخصيص عشر الكنيسة غير المحدود تجاه هدف الحملة الصليبية.

المطالب الملحة والمتزايدة للكتابات السياسية لرامون لول تستجيب بطبيعة الحال لسياق سياسي تطور بالتدرج، لكن تؤكد أيضاً على الخوف والخشية المصيرية وراء هذا المشروع اللولي. إذا كانت أرواح التتار عبارة عن "صفحة بيضاء tabula rasa"، يتم تحويلهم بسهولة إلى المسيحية بسبب طبيعتهم، فإنه من الممكن لهم أيضاً إعتناق الإسلام. والخطر الذي سيمثله التحالف الإسلامي-التتاري على المسيحية سوف لن يمكن التنبؤ به حسب لول، كما يصفه في منظومته الشعرية المعنونة بـ "الضيق Desconhort" (1295م) حين يقول:

إذا لم يتم إجراء هذه الحملة الصليبية قريباً، فإن المسلمين

سينسقون مع التتار للمجيء إلى جبل صهيون،

ومنهم كثيرون تحولوا بالفعل، والتتار قد اعتنقوا الإسلام

لذا عما قريب سيمكنهم بسهولة هزيمة جميع المسيحيين،

بحيث لن يتركوا مملكة مسيحية واحدة⁽¹⁾.

من ناحية أخرى، فإن الوقت آخذ في النفاذ في مسألة التنافس بين الإسلام والمسيحية لإنفاذ أرواح التتار، قبلاً منذ كتاب " Llibre del passatge " (1292م) الذي حذر فيه لول من جهود المسلمين النشطة والفعالة لتحويل المغول إلى الإسلام عن طريق الزواج من أخواتهم وبناتهم، ومع وجود الثروة وسبل الرفاه، كما كان هناك حتى خطر جهود اليهود لتحويل المغول إلى دينهم⁽²⁾. وتعقيدات أخرى أشار إليها رامون لول خاصة الانشقاقات الكثيرة التي تقسم

¹ - أنظر:

Ramon Llull, Poesies, ed. Ramon d'Alòs-Moner, 2nd ed. (Barcelona: Els Nostres Clàssics, 1928, reprinted in facsimile, Barcelona: Barcinó, 1980), p. 102, ll. 749-54.

² - أنظر:

Lullus, Quomodo Terra Santa recuperari potest, p.105, p.96 ; Soler i Llopart, p.11.

المسيحيين، يذكرها من أجل مواجهة هذا التهديد الخارجي ويرى وجوب مناقشتها وتسويتها لحل الخلافات الداخلية. في حين أن هذا يعني في حقيقة الأمر محاولة إعادة "المنشقين"⁽¹⁾ -اليونانيين الأرثوذكس، النساطرة واليعاقبة- إلى حظيرة الكاثوليكية الرومانية⁽²⁾، ويعرضها في "كتاب جدال الحكماء الخمسة Disputación de cinc savis" (1295م) كلقاء ودي بين خمسة حكماء على الأقل: أحدهم لاتيني، وآخر يوناني، ونسطوري، ويعقوبي، جنباً إلى جنب مع مسلم ذي معرفة بالفلسفة وفي نهاية لقائهم مع حكيم يهودي⁽³⁾.

الأساس المنطقي لهذا الضغط الممارس من طرف لول في كتاباته والداعي للوحدة المسيحية هو على وجه التحديد خطر التحالف الإسلامي-المغولي الذي يتحسّر عليه إن وقع في مكان ما. وباعتباره أحد الحكماء يقول: "مع هذا فالمسيحية في خطر عظيم، لماذا لا يوجد جميع المسيحيين في العالم في وحدة واحدة؟ ... إذا كانوا متحدّين، فإنه يمكن بسهولة هزيمة جميع المسلمين في هذا العالم ومن ثم اخضاع التتار والوثنيين الآخرين في المسيحية"⁽¹⁾. في مثل هذا النموذج الداعي للوحدة المسيحية، يكون لول قد قام بمحاكاة توصية عسكرية ولاهوتية مماثلة لتلك التي أدلى بها "يوحنا بلان كاريني"، الذي دعا للوحدة العسكرية والسياسية المسيحية في وجه هجوم مغولي محتمل على الغرب⁽²⁾.

بيد أن مجرى الأحداث أثبت مرة أخرى صدق تنبؤات لول، فمنذ عام 1295م، اعتنق غازان خان الإسلام وتعاطف مع رعاياه المسلمين إلى حد كبير⁽³⁾. وقد مثل تحول الأحداث هذا، بالنسبة

⁽¹⁾ - أنظر: Lullus, Libellus de fine , pp.27-28.

⁽²⁾ - أنظر: Soler i Llopart, op.cit. , pp.17-19.

⁽³⁾ - أنظر:

Josep Perarnau i Espelt, La Disputació de cinc savis de Ramon Llull: estudi i edició del text català, Arxiu de Textos Catalans Antics , 5 , 1986, pp.23-24.

⁽¹⁾ - أنظر: Perarnau i Espelt, La Disputacio , pp.24-25.

⁽²⁾ - أنظر:

Boyle, John Andrew, The Il-Khans of Persia and the Christian West , History Today, 23, 1973, pp.554-563. Reprinted in The Mongol World Empire, 1206-1370. London: Variorum Reprints, 1977. XIII, pp.342-43.

⁽³⁾ - أنظر: Hornstein, Lilian Herlands , The Historical Background of the King of Tars, SP., 16, 1941, pp.408-09.

لرامون لول فرصة ضائعة بارزة حالت دون تشكيل تحالف مع إيلخانات فارس، التي كانت قد أرسلت في الماضي الكثير من السُفراء إلى ملوك وباباوات المسيحية. إنها نكسة كبيرة وغصة مريرة لمشروعه المغولي، ولتصديق بيانه في أماكن أخرى، وهو خطر عظيم ممكن أن يتهدد جميع العالم المسيحي، يقول: "لقد سافرت بعيداً، أين ورد إلى مسامعي أن الخاقان، إمبراطور التتار، قال في كثير من الأحيان أنه يريد أن يكون على يقين من الإيمان المسيحي، لأنه إذا كان على يقين حياله، فسوف يصبح مسيحياً، وسيُعمد جيشه بالكامل، لكن ولأنه لم يكن متأكداً من ذلك، فإنه أصبح مُسلماً، هو وجيشه"⁽¹⁾. والأمر المثير للفضول، هو أنه حتى مسألة تحول الغازان أصبحت نقطة غموض متعلقة بالمغول، منذ أن أصبح أسطورة شعبية كبيرة انتشرت في جميع أنحاء أوروبا بعد سنة 1299م بدل اعتناقه المسيحية.

الغازان الذي يشار إليه بإسم "Cassanus" هو أسطورة في معظم النصوص والروايات، وكمملك Tars، والذي عادة، وبشكل صحيح هو ملك التتار⁽¹⁾. الأسطورة تروي كيف أن ملك التتار هذا تحول إلى المسيحية بعد مشاهدته لمعجزات مؤثرة، وبالتالي توسل مرة أخرى للرغبة المستمرة من أجل التحالف مع التتار في مواجهة كل الأدلة التي تثبت عكس ذلك. مع ذلك، يحدد لول مصدر هذه المعلومات، فيقول أنه تم الحصول عليها من خلال رحلاته في الخارج، ومن هنا فإن كان قريباً من مصادر المعلومات هذه، خاصة إذا أخذنا في الحسبان سهولة حصوله على الأدوات العربية من خلال إتقانه لها⁽²⁾.

على الرغم من أن قضية المغول وثيقة الصلة بعدد من الإهتمامات السياسية والتبريرية في كتابات لول الموسعة، فإن النتائج التاريخية لمشروع تنصير المغول كانت أقل كلفة من تلك التي تصورها مع مقدار كبير من الاقتناع والثبات على مر السنين. إحدى الحالات المبكرة لاعتناق التتار للمسيحية والتي وقعت في بداية القرن الرابع عشر، في أراجون وتم الاحتفال بها في الواقع على أعلى مستوى السلطتين الملكية والكنسية. وقد أشار "رامون مينديز بيدال Ramón

Lullus, Libellus de fine, p.52.

⁽¹⁾ - أنظر:

Hornstein, op.cit. , pp.403-08.

⁽¹⁾ - أنظر:

Benjamin Liu , The Mongol in the Text , p.317.

⁽²⁾ - أنظر:

Menéndez Pidal " إلى عملية تنصير المغول الجديرة بالملاحظة التي قام بها المضيفون سنة 1320م (فقط بعد نحو أربع سنوات من موت رامون لول)، والمحفوظة في سجلات الأرشيف الملكي الأراجوني. عندما يكون هذا التنصير: "على يد المضيف ... من طقوس التتار إلى إيمان المسيحيين" وقد عُمد تحت اسم مسيحي هو "لورنزو" من قبل أسقف "تارازونا Tarazona"، حتى أن الملك خايمي الثاني نفسه خدم في هذه المهمة متخذاً منصب عزاب له (1)، وأضفى بذلك كلا من دعمه الشخصي والرسمي لإرث القرن الثالث عشر الميلادي وهو "حلم التنصير" (2).

بصرف النظر عن وعي خايمي الثاني وإدراكه المباشر بمشاريع لول الكثيرة في هذا المجال، فإنه كانت لخايمي أيضاً معرفة محددة بما يتدوال شعبياً عن هذه الأسطورة الخاصة بتحويل الغازان ملك التار إلى المسيحية ولكنها خاطئة على كل حال، وتتصل به مراسلة كانت بينهما بين عامي 1300م و 1307م (1). إذا كانت رؤية لول للبعثات التنصيرية الموجهة للمغول عالمية في مجالها الجيوسياسي الواسع، فإن خايمي الثاني عوضاً عن تلك الرؤية شارك في مراسم كبيرة وإن حظيت بدعاية كبيرة إلا أنها بقيت في نطاقها المحلي الضيق في احتفالها بمعمودية التتار. وأهميتها الرمزية الدقيقة تتمثل في أنها أكثر ملاءمة للجهود التنصيرية التي تستهدف الأقليات الموجودة داخل مملكة أراجون أكثر منها الموجودة بعيداً في بلاد المسلمين وبلاد المغول وماوراءهما (2).

لا شك أنه حتى الجهود التنصيرية اللاحقة، تأثرت بكتابات لول، وعلى نحو مشابه تم تحجيمها كثيراً عن مشروعه العالمي الساعي إلى تحويل العالم بأسره إلى المؤسسة الأكثر تواضعاً من أجل وعظ وتنصير الأسرى التتار المتواجدين في شبه الجزيرة الأيبيرية، أو الجمهور الأسير

⁽¹⁾ - أنظر:

Ramón Menéndez Pidal, *Poesía juglaresca y juglares: orígenes de las literaturas románicas*, 9th ed. Austral, 159, Madrid: Espasa-Calpe, 1991, p.138.

⁽²⁾ - أنظر:

Burns, Robert I. , *Christian-Islamic Confrontation in the West: The Thirteenth-Century Dream of Conversion*, *The American Historical Review*, 76, 1971, pp.1386–87, p.1434.

⁽¹⁾ - أنظر:

Hornstein , op.cit. , p.404.

⁽²⁾ - أنظر:

Benjamin Liu , *The Mongol in the Text* , p.318.

بالمعنى الحرفي. أحد هذه الجهود شارك فيه اثنين من الدومينيكان الأرمن سنة 1382م في مدينة برشلونة اللذين: "ألمّا بلغات بلاد التتار، واليونان والدول الأخرى، واللذين أقنعا الكثير من التتار والعبيد الآخرين بحقيقة الإيمان الكاثوليكي، من خلال الوعظ المستمر والجهر بالإيمان"⁽¹⁾. الأساس المنطقي الذي يدعوا إلى توجيه الوعظ إلى العبيد من التتار يفسر على وجه الخصوص من الخوف السائد والشائع من اعتناقهم اليهودية عندهم يملكهم سادة يهود⁽²⁾.

في حين كان ينظر إلى الإسلام دائما على أنه المنافس الرئيسي للمتحوّلين من الوثنية على الساحة الدولية -على الرغم من أن لول، ربما ردّ على كتاب "يهوداه ليفي" المسمى "كتاب الخزري، الذي من المحتمل أنه سمح على الصعيد النظري بتحويل التتار إلى اليهودية- على مستوى التعايش بين الأديان الموجودة محليا ومراقبة التهديد الأكبر، كان قد تصور الآن أن على التنصير يجب أن يكون نشطاً من جانب اليهود أصحاب العبيد. إجراء ملكي وقعه الملك بيار الرابع ملك أراجون سنة 1369م، جسّد فعلياً هذا الخوف من خلال حظر ومنع اليهود من الاحتفاظ أو شراء العبيد التتار في مدينة برشلونة، وجاء فيه: "نحن نأمر أنه لن يوجد يهودي في أراضينا ... يشتري أو يجرؤ على شراء أي من العبيد من التتار"⁽¹⁾. هذا الأمر الملكي يتوافق كلياً مع منطق لول، ويوضح كذلك أن العبيد من التتار هم عرضة بطبيعة الحال لأي تحويل ديني بشكل خاص، ولأنهم مالكيهم مسيحيون وليسوا يهوداً فينبغي عليه تحويلهم بسهولة إلى الكاثوليكية⁽²⁾.

قانون من هذا النوع، على الرغم من أصداء أفكار لول الواضحة فيه، تبدوا أقل تناغماً من رؤيته الواسعة لتنصير التتار في عالم رحب من أجل الهيمنة الروحية والسياسية المسيحية في

¹ - أنظر:

Verlinden, Charles, L'esclavage dans l'Europe médiévale, 2 vols. Brugge: De Tempel, 1955. Vol. 1. Weckmann, Luis, La primera imagen de la Nueva España: un archipiélago 'asiático', In La herencia medieval de México. 2nd ed. México: Fondo de Cultura Económica, 1983, p.534.

Verlinden, L'esclavage, p.534.

² - أنظر:

¹ - أنظر:

Miret y Sans, Joaquín, La esclavitud en Cataluña en los últimos tiempos de la Edad Media, Revue hispanique, 41, 1917, p.22.

Verlinden, L'esclavage, p.343.

² - أنظر:

خارج أوروبا، وأكثر من ذلك بكثير تزايد مشاعر معاداة اليهود وتزايد التشريعات داخل شبه الجزيرة الأيبيرية خلال أواخر القرن 14م وأوائل القرن 15م. دليل قوي لفكرة أن هذه هي إستراتيجية تشريعية موجهة ضد اليهود أكثر منها لمصلحة التتار تم توفيرها من طرف مرسوم مشتق من القشتاليين، والذي نشر سنة 1380م من قبل خوان الأول ملك قشتالة، والذي يحضر على اليهود نشاطهم التبشيري الموجه للمسلمين، وخصوصا التتار، على الرغم من حقيقة أن عدد السكان التتار في قشتالة لم يكن شيئاً معتبراً إن لم نقل معدوماً: "لقد بلغنا أن اليهود حولوا بعض المور (المسلمين) إلى دينهم، وكذلك التتار وأعضاء من الطوائف الأخرى من خلال ختانهم على طريقتهم"⁽¹⁾. ومخطوط آخر نقرأ فيه عبارة "bautisandolos" أي من خلال تعميدهم"، والتي تؤكد حتى على التناقض اللاهوتي لهذا المرسوم. وتستند بوضوح على النماذج التشريعية الأراجونية، وتبين الوثيقة القشتالية أن مثل هذه القوانين تهتم بأكثر من ذلك تهتم بممارسة السيطرة على السكان اليهود الذين يعيشون داخلها وتفضلها على تنصير العبيد من التتار سواء كانت تملكهم أم لا⁽¹⁾.

تشهد هذه المحاولات والمسااعي التي جاءت في وقت لاحق عن التصريح والتشريع المتعلق بالعبيد التتار في شبه الجزيرة الأيبيرية، على اهتمام مُحتم ومُتواضع ولكنه متواصل فيما يخص القضايا والشؤون المغولية. قد يكون هذا الإهتمام راجعاً جزئياً إلى استمرار تأثير كتابات لول، على الرغم من أهدافه السياسية والدعوية التنصيرية البارزة التي يصعب الاعتراف بها محلياً خاصة على صعيد المؤسسات المتواضعة الموجودة فيها، وبالكاد هي أحلام للهيمنة على العالم، وعلى المسلمين، من خلال تحالف مسيحي-مغولي، وصادم حضاري بين القارات⁽²⁾.

وهكذا يدعو لول إلى توظيف عدد من المُرتدين عن دينهم لتعليم لغتهم الأم، كما أنه ينبغي على هؤلاء مرافقة المنصرين المتنقلين لإسداء المشورة لهم. وينبغي تثقيف بعض المنصرين بالنترية، وإيفادهم بصفة مُشرفين روحيين إلى المسيحيين الذين يعيشون في ظل سياسة التتار. لقد

Verlinden, L'esclavage , p.605.

⁽¹⁾ - أنظر:

Benjamin Liu , The Mongol in the Text , p.319.

⁽¹⁾ - أنظر:

Ibidem.

⁽²⁾ - أنظر:

حاول لول بطلبه هذا عمل حساب لوضع المسيحية الشرقية الذي تغير جذريا نتيجة الغزو المغولي. إن الغزو المغولي للمشرق الإسلامي جعل الغرب المسيحي يتحالف معهم. فلقد حاول "أبقه بن هولكو" (1265-1282م) وابنه عرجون (1284-1291م) كسب الإدارة المركزية البابوية وملوك فرنسا وإنجلترا لعمل مشترك ضد المماليك. وقد وصل مبعوثو أبقه إلى مدينة ليون سنة 1274م، وإلى روما سنة 1277م، كما وصل بعد ذلك بعشر سنين المسيحي النسطوري "ريان صوماء" بتفويض من عرجون إلى البلاط الأوروبي. وبالعكس، ففي سنة 1245م، أي بعد أربع سنين من معركة "ليجنيتز"، أرسل البابا عدداً من الفرنسيسكان والدومينيكان عبر ثلاثة طرق إلى التتار. أحد هؤلاء كان "يوحنا بيان كاريينو"، الذي نجح في الوصول إلى معسكر الخاقان كريكوف في كراكوروم. وآخر اسمه "أندرياس نون لونجيوميو"، تمكن من الوصول إلى تبريز فقط، لكنه ما لبث أن أعاد الكرّة في سنة 1249م صحبة وفد من طرف "لودفيج الرابع" فوصل إلى بلاط الخان الأعظم في شرقي آسيا. وأخيراً سافر الفرانسيسكاني "فلهم روبروك" سنة 1253م إلى الخاقان مانجو في "قره قوروم".

إن تقارير الرحالة التي وسّعت كثيراً من وجه أوروبا الجغرافي، ما لبثت أن استكملت بطريق الأخبار التي كان يقوم الوسطاء التجاريون النشطون في الشرق بنقلها ولاسيما في الجمهور الإيطالي. وهكذا فهم هؤلاء أن التتار لم يكونوا مختلفين في المسائل الدينية، وأنهم لا يصابون الأديان الغربية العداء، وأن "روكوز خاتون"، حرم هولكو، اعتنقت المسيحية، وأن "أبقه" قد تزوج بأميرة بيزنطية، وأن وضع المسيحيين تحت إمرة الخانات لا تدعو للقلق أبداً. وتبين كذلك، أن المسلمين، واليعاقبة، والنساطرة، واليهود، والبوذيين، كل يسعى لكسب أنصار له تحت السيادة التنترية. هنا وجد لول في ذلك فرصة سانحة، ليس للتصير في المناطق التي يحكمها التتار فقط، بل لمحاولة كسب مسيحيي المشرق في اتحاد مع روما. ولم يقابل هذا الاقتراح أيضاً بالترحاب⁽¹⁾.

⁽¹⁾ - أنظر:

Altanar , Raymundus Lullus , U-Q. , sprachkanonen des konzils , Hist. Jahrbuch 53, 1993, S.199.

لكن تلك المؤشرات الواعدة نحو محاولة الفهم الأوروبي للإسلام والمسلمين لم تلبث أن توارت خلف ضباب أنباء سقوط عكا في أيدي المسلمين بقيادة السلطان الأشرف خليل بن قلاوون سنة 1291م. مُعلنة بذلك نهاية المشروع الصليبي على الأرض العربية وفشل أوروبا في صيانة ذلك الكيان الاستيطاني. فقد بدأ الكتاب الأوروبيون عودة سريعة إلى روح العداء والشك وكرهية الأجانب. ووصلت أنباء الهزيمة إلى أوروبا فقد كتب رامون لول موضحاً أن الآمال التي لاحت في العقود السابقة قد تلاشت، وذكر أنه في حال عودة النساطرة المنشقين إلى حظيرة الكاثوليكية، واعتناق التتار المسيحية يمكن "تدمير" المسلمين جميعاً في سهولة. وعلى هذين الأمرين كانت أوروبا قد عقدت الآمال. بيد أننا نلاحظ أن متشدد ميورقة كما يصفه "سودرن" يتحدث عن "القضاء" على المسلمين، عن طريق حملة صليبية، لا عن هدايتهم. ويتابع رامون لول قائلاً: "لكن ما يثير المخاوف إمكان إقبال التتار على الإسلام، إما باختيارهم أو لأن السرازانبيين يدفعونهم إلى ذلك. فإذا حدث شئ من ذلك فإن المسيحية كلها ستواجه مخاطر عظيمة"⁽¹⁾.

هذا التخوف الذي اعتل في أعماق لول وجرى على قلمه، كان في طريقه للحدوث فعلاً عندما كان هو يكتب عنه، وما لم يكن يعرفه لول أن أسوء مخاوفه كانت قد صارت حقيقة. ففي الوقت الذي سقطت فيه عكا كان آخر مثقف أوروبي وسيط ذي وزن يزور المشرق وبغداد بالذات، المدعو "ريكولدو دا مونتي كروتشي Ricoldo de Montecroce"، من فلورنسا. وقد ترك ريكولدو قصة لرحلته تبدو فيها مخاوف رامون لول في طريق التحقق⁽²⁾. و أول ما يلفت الانتباه في تقريره عدم ثقته بالمغول. فقد لاحظ إقبالهم على الإسلام -بخلاف كل ما توقعته الأجيال الأوروبية السابقة. ويُعلّل ريكولدو ذلك بأن الإسلام أسهل في التصديق والتطبيق⁽³⁾. وهو يُلاحظ أن ترك تركستان الذين كانوا قد اعتنقوا المسيحية عادوا فتركوها لصالح الإسلام. وقد اعتنق قازان،

⁽¹⁾ - أنظر: Raymundus Lullus , Quomodo Terra Sacctor recuperari , p.96.

⁽²⁾ - أنظر عن ريكولدو، حياته وأعماله العلمية:

U. Monneret de Villard , II , libro della Peregrinazione nelle Parti d'Oriente , 1948.

واسم كتابه الذي يرد فيه التقرير عن النبي : Liber Peregrinationis

⁽³⁾ - يُلاحظ ريكولدو أن التتار الذين قتلوا عشرات ألوف المسلمين في البداية بغير رحمة، وقرّبوا المسيحيين، قد تحولوا فيما بعد للإسلام. لكنه يرى أنه ما تزال لديهم ميول للمسيحية، وإن لم يكن الأمل في عودتهم عن الإسلام كبيراً. وهو يذكر أن خان فارس أراجون (1284-1291م) صديق للمسيحيين، لكنه بخلاف أبيه وجده غير مهتم بالأمر الديني.

زعيم التتار في فارس، الدين الإسلامي، وعندما اعتلى العرش سنة 1295م كان أول مرسوم أصدره ينص على أن الإسلام الدين الرسمي للدولة، وأن الشريعة الإسلامية أساس نظام الدولة. وهكذا خسرت الكاثوليكية رهانها في السباق مع الإسلام من أجل احتواء التتار، وصار التتار قوة إضافية إلى العالم المسلم في آسيا.

الفصل الخامس

تقييم مشروع لول التنصيري
والصليبي والعلاقة بينهما.

- 1-العناصر المميزة لمشروع لول لتتصيري.
- 2- عقبات التنصير وفق لول.
- 3-مُميزات وأهداف الحرب الصليبية حسب لول.
- 4- العلاقة الجدلية بين التنصير والحرب الصليبية في فكر لول.

1-العناصر المميزة لمشروع لول التنصيري.

أ- شخصية رامون لول وبيئته.

لا شك أنّ رغبة لول لتنصير المسلمين نشأت من النبضات الأولى لتحوّله المفاجئ. فمنذ البداية، شملت أفكاره التنصيرية عدة عناصر أساسية منها: الثقة في قوة العقل البشري لفهم العقيدة المسيحية، والإقناع بأن البراهين العقلانية يمكن أن تُستخدم بنجاح لتحويل المسلمين واليهود، وتطوير الفن وإنشاء الدراسات التنصيرية لتوفير وسائل الإقناع السلمية. أيضا كان حاضرا منذ البداية إعتقاد لول بأن الرغبة في الموت من أجل تحويل العالم كله إلى المسيحية كان الصفة الأساسية لدى المنصرين المسيحيين.

تميل بعض الدراسات الغربية الحديثة إلى وصف رامون لول بالرجل العادي على غرار الرجال الذين عرفتهم العصور الوسطى الأوروبية، ولعل ذلك يعود إلى السبب في كون الجزء الأكبر من مؤلفاته أشار إلى أغلب المواضيع الشائعة في تلك الفترة. والحقيقة أن هناك أخطار مُلازمة لمثل هذا المدخل، أعظمها متوقف على حقيقة لا مفر منها وهي أن لول كان من دون أي شك خياليا كثير الرؤى. حتى أنه أطلق على نفسه لقب المذهل Phantasticus⁽¹⁾. كما أن "ريتشارد سودرن" يرى في أعماله شرارات جنون وعبقرية ويأس، تؤهله لاستحقاق التقدير والخروج عن النمط العادي⁽²⁾.

من جهة أخرى، يتجه بعض المؤرخين إلى عزل أفكار لول عن بعض المواضيع بشكل تام، أو اعتبار أفكاره مجرد توثيق ذو قيمة لحب الاستطلاع، والسبب يعود على وجه التدقيق إلى

⁽¹⁾ - وردت هذه الحادثة المشهورة على وجوه مختلفة في رسائله المعروفة بـ : Phantasticus أو Disputatio Petri et Raimundi , edited in R.O.L. , Vol.16.

ويعيد لول ذكر هذا الوصف عن نفسه في قصائد مختلفة إلى جانب أبحاث أخرى. فكرة الـ: Phantasticus تتصل بدون شك بشخصية المغفل الذي يظهر في رواياته "بلاكورنا" Blaqueria . الاستعمال الفلسفي لهذا المصطلح كوسيلة من أجل الحقيقة طبقه لول عمليا من أجل البحث والتقصي ومع ذلك فإن له أهدافا أخرى توخاها من هذا البحث.

⁽²⁾ - سودرن (ريتشارد) ، مرجع سابق ، ص.157.

شدوده واختلافه المركزي عن الآخرين من مُعاصريه ⁽¹⁾. لكن هناك نقطة رئيسية من بين العديد من النقاط التي تجعل من فكر لول فكرا غير عادي، هي أنه تأثر بشكل كبير بالمجال الواسع للعوامل الاجتماعية والدينية والثقافية في تلك الفترة.

ساهمت جوانب من حياة لول قبل تحوله في مشروعه التنصيري، وظهر ذلك في محتوى مؤلفاته. فعلى سبيل المثال، كان لول شخصية زاهية في بلاط الأسرة الملكية القطلونية، بارعا في شعر التروبادور، ومشهورا كزير نساء. ومنحه وجوده في ميورقة في أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر جانبا مهما من الإيجابيات من أجل اكتساب معارف عملية للعالم. هذا وساهمت الوحدة الأراجونية-القطلانية القوية في أهمية مولد لول وهي جزيرة ميورقة كمركز عالمي يضم العديد من المجتمعات والتجار والذين تعود أصولهم إلى كامل المتوسط. معظم سكان الجزيرة كان من المسلمين، ومنها كان المعبر إلى إفريقية عبر رحلة قصيرة، مزودة بخلفية "الأعراق المختلطة والعقائد المتنازعة" معارضة بذلك فكر لول المتطور ⁽²⁾. خاصة تأثير الإسلام على رامون لول ومحاولة تحديد وتعريف العلاقة بينهما ⁽³⁾.

يحرص كثير من الباحثين إلى اعتبار شخصية رامون لول كفرادة تميزت عن باقي معاصريه، فخلف سيرته الذاتية تقبع التأثيرات الواسعة والتي بالمقدور تتبعها في ما خلفه من

⁽¹⁾- أنظر على سبيل المثال: Norman Daniel , Islam and the West : the making of an Image , (Idinburgh , 1960) , passim ; Christopher Tyerman , "sed Nihil Fecit?" the last Capetians and the Recovery of the Holy land , "War and Government in the Middle Ages , ed. J.Gillinhams and J.C. Holt , (Bury St. Edmunds , 1984) , وصف كريستوفر تايرمان مخططات رامون لول بالغير واقعية بالمرّة ، وكذلك فعل A.J. Forey ، مع احترامه لمخططات لول المتعلقة بالهيئات العسكرية في مقاله المطول المعنون: "The Military Orders in the Crusading Proposals of the late thirteenth and early fourteenth century" , Traditio, 36 , 1980 , pp.317-345.

⁽²⁾- أنظر:

J.N.Hillgarth , Lull and Lullism in fourteenth century France , (Oxford, 1971) , p.2.

حول التأثير القطلاني في فضاء المتوسط أنظر :

J.N.Hillgarth , "the problem of a Catalan Mediterranean Empire 1229-1327" , English Historical Review , Supplement 8 (London, 1975).
وحول ميورقة بشكل عام أنظر العمل الشيق لدافيد أبو العافية :

David Abulafia , A Mediterranean Emporium : The Catalan Kingdom of Majorca , (Cambridge , 1994).

⁽³⁾- من أمثلة هذه الدراسات أنظر :

Dominique Urvoy , "Ramon Lull et l'Islam" , Islamochristiana 7 , 1981 , pp.127-146 .

مؤلفات، والتي تساهم في برهنة نقطة مهمة وهي أن دراسة فكره وجهوده تدعم فرضية العلاقة بين التنصير والحملات الصليبية والمثل الروحية واللاهوتية اللذين تميز بهما المظهرين السابقين. خاصة أن كثيرا من مُعاصريه من رجال الدين في حالة فشلهم، ينصرفون إلى حياة الرهبنة والعزلة⁽¹⁾. لكن لول حتى بعد تفاوت نجاح وفشل مخططاته التنصيرية، و عدم تلقيه دعما حقيقيا وكبيرا من قادة وملوك أوربا في ذلك الوقت، فإنه واصل جهده لتحقيق أهدافه، على الرغم من أنه في روايته بلانكورنا "Blaquerna" يورد حالة فشل، انصرف بسببها إلى حياة التأمل كناسك.

من مُنطلق اهتمام لول بالتنصير والدعاية للحرب الصليبية، فإن هاتين الظاهرتين احتلتا مكانة متفاوتة ضمن اهتمامات البيئة التي عاش فيها أي الكنيسة والغرب اللاتيني، وقبل النشاط الذي تميز به لول، شاعت في أدبيات العصور الوسطى الأوربية قصة القديس فرانسيس. فقد كانت الصورة الأدبية التي رسمها توماس تشيلانو⁽²⁾ Thoma of Celano للقديس فرانسيس St. Francis أمام السلطان الكامل في دمياط سنة 1219م أثناء الحملة الصليبية الخامسة من الصور المألوفة والمُحببة لدى مُعظم المُعاصرين للقديس فرانسيس أو المُفكرين الذين جاؤوا بعده خلال العصور الوسطى، نظرا لترابط الظاهرتين الصليبية والتنصيرية فيها.

يرد في مؤلف توماس تشيلانو أنه قبل هذا اللقاء المثير وحتى قبل أن يدخل القديس فرانسيس على السلطان الكامل: "فُبض عليه من طرف أعوان السلطان ، وأُهين وضُرب، لكنه لم يكن خائفا، ولم يطله رعب التعذيب، ولا الخوف من التهديد بالموت". وحسب توماس تشيلانو فإن كلمات القديس فرانسيس أذهلت السلطان، وجعلته يحرق بفرانسيس كـ"رجل ليس كبقية الرجال". ووفقا للتقارير فإن العظمت التي تفوّ بها القديس فرانسيس أثارت السلطان وبعمق شديد وأصغى

⁽¹⁾ - أنظر:

May Beattie (Pamela) , Evangelization, Reform and Eschatology , University of Toronto , 1995 , p.6.

⁽²⁾ - توما من تشيلانو (1190-1260م)، فرانسيسكاني وكاتب سير القديسين، خاصة القديس فرانسيس والقديسة كلارا. ولد في تشيلانو وتوفي بتاليكوزو الايطاليتين. للمزيد حول هذه الشخصية ارجع إلى:

J. Le Goff, Saint François d'Assise, coll. Folio Histoire, Gallimard, 1999.

إليه برغبة كبيرة. لكن في نهاية حديث توماس تشيلانو يخلص بالقول: " على الرغم من كل هذا فإن السلطان لم يُحقق رغبة القديس فرانسيس بالإستشهاد"⁽¹⁾.

بعد حوالي القرنين من هذه الحادثة، ظهر نوع من الكشوفات والمغامرات التي صاحبها نشاطات صليبية كتلك التي شغلت عهد القديس فرانسيس ورامون لول من بعده، وأستبدلت على نطاق واسع بأصناف جديدة من التوسع الغربي، كالاكتشافات الجغرافية، والمغامرات، لكن المظهر التنصيري ظل باقيا ومُهيمنًا على أي مشروع منهم. ووصولًا إلى هذا الحد يُفسر فاسكو دا غاما Vasco da Gama حضور أفرادهِ إلى الشرق بقوله: " لقد قدمنا للبحث عن المسيحيين وعن التوابل". وتلخص إلى حد ما، هذه الكلمات الموجزة بدقة الدافع إلى نشاط الأوربيين نحو الشرق لسنوات عديدة⁽²⁾. وقد أثبتت العلاقة والرابط بين التنصير والنشاطات الأخرى ذات الطابع الروحي الأقل، أنها دائماً متحدة ودائمة، مثلما هو الحال عند رامون لول.

حقيق أنه لا يُمكن فصل مواقف لول عن محيطه الذي عاش فيه، خاصة في ظل أقسام القانون الكنسي التي تتمحور حول موضوع التفاعل بين المسيحيين وغير المسيحيين (خاصة المسلمين)، سواء كان كلاهما تحت السلطان القضائي والسياسي المسيحي أو خارجه، والتي كانت من المصادر الغنية للبيانات والروايات الواضحة حول العلاقة بين التنصير والحرب الصليبية. فمنذ البداية، كان يوجد تحريم صريح في الكتاب المقدس النصراني ضد التحويل الإكراهي لغير المسيحيين، والمصطلحات القانونية المستخدمة في هذه المناقشات مُستقاة من: "الإكراه المطلق coactio absoluta" و "الإكراه المشروط coactio conditionalis"⁽³⁾.

¹ - بغض النظر عن نجاح مساعي القديس فرانسيس في تنصير السلطان أو فشلها، فإن الهدف الرئيسي لهذه الرواية لم يكن إبراز تنصير السلطان في حد ذاته، إنما يُراد منها الكشف عن الجهد الذي مارسه فرانسيس في هذا الصدد وذلك التماساً للشهادة حسب الزعم المسيحي والذي أدى به في نهاية المطاف إلى تطييبه وجعله في عداد القديسين. أنظر:

Thomas of Celano , Vita prima , n.55 , Analecta Franciscana , 10 , Quaracchi , 1926-1941 , p.42 ;
Thomas' Vita secunda , n.30 , Ibid. , p.149

وحول رحلة القديس فرانسيس إلى مصر أنظر:

L. Lemmens , "De Sancto Francisco Christum praedicante coram sultano Aegypti" , Archivum Franciscanum Historicum , 19 , 1926 , pp.559-578.

James Muldoon , Popes , Lawyers and Infidels , Philadelphia , 1979 , p.VIII. ⁽²⁾ - أنظر:

Muldoon , popes , lawyers and infdels , pp.45-48. ⁽³⁾ - أنظر:

مع ذلك، كانت هناك إشارات واضحة في الكتاب المقدس حول المسؤولية الكنسية إزاء غير المسيحيين، والمُقتبسة من الدليل الذي يشير إلى أن جميع البشر هم أعضاء بالفطرة في قطيع المسيح. إن أغلب بيانات وآراء الفقهاء بالشرع الكنسي مُستمدة من التجارب العملية التي إزدادت في المناطق المشهورة بوجود علاقات تعايش والتي تطورت بين مختلف الثقافات والديانات، وتعتبر إسبانيا وصقلية أمثلة بارزة للمناطق التي قادت فيها التجارب العملية إلى توضيح وإستجلاء القانون الكنسي . كانت محاولات أغلب العلماء بالشرع الكنسي ناجحة إلى حد بعيد في إيجاد توازن بين الأصول الشرعية الرئيسية للمسؤولية وعدم الإكراه⁽¹⁾.

عرف عهد البابا إنوسنت الرابع تواصلاً ثقافياً حثيثاً بين الغرب الكاثوليكي وبين غير المسيحيين. الأمر الذي أتاح إمكانية حقيقية للتوسع الأوربي داخل الأراضي التي لم تطلها المسيحية ولم يحز فيها المسيحيون أي ملكية. وبالتالي، واجه العارفون بالشرع الكنسي تحديات جديدة عندما حاولوا تطبيق هذه الأصول على الحالات الجديدة. ولم يكن من الصعب إيجاد سند

ناقش "مولدن" هذه القضية باستفاضة . حيث كان البابا انونست الرابع أول من سن هذه التشريعات. ويبين "مولدن" بأن هذا البابا كان مهتماً بمدى مقدرة المسيحيين في تبرير الاستيلاء على الأراضي من غير المسيحيين، ، قبل ذلك أسست شرعية الحرب الصليبية عن طريق نظرية الحرب العادلة. وفي هذا الصدد يركز حول موضوع حركة الاسترداد في الاندلس ضد المسلمين وإمكانية تنصيرهم بالقوة ويناقش صحة وشرعية بعض تجارب التعميد الأولى. ويركز Kedar على نماذج من العارفين بالشرع الكنسي ك: ألانوس أنجيليكوس Alanus Anglicus ، جراتيان Gratian ، إنونست الثالث Innocent iii ، هوستينسيس Hostiensis و جوهان أندريا Johannes Andreae . أنظر: popes, lawyers, and infidels , p.7 ; Kedar , crusade and mission , pp.72-74.

⁽¹⁾ - توقفت معظم النقاشات القانونية عند كيفية تعايش أفراد الديانات والثقافات المختلفة مع بعضها (أو تجنبها لبعضها البعض) . أنظر :

Robert I.Burns , Islam under the crusaders : colonial survival in the thirteenth century kingdom of Valencia , (Princeton , 1973).

و أيضا كتاب روبرت برنز المعنون:

Moors and Crusaders in Mediterranean Spain : collected essays , (London ,1978) ; Vivian B. Mann , Thomas F. Glick , and Jerrilynn D.Dodds , eds. , Convivencia : Jews , Muslims and christians in Mediaval Spain , (New York , 1992) ;

James M. Powell , ed. Muslims under Latin rule 1100-1300 , (Princeton , 1990) . وأنظر أيضا :

وعن بعض المسائل القانونية الدقيقة أنظر :

B.Z. Kedar , "Muslim conversion in Canon Law" , Proceedings of the sixth international congress of Medieval canon law (1980) . Monumenta Iuris canonici , series C : Subsidia , v.7 (Vatican city , 1985) , pp.321-332 ; James Muldoon , "a fifteenth century application of the canonistic theory of the just war " , proceedings of the fourth international congress of Medieval canon law (1971) , (Vatican city , 1976) ; Norman Zacour , Jews and Saracens in the "Consilia" of oldradus de ponte , studies and texts 100 (Toronto , 1990).

قانوني للدفاع عن الأراضي المقدسة، لكن حينما تعلق الأمر بالتوسع المسيحي فإن الحجج التي تتعلق بالسند القانوني للتوسع اقتبست من نظريات السلطة البابوية العليا ومسؤولية الرجل للقانون الطبيعي. فضلا عن ذلك، سمح ارتباط البابا إنوسنت الرابع بالحروب الصليبية والبعثات التنصيرية، دائما بالقتال من أجل تزويد الواعظين بالوصول إلى مناطق التنصير⁽¹⁾. من السهل النظر إلى الكيفية التي أصبحت بها العلاقة التنظيرية الجوهرية بين التنصير والحرب الصليبية كثيرة الضبابية في التطبيق . ويمثل رامون لول مثالا فريدا لنموذج جديد من المنظرين الذين بحثوا عن أسلوب أكثر عملية لتجسيد هذه العلاقة.

قبل مجمع ليون الثاني المنعقد عام 1274م، قدّم كثير من المؤلفين على اختلاف مشاربهم، أطروحات إلى البابا جريجوري العاشر، تمحورت أساسا حول الحرب الصليبية والإصلاح الكنسي. في حين انصبت آمال مفكرين آخرين في محاولة التأثير على البابا كليمنت الخامس حول مسائل تتعلق هي الأخرى بالحروب الصليبية، من خلال أطروحات ورسائل تتضمن قضايا مماثلة قدمت له قبل مجمع فيين عام 1311م.

كان رامون لول كما ذكر آنفاً، أحد هذه الشخصيات. وقدم أطروحة تحت عنوان " Petitio Raymundi in concilio generali ad acquirendam Terram Sanctam " عريضة ريموندي في المجمع العام من أجل استرداد الأراضي المقدسة" ⁽²⁾. بحلول سنة 1311م، كان لول رجلا عجوزا وقد بدا وأنه قد أحس بدنو أجله. وهو ما يوحى إلى حقيقة أنه أيضا في سنة 1311م، أتمّ لول إملاء سيرته على الرهبان الكرثوسيانيين في " فوفرت Vauvert " في مدينة باريس. في هذا السياق، تُعبّر الأطروحة التي قدمها لول للمجمع عن الأفكار الأقرب لقلبه

⁽¹⁾ - أنظر :

Kedar , crusade and mission , pp.159-203 ; Muldoon , popes , Lawyers and Infidels , pp.29-71.

⁽²⁾ - أنظر :

Petitio Raymundi in concilio generali ad acquirendam Terram Sanctam , ed. E. Longpré , "Deux opusculs inédits du B. Raymond Lulle , La France Franciscaine , 18 , 1935 , pp.149-154.

كتب رامون لول بالتزامن مع تأليفه لهذه العريضة عدة أعمال أخرى في نفس الموضوع منها :

Phantasticus و Liber natalis pueri parvuli christi Jesu

أنظر : Anthony Bonner , Selected works of Ramon Llull , Vol.1 , Princeton , 1985 , p.39 , n.10.

والجوهر الرئيسي لفكره. هذا ما يؤكد حقيقة أن الأعمال الأخرى التي ألفها في هذا الوقت، بما فيها السيرة السابقة الذكر، تتشارك مع نفس الأفكار المفتاحية للول ومن أبرزها: تأسيس الدراسات التنصيرية "Studia"، دمج وتوحيد الهيئات العسكرية من أجل نجاح الحملات الصليبية في الأراضي المقدسة، وإيجاد علاج شاف ضد الرشدية المتنامية في غرب أوروبا اللاتينية⁽¹⁾.

تذكر السيرة بأن رامون لول: "نما إلى علمه بأن الأب المقدس البابا كليمنت الخامس، كان يحتفل بالمجمع العام في مدينة فيين خلال غرة شهر أكتوبر من عام 1311م، وقرر (أي رامون لول) أن يذهب إلى هذا المجمع لمحاولة تحقيق ثلاثة أهداف بغية إصلاح وإحياء الإيمان الصحيح"⁽²⁾. لا تعكس العريضة، لسوء الحظ، صورة هذه الأهداف الثلاثة، يقدم لول هنا أفكاره في عشرة بنود مختلفة. هذا النص، مثل السيرة، يشير إلى أن لول اعتزم تقديم هذه المخططات إلى المجمع بشكل شخصي، مُتَحَجِّجا في ذلك بأنهم اصطدموا بـ: "السمو العام للإيمان الكاثوليكي المقدس والحالة الجيدة للكون بأكمله"⁽³⁾. ناقش أول هذه المقترحات العشرة فكرة تأسيس الدراسات التنصيرية المختصة بإرسال البعثات، أما الثانية والثالثة والرابعة فتعلقت بالحروب الصليبية، وخصوصا بدمج وتوحيد الهيئات العسكرية.

تتميز هذه المقترحات الثلاثة بوجود عنصر قوي يختص بالإصلاح الكنسي، فقد كان لول جد مُهْتَم بإعادة توجيه ثروة وطاقات الكنيسة تجاه أكثر الأهداف الجديرة بالثناء وهي مشروع التنصير. وفيما يخص المقترحين الخامس والسابع فقد ناقشا أيضا مسألة الإصلاح الكنسي وتعلق باللباس والأخرى تتمحور حول الربا. وتعالج المقترحات السادسة والتاسعة والعاشرة مشاكل المعرفة والتعليم، خاصة قضية إمكانية اضطلاع الفلسفة بمهمة دحض ونقض الإيمان الكاثوليكي المقدس (يقترح لول بأنه لا توجد أي فلسفة والتي تعنى بالكلام ضد اللاهوت، ويجب تعلم هذه الفلسفة)⁽⁴⁾، ويجب أن يتحول علم القانون لمبادئه الرئيسية كما أعلنه لول في كتابه " Ars

⁽¹⁾ - أنظر: Vita Coaetanea , ch.44 , R.O.L. , Vol.8 , p.303. cf. Bonner , Selected Works , Vol.1 , p.39.

⁽²⁾ - أنظر: Bonner , Selected Works , Vol.1 , p.39.

⁽³⁾ - أنظر: Ramon Llull , Petitio Raymundi in concilio generali , ed. Longpré , p.149.

⁽⁴⁾ - أنظر: Ibid. , p.152.

"iuris"⁽¹⁾، وأخيراً، بما أن علوم الطب غامضة جداً (absconsa) ، في الغالب لأن السلطات القديمة اتبعت أكثر من المبادئ المفهومة، مثل القانون الذي يجب أن يقسم داخل مبادئه الرئيسية (كما دونه لول في كتابه Liber Principiorum medicinae) . ثمانية مقترحات يعيش وفقها السراسنة (المسلمين) واليهود تحت الحكم المسيحي، في اسبانيا على وجه الخصوص، وأن يكونوا خاضعين ومستعدين للإصغاء للوعاظ المسيحيين في أيامهم المقدسة حتى تتأثر عقولهم بالخطب المتكونة من القياس المنطقي والمبادئ العقلانية طبقاً لما أورده لول في: " Ars Praedicationis"، لتفتح قلوبهم للمسيحية⁽²⁾.

تأتي الخطوط الرئيسية لمحتويات العريضة المقدمة للمجمع العام ببعض من التفصيل لعدة أسباب. أولها، أن العريضة تظهر الأفكار الرئيسية التي كانت تشغل لول طوال حياته وهي : البعثات التنصيرية وتحضير المنصرين، إضافة إلى الحروب الصليبية كوسائل لجذب العالم بأسره لإجلال الإله، والعلاقة بين الفلسفة واللاهوت ودورهم في إقناع الآخرين بحقيقة الإيمان المسيحي، إصلاح الكنيسة وكذا العلمانيين، وما تعلق بذلك، من اختزال العلوم المعقدة إلى مبادئها الأساسية. هذه المواضيع، مع احتمال استثناء الحملات الصليبية، موجودة في كل مكان في مؤلفات لول. السبب الثاني، يوضح كيف أن إهتمامات لول كانت كلها متشابكة مع بعضها البعض، فهو يربط في العريضة بشكل ثابت ومستمر بين المقترحات اللاحقة مع الثلاث الأولى بشأن التنصير والحرب الصليبية والإصلاح⁽³⁾.

صحيح أن فكر لول لم يثبت على حالة واحدة، فقد تطور خلال فترات مختلفة طوال حياته. لهذا السبب، اشتملت أعماله المتأخرة على خطط للحروب الصليبية والتي كانت غائبة بشكل واسع في مؤلفاته المبكرة. لكن مخططات لول الصليبية نوقشت دائماً في سياق أهدافه التنصيرية. في

⁽¹⁾ - تناولت أجزاء من هذه الأطروحة الصلة الوثيقة بين البعثات التنصيرية والحملات الصليبية، وقد حررها المؤرخ ب.ز. كدار. أنظر: B.Z. Kedar , Crusade and Mission : European Approaches toward the Muslims , Princeton , 1984 , appendix 7 , pp.225-228.

Ramon Llull , Petitio in concilio generali , 8 , p.153

⁽²⁾ - أنظر:

Ibid. , pp.153-154

⁽³⁾ - أنظر:

الحقيقة، لم يعمد لول أبداً إلى مناقشة الحملات الصليبية بدون مناداته أيضاً بالبعثات التنصيرية. لأن هذا التحول، مفيد لتتبع تطور مخططات لول التنصيرية الصليبية أثناء مسار حياته.

تعود بداية إهتمامات لول بالتنصير إلى وقت تحوله المفاجئ الذي ألهمه بعد سلسلة من الرؤى . ويشير لول إلى هذا التحول بـ " *conversio ad poenitentiam* " . فبعد أن كان غارقاً في الفكر لبعض الوقت، باحثاً عن الصنيع الأحسن الذي يهبه للرب لعيش حياة ملؤها التوبة والندم تكفيراً لما اقترفه في حياة المجون والخلاعة التي أسرفها فيما مضى، قرّر لول اتخاذ ثلاثة أهداف أولها: الاستعداد للموت في سبيل المسيح بينما يحاول تنصير غير المؤمنين بالمسيحية، ثانيها: تأليف كتاب "الأحسن في العالم" ضد أخطاء المسلمين واليهود، وثالثها: إقناع البلاط البابوي بتأسيس دراسات خاصة بالبعثات التنصيرية التي تختار بشكل مُلائم الرهبان وآخرين بإمكانهم تعلم لغات السراسنة (المسلمين) وغيرهم من غير المؤمنين بالمسيحية، وإيجاد مُنصرين مستعدين تحذوهم الرغبة في التنقل خارج الحدود المسيحية لنشر الإيمان الكاثوليكي المقدس⁽¹⁾. يقترح " أنتوني بونر Anthony Bonner " أن حماسة لول للتنصير قد تفسر بشكل جزئي بالنزاع والسجال الديني المشهور الذي حدث بمدينة برشلونة سنة 1263م⁽²⁾. في حدود هذا الوقت أيضاً، أسس الدومينيكان مركزاً لدراسة اللغات في اسبانيا⁽³⁾.

أياً ما كان الأمر الذي ألهم لول هذه الأفكار، فإن آراءه كانت فريدة. على سبيل المثال، لول كان استثنائياً في توجيه المسؤولية للبلاط البابوي حول إنشاء وحفظ هذه المدارس كجزء

Ramon Llull , Vita Coaetanea , pp.274-276.

⁽¹⁾- أنظر:

⁽²⁾- للمزيد عن هذا السجال، أنظر:

Robert Chazan , Barcelona and Beyond : The Disputation of 1263 and its aftermath , Berkeley , 1992.

⁽³⁾- أنظر: J.M. Coll , "Escuelas de lenguas orientales en los siglos XIII y XIV" , Analecta Sacra Tarraconensia , 19 , 1946 , pp.317-340 ; 20 , 1947 , pp.77-101 ; R.I. Burns , "christian-Islamic Confrontation in the West : The Thirteenth Century Dream of Conversion , American Historical , 76 , 1971 , pp.1386-1434.

لبرنامج تنصيري متماسك⁽¹⁾. على أنّ مشروع الحروب الصليبية كان غائبا بشكل واضح في أهداف لول التي رصدها في بداية مشاريعه.

على الرغم من أن لول مرّ بمرحلة أولية ميزها الحماس الفاتر، فإن حياته الجديدة اتسمت بحماس كبير موطن العزم. فقد كرّس جميع طاقاته، التي أنفقها سابقا في حياته الدنيوية، لخدمة الرب وأعاد توجيهها، وبشكل مقصود نحو مشروعه التنصيري، حيث استخدم فصاحته الشعرية والبلاغية التروبادورية وكذا جميع عواطفه لحب الإله⁽²⁾.

لا ريب أن نواة البرنامج التنصيري للول كان إنشاء الدراسات التنصيرية، إضافة إلى أمر آخر وثيق الصلة بالأخير، هو رغبة لول في تأليف كتاب يهدف إلى تحويل غير المؤمنين بالمسيحية. في هذا الشأن بالذات، كما هو الحال في الشؤون الأخرى، أرشد لول من قبل تجربته الخاصة خصوصا إدراكه أنه في حاجة إلى تعلّم كل من لغات الكفار والأساليب التي من خلالها يمكن تحويلهم⁽³⁾.

شرح لول في زيادة تجربته الشخصية المحتكة بالثقافة الإسلامية عن طريق شرائه لأسير مسلم من أجل أن يعلمه اللغة العربية. تذكر سيرته الذاتية بأن "رامون بينيافورت Ramon Penyafort" أقنع لول بالبقاء في مدينته المحلية ميورقة للدراسة، على الأرجح في "مركز الدراسات العربية التابع للدومينيكان Studium Arabicum" بدل الذهاب إلى جامعة باريس⁽⁴⁾.

⁽¹⁾- أنظر: Burns , op.cit. , p.1412.

⁽²⁾- أنظر: Llull , Libre de Contemplació en Deu , Book 3 , ch. 118 , no.30 : O.R.L. , Vol.4 , p.103.

⁽³⁾- في كل خطوة طوال مسار تحوله، أدرك لول الحاجة الماسة إلى التعليم . ففي الفصل الخامس من السيرة الذاتية Vita Coaetanea نخبرنا السيرة بأن " لول تعلم وبجهد مضن الحد الأدنى من قواعد النحو" . ويخبرنا الفصل السادس بأن " لول أستطاع أن يعبر عن كل من شكل وطريقة تأليف مثل هذا الكتاب (أفضل كتاب على الإطلاق)". وفي الفصل السابع يضيف بأنه " كان يجهل وبشكل تام اللغة العربية". أنظر: Vita Coaetanea , p.275. اقتباسا عن بونر : Bonner , Vol.1 , pp.12-13.

⁽⁴⁾- أنظر : Vita Coaetanea , ch.10-11 , pp.278-279 ; Bonner , Vol.1 , p.14. لمناقشة تأثير هذا التعليم الغير باريسي على الميول الفلسفية واللاهوتية لرامون لول، أنظر:

R. Sugranyes de Franch , Raymond Lulle : Docteur des Missions , Fribourg , 1954 , pp.11-23.

ب- التوجه الفلسفي للمشروع التنصيري.

ميزة أخرى لمشروع لول التنصيري ترتبط بتوجهه الفلسفي الغير تقليدي، ذلك أن فكر لول أبدى ثقة الفلسفة المدرسية في القوى التي وهبها الله للعقل من أجل الإقناع. وإعترف بأن اليهود والمسلمين والمسيحيين كافة يشتركون في الجذور و الأصول الفلسفية وجادل بتقاول مفرط من خلال الاعتماد على ما أسماه "الأسباب الأساسية" بأنه بالإمكان إقناع جميع غير المؤمنين بالمسيحية بحقيقة الإيمان المسيحي. وقام لول بتطوير وتوسيع هذه "الأسباب الضرورية" من خلال "فنه الأعظم"، وهو برنامج لتتظيم المعارف وإظهار الحقائق الأساسية⁽¹⁾. كما ادعى لول أنه تلقى شكل وأسلوب هذا الفن عن طريق الإلهام الإلهي حينما كان مُنغمسا في التأمل الإنفرادي على جبل رنדה في ميورقة⁽²⁾.

انطلاقا من هذا التوجه، يُبين اعتماد لول على الإقناع الفكري في المقام الأول، أن الطبقة المقصودة هي جمهور المثقفين المسلمين المختصين في الفلسفة. ويعتقد أن أغلب الذين استطاعوا رفع مستوى إدراكهم ومعرفتهم، لا يصدقون بأن محمدا (صلى الله عليه وسلم) يمكن أن يكون نبيا لأن القرآن حسب زعمه يحتوي العديد من الأشياء التي لا تشير إلى أي قداسة ولا تشير إلى أنه نبي مُرسل. وفضلا عن ذلك، هؤلاء المسلمون المتعلمون لا يعرفون سوى القليل عن جوهر الله وجلاله. لذلك، إذا كان فقط بعض المتعلمين المسيحيين "bene litterati" في جدال معهم،

⁽¹⁾- حول مقدمة واضحة للطبيعة المعقدة لفن لول ، أنظر :

Frances Yates , "The Art of Ramon Lull : An Approach to it through Lull's Theory of the Elements" , in her Lull and Bruno , Collected Essays , Vol.1 , London and Boston , 1982 , pp.9-77. وأنظر أيضا :

Anthony Bonner , " L'Art Lulliana com a autoritat alternativa" , S.L. , , 33 , 1 , 1993 , pp.15-33.

ومن أجل فهم جيد لمنطق لول، أنظر :

Charles Lohr , "Les fondements de la logique nouvelle de Raymond Lulle" , dans Raymond Lulle et le Pays d'Oc , Cahiers de Fanjeaux , 22 , Toulouse , 1987 , pp.233-248.

⁽²⁾- من الملاحظ أن الإلهام الفكري الذي حدث للول وقع بعد تسع سنوات من الدراسة. أنظر : Vita Coetanea , ch.14. هنا يعتمد لول إلى وصف النظام بأنه " شرح المبادئ العامة من خلال تطبيقها على أشياء أكثر تحديدا، وفقا لقدرات الناس البسطاء". نقلا عن بونر، أنظر : Bonner , vol.1 , p.18. أعقب هذا الإلهام زيارة غامضة لراعي غنم شاب غير معروف تحدث إلى لول كثيرا في "المسائل السماوية" وعن الله ثم أثنى على الكتب التي ألفها لول ليختفي بعد ذلك، أنظر : Vita Coetanea , ch.15. زمن الواضح في هذا المقام أن السيرة الذاتية تحاول دائما التأكيد على الطبيعة التي وهبها الله للفنون.

وشرحوا هذه الأمور لهم، فإن هؤلاء المسلمين يمكن تحويلهم بسهولة لأنهم مثقفون. وبمجرد أن يتم تحويلهم، فإنهم يمكن في تلك الحالة التحول إلى المسلمين الأميين لتحويلهم إلى النصرانية (1).

في هذه الخطة مرة أخرى، يوضح لول اعتماده على التقليد الفلسفي المشترك للأفلاطونية المحدثه والأرسطية، وبخاصة عندما يخاطب المسلمين واليهود. مسألة السلطة النصية والحرفية تنشأ بشكل متكرر. لذلك كان لول قلقا جدا إزاء موضوع القانون لأنها تتعلق بنفوذ الكتب المقدسة لمختلف الأديان. وقد كانت هذه الحجة وراء أطروحته الجدلية المعنونة بـ : " Liber per quem poterit cognosci quae lex sit magis bona , magis magna , et etiam magis uera كتاب معرفة عظمة وقدرة القانون وواقعته ".

في الأهداف التي إحتضنها لول غداة تحوله وفي محاولاته الأولى لتحضير نفسه لتحقيق هذه الأهداف، يمكننا أن نرى التأثيرات الرئيسية للربان المتسولين: فالحماس الفرنسيسكاني لمحاكاة وتقليد المسيح جلي في رغبة لول الشديدة للموت خلال محاولة تحويل المسلمين، وتركيز الدومينيكان على الإقناع بواسطة المُحاجة الكلامية المبنية أساسا على نصيب وافر من التكوين الفلسفي وعلوم الدفاع عن المسيحية، ظاهرة في إهتمامات لول المنصبية على تحصيل التعليم المناسب لمهمته. هذه القدرة على تجميع وتركيب مختلف المناهج والأفكار حول البعثات التنصيرية داخل برنامج مُتماسك مُنسجم، هو ما يجعل أفكار لول غير إعتيادية. فضلا عن ذلك، هذا يسمح أيضا بالنظر إلى أفكاره كأكثر المقدمات تأثيرا في تطور التنصير عبر التاريخ المسيحي (2).

ج- الطابع المرن لبرنامج لول التنصيري.

يرى بعض الباحثين أن هناك صفات فريدة تقترب ببرنامج لول التنصيري هي على الأرجح الطبيعة الإنتقائية والمرنة (القابلة للتكيف) لهذا البرنامج، هذا من ناحية. من ناحية أخرى، فإن

¹ - أنظر: Ramon Llull , Liber de acquisitione Terre Sancte, f.546th.

أنظر أيضا : " Sarraceni sunt aliqui in philosophia bene litterati et sunt homines bene rationabiles , sed de essentia Dei et dignitatibus suis parum sciunt".

Kedar , Crusade and Mission , p.190.

² - أنظر:

أفكار لول التنصيرية كانت مُتوافقة ومُتطابقة بشكل كُلّي مع عناصرها الأساسية. على النحو المذكور أعلاه، فإنها تتمحور حول مفهوم تعليم المُنصرين المحتملين في مجالات عدة هي اللغات والثقافات والأفكار الفلسفية الضرورية لتحقيق تحويل المسلمين والمنشقين عنها إلى الديانة المسيحية. في بعض الأطروحات، مثل كتاب "Liber de acquisitione Terre Sancte" كتاب الحصول على الأراضي المقدسة"، حيث يناقش لول فيه فكرة أن اليهود والمسلمين والهرطقة والوثنيين هم مثلهم مثل التتار (المغول)، واليونانيين والنسطوريين واليعاقبة كل على حد سواء (1).

سعى لول إلى ضبط منهجه التنصيري وفقا للجماعات التي كان يخاطبها. على سبيل المثال، بما أن " التتار أو الوثنيون شعب غير مثقف وليس لديهم قانون، فبالتالي، من الضروري اللجوء إلى الأخلاق moralia أي الفضائل والبرذائل، ومجادلتهم فيها. وبمجرد أن تتم هدايتهم، يمكن بعدها الاستعانة بالأسباب الإلهية وأعمالهم، بعد أن تم تلقين القانون لهم (أي للتتار)، والذي بدوره لن تكون الفضائل كافية لوحدها لبلوغ طريق الجنة أو تجنب طريق الجحيم" (2). طبعا في هذا السياق، القانون هنا بالنسبة للول معادل ومساو للدين. حساسيته تجاه مختلف الخطط ضرورية لمناقشة فعالة لمجموعات متفاوتة من الشعوب وهو منهج يبدو غير مألوف بين معاصريه.

من المُحبط أن المصادر اللاتينية التي تناولت الأساليب والتقنيات التي إستخدمها المنصرون في أراضي الإمبراطورية المغولية، على سبيل المثال، سكتت إلى حد كبير عن ذكر هذه النقاط النظرية. ولذا يبدو لول فريدا في المنهج الذي استعمله. ونتيجة لذلك، كان مفهومه للدراسات التنصيرية غير عادي في مسألة تكوين المنصرين الذين وجب أن يوجهو نحو جمهور

⁽¹⁾- أنظر:

Ramon Llull , Liber de acquisitione Terre Sancte , Paris , Bibliothèque Nationale , lat. 15450 , f.546^{ra}-547^{ra}.

Ibidem.

⁽²⁾- أنظر:

أوسع من المسلمين واليهود. فتنصير المغول في مشروع لول ظهر بالتوازي مع فكرة عقد تحالف حقيقي معهم، وهو المشروع الذي كان ممكنا تحقيقه في عهد الملك الفرنسي لويس التاسع¹.

كان هناك خصائص أخرى جعلت من أفكار لول حول هذه الدراسات فريدة من نوعها. لقد سبق وأن أشرت أنها كانت لتكون تحت رعاية البلاط البابوي. يبدو أن لدى لول منهج أوسع إلى حد ما في العقل أيضا، مقترحا بأن الثقافة وكذلك لغات غير المؤمنين يجب أن تدرس بواسطة المنصرين المحتملين. وأخيرا، كان العامل النهائي الذي جعل مخططات لول مستقلة عن غيرها، وهي الأداة الرئيسية لهؤلاء المنصرين، وبمجرد أن يكتسبوا اللغات اللازمة، تتمثل أساسا في الفن اللولي: كانت هذه الأداة مرنة بما يكفي لتعديلها وضبطها بما يتوافق مع الجماهير المختلفة، وهي تقسم وتفصل المعرفة الانسانية بالله وبالعالم إلى مكوناته الأساسية، وتسمح للمنصرين بتعليم حقائق العقيدة المسيحية مع الأسباب الضرورية بدلا من الحجج غير المقنعة للتقليد المسيحي. إصرار لول على إدراج فنه باعتباره واحدا من العناصر الأساسية لمنهج الدراسات التنصيرية كان على الأرجح هو ما دفعه إلى طلبه أن تكون هذه الوسائل تحت إشراف وتمويل البلاط البابوي بدلا من السلطات الدينية المحلية أو جماعات الرهبان المتسولين.

يدل تشديد لول بخصوص تحضير المنصرين بواسطة تعلم اللغات والحجج العقلية على نفوذ وتأثير الدومينيكان، بينما تعكس الشروط التي وضعها للمنصرين المحتملين المثل الفرانسيسكانية المعاصرة له لمحاكاة المسيح *imitatio christi*. كان من الضروري للغاية استعدادهم للخضوع للتعذيب وحتى الموت إكراما للمسيح على يد أولئك الذين يحاولون تنصيرهم. في كتاب "استعادة الاراضي المقدسة" يصف لول هؤلاء المنصرين والطريقة الواجب على مدارس التنصير أن تعمل بها بقوله: "ينبغي للبابا ومجمعه الموقر إنشاء ثلاثة أديرة، واحدة في روما، والأخرى في باريس والثالثة في طليطلة، وفيها يُكرس الحكماء والمُخلصون وقتهم لدراسة اللغات

¹ - أسس الملك لويس التاسع في ذلك الحين علاقات دبلوماسية مع إيلخان فارس. أنظر: P. Meyvaert, "Unknown Letter of Hulagu, Il-khan of Persia, to king Louis IX of France", Viator, 11, 1980, pp.245-259; J.A. Boyle, "The Il-khans of Persia and the Prince of Europe", Central Asiatic Journal, 20, 1976, pp.25-40; S. Schein, "Gesta Dei per Mongolos 1300: The Genesis of a Non-Event", English Historical Review, 95, 1979; de Rachewiltz, Papal Envoys to the Great Khans, Stanford, 1971.

المُختلفة، وبعد ذلك تذهب للتبشير بالإنجيل في جميع أنحاء العالم كله، فقط تماما كما أمروا، ويجب على هؤلاء الرجال أن تحذوهم رغبة الموت من أجل المسيح، تماما كما فعل الرسل"⁽¹⁾.

عرفت بعض عناصر هذا الاقتراح إختلافا على مدار الحياة التي عاشها لول، وتمثلت دائما في مواقع هذه المدارس أو في عددها وإقتراحه بأن على البلاط البابوي "curia" تأسيسها. بينما تظل الخصائص الأساسية للمنصرين ثابتة لم تتغير، حيث يجب عليهم دائما أن يكونوا على استعداد في سبيل الموت من أجل المسيح، وأنهم يجب أن يسعوا دوما أن يحتذوا بالمثل الرسولية. يستمتع لول بسرد تجربته الشخصية مثل بعض السجلات من أجل تأكيد وجهة نظره. على سبيل المثال، في كتاب "استعادة الأراضي المقدسة"، يشير إلى سجنه في مدينة بجاية وإلى نوع المناظرات الدينية التي قال أنه شارك فيها مع المسلمين هناك. ونعثر على سجل كامل لهذا الحدث في مؤلفه " Disputatio Raymundi Christiani et Hamar Saraceni "⁽²⁾.

يُولي لول إهتماما بالغا للإعداد الدقيق والمُتقن للمنصرين وتنمُّ حساسيته للإختلافات بين العقائد الدينية للمسيحية وعقيدة المسلمين عن أنه لا يؤيد فكرة أن المنصرين ينبغي أن يخرجوا للاستفزاز مُتعمدين بذلك الاستشهاد عن طريق أفعالهم. في هذا الصدد، يتفق لول مع الارثودوكسية. على الرغم من أنه ناقض فكرته هذه بشكل صارخ في مجادلاته لمسلمي بجاية. من ناحية أخرى، تُشير تجربة لول الخاصة ومعاييره لاختيار المنصرين بوضوح إلى أهمية مكانة لول في هذا الجانب من النشاط التصيري. كما لا يمكن التقليل أبدا من شأن المثال المُقدس⁽³⁾. حتى أن لول يقترح بأن مثل هذه الأمثلة المقدسة ممثلة في المنصرين ستكون مفيدة للمسيحية نفسها⁽⁴⁾.

⁽¹⁾- أنظر: Ramon Llull , De Acquisitione , f.546^{ra} .

⁽²⁾- أنظر: Loc.cit.
وأنظر أيضا: Disputatio Raymundi Christiani et Hamar Saraceni , prologus , M.O.G. , vol.4 , p.431.

⁽³⁾- مفهوم الشهادة عن طريق المثال والقُدوة ترتبط إرتباطا وثيقا بمسألة فعالية الاستشهاد لنجاح الحركة التصيرية. أنظر: E.R. Daniel , The Franciscan Concept of Mission , Lexington , KY , 1975 ; Ibid , "The Desire for Martyrdom : a Leitmotiv of St. Bonaventure" , Franciscan Studies , 32 , 1972 , pp.74-87.

⁽⁴⁾- أنظر: Lull , Petitio ad Coelestinum V , M.O.G., vol.2 , p.175 , col.2. النسخة القطلانية لهذا النص حررها: Josep Perarnau i Espelt , " Un text català de Ramon Llull desconegut : La Petició de Ramon a Papa Celestí V per a la Conversió dels Infidels" , Arxiu de Textos Catalans Antics , 1 , 1982 , pp.9-43.

عندما يتلقى هؤلاء المنصرون التكوين والتحضير المناسبين لمهتهم، يتصور لول بشكل واضح أنهم سيقدمون على المشاركة في المناظرات والمساجلات المنظمة، والتي كانت أمراً شائعاً بين المسيحيين والمسلمين. بحيث على المنصرين أن يذكرو التعاليم المسيحية الأساسية ومن ثم المضي قدماً في الشرح لهم وكذا الإثبات والبرهنة باستخدام الأسباب الضرورية للفن اللولي⁽¹⁾. وبسبب منهجه المرن القابل للتكيف في التصير، من المحتمل أن لول كان على استعداد لإتباع أنماط كل من المناظرات الأكثر تنظيماً وذات الرعاية الملكية التي حدثت في مدينة برشلونة سنة 1263م، والمناظرات الأخرى الأكثر رسمية التي حدثت في ميورقة سنة 1286م، التي جادل فيها التاجر "إنجيتو كونتاردو Inghetto Contardo" المعتقدات الدينية مع اليهود.

في الواقع، وفي هذا السياق، دعا لول التجار القطلان خصوصاً والمسيحيين عموماً مراراً إلى تعلم فنه، بحيث عندما يجدون أنفسهم في مثل حالة التاجر إنجيتو كونتاردو، يكون بوسعهم القيام بدورهم في تحويل غير المؤمنين بالمسيحية. كما يستشهد لول أيضاً بالضرر الكبير الذي لحق بالإيمان المسيحي حينما عمد العلمانيون كالتجار مثلاً إلى الإحتكاك بالشعوب الأخرى من غير المؤمنين بالمسيحية ولم يكونوا قادرين حتى على شرح معتقداتهم وتعاليمهم، ناهيك عن محاولة إقناع غير المسيحيين بحقيقة الدين المسيحي⁽²⁾.

من المهم رصد أن التعليم بالنسبة لرامون لول يجب أن يعمل في اتجاهين. فليس فقط غير المؤمنين بالمسيحية بحاجة إلى تعليم في العقيدة المسيحية، التي اثبتت لهم بواسطة الأسباب الضرورية التي تعتمد على الكرامات الإلهية في النظام اللولي لكن المسيحيين على اختلاف تكوينهم يجب أيضاً أن يكونوا متعلمين بحيث يكونوا قادرين على برهنة هذه المعرفة للكفار. فالمنصرون يحصلون على هذا التدريب المتخصص في الدراسات التنصيرية، وبالمثل يحصل العلمانيون العاديون كالتجار المذكورين أعلاه على تعليم متخصص أيضاً⁽³⁾. كما ينبغي على

⁽¹⁾ - أنظر: Lull , De Acquisitione , II , 2 , f.546^{rb} ; III , 2 , f.547^{rb}.

Loc.cit.

Ibid. , II , 2 , f.546^{rb}.

⁽²⁾ - أنظر:

⁽³⁾ - أنظر:

الصلبيين أن ينالوا قسطا وافرا من هذا التعليم حتى يتمكنوا أثناء الحملة من تحويل العدو إلى الديانة المسيحية بدل قتله (1).

يحتوي كتيب لول التعليم المسمى بعقيدة النشء " Doctrina Pueril " تدريب في الصبا" وهو بمثابة الدليل على المعلومات الضرورية للقيام بهذه المهمة ويشير إلى الكيفية التي يعتقد بها لول أنه يمكن غرس هذه الأفكار في أذهان المسيحيين في وقت مبكر من شبابهم (2). غير أن الأهم من ذلك، كان ضرورة تزويد المسيحيين أنفسهم بجهة متحدة ضد المسلمين واليهود. فقد كان من الأمور المؤلمة للول والتي أدركها، الضرر الجسيم الذي لحق بهيبة الإيمان المسيحي جراء وجود العديد من المجموعات المنشقة خاصة من قبل الكنيسة البيزنطية. يعرض لول عدم وجود الوحدة بين المسيحيين سياسيا ومذهبيا كواحد من الأسباب الرئيسية التي تجعل المسلمين واليهود والوثنيين لا يفهمون ما تمثله المسيحية بشكل أكمل (3).

تبدأ بعض من هذه الأفكار السابقة، وخصوصا تلك التي تتمحور حول المنصرين الفرسان، في إعطاء نوع من العلاقة الممكنة بين القوة و الإقناع في فكر لول. أحد أول مظاهر هذه العلاقة التي حدثت في مخططات لول هي التعليم الإلزامي للمسلمين واليهود الذين يعيشون تحت الحكم المسيحي. ويظهر هذا الأمر كمثال آخر لثقة لول العظيمة التي أولاها للعقل والمنطق الإنساني والتفاوت حول إمكانية نجاح التعليم. يعتقد لول أن أطفال المسلمين واليهود ينبغي أن

(1) - على سبيل المثال، انظر : Lull , Blanquerna , ed. M. Batllori , et al. , Obres Essencials , vol.1 , Barcelona , 1957 , ch.80 , pp.231-232.

يقترح لول في هذه الفقرة بأن على فرسان الحملة أن يتعلموا حججا موجزة للإيمان (من الفن اللولي بطبيعة الحال) بحيث يمكنهم الذهاب إلى ملوك وأمراء الكفار (غير المؤمنين بالمسيحية وهم المسلمون طبعاً) ويقوموا بتحديثهم بواسطة أسلحتهم أو تعلمهم. وعندما توضع هذه القصة موضع التنفيذ، فإن كلا الوسيطتين ضرورية وناجحة في نهاية المطاف.

(2) - أنظر : Lull , Doctrina Pueril , ed. Gret Schib , Els Nostres Clàssics Col·lecció A , Vol.104 , Barcelona , 1972 , ch.71 , pp.162-166 : "De Mafumet" (sec.10-13) ; ch.72 , pp.166-168 : "De Gentils" ; ch.83 , pp.194-197 : " De la manera segons la quall los infeels poden ésser convertits a la santa fe christiana".

(3) - أنظر : Lull , De Acquisitione , p.II , 2 , III , p.1.
حول فكرة أن المسلمين لا يفهمون المعتقدات المسيحية اللاتينية ببساطة، أنظر :

Lull , Petitio Raymundi pro conversione infidelium (to Boniface VIII) , ed. E.Longpré , "Deux opuscles inédits du B. Raymond Lulle" , La France Franciscaine , 18 , 1925 , p.148 ; D. Urvoy , "Ramon Lull et l'Islam " , Islamochristiana , 7 , 1981 , pp.132-133.

يُكرهوا على تعلم الأصول والمبادئ الأولى للإيمان المسيحي على أمل تحويلهم طواعية دون قسر⁽¹⁾.

في الواقع، كان لول مهتما بتعليم الأطفال بشكل عام، ويبدو من المحتمل أن أحد الأسباب التي دفعته إلى تأليف كتاب "عقيدة الطفل Doctrina Pueril" كان ردا على الانتقادات اليهودية التي طالت تربية المسيحيين لأولادهم وفشلهم في تلقينهم للعقيدة المسيحية ومبادئها. فضلا عن ذلك، أعجب لول بالمسلمين الذين كانوا قادرين على تنشئة أبنائهم تنشئة إسلامية تجعلهم مستعدين للموت في سبيل إيمانهم⁽²⁾. لا يبدو مقترح لول لتعليم أولاد المسلمين تحت الحكم المسيحي اللاتيني مفاجئا تماما عندما ينظر إليه في سياق إهتماما أوسع لتعليم جميع النشئ. والهدف بالنسبة له هو نفسه: خلق مجتمع من المسيحيين مكرس للحب وتمجيد الله.

يؤيد لول قضية أن المسلمين واليهود الذين كانوا يعيشون في المناطق الخاضعة للسلطة القضائية للمسيحيين يجب أن يرغبوا على حضور الخطب والمواعظ التي تهدف إلى تنصيرهم. وكانت هذه القضية هي إحدى النقاط التي تضمنتها العريضة التي قدمها إلى مجمع فيين سنة 1311م. وهناك إقتراح بأن عددا كبيرا من المسلمين واليهود كانوا خاضعين للنفوذ المسيحي، خاصة في اسبانيا، ينبغي وعظهم في أيامهم الخاصة وهي أعيادهم الدينية (الجمعة والسبت) عن طريق الخطب الدينية اليسيرة على الفهم والمعتمدة على القياس المنطقي. إذا تم هذا بشكل دائم، فإن المسلمين واليهود "سيأتون إلى سبيل الحقيقة بمجرد أن يفضلوا الفكر وسيكونون مضطرين إلى المزيد من الفهم أكثر من الإعتقاد"⁽³⁾.

⁽¹⁾ - أنظر: Lull , Doctrina Pueril , ch.83 , no.4 , pp.194-195.

⁽²⁾ - يذكر لول عادة في هذا السياق التعليم في صفوف فرقة الحشاشين المعروفة في العالم الإسلامي. ويقارن بين المساعي الدنيوية لرجال مسيحيين الذين يعملون بكد للحصول على الحاجيات الزائلة، والملوك والأمراء الذين يعملون بجِد في حالات الحرب ويخاطرون بحياتهم في سبيل الذود عن أطراف ممالكهم، وبين الحشاشين الذين يكرسون كل جهودهم من أجل قضية أُسمى، على الرغم من ضلالها. ويتساءل لول عن لماذا المسيحيون، وخاصة الحكام، لا يمكن أن يكونوا متحمسين على قدر المساواة في سبيل الله. أنظر، على سبيل المثال:

Lull , Petitio Raymundi ad conversione infidelium , ed. Longpré , pp.148-149.

⁽³⁾ - أنظر:

Lull , Petitio Raymundi in concilio generali , p.153 ; Hillgarth , Lull and Lullism , p.130 , note 351 , cites Liber per quem poterit cognosci quae lex .

يظهر من رأي لول السابق، فكرة أن الديانة المسيحية أكثر عقلانية من سطحية الديانتين الآخرين. كانت مثل هذه الأساليب التصيرية لتكون تحت إشراف الكنيسة بتعاون مع الحكام العلمانيين، وتجدر الإشارة، أنه تم بالفعل وضع هذه الخطة موضع التنفيذ في مملكة أراجون من قبل الملك خايمي الأول أي في الجيل الذي سبق كتابة لول لهذه السطور⁽¹⁾.

كانت الإستراتيجية التعليمية التي تبناها لول أكثر قبولا لدى العقل الحديث، ولكن ربما بالنسبة لمُعاصريه لا يُمكنهم تصورها تقريبا، وهي مسألة حسّاسة أثارها لول في كتابه " Liber de participatione christianorum et saracenorum " الذي ألفه في ميورقة سنة 1312م. هنا يطرح لول إقتراحا للإمبراطور فردريك الثالث ملك صقلية، ويحتمل أنه وضعه بالتعاون مع "أرنو فيلانوف"، يقترح فيه على أنه ينبغي لفردريك الثالث وملك تونس، ابن اللحياني، أن يرتبوا لقاء للمسيحيين الذين اعتادوا التحدث بالعربية بالذهاب إلى تونس لإظهار حقيقة الدين المسيحي للمسلمين هناك. بالتزامن مع ذلك، يجب إرسال مسلمين متعلمين إلى صقلية لمجادلة حكماء مسيحيين حول دينهم.

أعرب لول عن رغبته أنه من خلال التبادلات السلمية للأشخاص والأفكار قد يتحقق السلام بين المسيحيين و المسلمين، وأن مثل هذا التبادل قد يغني عن حاجة المسيحيين لتدمير المسلمين والعكس صحيح⁽²⁾. وقد استخدم هذا النص لمُجادلة نقطة التحول في فكر لول بعيدا عن الحرب الصليبية والعودة إلى الاعتماد الوحيد على البعثات التصيرية⁽³⁾. مع ذلك، واصل

في شهر فيفري في مدينة ميورقة، أين طلب لول من الأمراء المسيحيين إجبار المسلمين بالقوة على الإستماع إلى الخطب والمواعظ الدينية المسيحية. للمزيد من النصوص الأخرى التي طلب فيها لول نفس الأمر، أنظر :

Lull , Dictat de Ramon , 1299 , O.R.L. , Vol.19 ; Idem. Liber de Novo Modo demonstrandi , 1312 , M.O.G. , Vol.4 , pp.595-610.

ويناقش Chazan إلزامية حضور المواعظ والخطب الدينية في مدينة برشلونة وما بعدها.

⁽¹⁾- أنظر : Jeremy Cohen , The Friars and the Jews , Ithaca , 1982 , p.82.

⁽²⁾- أنظر :

Lull , Liber de participatione christianorum et sarracenorum , prologus , R.O.L. , Vol.16 , p.246.

حول تجسيّدات مبكرة لهذه الفكرة، أنظر :

Lull , Blanquerna , ch.80 , p.230 ; Idem , petitio Raymundi Boniface VIII , p.148.

Hillgarth , Lull and Lullism , p.131.

وحول التعاون المحتمل بين لول و أرنو فيلانوف، أنظر :

⁽³⁾- أنظر : Hillgarth , Lull and Lullism , pp.129-132 ; B. Kedar , Crusade and Mission , p.198.

لول تلمحيه وإشاراته العرضية إلى الحروب الصليبية كجزء لا يتجزأ من الحياة المسيحية وكمظهر للتدين في آخر أعمال العمر، وهذا يبدو أمراً غير مُرجح⁽¹⁾.

من ناحية أخرى، ليس هناك شك في أنه في هذا الوقت كان لول قد تعرض لهجوم جديد من التفاؤل حول التصير السلمي. وارتبط هذا من دون شك برغبة ابن اللحياني المعلنة لاعتناق المسيحية بعد أن كان قد استولى على السلطة في تونس بمساعدة المرتزقة القطلان والبحارة الصقليين⁽²⁾. فإذا كان الحاكم قد تمّ فعلاً تحويله إلى النصرانية، فإنه لن يكون من الضروري تسير حملة صليبية إلى إفريقية من أجل تأمين تجمع يستمع إلى البعثات التنصيرية المسيحية. في الواقع مثل هذه الظروف كانت لتكون أسباب كافية بالنسبة للول لوقف مخططاته الصليبية.

2- عقبات التصير وفق لول.

يعتقد لول أن هناك عقبتين رئيسيتين تحولان دون نجاح التصير، الأولى هي عدم قدرة المسيحيين على توفير البراهين والشروحات المنطقية لحقيقة العقيدة المسيحية، والثانية وجود شقاق بين المسيحيين. وفي بعض الأحيان، يشتكي لول، من بعض المسيحيين الذين لم يكونوا راغبين في تقديم الحُجج المنطقية لدعم العقيدة المسيحية، مُضيفاً بأن الاعتقاد يجب أن يأتي نتيجة الإيمان، وليس العقل. وكان هذا هو جوهر خلاف لول مع المُنصر والراهب الدومينيكاني الشهير رامون مارتى Ramon Martí.

في العديد من مؤلفاته، يروي لول قصة مهمة رامون مارتى في تونس للمشاركة في المناظرات الدينية مع الأمير. وحسب ما يذكره لول أن مارتى تمكن من أن يُثبت للأمير المسلم عن طريق طريق *mores et exempla* (العرف والسوابق) أن الناموس الإسلامي كان خاطئاً. مع ذلك،

⁽¹⁾ - في هذا المقام تجدر الإشارة إلى أن لول ذكر الحرب الصليبية ولا يعتذر أبداً عن عدم مشروعيتها في كتاب "Liber de participatione", p.246 أين يذكر نجاحات مجمع فيين من حيث توزيع السلع والحاجيات من فرسان المعبد إلى الاستيرارية بعد تفكك الجماعة السابقة. وهذا من شأنه تمكين الاستيرارية من ولوج المعارك وهم مسلحون ضد السراسنة (المسلمين) ولهم إمداد دائم من الجنود والسفن. وبالتزامن مع ذلك لقيت أفكار لول الخاصة بالدراسات التنصيرية دعماً في هذا المجمع. أنظر:

Lull , De Locutione angelorum , R.O.L. , Vol.16 , p.216.

⁽²⁾ - أنظر :

Charles Dufourcq , L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIII^e et XIV^e siècles , Paris , 1966 , pp.488-494.

عندما طلب منه الحاكم المُضي قدما لإثبات حقيقة الديانة المسيحية، رفض المُنصر ذلك، قائلاً أن أسس العقيدة المسيحية ليست قابلة للإثبات لأنها في الأصل محل للتصديق والإيمان. وكان الملك حانقاً بعد أن تخلى عن دينه في حالة لم يحصل على دين جديد كبديل⁽¹⁾.

تُعد رواية لول لقصة رامون مارتى مهمة لعدة أسباب، السبب الأول، لأن لول سردها عدة مرات، مما يجعلنا ندرك أن هذه القضية مهمة جداً بالنسبة له. والسبب الثاني، أنه يركز على الدور المركزي لـ "الأسباب الضرورية" في مجال تنصير المسلمين واليهود الذين لهم مجموعة خاصة من المعتقدات العقلانية، وناموسهم الخاص بهم. أما عن السبب الثالث، فيُشير إلى حلّ لول للمشكلة والمنقسم إلى شقين: الشق الأول هو إنشاء نظام تعليمي لإعداد الناحيتين المهنية والعلمانية للمُنصرين، والشق الثاني تطوير "الفن" كأداة لتقديم الحجج اللازمة التي تبين عقلانية الإيمان المسيحي.

كانت مشكلة الانشقاق في الكنيسة المسيحية أكثر تعقيداً، إضافة إلى تداعياتها السياسية والتي كان لول على علم بها دون شك. لكن إذا استطاع المسيحيون وضع انقساماتهم جانبا، فإن العديد من غير المؤمنين بالمسيحية وخاصة المسلمون منهم الذين راوغوا كثيراً لتجنب تحولهم سيكونون أكثر إقتناعاً بحقيقة المسيحية. ففي كتابه De Acquisitione ، يسرد لول قصة مسلم أراد أن يصبح مسيحياً، لكن وبسبب الانشقاق، قال أنه لا يعرف إذا ما كان يجب أن ينضم إلى اليونانيين أو اليعاقبة أو النساطرة أو الكاثوليك أو الرومان. بعد ذلك، يرى أن اليهود ليس لديهم مثل هذه الانقسامات الطائفية في دينهم، لذلك قرر أن يصبح يهودياً، من أجل تجنب الشك "propter dubium euitandum"⁽²⁾.

⁽¹⁾- أنظر: Ramon Lull , De acquisitione , f.547^{ra-b}; Lull , De Fine , I.5 , R.O.L. , Vol.V , p.267. لمناقشة الخلاف حول التقنيات التنصيرية بين لول ورامون مارتى ، أنظر :

E. Colomer , "Ramon Llull y Ramon Martí " , Estudios Lullianos , 28 , 1988 , pp.1-37 ; E. Longpré , "Le B. Raymond Lulle et Raymond Marti , O.P. " , Estudios Lullianos , 13 , 1969 , pp.197-200.

⁽²⁾- أنظر : Ramon Lull , De Acquisitione , f.547^{rb}.
قارن بينها وبين ما ورد في كتاب الغاية أنظر :
Ramon Lull , De Fine , I.4 , pp.260-266.
أين يشير لول إلى أنه كتب بالفعل عملاً حول موضوع "موجبات الإيمان بالله quid credere de Deo homo debet" ، لكن هنا كان لول يرغب في أن يتحدث أكثر عن هذا الموضوع.

نظراً لحساسية مسألة الإنشقاق في المسيحية وأهميتها فإنها بمنظور لول تتطلب حلاً عاجلاً، فقد كان اتحاد الكنيستين البيزنطية الشرقية والرومانية الغربية شرطاً أساسياً لاستراتيجية الحرب الصليبية ولأغراض التصير. مرة أخرى، أبدى لول اقتناعاً كبيراً بأن "الأسباب الضرورية" والمناقشات الحساسة البالغة الدقة بإمكانها تحقيق الوحدة بين المنشقين وروما. لكن ورغم ذلك كان لول حذراً بشدة من اليونانيين، ومن ثمّ كان مُستعداً لاستخدام القوة في الحرب الصليبية ضدهم إذا لزم الأمر. وفي واحدة من مخططاته الصليبية، يقترح لول بأنه يتوجب على اللاتين أن يقوموا بإحتجاز رهائن من اليونانيين من أجل ضمان تعاونهم الكامل مع الجيوش الصليبية⁽¹⁾. كانت وحدة المؤمنين المسيحيين ضرورية للغاية لإنجاز مهمة تحويل بقية العالم إلى المسيحية⁽²⁾. مرة أخرى، نرى في مخططات لول التصيرية أكثر من إقتراح للعلاقة بين الإقناع السلمي واستعمال القوة.

تتميز مخططات لول التصيرية بالمطالب الملحة لتنفيذها وتزداد حدة طوال حياته المهنية. وكما هو الحال مع اليونانيين، فإن لول تحدوه الرغبة لمُتابعة أفكاره حتى نهاياتها المنطقية واستخدام القوة والإكراه إن لزم الأمر. يدلّل لول على أنه لا طريق لأيّ أحد سوى طريق العقيدة المسيحية القويمة، ويقترح بأن أي شخص يمكن أن يكون عرضة للتصير بالقوة. مع ذلك، يعترف بأن القوة قد تكون ضرورية من أجل الحصول فرصة للاستماع إلى أساليبه في الإقناع الفكري. وفوق ذلك، في De Acquisitione ، يورد لول بأنه إذا رفض المسلمون واليهود الحضور إلى

⁽¹⁾ - أنظر: Ramon Lull , Tractatus de modo convertendi infideles , p.101.

⁽²⁾ - أنظر : Ramon Lull , Petitio Raymundi (Boniface VIII) , ed. Longpré , p.147. هناك صياغة أخرى لهذه الفكرة ، يبدو فيها لول وهو يفترض الخطاب الحالي هنا في العريضة المقدمة إلى البابا كليمنت الخامس مؤرخة في 14 جانفي 1306م. أنظر:

Ramon Lull , In superne preeminencia , ed. Regestum Clement Papae V , Vol.1 , , Rome , 1885 , p.40 , col.2.

تصف هذه العريضة الامبراطورية البيزنطية المنشقة بأنها حادت عن جادة وحدة الايمان المسيحي وهي بذلك جديرة باللعنة :
ab unitate christiane fidei deviantes damnabiliter occupatum , multo nimirum merore replemur et " ad subueniendum ei de illo remedio , per quod ad fidem reduci valeat orthodoxam".

الخطب والمواعظ التنصيرية وسمحوا لعقولهم أن تتورّ بالأسباب الإلهية وينبغي عندئذ أن يُتاح لهم خياران التنصّر أو النفي⁽¹⁾.

إنّ إحساس لول بالطابع المصيري لجُهوده الأخيرة، والذي يظهر من خلال الإنذارات القاسية الأخيرة التي أطلقها. لكن إحساسه المُنتامي بهذا الشعور برز بوضوح أكبر وأكثر من أي وقت مضى أثناء تناوله لعُنصر التتار. ومثل الكثير من المعاصرين له في زمانه، أعرب لول عن تفاؤله حول إمكانيات التوصل إلى تحالف مع المغول في الشرق، تحالف من شأنه في نهاية المطاف سحق المسلمين داخل الاراضي المقدسة وخارجها. ولكن مع مرور السنوات ومع قليل من الأدلة التي تدعم مسألة نجاح تحويل المغول إلى المسيحية، أصبح لول أكثر تشاؤما حول احتمالات تنصيرهم. وأشار إلى أن التتار قد أصبحوا أقوياء للغاية في فترة قصيرة جدا من الزمن⁽²⁾.

علاوة على ذلك، فإن المغول قوم بلا دين، ولو إعتنقوا الإسلام، بدل المسيحية، فإن العالم المسيحي سيكون في مأزق خطير، وتحيط به إذاك القوى المعادية من كل حذب وصوب. ووصل إلى مسامع لول إنخراط المسلمين في مشروع تحويل المغول إلى الإسلام⁽³⁾. وفي هذا السياق، يجب أن نتذكر أنه على الرغم من سعي لول لتنصير المغول من أجل تقريب العالم إلى حالته

Ramon Lull , De Acquisitione , II.3 , f.546^{va}.

⁽¹⁾-أنظر:

⁽²⁾- وفي هذه المسألة ورد عن لول ما يلي:

" Et oh , ecclesia sancta catholica , uideas , quot inimicos habes et habebis , si in tua otiositate permanes , et aliud non pertractas. Nam septuaginta anni sunt elapsi , quod Tartari a montibus descenderunt ; et habent plus de dominio in hoc mundo , quam inter Saracenos et omnes etiam christianos . Et ideo , ecclesia , quare dormis , et non laboras , postquam tantus thesaurus est tibi commendatus per spiritualem gladium et etiam per gladium corporalem?". Ramon Lull , De Fine , I.5 , p.268.

Ramon Lull , De Acquisitione , III.2 , f.547^{va}.

⁽³⁾- أنظر:

ويستمر لول على هذا المنوال في العديد من السطور. أنظر أيضا:

Devin Deweese , " The Influence of the Mongols on the Religious Consciousness of Thirteenth Century Europe" , Mongolian Studies , 5 , 1978-1979 , pp.60-71.

تتبع هذه الدراسة المنهج الذي استعمله لول لتنصير المغول وتستشهد بمعظم النصوص ذات الصلة.

السوية حسب زعمه، موحدًا في عبادته لله، وهناك سبب آخر مهم لتتصيرهم حسب لول يكمن في قيمتهم البارزة كحليف مُحتمل ضد المسلمين، خاصة في الأراضي المقدسة (1).

المُلاحظ في هذا الصدد، أن العلاقة بين الإقناع السلمي والإكراهي كانت متعددة الأوجه ووجدت على العديد من المستويات. وقد رأينا في فقرات سابقة، أن لول لم تكن له رغبة في الدعوة إلى استخدام القوة على الصعيدين السياسي والعسكري لتحقيق أهدافه. ومع مرور الوقت، أصبحت الكثير من الحقائق المهمة ماثلة أمام لول بوضوح. كان أول هذه الحقائق التقدم المخيب للآمال للجهود المسيحية الساعية للتتصير، حيث لم تتجز أي بعثات تتصير على نطاق واسع. وهو أمر وقف عليه لول نفسه أثناء محاولات تتصير المغول الذي لم يأت بنتائج تذكر.

الحقيقة الثانية التي أصبحت واضحة للول أن حال المسيحية في العالم يزداد سوءًا. ولم يقتصر فشل المسيحيين على البعثات التنصيرية واسعة النطاق، بل وحتى أنهم فقدوا أراض تملكوها لصالح المسلمين، وكان سقوط عكا المدمر مثالًا صارخًا على ذلك. فالتاريخ بذلك حسب لول يسير إلى وجهته النهائية ومازال هناك الكثير من المسيحيين يستعدون للقيام الثاني للمسيح. وبدا مما يظهر من خلال هذا اليأس أن لول يعترف باستخدام القوة اللازمة لتحقيق مشيئة الله. من ثم، طور لول بعض الخطط من أجل التتصير والتي كان مقررا الاضطلاع بها بالتعاون مع الحملات الصليبية.

وهناك عقبة كأداء أخرى تمثلت في ندرة شعبية البعثات التنصيرية، فالحماس للتتصير لم يكن واسع الانتشار بالشكل الذي جعل من الممكن استبدال البعثات التنصيرية بالحملات الصليبية. واقتصر الأثر على مجموعة صغيرة نسبيًا من الأفراد فقط والتي واصلت المهام التنصيرية، بداية بفرق الرهبان المتسولين، الذين إحتاجوا إلى قدر كبير من التدريب في المذهب الكاثوليكي، وقسطا وافرا من اللغات الأجنبية، وحظا من التقنيات الفعالة في العمل التنصيري. وقد

(1) - من المُلاحظ أن لول سافر فعلا إلى جزيرة قبرص فيما بين 1301م-1302م عندما سمع أن خان مغول فارس المدعو "غازان"، قد قام بغزو الأراضي المقدسة ببلاد الشام من أجل نُصرة المسيحيين. وعلى الرغم من إصابته بخيبة أمل كبيرة إثر تأكده عند وصوله إلى الجزيرة من عدم صحة هذه الاخبار التي تنامت إليه، إلا أنه قرّر ببساطة تغيير خطته وأمضى بعض الوقت في قبرص منغمسا في أنشطة تنصيرية. أنظر: Ramon Lull , Vita Coetanea, pp.33-35.

بدا مستحيلا للمهات التنصيرية كسب العديد من الأتباع والمؤيدين وهو نفس ما حصل للحروب الصليبية، وهو أمر لم يكن مستغربا بالنظر لأن هذا المشروع إحتوى على عدد كبير من الرجال غير المتخصصين سواء كانوا متعلمين أو لا. وفي هذا الصدد كان رامون لول شخصا إستثنائيا إذ أن خطته التنصيرية دعت وبشكل مُحدد لتعليم الرجال غير المتخصصين وحتى التجار بالمذهب المسيحي الأساسي، وتلقيهم طرق المناقشة الدينية بالإضافة إلى فنه، حتى يمكن أن يشارك أي كان في هذه المهات التنصيرية (1).

الواقع أن تنصير المسلمين وإدخالهم في حضيرة المسيحية ، داخل أوروبا أو خارجها، لم يتلقى دعما شعبيا خلال أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر فالإحباط الذي عاناه رامون لول بسبب تجاهله عجل بسقوط مخططاته، إضافة إلى الإهمال الظاهر للبنود الإكليروسية الخاصة بمدارس اللغة والمصادق عليها في القانون الحادي عشر من مجمع فيين، النتائج الضئيلة للجهود التنصيرية لإنجاز مشاريع الهداية في أوساط المسلمين، والنداءات المتكررة للأساقفة في الشرق الأقصى للناس لمساعدتهم، كلها لاقت ردودا سلبية.

بالنسبة لمعهد ميرامار وفشله في انجاز مهمة تكوين المنصرين، فإنه كان من الممكن أن يكون هذا الدير وكذا معهد اللغات الدومينيكاني، جسرين لعلاقات مسيحية- إسلامية طيبة مبنية على الحوار والتفاهم (2)، لكن تطرف رهبانه ومن ضمنهم لول، وعنتهم في سبيل تحقيق غاياتهم القصوى وهي تعلم اللغة العربية كوسيلة أساسية لتكوين المنصرين وتوجيههم للعالم الإسلامي، جعل من أهدافهم عقيمة خاصة إذا كان من أسباب اندثار هذه المعاهد هو خلوها وهجرانها من أصحابها المؤسسين والمتكونين على حد سواء بسبب انشغال أصحابها بحركتهم الاستشهادية

¹ - لم يكن رامون لول هو الوحيد الذي ساوره القلق بشأن هذه القضايا، أنظر :

Ora Limor , "Missionary Merchants : Three Medieval anti-Jewish Works from Genoa" Journal of Medieval History , 17 , 1991 , pp.35-51.

بيار دوبوا Pierre Dubois كان أيضا مهتما بمثل هذه القضايا، أنظر :

De Recuperatione terre Sancte , ed. W.I. Brandt , The Recovery of the Holy Land by Pierre Dubois , New York , 1956.

² - تعتبر هذه المعاهد أحد معابر انتقال الحضارة الإسلامية إلى غرب أوروبا . أنظر :

Garcias Palou (Sebastian), Ramon Llull y el Islam , p.140.

(حسب الزعم المسيحي)، وهو سبب يسوقه كل من المؤرخين الفرنسيين "توماس فيبرر Febrer" و "مول دالماسيو Moll" عند حديثهم عن اندثار معهد اللغات الدومينيكانية⁽¹⁾.

الواقع أنه بحلول القرن الثالث عشر الميلادي، كان العنف الذي استثاره المهووسون بالتنصير قد عزز الاعتقاد بأن خطراً إسلامياً مزعوماً على التبشير المسيحي قد جعل التنصير السلمي في أراضي المسلمين مستحيلاً. وفي الوقت نفسه، جرى تعزيز اعتقاد أقدم بأن المسلمين غير قابلين لهجر ديانتهم. والحق أن المصادر الفرنسية المبكرة ليست مُجمعة على هذه المسألة كما يُقر به المؤرخ "توماس ماستناك"⁽²⁾.

3- مميزات وأهداف الحرب الصليبية وفق لول.

تتتمي مخططات لول الصليبية إلى فنّ أدبي عُرف في أوروبا، بأدب استرداد الأراضي المقدسة: De Recuperatione terre sancte، وهو فن أدبي ازدهر وتطور خلال القرن 13م. خاصة بداية من عهد البابا نيقولا الرابع، الذي ضَخَّ طاقة ونشاطاً جديدين للمخططات الصليبية تجاه بلاد الشام، وزادت حدته وزخمه بعد سقوط مدينة عكا في أيدي المماليك⁽³⁾.

على عكس كثير من نُقاد الحركة الصليبية في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي الذي تدمرو واشتكو من تحول الحروب الصليبية عن هدفها الأصلي، كان لول مُستعداً للإعتراف في مخططاته بمفهوم مُوسَّع للحرب الصليبية. على سبيل المثال، في كتاب الغاية De Fine، وهي أطروحته الأكثر شمولاً حول المخططات الصليبية، وفيها يصرح بوضوح أن الهدف الرئيسي

⁽¹⁾ - يشير المؤرخان إلى حوادث إعدام طالت رهبانا وتجارا مسيحيين في تونس في سبيل المسيح وعقيدة التثليث خلال سنوات: 1219م، 1233م، 1243م، 1247م و 1257م. أنظر:

Febrer (Thomas) , Moll (Dalmacio) , Historia general del real Convento de Santo Domingo , Orden de Predicadores , de Palma , en la Ciudad de Mallorca , Tomo I , 1754 (Ms. L. 179 , Archivo Diocesano de Mallorca) , p.127.

⁽²⁾ - ماستناك (توماس) ، مرجع سابق ، ص.272.

⁽³⁾ - أنظر: Schein (Sylvia), Fideles Crucis : The Papacy , The West , and the Recovery of the Holy Land 1274-1314 , Oxford , 1991 , Norman Housley , The Avignon Papacy and the crusades , 1305-1378 , Oxford , 1986, pp.91-111.

للحرب الصليبية هو إسترداد الأراضي المقدسة. ولكن هذا لم يكن الغرض الوحيد، فوفقا للول،
وجب إستعادة جميع الأراضي التي إنتزعتها المسلمون من المسيحيين⁽¹⁾.

تشتمل الأطروحات الصليبية الأخرى لرامون لول على نفس المفهوم الموسع للحملة
الصليبية، على الرغم من أنها تتفاوت في تركيزها على أفضل الطرق التي ينبغي للحملة سلوكها.
ففي كتاب "استرجاع الأراضي المقدسة"، على سبيل المثال، تم تقديم الحملة الصليبية ضد
القسطنطينية كواحدة من طريقتين ضروريتين، والأخرى من خلال إفريقية بعد العبور عبر غرناطة
التي استولت عليها القوات الإسبانية. ويناقش لول بأنه في أزمنة مبكرة، كانت روما والقسطنطينية
حلفاء منتصرين في الأراضي المقدسة، ولذلك فإنه من الملائم فقط أن يتعاونوا الآن. كما يجب
على القسطنطينية أن تخضع لروما "بوصفها ابنة لأُمها" من أجل إزالة الإنشقاق واستعادة
الأراضي المقدسة. لا يظهر لول الكثير من الثقة إزاء الإنجاز التطوعي لهذه الخطة. عبارته التالية
تتحدث عن استرداد اللاتين للقسطنطينية⁽²⁾.

الفهم الشائع للحرب الصليبية وإطارها أواخر العصور الوسطى مُعتم ببعض الخلافات
التاريخية المتعلقة بمفهوم الحرب الصليبية وهدفها، وبعض الدارسين يدعون إلى أن الحرب
الصليبية الحقيقية هي التي وُجّهت إلى الشرق، باتجاه استرجاع الأراضي المقدسة، لكن يجادل
آخرون بأن المفهوم الأوسع للحرب الصليبية يشمل بالضرورة تجربة الحرب الصليبية التي عرفت
في العصور الوسطى⁽³⁾. وحينما يوسّع لول هدف الحرب الصليبية إلى جميع الأراضي التي
يتواجد بها المسلمون، فهذا يتطابق مع التصور الواسع للحرب الصليبية الذي يتجاوز فكرة استرداد
الأراضي المقدسة فقط⁽⁴⁾.

⁽¹⁾- أنظر: Ramon Lull , De Fine , II.1 , pp.269-270.
عناوين أخرى للول تتناول المخططات الصليبية والهدف منها ك : De Acquisitione Terre Sancte و Quomodo Terra Sancta Recuperari Potest كلا العملين يناقشان مجالات أخرى للحملات الصليبية أيضا.

⁽²⁾- أنظر: Ramon Lull , De Acquisitione , I.2-3 , f.545^{rb} .

⁽³⁾- من أجل إلقاء نظرة مختصرة على بعض أهم المؤلفين والأعمال حول هذه الآراء أنظر : Schein , Fideles Crucis , pp.1-13.

⁽⁴⁾ - نالت الحرب الصليبية البعيدة عن الأراضي المقدسة اهتماما بالغا من طرف دارسين محدثين ومنهم "هاوسلي" أنظر :

يدل استعداد لول لتغيير تركيزه على الخطط الصليبية من موقع إلى آخر، على مرونته في السعي لتحقيق أهدافه الشاملة وعلى إدراكه الواقعي للسياسات الصليبية. وفي موقع آخر من "كتاب استرجاع الأراضي المقدسة"، يُكيف لول خطته بشكل صارخ لتتوافق مع طموحات كل من الأنجليين وخايمي الثاني ملك أراجون، دون الدعم الذي أوصى به البابا كليمنت الخامس لحملة صليبية والذي كان مشكوكا فيه أصلاً⁽¹⁾. من جهة أخرى، قبل عشر سنوات، كان لول قد ناقش فكرة شن حرب صليبية ضد القسطنطينية في حالة إستمرار اليونانيين في عنادهم ومواصلتهم لانشقاقهم⁽²⁾. على الرغم من وصف لول للمخططات الصليبية بـ "المُتطرفة والمُسرفة"، إلا أنها تظهر في وقت واحد عمليتها ومرونتها في مواجهة الواقع السياسي⁽³⁾.

تعكس تفاصيل المُقترحات الصليبية للول العديد من الجوانب المُعاصرة للمخططات الخاصة بالحملة الصليبية. وكان هذا الزمن بالذات، زمن الإنتاج الخصيب لهذا النوع من الدعايات الصليبية، ويتضمن جزء كبير من محتويات مقترحات لول هذه الأفكار الحالية. على سبيل المثال، يتعرض لول لمسألة الإستراتيجية العسكرية ويظهر قضية الإمساك بزمام الأمور في التطورات الرئيسية لتلك الحقبة مثل التركيز على القوة البحرية، الحظر الاقتصادي، ومزايا عسكرية أخرى تفوق فيها المسيحيون على المسلمين⁽⁴⁾. كانت مسألة القيادة أحد أهم القضايا الرئيسية في

N. Housely , The Italian Crusades : The Papal-Angevin Alliance and the Crusades Against Christian Lay Powers , Oxford , 1982 ; E. Christiansen , The Northern Crusades : The Baltic and Catholic Frontier , 1980.

⁽¹⁾- أنظر :

H. Moranvillé , "Les Projets de Charles de Valois sur l'Empire de Constantinople" , Bibliotheque de l'Ecole des Chartes , 51 , 1890 , pp.63-86.

⁽²⁾- أنظر :

Ramon Lull , Tractatus de modo convertendi infideles , ed. J. Rambaud-Buhot , Beati Magistri Raimundi Lulli Opera Latina , Vol.3 , Mallorca , 1954 , pp.100-101.

وأنظر أيضا : Lull , Petitio Raymundi Boniface VIII , p.147 ; Petitio in concilio generali , p.150.
حيث يشير لول إلى أن البابا والكرادلة يجب أن يتأكدوا من : " تعبئة جميع الجنود المتدينين في جيش واحد "

⁽³⁾- أنظر :

Christopher Tyerman , "Sed Nihil Fecit?" : The Last Capetians and the Recovery of the Holy Land" , in J. Gillingham and J.C. Holt , eds. , War and Government in the Middle Ages , Cambridge , 1984 , p.170.

⁽⁴⁾- أنظر : , De Fine , II.4-5 , Ramon Lull , Tractatus de modo convertendi infideles , I-II , pp.99-102 ; pp.277-282 ; De Acquisitione , I.1-4 , ff.545^{ra}-546^{ra}

مخططات لول الصليبية. ويقترح في هذا الصدد توحيد جميع الهيئات العسكرية تحت راية الملك المحارب "Bellator Rex" (1).

يُجادل كثير من مؤرخي الحروب الصليبية المعاصرين، بأن المخططات العديدة التي شاعت في أواخر العصور الوسطى الأوروبية، قد تميزت بالعقم. خاصة في ضوء فشل تجسيدها لتحقيق أهم هدف صليبي وهو استرجاع الأراضي المقدسة ببلاد الشام. في هذا الصدد، تُناقش نتائج مخططات لول الصليبية، على الرغم من اهتمامها بالعديد من الجوانب المتعلقة بالحملات الصليبية بداية من التعبئة والتمويل وصولاً إلى مساراتها، وعلى الرغم من اطلاع صاحبها بالسياق الاجتماعي والسياسي في المتوسط. وتُرمى مشاريعه هي الأخرى بالعقم، لكن الأمر الأكيد أن سياسات الملكيات القومية الناشئة في أوروبا خلال أواخر العصور الوسطى الأوروبية، هو أمر غاب عن إدراك لول، الذي آمن بالطابع العالمي للمؤسسة البابوية وقدرتها على تعبئة الغرب اللاتيني في حملة صليبية جديدة، على الرغم من أنه آمن أيضاً بالملكية الفرنسية والأراجونية (2).

فضلاً عن ذلك، يُبرز انغماس لول في تحرير العرائض للعديد من الباباوات، بجلاء إيمانه بأن قدر الحروب الصليبية الموجهة إلى بلاد الشام، مرتبط في الأساس بالسياسات الفردية للباباوات. حتى بعد أن تكررت خيبات أمله بعد كل عريضة، لكنه واصل تقديم العرائض بعد تعيين كل بابا جديد. بل أنه وثق في السياسات البابوية، على الرغم من أن الأخيرة لم تقم بمحاولات جادة بين سنتي 1292م و1316م لإطلاق حملة صليبية إلى الأراضي المقدسة ببلاد الشام (3).

حول أفكار لول الخاة بقيادة الهيئات العسكرية، أنظر:

B.Z. Kedar and S. Schein , eds. "Un projet de passage particulier proposé par l'ordre de l'Hopital 1306-1307" , Bibliothèque de l'Ecole des Chartes , 137 , 1979 , pp.211-226.

(1) - عن وجهة نظر لول حول الهيئات العسكرية مقارنة بآراء معاصريه، أنظر:

A.J. Forey , "The Military orders in the Crusading Proposals of the Late Thirteenth and Early Fourteenth Centuries" , Traditio , 36 , 1980 , pp.317-345.

DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando , Ramón Llull y la cruzada , p.287. (2) - أنظر:

Schein , op.cit. , p.144. (3) - أنظر:

كانت الحرب الصليبية أداة ثمينة لتعزيز موقف البابوية في عالم المسيحية، وقد رأى لول أن البابوية والظاهرة الصليبية يُشكّلان وحدة داخلية غير قابلة للانفصال. واعتقد لول في صميمه أن البابوية هي الضامن والحامي المستمر لفكرة الحرب المقدسة ضد المسلمين، حتى على الرغم مما عاصره من ممارسات هذه المؤسسة الدينية الكبرى في الغرب اللاتيني، خاصة في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، وتحول الحرب الصليبية إلى أداة للضغط السياسي والقانوني والمالي مما أدى إلى الانفصال التدريجي بين الحملة Passagium والأراضي المقدسة⁽¹⁾.

ينبع إيمان لول بالبابوية وقدرتها على تجييش حملة صليبية جديدة، من إمكانياتها في إقرار السلام في أوروبا، عن طريق نشرها ما يُعرف بـ "الصليب في الداخل Crux cismarina". وبدونها فقط لا يمكن إطلاق حملة صليبية جديدة نحو بلاد الشام. وحسب لول فإن نجاح البابا في إقرار سلم داخل الغرب اللاتيني، في وسعه استيعاب المطامح السياسية للملوك العلمانيين في خططها الصليبية. لكن في الواقع، الأمر كان مغايراً تماماً، ذلك أن انغماس البابوية وتدخلها في الشؤون العلمانية جعل حروبها الصليبية الداخلية حروباً زائفة تهدف أساساً لخدمة المصالح الشخصية للباباوات وملوك أوروبا⁽²⁾.

قضية أخرى تتعلق بالتحول المفاجئ من الغزو السلمي إلى الغزو الفعلي المبني على العنف في فكر لول، الذي ظهرت فيه الحرب الصليبية والأراضي المقدسة كقضايا ثانوية في كتاباته الأولى. ويُفسّر هذا التحول من طرف بعض من الدارسين إلى حالة اليأس التي اعترت لول وفشل غزواته الفكرية السلمية، خاصة في ظل قوة الوسائل الفكرية لدى المسلمين. لكن رأياً آخر يُفسر هذا التحول، وهي مقارنة رأي لول مع رأي همبرت رومانيس المعاصر له. إذ أن الأخير ذكر في مؤلفه "المقالة الثلاثية" أنه: "فيما مضى ورغم أن العالم كان قد دخل إلى الدين عن طريق المسيح من خلال سبيل واحد هو الوعظ، والمعجزات، إلا أن أياً من هذه الطرق لم ينجح مع المسلمين، الذين رغبوا في مواصلة التكاثر والتزايد في العدد حتى قُطعت رؤوسهم من

DOMÍNGUEZ REBOIRAS, Fernando , Ramón Llull y la cruzada , pp.271-272.

⁽¹⁾ - أنظر:

May Beattie (Pamela) , op.cit. , p.34.

⁽²⁾ - أنظر:

طرف المسيحيين أو من طرف آخرين، فمنذ أن عاشو بواسطة السيف، كان لزاماً إذاً أن يموتو بالسيف. لهذا فمن واجب الوعاظ إضرام الحماسة من أجل حرب صليبية"⁽¹⁾.

في سياق آخر، يرى كثير من الباحثين الغربيين، أن صورة رامون لول كرجل سلام هي الطاغية، وأنه لا يمكن لنصوصه الدعائية الخاصة بالحرب الصليبية أن تتال من تلك الصورة. وحُجَّتْهم في ذلك، أن الحرب المقدسة التي نشدها لول، لن تبرر إلا لأغراض تنصيرية، أي عندما تستنفد جميع الاحتمالات⁽²⁾. لكن هذه الحجة لن تصمد للنقد، خاصة أن سلام لول الذي بحث عنه هو سلام مسيحي، وشرطه فيه هو أن على المسلمين التخلي عن دينهم وإعتناق المسيحية. فسلام لول كان سلاماً ينطوي على خوض وكسب الحرب -الروحية والمادية على حد سواء- ضد المسلمين وغيرهم⁽³⁾، حتى المسيحيين الشرقيين⁽⁴⁾. لقد كان "سلاماً مسيحياً Pax Christiana" بمفهوم العصور الوسطى الأوروبية.

ميزة أخرى ذات صلة بالشأن الصليبي، على الرغم من اتصالها الوثيق بالتنصير، تتعلق بمعهد ميرامار. فبعض الدارسين، على غرار "فرنانديز أرميستو"، يقررون بأنه لا يُمكن تجاهل أن معهد لول هذا لتدريس اللغات الشرقية وخاصة اللغة العربية، هو في الأساس جانب من جوانب الإرث الصليبي لميورقة والموجه لتنصير مسلمي إفريقية. كما يؤكد "فرنانديز أرميستو" أن دعم

¹ - أنظر: Humbert of Romans , Opusculum Tripartitum , p.200.

¹ - أنظر:

² - أنظر:

Da Costa (Ricardo) , Ramon Llull, la cruzada y las órdenes militares de caballería , Conferencia proferida en el Seminario "Cristianisme i l'Islam – el cas de Tortosa i Tartous a la Mediterrània", evento organizado por la Facultat de Ciències Jurídiques i Polítiques da Universitat Internacional de Catalunya (UIC), Barcelona, en el día 03 de octubre de 2005. Apoyo: Agència de Gestió d'Ajuts i de Recerca de la Generalitat de Catalunya , p.21.

³ - ماستنك (توماش) ، مرجع سابق ، ص.310.

⁴ - في كتاب "استرداد الأرض المقدسة Liber de acquisitione terrae sanctae"، يُدافع لول عن غزو اللاتين للقسطنطينية. أنظر:

Hillgarth , Ramon and Lullism , p.84 ; Gotttron , op.cit. , p.40.

ملك أراجون لهذا المشروع نابع أساسا من مشروعه الهادف لسيطرة المملكة على المتوسط، خاصة بعد أن حصلت ميورقة على التاج الأراجوني⁽¹⁾.

ففي أحد مخططات لول الصليبية، وخلافا لكل المنظرين الصليبيين، ذكر لول مسارا للحملة يمر عبر غرناطة وإفريقية وصولا إلى مصر والأراضي المقدسة، وهو يتماهى مع مخطط مملكة أراجون من أجل حرب صليبية ضد مملكة بني نصر في غرناطة والممالك الإسلامية في إفريقية والتي كان مزعم انطلاقها سنة 1309م. لكن الوضع الدولي بدّد مخطط لول، ذلك أنّ مشروعه وقع بين مطامح أراجون وتطلعات البابوية لحملتها الصليبية الخاصة⁽²⁾.

4- العلاقة الجدلية بين التنصير والحرب الصليبية في فكر لول.

كانت مصالح الغرب اللاتيني مع الثقافات والشعوب والأراضي الأخرى متصلة بشبكة مترابطة متكاملة وبدوافع معقدة. وأثناء العصور الوسطى الأوروبية، عُبر عن هذه المصالح بواسطة نموذجين خاصين من النشاطات هما : الحرب الصليبية والتنصير. فالاتصال والتقارب بين هذين النشاطين كان جليا وواضحا بشدة في تاريخ اسبانيا في العصر الوسيط⁽³⁾. على أن هذا لا يعني بأن الحرب الصليبية والحملات التنصيرية شملت جميع الجوانب التي عرفها الغرب الأوربي كالتوسع، والمصالح التجارية ، والاكتشافات البعيدة عن القارة الأوروبية. لكن البعثات التنصيرية والحملات الصليبية كانت تعبيرات فريدة للعوامل الثقافية التي شكّلت أوروبا ، وليس من السهل بل

⁽¹⁾- أنظر : Fernández-Armesto , Before Columbus : Exploration and Colonization from the Mediterranean to the Atlantic (1229-1492) , University of Pennsylvania Press , 1987 , p.158.

⁽²⁾ - يشير بعض المؤرخين إلى أن مخططات أراجون من أجل حرب صليبية إسبانية ضد غرناطة وشمال إفريقية عام 1309م كانت تهدف وبشكل متعمد إلى تقويض مخطط البابا كليمنت الخامس الخاص بالاستتارية المعروف بـ Passagium Particulare . كيفما كان الحال، في عام 1308م عقدت ثلاث اتفاقيات بطرق مختلفة بين أراجون، قشتالة والسلطان المريني من أجل مهاجمة غرناطة. بحيث تهاجم أراجون مدينة ألمرية، ويقوم فرديناند أيضا بالانقضاض على الجزيرة Algeçiras . بينما تعلق آمال السلطان المريني في استرجاع سبتة Ceuta . وقد منح البابا كليمنت الخامس من دون رغبة منه هذه الحملة منزلة الحرب الصليبية، حتى أنه سمح للملوك الأسبان في جباية ضرائب العشر من رجال الدين لتمويل هذه الحملات. لكن هذه الحرب الصليبية منيت بفشل ذريع، تاركة كلا من قشتالة وأراجون واهنتي العزيمة ومثقلين بالإحراج والإرباك. أنظر:

Norman Housley , "Clement V and the Crusades of 1309-1310" , Journal of Medieval History , 8 , 1982 ; Schein , Fideles Crucis , op.cit. , pp.228-229.

⁽³⁾ - أنظر :

May Beattie (Pamela) , op.cit. , p.11.

ليس من المقدور التفريق بينهما. وبالنظر إلى العلاقة بين التصير والحروب الصليبية كُسمى للأفكار الثقافية التي ساهمت في مظهرهم، بالإمكان تكوين رؤية وفهم الخصائص التي ميزت هذه النشاطات وأيضاً إدراك الأهداف والمثل التي منحتم الدافع الأساس لتحريك هذه النوعية من النشاطات.

بالنسبة لرامون لول، تُناقش العلاقة بين التصير والحرب الصليبية أثناء الفترة الممتدة من نصف القرن الثالث عشر إلى غاية نصف القرن الرابع عشر الميلادي، على نحو ملائم تحت عنواني التنظير والتطبيق⁽¹⁾. وبالوقوف على حقيقة هذين النشاطين في ضوء استكشاف وفحص الوثائق والمصادر كالأوامر الرسمية البابوية المتعلقة بالحملات التصيرية، والمرسومات الصليبية، ومحاولات وكتابات المنظرين والدعاة على حد السواء، ونصوص القانون الكهنوتي، وأحياناً حتى الأبحاث المؤلفة من قبل نقاد الكنيسة ونشاطاتها. ومن خلال هذه الوثائق يمكن التحقق من العلاقة النظرية بين البعثات التصيرية والحملات الصليبية. وتعطينا التقارير التي دونها المنصرون والرحالة للبلاد غير المسيحية، وكذا السجلات التي ألفها كتاب الحوليات من ذوي الأنشطة التصيرية خلال هذه الفترة رؤية واضحة عن كيفية ممارسة هذه النشاطات. وتزودنا كتابات ونشاطات "رامون لول" على نحو فريد برؤية غنية عن العلاقة التنظيرية بين التصير والحرب الصليبية بجميع تعقيداتها وإفرازاتها الموجهة للعالم الإسلامي. وكذلك عن سياق هذه الأفكار عند هذه الشخصية العجيبة.

كانت العلاقة النظرية بين النشاطات التصيرية والصليبية ظاهرياً تبدو دقيقة جداً خلال العصور الوسطى الأوروبية. ففي البداية كانت المُجابهة التي اتسمت بالعنف بين المسلمين والصليبيين قد ساهمت وبقوة بمعارضة الطرق السلمية للتصير. مما جعل بعض المؤلفين المسيحيين في العصور الوسطى واعين بهذا التتافر، على الرغم من أنهم لم يكتبوا بشكل شامل حول هذا الموضوع⁽²⁾. وفي الواقع، تورط أغلب أفراد المجتمع المسيحي في الحروب الصليبية

⁽¹⁾ - أنظر: Da Costa (Ricardo) , Ramon Llull, la cruzada y las órdenes militares de caballería , p.21.

⁽²⁾ - أنظر: May Beattie (Pamela) , op.cit. , p.13.

أكثر من انغماسهم في مشاريع التنصير. وعلاوة على ذلك، فإن معظم الحروب الصليبية كانت مُخلصة للمظهر العام للتنصيري في الدعاية الأدبية. ومن بين الإشكاليات، على سبيل المثال، ناقش المؤرخ نورمان هاوسلي Norman Housley على نحو مقنع بأنه طوال هذه الفترة تم استحضار غايتين واضحتين للحرب الصليبية في شكلهم "الأدبي التشجيعي"، هما: "الدفاع عن الإيمان المسيحي Defensio christianae fidei" و "توسع الإيمان Dilatio fidei"⁽¹⁾. فالغاية الأولى قامت بمهمة حشد العواطف وعرض الدوافع القوية وهو أمر عُرف منذ التشهير للحملة الصليبية الأولى⁽²⁾.

ليس من الصعب أيضاً فهم هذا الدافع ، لأنه من العسير مجادلة عدم ملائمة إرسال الجيوش المسيحية للدفاع عن الأراضي المقدسة لدينهم، وحماية الإيمان المسيحي نفسه. والتصور الثاني، هو أن توسع الإيمان المسيحي كان أيضاً حاضراً منذ البعثات المبكرة المتجهة إلى الشرق على الرغم من التضارب الضئيل الذي يطبع هذه الفكرة. وقد عبّر أوائل كُتاب حوليات الحروب الصليبية ومؤيدون مؤثرون لها (من مثل برنارد كليرفو) عن هذا الدافع الإضافي للحرب الصليبية⁽³⁾. بالإضافة إلى أن بعضاً من خطب وعظات الحملات الصليبية أوجت إلى أن هدف Dilatio Fidei " قد يكون أيضاً توجيه غير المسيحيين إلى المحيط اللاتيني، أي إلى المسيحيين . وفي هذا السياق يدعم رامون لول فكرة التأثير النافع والمفيد الذي يأتي من المشاركة في البعثات التنصيرية والحرب الصليبية.

لقد عكست الروابط الروحية والنظرية بين التنصير والحرب الصليبية ، تيارات الاتجاه العام للولاء والتقوى المسيحيين و المثل الدينية في أوروبا خلال العصور الوسطى. كما ارتبط المجال الواسع للمبادئ النظرية والروحية بهذه المثل والغاية التي شملت الرغبة في محاكاة المسيح وعكس صورة الحياة الرسولية، والرغبة في الاستشهاد(حسب المفهوم الكاثوليكي) ، وفكرة أن الحرب

⁽¹⁾ - أنظر: Norman Housley , the Avignon papacy and the crusades , 1309-1378 , (oxford , 1986).

⁽²⁾ - للاطلاع على وصف المضمون البلاغي للخطبة الصليبية لمجمع كليرمونت أنظر : Jonathan Riley-Smith , the crusades : a short history , (new haven and london , 1987) , pp.2-10.

⁽³⁾ - أنظر : Riley-Smith , the crusades , p.96.

الصليبية والتنصير كانت أفعالا تكرر حب هذه الأشياء حتى في خارج نطاق الكنيسة. دوافع إضافية نشأت عن مخاوف من مثل التوبة ، الخلاص، وعن أمور أخرى وثيقة الصلة بالمبادئ اللاهوتية. وبسبب أن أفكار رامون لول حول الحرب الصليبية والتنصير جد واضحة فقد ربطت بالمبادئ الدينية التي يطلعنا بها فكره ككل، وتشكل كتاباته نقطة بداية مناسبة لتفحص مثل هذه العلاقة⁽¹⁾.

إن العلاقة بين التنظير التنصيري والأهداف الصليبية في كتابات رامون لول، خاصة تلك الموجهة للمسلمين، ومحاولة وضع هذه المثل في سياق واسع في فكره بالكامل، تُبرز بجلاء كيف أن إهتمامات لاهوتية محددة، ومطامحا روحية، ومبادئ دينية أتت مجتمعة لتوضح هذه حقيقة هذه العلاقة، إضافة لتعريف نظرية لول في هذا الشأن . كما تُساعد على تكوين الاقتراحات التمهيدية عن أفكار رامون لول حول هذه المواضيع التي تُلائم سياق عصره وكيف يمكن أن يكون فكره وجهوده مُستخدما كمرآة تعكس المظاهر المُختلفة للمنحى الديني والثقافي الذي عرفته أوروبا في أواخر العصور الوسطى في مواجهة المسلمين.

فضلا عن أن نتائج هذا التفحص لمؤلفات رامون لول يمكن أن يساعد في دعم الرؤية لثلاث قضايا أساسية متعلقة بالتنصير والحرب الصليبية في أواخر العصور الوسطى . الأولى، تتصل بتناقض المظهرين التنصيري والصليبي وكيف كانا في نفس الوقت من المظاهر المتممة لمواقف المسيحيين تجاه المسلمين. القضية الثانية تتمثل في موقف لول من الحماس المنتشر لتجنيد الحروب الصليبية والذي دام حتى أواخر العصور الوسطى، أم القضية الثالثة والأخيرة فمتصلة بمسألة دعمه للبعثات التنصيرية لتحل محل الحروب الصليبية خلال هذه الفترة. وتطرح هذه القضايا إشكالية استكشاف خيارات التواصل مع ممثلي العربية والإسلام، والتي تتفرع عنها فرضية أخرى وهي احتمالية وجود نمط التسامح في العصور الوسطى.

¹ - أنظر:

كان التنافر بين التنصير أو التبشير السلمي والحملات الصليبية العنيفة أمرا لا مفر منه وواضحا للدارسين المعاصرين⁽¹⁾. ولم تكن مُهملة بالنسبة لمؤلفي العصور الوسطى كذلك. ومع ذلك، حرروا على نطاق واسع نصوصا تُبرر مثل هذه النشاطات، أو تُفسر الاضطرابات القانونية المحيطة بالتنصير الإكراهي، أو الآراء المؤيدة بغض النظر عن عدم شرعيتها لكلا المشروعين الصليبي والتنصيري⁽²⁾. ولم تلق العلاقة بين الحروب الصليبية والتنصير كتعبيرات متباعدة للإخلاص الديني الشائع والتقوى، تقريبا نفس القدر من اهتمام الدارسين مثلما تلقى أكثر قضايا الشرع الكنسي الدقيقة المعقدة، على الرغم من ترابطهما المؤكد.

أحد الأسباب الرئيسية لهذا التجاهل هو الرأي المتواتر في الأوساط الأكاديمية الغربية، بأن الحماس الشعبي للحروب الصليبية أخذ في الضعف والانحسار خلال أواخر العصور الوسطى، خصوصا بعد سقوط عكا سنة 1291م. ويميل المؤرخون إلى اعتبار النداءات إلى الحروب الصليبية من طرف البابوية أو من لدن القادة العلمانيين بعد هذا التاريخ الفاصل كأكبر وأوسع عملية دعائية أو واجهات غالبا ما كانت لأهداف علمانية، ففي مناقشات مبكرة للحروب الصليبية أواخر العصور الوسطى، هذه العوامل استخدمت لتعليل فشل نجاح الغرب في إطلاق حملة صليبية كبيرة خلال هذه الفترة.

⁽¹⁾ - من أبرز الدراسات الشاملة للعلاقة بين التنصير والحرب الصليبية نجد :

Benjamin Z.Kedar , Crusade and Mission : European Approaches toward the Muslims , Princeton , 1984 .

يساعد فحص خصائص تنصير غير المسلمين في توضيح وتعديل بعض نتائج كدار . وهناك دراسات أخرى اهتمت بهذا الموضوع منها :

Siberry (Elizabeth), "Missionaries and Crusaders , 1095-1274" , Studies in Church History , 20 ,1983; Criticism of Crusading 1095-1274 , Oxford , 1985 ; Paul Rousset , "La Croisade obstacle a la mission" , Nova et Vetera , 57 , 1982 , pp.137-142.

⁽²⁾ - من أمثلة هذه الكتابات، أنظر المؤلفين والنصوص المذكورين في الفصل الأول من كتاب "جايمس مولدن" :

James Muldoon , Popes, Lawyers, and Infidels , Philadelphia , 1979.

تعامل "كدار" مع نصوص وثيقة الصلة بموضوع الحرب الصليبية والتنصير ، في الفصلين الثاني والرابع. وجاء على ذكر الأصوات التي انتقدت عنف الحرب الصليبية ودافعت عن التنصير ونادت بأن يحل مكانه. أنظر :

Throop (Palmer) , Criticism of Crusade , A study of public opinion and Crusade Propaganda , Amsterdam , 1940 ; Siberry (Elizabeth) , Criticism of Crusading 1095-1274 , Oxford University Press, Oxford, UK , 1985.

إن شخصيات مثل فليب الرابع، ملك فرنسا، كانت خصوصا محل اشتباه بين معاصريه، لأنهم باركوا وبشكل متكرر الحروب الصليبية، واستولوا على مجموعة من ضرائب العشر الموجهة لتمويل الحملات، وفشلوا بشكل متلاحق في مباشرة الحروب الصليبية. ولقد أزعج الاستيلاء على ضرائب العشر الموجهة لتمويل الحروب الصليبية لمقاصد ملكية بحتة، المعاصرين بشدة. أصبح بعض الباباوات معارضين لمنح الإذن لفرض الضرائب كضريبة العشر. على الرغم من ذلك، فإن الخطط المكرسة للحروب الصليبية بقيت موجودة طوال هذه الفترة⁽¹⁾. وارتبط الرأي الشائع بهذه التصورات الشعبية للتصوير السلمي المتزايد في علاقة تناسب مباشر لتطور المذهب الكليبي المستخف بالدنيا حول دوافع الصليبيين⁽²⁾.

لكن مع منتصف القرن الرابع عشر، ولأسباب مختلفة، فإن التفاؤل حول جلب معتقدين للمسيحية عبر الطرق السلمية يعني أيضا الإخفاق أمام حقيقة تحتم إعادة تقدير شرعية هذا الرأي الذي يكتسي قيمة شعبية والقاتل باستبدال الحرب الصليبية بالتصوير⁽³⁾. وأخيرا، هناك العديد من الدوافع الجيدة للآراء التي أجملتها. فمن جهة، هناك ندرة مفترضة للمصادر التي تثبت بأن الحرب الصليبية والتصوير بقيا يحظيان بشعبية خلال العصور الوسطى المتأخرة. ومن جهة أخرى، هناك أكثرية من المصادر التي تشير إلى أقل من المبادرات الروحية خلف كل من الحرب الصليبية والتصوير.

⁽¹⁾ - أنظر: Sylvia Schein , Fideles Crucis , ch.6.

ولمناقشة هذه المخططات في عهد البابا كليمنت الخامس ارجع إلى :

C.Samaran , "Projets Français de croisade de Philippe le Bel à Philippe de Valois" , Histoire Littéraire de la France , 41 , 1981 , pp.33-74 ; C.J. Tyerman , "The Holy land and the Crusades of the Thirteenth and Fourteenth centuries" , in Peter Edbury , ed. , Crusade and Settlement , Cardiff , 1985 , pp.105-112.

⁽²⁾ - على سبيل المثال، أنظر:

L.Bréhier , "Les Missions Françiscaines au Moyen Age" , Saint François d'Assise: son œuvre-son influence 1226-1926 , Paris , 1927 ; S.Runciman , "The Decline of the Crusading Idea" , Relazioni del 10 congresso internazionale di scienze storiche , Storia del medioevo , v.3 , Florence , 1955 , pp.637-652.

⁽³⁾ - أنظر : سودرن (ريتشارد) ، مرجع سابق. وأنظر أيضا:

Jean Richard , La Papauté et les missions d'orient au moyen age (13-15 siècles) , Rome , 1977 ; Norman Daniel , Islam and the West : The Making of an Image , Edinburgh , 1960

بالنظر إلى كل هذا، فإنه يبدو مفاجئاً مُجادلة الأهمية الدائمة للحروب الصليبية والتنصير في أواخر العصور الوسطى على الصعيدين الثقافي والديني. مع ذلك، يظهر بعض المؤرخين مؤخراً أن احتقار الفشل والمعاناة المتكررين من قبل أنصار التنصير والحرب الصليبية خلال أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر، حقيقي ومؤثر ودافعوا عن مواصلة إنعكاس الدعم الشعبي للحروب الصليبية وأيضاً للتنصير السلمي (1).

ساهمت عوامل كثيرة في صعوبة الوصول إلى تقييم دقيق لدور كل من الحروب الصليبية والتنصير الديني في الثقافة الدينية الشعبية خلال هذه الفترة وهذا في حالة الاعتماد على المصادر التقليدية كالرسائل البابوية أو البيانات الملكية ، من بينها الطموحات العلمانية لمعظم قادة المسيحية الأشداء كانت معروفة. وكثيراً ما تجعل دوافعهم الدينية المزعومة محل شبهة. وهناك أمر آخر، فانطلاقاً من الوثائق الرسمية يصبح من الصعب قياس مستوى الاستجابة الواسعة لأفكارهم هذه (2). إلى جانب ذلك، لأن الدعاة في هذه الفترة من النادر ما عنونوا الأساسات والدعامات اللاهوتية للمثل الصليبية، ومن الضروري لنا أن نستكمل مثلهم الدينية من سياقهم. وتعيننا مؤلفات رامون لول بشكل جيد في هذا الشأن لأن المبادئ اللاهوتية العامة والأفكار التي تدعّم مقترحاته الصليبية المحددة بإمكانها أن تكون موجودة في أعماله الأخرى (3).

⁽¹⁾ - لعدد من السنوات كان المرجع والمقياس الوحيد للحروب الصليبية في الفترة المتأخرة من العصور الوسطى هو كتاب عزيز سوريال عطية. أنظر:

Aziz Suryal (Atiya), Crusade in the Later Middle Ages , Second edition , New York , 1965 .

وهناك دراسات أخرى حديثة تورد بعضاً من هذه الفترة، من أمثلتها :

Sylvia Schein , Fideles Crucis : The Papacy , The West , and the Recovery of the Holy Land 1274-1314 , Oxford , 1991 , Norman Housley , The Avignon Papacy and the crusades , 1305-1378 , Oxford , 1986 .

ولنفس المؤلف أنظر: Christopher J. Tyerman , "The Holy Land and the Later Crusades , Oxford , 1993 , Crusades of the Thirteenth and Fourteenth Centuries" , Crusade and Settlement , Cardiff , 1985 ; Idem , A brief glance at the multivolume History of the Crusades , ed. K. Setton , et al. , Philadelphia , 1969 .

وتكفي هذه المراجع لإظهار المدى الواسع للمواضيع التي بإمكانها تغطية الحروب الصليبية في العصور الوسطى المتأخرة.

⁽²⁾ - مقارنة معينة يمكن أن تكون صعبة للتمييز بين المجال الإصلاحية الجمعي والتشريعي المتبع. مثال من التاريخ الاسباني تحتوي على تشريع يتعلق بالزي المميز للمسلمين واليهود.

⁽³⁾ - هذه الدراسات قد تحتوي على مقدمة دينية أو خاتمة لكن غالباً ما تركز على المعضلات والحجج للمخططات الصليبية. حتى أكثر المخططات التنظيرية كانت هزيلة بالمناقشات الروحية. وبالطبع لم يكن هذا هدفهم في المقام الأول. ومن أمثلة هذه الدراسات أنظر : Pierre Dubois , De Recuperatione Terre Sancte , trans.W.I. Brandt , The Recovery of the Holy

تُعدُّ جهود ومُؤلفات لول أحد أكثر الأمثلة وضوحاً لحقيقة الحرب الصليبية والتنصير المرتبطين بأكثر من أهدافهما. وتوضح النظرة للنشاطات الصليبية ومحاولات التنصير التي حدثت خلال حياته، الظروف التي ساهمت في الفوارق الدقيقة لمقترحات لول، وفي الواقع، سببت آراؤه في هذه المواضيع تطوراً طوال مسيرة حياته. كان على لول ومعاصريه أن يتعاملوا مع فشل البعثات المسيحية لانجاز مهام التنصير على نطاق واسع. وكان عليهم أيضاً تدوين وتسجيل العجز اللافت للنظر للآليات التي يجب على الملوك والباباوات إتباعها لبدأ حملات صليبية فعالة بعد الحملة الفاشلة للويس التاسع على تونس في سنة 1270م⁽¹⁾. مُحاولات المؤلفين المعاصرين لتفسير تعدد حالات الفشل مهمة جداً، لأنهم يثبتون بأن المثال الصليبي كان تعبيراً دائماً للتدين المسيحي في العصور الوسطى في عالم أصبح فيه التبادل الثقافي مشكلة مهمة متزايدة بالنسبة لأوروبا، التي وضحت حدودها وفقاً للطقوس والتعاليم الأخلاقية لديانتها المسيحية.

كانت الحروب الصليبية والبعثات التنصيرية مُرتبطين بشكل جد مُباشر في مقترحات رامون لول. ففي الوقت الذي روج فيه لول لحملة صليبية هدفها فتح الأراضي التي تخضع لحكام مسلمين فإنه شدد في نفس الوقت على فتحها للمبشرين المسيحيين⁽²⁾. كما أصرّ لول على أن تُصاحب الجيوش الصليبية مجموعة من المُبشرين المسيحيين المدربين على التقنيات التنصيرية، وخصوصاً على الفن اللولي. في كتاب "الغاية De Fine"، يناقش بأن هؤلاء المنصرين قد يأخذون على عاتقهم مهمة الرعاية الروحية للصليبيين، وأنهم بإمكانهم كتابة وترجمة الاتصالات بين الجيشين،

Land by Pierre Dubois , New York , 1956 ; Marino Sanudo Torsello , Liber Secretorum Fidelium Crucis , in Gesta Dei per Francos , V.2 , ed. J. Bongars , Hannau , 1611 , reprinted Jerusalem , 1973
Schein , Fideles Crucis , pp.269-270 , lists Lull's crusade treatises.

⁽¹⁾ - هناك توثيق غني يورد بعضاً من حالات التحول التي أنجزت بين المسلمين في ميورقة وبلنسية في القرن الثالث عشر ، أنظر : R.I.Burns , "Christian –Islamic confrontation in the West : the Thirteenth Century Dream of conversion" , American Historical Review , 76 , 1971 , pp.1386-1434.

كم هو عدد المرتدين إذا في الإمارات الصليبية أو في صقلية؟ بعض اليهود أيضاً تحولوا إلى النصرانية والوثائق تؤكد ذلك، لكن قليل من هذه التحولات موثقة، وبعض من هؤلاء شخصيات معروفة مثل باولوس كريستيانى O.P. ، Paulus Christiani ، وربما قصص لول في بلاكورنا وأعماله الأخرى حول تحول اليهود موجهة لهذه النظر. أنظر: Blaquerne , ch.71, ch.75 ، وخصوصاً ch.84 الذي يروي سلسلة من الأحداث المترابطة حول حاج يدمر صليبا مطليا بالذهب لأنه بلغه إحساس بوثنية اليهود والمسلمين.

⁽²⁾ - نجد جملة من الأمثلة الدالة على هذا النهج وبعض الاختلافات عن الخطة الرئيسية في السيرة الذاتية، أنظر : Ramon Lull , Blanquerne , chs. 80-82 , OE , Vol.1 , pp.232-237 ; ch.87 , pp.246-247.

والأهم من ذلك، أنه يمكنهم تعليم وتنقيف الأسرى، سواء من تمّ تنصيرهم أم لا، والذين يمكن استخدامهم في الانخراط في المنازعات والنقاشات الفكرية المتعلقة بالايان المسيحي مع المسلمين. حتى أن بعض المنصرين تم إرسالهم إلى أراضي الحكام المسلمين، ليعرضوا عليهم الثروة المادية، والقلاع والمدن، إذا وافقوا على التحول عن دينهم. في حين أن بعض المنصرين تم إستخدامهم كجواسيس، وفي الوقت نفسه، يمكنهم أن يمارسوا الوعظ في جميع الأراضي التي سافر إليها الصليبيون⁽¹⁾.

تصور لول الواسع لجغرافية الحرب الصليبية يمشي بالتوازي مع مفهومه الايديولوجي الواسع. ومع ذلك، وجب دراسة وفحص أغراض الحملة الصليبية من منظور لول. وكذا مبررات لول. في هذا الإطار، يُعبّر "همبرت رومان" "Humbert of Roman"، في كتابه "المقالة الثلاثية Opusculum Tripartitum"، عن رأيه بصراحة ضد أولئك المنتقدين للحملة الصليبية ممن اشتكوا أن تلك الحروب لم تكن ملائمة للمسيحيين بسبب سفكهم للدماء حتى وإن كانت دماء الكفار الأشرار، لأنها كانت ضد تعاليم المسيح نفسه. ويرسم مقارنة بين سيادة المسيح على جميع أنحاء المعمورة وبين رعاية المزارع لحقل الكروم الخاص به، ويواصل همبرت نقاشه بالقول أنه في بعض الأحيان تجلب بعض الأشياء في اتجاه واحد، وفي وقت معين، ولكن من أجل الحفاظ عليه، فإن سلوك اتجاه آخر يصبح أمر ضروريا. فكما يحتاج العنب إلى الزرع والسقي وأشعة الشمس ليحافظ على إنتاجه وحياته، تحتاج الأرض إلى السيف للحفاظ عليها. في حالة الكنيسة، وما كانت تروج له بواسطة معجزات، ومشاعر القديسين، والعقيدة المقدسة، وليس عن طريق السلطة(الدنيوية)، وجب الآن الدفاع عنها من أعدائها بالسيف ولاشئ غيره. وإذا حدث خلاف ذلك، فإن الرب لن يعطي الكنيسة هذه السلطة⁽²⁾.

⁽¹⁾- أنظر :

Ramon Lull , De Fine , II.6 , pp.282-284 ; Tractatus de modo convertendi infideles , pp.100-101.
ومن المثير للإهتمام ملاحظة إزدراء لول للمسلمين الذين قدموا رشاي للمسيحيين كوسيلة لحثهم على التحول إلى الإسلام، أنظر :

Ramon Lull , De Acquisitione , f.547^{va}

Humbert of Romans , Opusculum Tripartitum , p.191-192.

⁽²⁾- أنظر :

ما يصفه همبرت هنا هو أن المجتمع المسيحي بما تعنيه الفكرة الحديثة غيَّبت السلطة الفاسدة وألغت حضوره. على العكس من ذلك، كان معظم المسيحيين في العصور الوسطى، إشارة على قوة الله، وكانوا بمثابة الهبة منه. ومن ذلك لا ينبغي أن نندهش بأنه في مجتمع يعتبر حقيقة أن اليهود خاضعون للمسيحيين لتكون دليلاً على أخطائهم، السلطة الزمنية للكنيسة و للعالم المسيحي كمن اكتسب القوة الجدلية بكاملها (1).

يتوافق فهم لول للحرب الصليبية بشكل كبير، مع الافتراضات اللاهوتية التي تقبع وراء حجة همبرت. فإذا لم تكن الأساليب السلمية فعالة في إحداث الوحدة المسيحية، عندئذ يتم اللجوء إلى القوة. لقد رأينا هذا في منهج لول الموجه للاغريق. الذين في حالة رفضهم وعدم اقتناعهم بحججه القوية وإستمرارهم في الانشقاق، فإن حجم الضرر الذي يوقعونه بالإيمان المسيحي يفوق حجم الضرر الذي يحدثونه إذا تمّ إقناعهم عن طريق استخدام القوة. لكن هذه قضية هامشية خاصة إذا تعلق الأمر بالمسلمين حينها يصبح لول أكثر دهاء، ويظهر بجلاء غرض الحرب الصليبية، التي ستجز خدمة للبعثات التصيرية، وأن عدم رغبة المسلمين في إعتناق المسيحية لهو العامل الوحيد الذي يبرر الحملة الصليبية.

في الواقع، يُناقش لول في كتاب الغاية "De Fine"، فكرة أن الحرب الصليبية هي عمل له صلة بالحب، ويقتبس عن إنجيل متى 22:37 ويقول: "مكتوب في الوصية الأولى: سوف تحب سيدك إلهك من كل قلبك ومن كل روحك ومن كل قوتك. وبالتالي السيد البابا، وأيضا السادة الكرادلة يجب أن يتنازلوا عن عشر الكنيسة لاسترداد الأراضي المقدسة. ونظرا لأنه يمكنهم فعل ذلك، لصفة هذا العمل الجيد، فأى شئ محمود موصى به كما في الأعلى" (2). ويختتم لول هذا القسم من أطروحته الصليبية بالقول أن هذا التنسيق جيد، وممكن، وأنه ينبغي أن يتم وفقا لمبدأ من مبادئ الله التي سبق ذكرها. "وإذا لم يتم قبول ذلك، فإن الخطر عظيم للغاية، لأنه أمر من

⁽¹⁾ - أنظر بعض الامثلة على هذه الحقائق في :

Ramon Lull , Felix , I , trans. A. Bonner , Selected Works of Ramon Llull , Vol.2 , pp.710-711.

Ramon Lull , De Fine , II.1 , p.271.

⁽²⁾ - أنظر :

قبل الله" (1). وقد تولى لول هذه المهمة لتنفيذها حرفياً بكل ما أوتي من قوة، وحسبه في ذلك حب الله على ما يزعم، وذهب إلى المرافعة عنها ببلاغة متناهية أمام البابا وكرادلته من أجل إنجاز مقترحاته.

لقد كان واضحاً أن إهتمام لول إنصب في المقام الأول على البعثات التنصيرية، بينما احتلت الحرب الصليبية إهتمامه الثاني وأحياناً كان إهتماماً عرضياً يخدم هدفاً أكبر وأداة إضافية تُوفر بالأساس فرصاً لتسهيل عملية تنصير المسلمين منهم. هذا وكان لول مُهِتماً بخلاص الأرواح أكثر من الغزو العلماني، وعلى الرغم من أن استعادة الأراضي المقدسة هي في الأساس اكتساب مادي، فإن استردادها كان أكثر أهمية لقيمتها الرمزية، وقد خلد لول القول المسيحي المأثور "عالمنا ينتمي إلى الله" إضافة إلى أنها توسع للعالم المسيحي بالمعنى المجرد، أكثر مما هي توسع إقليمياً.

من أجل تحقيق هدفه المرام، أظهر لول مرونة في خطابيته وفي جهوده الأولى. حيث أشار المؤرخ "هيلجارث J.N. Hilgarth" إلى أن لول دعا إلى أفكاره في أشكال متعددة منها: في الأطروحات الفلسفية العلمية، وفي "الشعر الهزلي"، ومن دون شك أن لول ولد وعاش وشعر التروبادور يدغدغ مسامعه، وفي أعماله الصوفية، وفي العرائض المقتضبة، وكذا الرسائل الشخصية (2). فضلاً عن أنه من الواضح تماماً بأن لول كان أيضاً مرناً بشأن تكتيكات وتقنيات التنصير.

من المُنصف القول بأن الحرب الصليبية أخذت هذه العوامل المساهمة وقامت بتركيزهم على طريق جديد ومحتال. فخلال الاتصالات الجديدة للحرب الصليبية مع المسلمين، ومع التحالفات الممكنة ضد المسلمين، خاصة مع التتار. أصبح المسيحيون على دراية واسعة بوجود

⁽¹⁾ - أنظر :

Ramon Lull , De Fine , II.1 , p.271.

⁽²⁾ - أنظر :

J.N. Hillgarth , "The life and Significance of Ramon Llull in the Context of the Thirteenth Century" , paper given at the Simposi Internacional Ramon Llull , Valencia , 27 October 1993.

شعوب أخرى غير مسيحية وليسو مسلمين أيضاً⁽¹⁾. وقد تكشّفت خصائص الحركة التنصيرية في عهد لول من خلال مظهرين، الأول: الاستجابة التفاضلية للاحتمالات الرائعة لتوسع مملكة الرب، والثانية: الموقف الدفاعي المستعجل لحماية المسيحية ضد الأعداد المهولة لغير المسيحيين. ومثلما فعلت الحرب الصليبية، قامت الحركة التنصيرية بالترويج لكل من الغرض الدفاعي وتوسيع نشر الإيمان المسيحي⁽²⁾.

إذا كانت الحرب الصليبية قد ساعدت على ميلاد فصل جديد في الحركة التنصيرية المسيحية، فهل بوسعنا القول أيضاً بأنها حلت محلها؟ أولئك الذين يجادلون بأن الحماس للبعثات التنصيرية حل محل الإهتمام بالحروب الصليبية يميلون إلى إسناد حُججهم على مجموعة صغيرة نسبياً من الوثائق المتنوعة الأصناف. أولاً: تلك المؤلفات التي تعبر عن معارضة الحملات الصليبية العنيفة وبدلاً منها تؤيد الطرق التنصيرية السلمية. ثانياً: المؤلفون الذين رأوا حالات الفشل المتكررة للحملات الصليبية واقترحوا بأن البعثات التنصيرية قد تكون وسائل أكثر فعالية للتعامل مع المسلمين. ويُناقش "ريتشارد سوزن Richard Southern" هذه الأفكار ضمن سياق ما يراه عصراً جديداً من التفاوض والأمل بخصوص التحويلات المحتملة للمسلمين إلى المسيحية⁽³⁾.

في هذا الإطار، لا ينبغي التقليل من قدر قوة الحجج المقدمة من قبل نقاد الحملات الصليبية، ولا حتى الحجج التي قدمها دعاة الخطاب السلمي مقابل الحملات الصليبية العنيفة ضد غير المسيحيين، خاصة في ضوء عدم التقليل لعمق الأصول اللاهوتية للحرب العادلة في الدعاية الصليبية. في الممارسة المسيحية، كما في اللاهوت المسيحي، فالإختيار بين العنف والسلم كان واضحاً جداً، لكنه لم يكن دائماً قابلاً للتطبيق في المجتمع الأوربي في العصور الوسطى.

⁽¹⁾- أنظر : Hillgarth , Lull and Lullism , p.12.

⁽²⁾- للمزيد عن حوصلة عامة للمدى الذي وصلته الحركة التنصيرية، والمنظمات التي قامت بهذه الحركة، وأهم الأسماء والتواريخ الرئيسية التي إرتبطت بها، أنظر:

Marshall Baldwin , "Missions to the East in the Thirteenth and Fourteenth Centuries" , in Setton et al. , eds. , A History of the Crusades , vol.5 , Madison , 1985 , pp.452-518.

⁽³⁾- سوزن (ريتشارد) ، مرجع سابق ، ص ص. 122-87.

نفس الأفكار الدينية حول التدين، والممارسة التكفيرية للذنب، والتعبير عن الاعتقاد المسيحي الذي شغل الوعظ للحرب الصليبية، كلها وجدت في الممارسة التنصيرية المسيحية قبل الحروب الصليبية وتواصلت بالتزامن مع الحملات الصليبية. في أواخر القرن الثالث عشر بدا الاختلاف بين الحركتين، لكن ورغم ذلك، برزت قضايا ملحة دعت إلى تكميل وتنميط كل حركة للأخرى. ففشل الحملات الصليبية المتكرر حفز الإهتمام في إيجاد حلول بديلة، لكن ومثلما كان متوقعا، فإن فشل المسيحيين في تنصير المسلمين واليهود الذين يعيشون بينهم ساهم في تواصل الشعبية الدائمة للحروب الصليبية.

استعداد لول لتعزيز قوة الحركة الصليبية بالإضافة إلى أساليب الإقناع السلمي هي أمثلة أكثر وضوحاً لهذه المرونة. لذلك، فقد حاول بشكل جد عملي دمج التطلعات العلمانية للحكام المسيحيين داخل مناشداته الأخلاقية والروحية من أجل جعل مقترحاته ممكنة وأكثر قبولا⁽¹⁾. جهود لول المبتكرة والمتنوعة لتنصير معظم سكان العالم، دفعت الباحث المتخصص في الدراسات اللولية "مارك جونستون Mark Johnston's" إلى القول بأن ذلك أدى في بعض الأحيان إلى وجود ارتباطات تركيبية للأفكار والتي غالبا ما استحضرها لول كعقيدة جديدة⁽²⁾. بالنسبة للول، كان التنصير مهمة تتجز من قبل المسيحيين المؤمنين في خدمة أحسن غرض وهو الخير الأعظم والذي من أجله تم خلق البشرية. ويعتمد الفهم الحقيقي لأفكار لول حول البعثات التنصيرية، ناهيك عن الحرب الصليبية، على فهم كيفية ارتباط الجهود التنصيرية بهذا الخير الأعظم.

يُعتبر مؤلف لول "كتاب الغاية De Fine" الذي عالجا محتواه في فصل سابق، الأطول والأكثر تفصيلا لأطروحاته حول الحروب الصليبية. ففي مقدمة هذا العمل، يشير لول إلى العلاقة بين الحملات الصليبية والتنصير المسيحي السلمي. يقول القارئ (في الواقع خلال هذه اللحظة هو يخاطب الإله) بأنه يثبت للبابا، وكرادلتة، والأمراء الآخرين للعالم، كتابة وشخصيا على حد

⁽¹⁾ - أحد الأمثلة الملموسة على ذلك هو استعداد لول في نصوص مختلفة مناشدة كلا من خايمي الثاني ملك أراجون وفيليب الرابع ملك فرنسا ونظر إليهم كقادة منطقيين لحملة صليبية دولية محتملة.

⁽²⁾ - أنظر : Mark D. Johnston , "Ramon Llull and the Compulsory Evangelization of Jews and Muslims", in Larry Simon , ed. Burns Festschrift , Leiden , 1995.

السواء، وبقدر ما يستطيع على الوجه الأحسن، الوسائل التي يمكن من خلالها، تحويل الكفار واستعادة الوحدة للإيمان الكاثوليكي عن طريق استرداد القبر المقدس جنبا إلى جنب مع القدس والأراضي المقدسة"⁽¹⁾.

يظهر من مخطط الكتاب كذلك، أن الحرب الصليبية تلعب دورا ثانويا فيه. في التمييز الأول لهذا العمل يكرر لول ذكر مخططاته للدراسات التنصيرية والخطوط العريضة لمختلف الحجج، وترتكز كلها على فنه الأعظم، والتي بموجبها يمكن أن يقتنع المنشقون والكفار بعقلانية الحقيقة العقائدية المؤيدة من طرف الكنيسة الرومانية. تحتل الحرب الصليبية المركز الثاني، ويتم عرض موضوعها فقط بعد يشرح لول وبشكل بليغ و جد ملح الوضع الذي تعيشه المسيحية. ولا يعتذر لول هنا عن استخدام القوة ضد غير المؤمنين بالمسيحية. ومثله مثل همبرت رومان، لا يرى أمام ناظره سوى سطوة القوة التي يعتبرها أداة مشروعة للكنيسة. في الواقع، يقدم تمييزه عن الحرب الصليبية على النحو التالي: " وهذا التمييز (على البعثات) يدل على السيف الروحي، وهي الحقيقة ضد الباطل، والجهل والخطأ". ثم يتبعها بمناقشة السيف الثاني، أي الجسدي، ويمجد أن يندمج الروحي والجسدي في الشخص، فهذين السيفين يكفيان⁽²⁾.

على الرغم من هذه الفكرة قد تبدو حيلة بلاغية بيانية فقط، إلا أن فكرة السيفين هذه مهمة لفهم العلاقة بين البعثات التنصيرية و الحروب الصليبية في فكر لول. إنطلاقا من لمحة عامة بشأن الموضوعين، من الواضح أن لول يعتبر أن الحروب الصليبية موضوعة لخدمة البعثات التنصيرية، أو كالمصطلح الذي يستخدمه المؤرخ "بينيامين كدار" الصليبية لترقية التنصير"⁽³⁾. وهذا جلي في دراسة لول المعنونة بـ " Phantasticus"، والتي كتبها خلال انعقاد مجمع فيين، حيث يقول في حوار متخيل (نقاش وهمي بين رجال الإكليروس ورامون): " لدى الكنيسة العالمية الكاثوليكية سيفان اثنان، كما هو مذكور في الإنجيل، زمني، يفيد المعنى الشائع المتداول، أي سيف جسدي، وهذا حرفيا السيف الأول، وآخر روحي، وهو سيف المعرفة

Ramon Lull , De Fine , prologus , p.251.

⁽¹⁾- أنظر :

Ibid. , p.269.

⁽²⁾- أنظر :

Kedar , Crusade and Mission , pp.189-199.

⁽³⁾- أنظر :

والتفاني أو العلم والعبادة. ومع وجود هذين السيفين، فالكنيسة لديها ما يكفي لقيادة جميع الكفار إلى طريق الحقيقة. إذ ينبغي أولاً أن يرسل البابا رجالاً حكماء ومتعلمين، على استعداد لتحمل الموت، إلى السراسنة (المسلمين) والأترار والتتار، لإظهار أخطاء الكفار وتنويرهم بحقيقة الإيمان الكاثوليكي المقدس، بانتظار أن يتقدموا من تلقاء ذاتهم إلى المعمودية. أما في حالة المقاومة العنيفة، يتعين على البابا إزاء استخدام السيف العلماني ضدهم. هذا النظام مسموح به ومطلوب، إن ثار ضده أي شكل من الأشكال الحماقة واللوم"⁽¹⁾.

وعن الفكرة الواردة في هذا النص، يقول "جوزيف لوكير"، أنه لا يلزم عنها إطلاقاً أن إكراه غير المؤمنين على الإيمان أمر واجب في حال فشل البعثات السلمية، لكن رامون لول ينصح، على غرار القديس توما ⁽²⁾، بعملية إخضاع سياسي لأولئك الكفار الذين يقتلون المرسلين ويضطهدون المسيحيين. وهذا الإخضاع لا يُجبرهم على الإيمان بل يترك الحرية، فقط، لجماعة الذين يعظون بالإنجيل ⁽³⁾.

يستخدم "بينيامين كدار" الفقرة السابقة، لمناقشة فكرة أن لول يؤمن بالتنصير القسري ⁽⁴⁾. ولكن وجهة النظر هذه تحتاج إلى رؤية أخرى. فبالنسبة للول، العلاقة بين الإقناع السلمي والقسري هي علاقة جد دقيقة ويجب أن تكون مفهومة في سياق أوسع من المثل العليا التي تُبلغ عن فكره. في الواقع، فقد كانت كل من أنشطة البعثات التنصيرية والحروب الصليبية تضطلع لخدمة قضية أعظم وهي تنصير البشرية. ولأن لول تحرّى المثالية، فإنه كان لديه الكثير من الثقة في إمكانات "فنه الأعظم" للإقناع الفكري، وهو أمر جعله يأمل بالنهوض بالقضية المسيحية فقط عن طريق

⁽¹⁾- أنظر : Ramon Lull , Disputatio clerici et Raymundi Phantasticus , IV , p.28.
تجدر الإشارة إلى أن العديد من المعاني المجازية للكلمة اللاتينية " ensis " تشمل "الحرب" و "النفوذ الملكي".

⁽²⁾ - يبين القديس توما الاكوييني، في معرض النص والإرشاد، أن الخضوع السياسي المفروض على غير المؤمنين لا يمكن أن ينشأ عنه ارتداد قسري، بقوله : "علينا ألا ندفع بالوثنيين إلى الإيمان دفعاً، لأن الإيمان فعل إرادي. إنمّا يمكن إرغامهم، بوساطة المؤمنين، على عدم اعتراض الإيمان بشنائهم ومحاجاتهم الفاسدة أو اضطهاداتهم العلنية. لذا كان المؤمنون غالباً ما يشنون الحرب على الكفار، لا من أجل إكراههم على الإيمان - (فإنهم، بالرغم من إبقائهم أسرى بعد إخضاعهم، كانوا يتركون لهم حرية الإيمان متى شاؤوا) - بل من أجل إرغامهم على عدم اعتراض الإيمان بالمسيح". أنظر: لوكير (جوزيف) ، تاريخ التسامح في عصر الإصلاح ، تر. جورج سليمان ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2009 ، ص.115.

⁽³⁾ - نفسه ، ص.116.

⁽⁴⁾- أنظر : Kedar , Crusade and Mission , pp.197-198.

الوسائل السلمية. لكن لول اتسم بالواقعية حينما إعترف بأن السلطة الأرضية (الزمنية) كانت ضرورية في بعض الأحيان وإعتبر توافر تلك السلطة في يد الكنيسة بمثابة الهدية من الله. وهذا هو المغزى من استخدامه الاستعارة الخاصة بالسيفين الروحي والجسدي في "كتاب الغاية" وأعماله الأخرى.

في بداية "كتاب الغاية"، يوظف لول استشهادات دينية جد هادفة لربط عدة أفكار رئيسية من أجل فهم العلاقة بين التصير والحرب الصليبية في فكره : الاستخدام المكمل والمتمم لبعضه البعض لكل من الإقناع والقوة ضد غير المؤمنين بالمسيحية، الوضع المسيحي الذي يتطلب مطالب ملحة، وفكرة أن يتم إنجاز هذه الأنشطة كعمل من أعمال الحب . يقول لول في هذا الصدد : " ثم قال الحواريون للمسيح (لوقا 22:38) : أنظر، ها هنا سيفان. أجب، إنهما كافيان. ومن خلال هذا الحوار فهو موضوع سابق يخبر عن وجوب القتال عن طريق الوعظ وبواسطة السلاح ضد الكفار. وأنت لا تعرف أن المسيح قال (متى 12:30) : من ليس معي ، فهو ضدي. وأنه قد أمر بهذه المهمة على نحو مجازي، بقدر ما قال (متى 22:37) : أحب سيدك إلهك من كل قلبك، وروحك وقوتك" ⁽¹⁾.

تتزايد حدة فكرة أن السيفين الروحي والجسدي هي هبات إلهية من خلال حقيقة أن لول يشير أيضا إلى هذين السيفين ككنزين روحي وجسدي. وهي المصطلحات التي يستخدمها لول في عريضته المقدمة إلى البابا سلسنتين الخامس المتعلقة بتحويل الكفار. في هذا العمل الموجز، يطلب لول من البابا أن يفتح خزانة الكنيسة المقدسة حتى يتسنى لجميع من أخطأوا أن يلتمسوا ضوء الحقيقة ويتبعوا الغاية التي خلقوا من أجلها. ويتضمن الكنز الروحي إعداد المنصرين ومن

⁽¹⁾ - ورد في كتاب الغاية ما نصه باللاتينية : "

" Et iam dixerunt apostoli Iesu Christo (Luc. 22,38) : Ecce , hic duos gladios. Et ipse respondit : Sufficiunt. Et per hoc fuit figuratum , quod bellare deberetis cum praedicatione et cum armis contra homines infideles. Et nescitis uos , quod christus dixit (Matth. 12,30) : Qui non est mecum , contra me est? Et quod ipse praecepit dictum negotium figuratiue , in quantum dixit (Matth 22,37) : Dilige Dominum , Deum tuum , ex toto corde tuo , etc.? "

Ramon Lull , De Fine , I.1 , p.255.

أنظر :

الوعظ، أما الجسدي فيشتمل على تحصيل العشور لغزو أراضي الكفار والأراضي المقدسة بقوة السلاح. وينبغي أن تتواصل كلتي المهمتين حتى يصبح العالم بأكمله مسيحياً (1).

في كتاب "استرجاع الأراضي المقدسة"، يُدخل لول شيئاً مميزاً إضافياً في هذه الاستعارة، وهنا يتحدث عن الكنز الثلاثي الأضعاف : المالي، الجسدي والروحي (2). في متن النص، ينقسم الكنز الجسدي إلى أسلحة وعشور. تحسين وتهذيب لول لهذه الاستعارة في "كتاب استرجاع الأراضي المقدسة" وتكراره لها في كل مرة، هي إشارة أخرى إلى أن هذه الفكرة جزء لا يتجزأ من فكره حول مشكلة العنف بدل أن تكون أداة أدبية محضة. علاوة على ذلك، إشارته لثروة الكنيسة، والتي يجب أن توجه نحو قضية التنصير والحرب الصليبية، ويشير إلى علاقة التكامل بين هذه المساعي وإصلاح الكنيسة. أخيراً، يسمح لاهوت العصور الوسطى بتفسير إستعارة السيفين ليشمل مفاهيم العتاب الروحي، والعقاب المادي والقوة القسرية. مثل هذا التفسير الواسع يعطي دعماً إضافياً للفكرة القائلة بأن الحرب الصليبية يمكن أن تكون عملاً يكرس الحب (3).

⁽¹⁾ - جاءت هذه الفكرة في النص القطلاني للعريضة كما يلي:

" Aquest tresor de sancta esgleya conciram en dues maneres : tresor speritual e tresor corperal. Espiritual , quels sants hòmens religiosos e seglars , qui per nostre senyor a honrar desígien pendre mort e qui són de doctrina sacra illuminats , apreessen diuerses lengatges qu anassen prehicar los euuangelis per tot lo món Lo tresor corporall és que uós , pare sant apostoli, e vós , seynors cardenals , assignásets per tots temps la dècima de la esgleya , e que n fos feta decretal , a conquerre les terres dels infeels e la sancta terra d'oltramar . E assó per forsa d'armes".
أنظر:

Ramon Lull , Petitió de Ramon al Papa Celestí V per a la conversió dels infidels , ed. Perarnau , pp.32-35.

⁽²⁾ - أنظر : Lull , De Acquisitione , II.6 , f.547^{ra}.
من المحتمل أن هذا التقسيم الإضافي لخزينة الكنيسة يعكس الواقع الاجتماعي في زمن لول، أي الطبقة الوسطى الصاعدة. وخلال هذه الفترة، تم منح صكوك غفران الحملة الصليبية مقابل تبرعات ومساهمات نقدية للحملة. وفي الواقع، كان لهذا الجانب المالي أهمية متزايدة كما إعتمدت الكنيسة أكثر فأكثر على جنود محترفين مدفوع لهم لتنفيذ الحملة الصليبية. ولذا يمكن أن تكون التبرعات المالية صادرة من الطبقة الوسطى تحت طائلة "أعمال الله negotium Dei" بينما الفرسان يقاتلون، ورجال الدين يعطون.

⁽³⁾ - أنظر : G. Lander , "The Concepts of Ecclesia and Christianitas and their Relation to the Idea of a Papal Plenitudo Potestatis from Gregory VII to Bonifacio VIII" , Sacerdozio e regno da Gregorio VII a Bonifacio VIII , Rome , 1954 , pp.57-58 ; Jonathan Riley-Smith , "Crusading as an Act of Love" , History , 65 , 1980 , pp.177-192.

وحول إمتداد هذه الفكرة إلى الحرب السياسية، أنظر :

E. Kantorowicz , " Pro patria mori in Medieval Political Thought " , American Historical Review , 56 , 1950-1951 , p.482.

يَدَّعي لول في "كتاب استرجاع الأراضي المقدسة"، بأن الأمور الثلاثة بحاجة ماسة إلى الحكمة، السلطة والحب من أجل إسترداد الأراضي المقدسة (1). ويمكن ملاحظة العديد من حالات إعترافه المُتقطع بدور السلطة في إنجاز مُهمة جلب العالم بأكمله لإحتضان حقيقة الإيمان المسيحي . مع ذلك، من المُهم إدراك أن مسألة العلاقة بين الإقناع السلمي واستخدام القوة حدثت لرامون لول في أكثر من مُناسبة حيث خاطب المشكلة بشكل مباشر. وكمثال على ذلك، في "كتاب البحث عن المزامير 'Liber super Psalmum 'Quicunque Vult'" ، تسأل أساليب لول بعضها البعض فيما إذا كان تحويل الكفار عن طريق الأساليب الرسولية ذا فائدة للكنيسة أو إخافة الكفار بواسطة قوة السلاح وتحويلهم هو أكثر منفعة للكنيسة. وبشكل ملحوظ، يترك لول هذا الاستفهام دون إجابة (2).

في الواقع، انطلاقاً من رأي لول السابق، يرى "نورمان هاوسلي" أنه يمكن الوصول إلى استنتاج مؤداه أن نقص السلطة Potestas، لا نقص الإحسان Caritas هو من ساهم في إخفاق مشروعات الاستعادة الصليبية. ولشرح السبب في هذا، يجب أولاً تحديد بعض مظاهر التقدم الهائلة التي حدثت في مجال التنظيم العسكري والدعم المالي، وقد شكّلت مع الأطروحات التي تتضمن خططا صليبية، تراثاً اعتمد عليه مجمع ليون والتخطيط المحموم لشن حملة صليبية على مدى نصف القرن التالي. وثمة ممارسة كانت تبرز بالتدريج في الشؤون الصليبية، ومع أنها كانت أقل من حيث توجيهها وكفاءتها من تلك الصليبيات التي صورها بعض المنظرين، فإنها كانت أكثر انسجاماً من اتجاهات الشؤون الحربية المعاصرة، ومن ثم كانت أكثر احتمالاً للنجاح. وثمة حركة تجاه التجنيد التعاقدي، بكل مميزاته في ضوء السيطرة والاعتماد يمكن أن تراها بوضوح في تخطيط صليبيات كل من إدوارد الأول، وشارل الرابع، وفيليب السادس (3).

(1) - أنظر :

Lull , De Acquisitione , prologus , f.544^{vb} : " Ad acquirendum Terram Sanctam tria maxime requiruntur , videlicet sapientia , potestas et caritas ...".

(2) - أنظر :

Ramon Lull , Liber super Psalmum 'Quicunque Vult' sive Liber Tartari et Christiani , pars 35 , "De baptizazione Tartari" , n.10 , M.O.G., Vol.4 , p.376.

(3) - هاوسلي (نورمان)، مرجع سابق ، ص.150.

لقد كان هناك تقدير متزايد لأهمية الاستخدام الكامل لتفوق الغرب في البحر، مثلما قرره لول، وليس فقط في ضوء الحصار البحري المفروض على الأراضي المملوكية. وقد أعطيت الأهمية الواجبة لجمع المعلومات، والتجسس وزراعة الحلفاء بين القوى المحايدة. وتم تقدير الحاجة إلى تعدد الأساليب في التعامل مع الظروف المتغيرة والأعداء المتغيرين، وكان من المتوقع تقديم الخبراء في الحصار الحربي. وفوق هذا وذاك، تمت إمالة التوازن بين الديني والعسكري، في حالة دخول الحملة الصليبية إلى ساحة القتال، لصالح العسكري بشكل حازم، للدرجة التي لم تحدث حتى في حملات لويس التاسع (1).

في رواية "Blanquerna"، يُذكر لول بأن السلطان أوفد رسولا إلى البلاط البابوي ليندهش بأن المسيحيين يستعملون القوة لتحويل غير المؤمنين بالمسيحية تماما مثلما يفعل المسلمون (رغم أنه في عقيدة المسلمين لا إكراه في الدين). هذا ما ألهم البابا لتنظيم مؤسسات تنصيرية على نطاق واسع (2). لكن نفس العمل، في فصلين اثنين فقط، يحكي عن فارس ذهب لقتال بعض المسلمين الذين أستهبد على أيديهم في ذلك الحين فيلسوف وواعظ. وعانى الفارس بدوره من أجل الاستشهاد، "وهو يسبح الله في ساحة الحرب". ثم يطرح سؤال على شاكلة من خدم الله بشكل مثالي وأحسن، الفيلسوف، الواعظ أم الفارس. لأن المناقشة التي تلت ذلك ولدت الكثير من موجات التقوى، لذا قرر البلاط البابوي عدم الإجابة عن هذا السؤال (3).

من الأمور المتعلقة بهذه المسألة، قضية فشل الحروب الصليبية في زمن لول. حيث يتناول هذا السؤال بشكل مباشر، ويكتب في "Liber de contemplació" كتاب التأمل "ما نصه: "أرى الكثير من الفرسان يذهبون إلى الأراضي المقدسة تحذوهم فكرة غزوها بقوة السلاح، وفي النهاية يدمرون كل شيء بدلا من تحقيق الهدف الذي سعوا من أجله. من هنا،

¹ - نفسه.

Ramon Lull , Blanquerna , ch.80 , p.229.

² - أنظر :

Ibid , ch.82 , pp.236-237.

³ - أنظر :

يعالج عمل آخر هذه المسألة بشكل مباشر، أنظر: Lull , Ars iuris. وانظر كذلك المقتطفات التي حررها بنيامين كدار : Kedar , Crusade and Mission , pp.225-228.

يبدو لي أن اكتساب الأراضي المقدسة واجب بدل الطريقة التي قمتم بها، أه إلهي، وحواريك، مع الحب والصلوات، ينهمر الدم والدموع" (1).

لكن الفقرة السابقة، تقدم في سياق المناقشة المتعلقة بشأن الدور المناسب للفرسان في العالم. وأحد واجباتهم "مُحاربة المسلمين والهراطقة الذين يرغبون في تدمير العقيدة الرومانية المقدسة". ويستفيض لول في الكلام مُقراً بأنه مثلما يتمثل دور رجال الدين في تسبيح الإله والصلوة نيابة عن الناس، فإن لدى الفارس واجب القتال من أجل الإيمان (2). ويبدو واضحاً أنه على الرغم من أن الأسلوب المُفضل للتصير هو الطريقة الرسولية، فإن استخدام القوة في شكل حرب صليبية لا يمكن التغاضي عنه تماماً.

يُفسّر لول فشل الصليبيين في إستعادة الأراضي المقدسة، وازعاً أمامه حقيقة أن هناك الكثير من الكفار في العالم يفوقون عدد المسيحيين بأضعاف مضاعفة، في كتاب الـ "Phantasticus"، حيث يعطي لول عدداً من أسباب الفشل، منها إمكانية وقوع الفشل بسبب أنانية الصليبيين الذين يُحاولون الحصول الاستفراد بالأراضي المقدسة لأنفسهم وليس من أجل الإله، وبالتالي فإن دوافعهم مجوجة وفاسدة. سبب آخر عدده لول هو إمكانية أن الصليبيين لم يتم إعدادهم لمهتهم بشكل صحيح. فضلاً عن ذلك، أنه حتى المنصرون أنفسهم كانوا غير مستعدين، ولا يعرفون لغتهم الخاصة بشكل سليم (3).

(1) - أنظر :

Ramon Lull , Libre de Contemplació , Vol.3 , ch.112 , no.10 ; O.R.L. , Vol.4 , pp.58-59.

(2) - أنظر : " Los cavallers , : " Los cavallers , ch.112 , no.29 , O.R.L. , Vol.4 , pp.62-63 : " Sènher , se combaten ab los infeels e ab los heretges qui volen destruir la sancta fe romana . On , benahuirats son tots los cavallers qui son obedients a sanc Esgleya : car enaxí , Sènher , com los clergues an offici de vos a loar e a pregar per lo poble , enaxí los cavallers an offici ques combaten per la fe romana " .

قارن هذه الفكرة وبين تلك التي وردت في مؤلف لول "كتاب هيئة الفرسان Libre del Orde de Cavallería" ، أين يصرح أنه مثلما تم إختيار رجال دين من قبل الله للحفاظ على الإيمان المقدس عن طريق الكتاب المقدس والحجة، فإن الله يختار أيضاً فرساناً لقهر الظالمين بقوة السلاح. أنظر:

Lull , Libre del Orde de Cavallería , II , Libre del Orde de Cavallería , ed. Mateu Obrador i Bennassar, O.R.L., Vol.I , Palma de Mallorca, 1906 , pp.212-223.

(3) - أنظر: Lull , Phantasticus , Vol.5 , p.29 ; Ibid , De Fine , I.1 , p.254. وحول نفس الإهتمام لتكيز لول على نية الحق والإعداد المناسب، أنظر: Ricoldo Da Monte Croce , Libellus Fratris : Ricoldi ad Nationes Orientales , in A. Dondaine , ed. , " Ricoldiana. Notes sur les œuvres de

يرجع لول في كتابه "De Consilio"، سبب حالة التخلف التي يعيشها العالم، بما يعيشه من حكم الكفار للأراضي المقدسة، وفشل الصليبيين في إستعادتها، إلى الضعف الكبير الذي عانى منه جزء من الأمراء والأساقفة الذين اتبعوا النصح والمشورة السيئتين، وسمحوا لأنفسهم بالانحراف عن الغرض الحقيقي⁽¹⁾. ويظهر لول أكثر صراحة، في كتاب استرجاع الأراضي المقدسة، حيث يقر بأن الفشل هو نتيجة للسلوك الآثم⁽²⁾.

كان لول مرنا ثم مُتطرفا في نهجه المتبع فيما يخص البعثات التنصيرية، إذ أنه تبنى تشكيلة واسعة من الأساليب، بداية من المناظرات والسجلات السلمية إلى مرافقة الدعاة التنصيريين للجيش الصليبي. إمتدت هذه المرونة إلى تطرفه في مخططاته الصليبية التي أعطت دليلا على واقعيته، ودهائه السياسي، وفهمه للإستراتيجيات العسكرية وغيرها من جوانب الدعاية الصليبية المعروفة في عصره. ومثل المنصرين، كان على الصليبيين أن يكونوا على إستعداد لمُعانة الاستشهاد من أجل المسيح. المثل الدينية العليا التي بلغت عنها مقترحات لول أملت بأنه تبنى تصورا واسعا للحرب الصليبية، جغرافيا وأيديولوجيا.

أخيرا، في ذهن لول، كانت البعثات التنصيرية والحروب الصليبية مرتبطين بطرق مختلفة. ولم يناقش لول الحرب الصليبية دون الدعوة أيضا إلى التنصير السلمي. علاوة على ذلك، على الرغم من أنه دعا إلى حملة صليبية خدمة للبعثات التنصيرية، فإن فكره أكثر تعقيدا ودقة من هذه الفكرة. فالإفتراضات اللاهوتية والدينية التي ميزت مفكري ورجالات العصور الوسطى الأوروبية، هي من حددت مخططات لول الصليبية والتنصيرية والتي انعكست على فكره وجهوده ككل. ويبدو

Ricoldo da Montecroce", Archivum Fratrum Praedicatorum , 37 , 1967 , "Regule generales" , pp.168-170.

⁽¹⁾- أنظر:

Ramon Lull , De Consilio , prologus , R.O.L. , Vol.10 , p.120 ; Ibid , II.6.186 , p.214.

وأنظر أيضا:

Ramon Lull , De Praedicatione , 37.II.2 , R.O.L. , Vol.5 , pp.145-146 ; Ibid , Liber Clericorum , "Hec ait Remundus" , O.R.L. , Vol.1 , pp.385-386.

Ramon Lull , De Acquisitione , II.2 , f.546^{va}.

⁽²⁾- أنظر :

المؤرخ "بنيامين كيدار Benjamin Kedar" مُصيباً إلى حد كبير حينما يؤكد بأن رأي لول حول الحرب الصليبية تغير طوال حياته (1).

على أن بنيامين كيدار ليس مُحققاً تماماً عندما يشير إلى أن لول كان متناقضاً. والقضية هنا تحتاج إلى تأكيد على الأقل. فبالنسبة لرامون لول، كانت الحرب الصليبية أداة، وهو يقصد بأنها نهاية عظيمة أكثر منها نهاية في حد ذاتها. والأكثر أهمية، هو أن المُثل الدينية تُمثل حجر الأساس لمخططات لول الصليبية والتتصيرية وتمدهم بوحدة ثابتة راسخة في فترة أطلق عليها المؤرخون "عصر الإيمان".

الخاتمة

لا شك أنّ رامون لول، يندرج ضمن الشخصيات الدينية المثيرة للانتباه والاهتمام في العالم المسيحي لما تركه من بصمات ملحوظة على التراث الروحي للكنيسة الغربية اللاتينية من جهة وعلى تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية من جهة أخرى. إنّ رامون لول، بأفكاره وكتاباتاته ومخططاته ومساعيه، قد حقّق التميّز الساطع واستحقّ فعلاً لقب "أعجوبة عصره".

لقد برز لول في عصر كان عالم المتوسط يموج وقتئذ بتطورات سياسية حاسمة، والحركة الصليبية قد وقب غسقها أو طويت صفحاتها كطي السجل للكتاب. ولا يُمكن فصل تألق لول عن هذه المرحلة الزمنية الفارقة (القرنين 13 و 14م) وفي خضمها أبى لول إلا أن يطبع تاريخ الصراع الإسلامي المسيحي بطابعه الخاص، ليُصبح هذا المسعى "نموذجاً لولياً" بحتاً، تجلّت ملامحه في النهج الذي ارتضاه لنفسه بُغية مُقارعة المسلمين وتطوير نفوذهم حيث ما وُجد. وفي ظله، أبدى لول حرصاً بالغاً على ضرورة الجمع بين فُطبي السيف والقلم والعنف والتبشير ويحدوه في ذلك يقين مؤكد بأنّ أسلوب الوعظ والإرشاد، نتائجه ستكون مضمونة وسيُفضي لا محالة إلى بلوغ الأهداف التي عجزت من قبل الجيوش الصليبية قاطبة عن تحقيقها.

وهكذا، وضمن مُناخ يُميزه حركة التبادل الثقافي والتجاري في فضاء البحر المتوسط، همّ رامون لول إلى وضع مشروعه الضخم لمواكبة التغيرات الحاصلة في العلاقات الإسلامية الكاثوليكية بغرب البحر الأبيض المتوسط في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي، وكانت أهداف المشروع هي خدمة النصرانية. وقد سلك في إنجازه عدة أساليب، منها الانكباب على تعلم اللغة العربية وإتقانها، والدعوة إلى تأسيس معاهد وجامعات لتعليم هذه اللغة هذا إلى جانب اللغات الشرقية الأخرى كالعبرية والسريانية، لتيسير سبل الإطلاع على معين الثقافة الإسلامية وما يتصل بها في مجال العقيدة والصوفية والفلسفة، وهذا دون إغفال مبدأ التشديد على مجادلة المسلمين، والردّ على معتقداتهم وتفكيرهم الديني والفلسفي لنقد الإسلام ودحره، وإقناع كل المسيحيين والمسلمين على السواء بصحة وصواب المسيحية، مُتبعاً في هذا المسعى كلّ، توجيهات أستاذه سان رامون دي بينيافورت في هذا المجال. وبموازاة هذه الخطوات جميعها، فإن لول، لم يكلّ قط

عن دعوة القوى الدينية والسياسية إلى مُتابعة جهدها الحربي ضد البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً بواسطة تنظيم مزيد من الحملات الصليبية عليها.

كان سلوك لول تجاه المسلمين ، يتأرجح بين الدعوة إلى حرية الاعتقاد والإكراه عليه، وتمحور تفكيره على نحو مُطّرد حول فكرة الحملة الصليبية، وقد بدا رامون جدّ متأثر بفكرة استعادة الأراضي المقدسة. وفي سبيل ذلك، ألف دون كلل، مُذكرات والتماسات وخططاً لحملات صليبية، لكن باتت مُحاوله يائسة لتعبئة الغرب اللاتيني من أجل رسالة أكبر وأقدس حسب زعمه. وكان أن نذر نفسه من قبل، وبكل طاقته، لفكرة تنصير المُسلمين، ولتحقيق الشروط الأولية لانتشارها في أوروبا، بتأسيسه لدير ميرامار بتأييد واستحسان من البابا، وبمساعدة من سيّده الملك خايمي الثاني، وكان الهدف منه تعليم اللغة العربية وآدابها، ثم قُدّر لرامون فيما بعد، أن يدفع إلى الصدارة بفكرة الدعوة إلى حملة عسكرية ضد المسلمين، والآخرين غير المسيحيين كالوثنيين والهرطقة (الْمُنشِقِينَ).

حقيق على أن فكرة التنصير ظلت بعد ذلك جزءاً لا يتجزأ من أفكاره الاستراتيجية تجاه الإسلام، هذا دون أن يتخلّى عن مشروع الحملة الصليبية، فالموعظة والحرب تُشكلان في نظره وسيلتين ناجعتين لنشر العقيدة المسيحية، ومن ثمّ وُجوب تأمين الشروط الأساسية لتحقيق ذلك. على أن إخفاقه الذي تكرر مراراً، سواءً داخل أوربا أم خارجها، جعله أكثر استعداداً للوقوع تحت طائلة نزعة استعمال العنف. ولم يكن في وُسع رامون لول أيضاً، أن يتخلّص من روح العصر القائم على أساس الجنوح إلى اعتماد القوة والعنف بشكل كبير، من أجل نشر العقيدة المسيحية وتوسيع نطاق سيطرة الديانة الكاثوليكية على العالم أجمع.

يرى فصيل من الدارسين المُهتمين بتاريخ الكنيسة، أن لول كان يرمي إلى بعث جهود صليبية ذات طابع جديد، بعيدة عن السيف والعنف، بل يكون الحب والموعظة الحسنة قوامها لنشر التعاليم المسيحية وفق مذهب الكنيسة الرومانية. إنّ هذا النهج الجديد في نظر لول أجدى في اجتذاب المسلمين إلى الديانة المسيحية، فيما أخفقت القوة والعنف في ذلك من قبل. غير أنّه في الحقيقة من يتمعن في تفاصيل حياته وكتاباتهِ يكتشف نزعته إلى العنف وتحمسه لمشروع

إعداد حملة صليبية ضد المسلمين، فهو إذا، لم يفقد الأمل بعد في القيمة الحربية للحملة الصليبية وهو عكس ما يُقره بعض المؤرخين عن توجهاته السلمية. وعلى الرغم من هذه الحقيقة التي تُراود لول إلا أن هذا الأخير يرى أن البعثات التنصيرية تبقى رُكنًا مُتممًا للعمليات الحربية.

إن نظرة لول السلبية للإسلام هي نفسها التي سادت الغرب اللاتيني ابان العصور الوسطى. على أن كل أشكال التشويه والطعن والشتم التي أوردتها رامون عن الإسلام والمسلمين تكشف عن شدة العداوة والحقد الدفينين فيها. وتخدم هذه التشويهات والمطاعن موقفا يتسم بالجهل المُموه والمُتعمد، لأن لول نفسه قام بمُواجهات فكرية وتفنيدات عقلانية مع المُسلمين، لكنه وبسبب يأسره في الجزء الأخير من عمره، تخلى عنها لصالح تعصبه الأعمى جرّاء الفشل الذريع الذي مُنيت به مشاريعه وآماله كلها.

وعلى الرغم من تحليلاته المتحيزة والمعادنة لمواقف متناقضة، لم يتمكن من التخلص من هذه الانتقادات المشوهة للإسلام، حتى بعد أن قام بلقاءات شخصية قريبة، ومعايشاته للمسلمين في ما يشبه حياة يومية مُشتركة. وكان لاتصالاته الدائمة بالكنيسة ورجالها الأثر الكبير على هذه المواقف، فالمؤسسات الكنسية على مرّ الزمن كان لها إسهامات فاضحة ومُخزية في تشويه صورة الإسلام والمسلمين. وفي مُجادلاته مع المسلمين، كان لول يعتقد أنه يُحاجج المسلمين باسم العقل والمنطق، ولكن أيضاً تحت ضغط عوامل مُرتبطة بالأحداث السياسية. فالإهانات التي ألحقها بنبي الإسلام والقرآن والديانة الإسلامية نفسها، مُتماشية في نفس اتجاه الصراع الصليبي ضد المسلمين، وهي تعكس في حالة لول صورة من النزعة الانتصارية الساذجة الناجمة من الانتصارات الأخيرة التي عاصرها لحركة الاسترداد.

لقد عكس رامون لول ردة الفعل الأوروبية العنيفة على ابن رشد وفلسفته أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر ، فاعتبر ابن رشد تجسيدا للإسلام من خلال كتاباته الفلسفية. ولو كان لول فيلسوفا حقا وموضوعيا لعاد إلى المؤلفات الأصلية ولشروحات ابن رشد خاصة في ضوء زعمه بمعرفته للغة العربية التي درسها على يد أسيره المسلم، فبدل أن يُعالج مؤلفات الرشديين اللاتين الذين لم تكن أفكارهم سوى قراءة خاصة لبعض جوانب فكر ابن رشد، وبما أن هذه القراءة

قد تَمَّت عبر الترجمة، والتي تَمَّت بدورها داخل ثقافة مُغايرة بمرجعيتها وإشكالياتها عن الثقافة التي عايشها وفكر فيها ابن رشد انطلاقاً من قضايا العربية الإسلامية، فإن الذي حصل هو أن الرشدية اللاتينية قد طرحت قضايا لم تكن مطروحة في الساحة الثقافية العربية بالصورة التي طرحت بها في الثقافة اللاتينية المسيحية، والنتيجة هي أن الرشدية اللاتينية لا تُعبر عن فكر ابن رشد، كما يمكن أن يفهم في الثقافة العربية الإسلامية.

اعتمد رامون لول في مشاريعه ومجادلاته ضد المسلمين على مجموعة مُتعددة من المصادر التي اطلع من خلال على الإسلام ومُعتقداته، والواقع أن إطلاعه هذا قد اتسم بكثير من القصور والمبالغة، على الرغم من ادعاءاته المتكررة بنقيض ذلك. إنَّ مُختلف كتبه التي تركها في دراسته لهذا الدين، وفي التعبير عن مُجادلاته لأتباعه المسلمين ولتفكيرهم الفلسفي والكلامي، تعكس بما لايقبل الشك ذاك القصور وتلك المبالغة. الواقع أن معرفته المزعومة بالإسلام وحضارته هي محدودة فمصادره المعنية بهذه النقطة تتمثل في اطلاعه النسبي والجزئي على القرآن والحديث، وعلى بعض الشذرات من فتوحات ابن عربي ومن نصوص الرشدية. والظاهر الذي لا مرأى فيه هو أنه قد اعتمد في معرفته للإسلام على ما أخذه من مملوكة المسلم، وعلى ما جمعه من روايات وحكايات شفوية وشعبية من المسلمين الذين بقوا بجزيرة ميورقة، مسقط رأسه، بعد سيطرة "خايمي الأول" عليها، ومن المسلمين الذين جادلهم بتونس وبجاية، ومن نُتف من رسالة عبد المسيح الكندي.

كانت علاقات لول بالإسلام وأهله متنوعة الوجوه ومتفاوتة القيمة، فقد كانت العلاقة أحياناً علاقة مسيطر ومسيطر عليه، وأحياناً أخرى علاقة استفزاز، وأحياناً على العكس علاقة مجاملة ومسايرة، ويمثل تطرف لول بعد فشل مشاريعه التنصيرية شكلاً من أشكال التناحر التي وضعت الطرفين المسيحي والإسلامي، على المستوى الإيديولوجي، في موضع التضاد الذي لا علاج له. فالعامل الديني ظل حاضراً في المُجادلات طيلة العصر الوسيط، حيث يُبرز أغلب أشكال السجال في هذه المرحلة القائم على أساس رفضه المتكرر والمستमित للآخر في بعض الأحيان، غذته مصادر أخرى غير الإقصاء الديني. فهل عرف رامون لول الإسلام حق المعرفة وحاور المسلمين،

أم تراه اكتفى بمجادلتهم؟ خاصة إذا عُرف أن الحوار الذي لا يتم إلا بين طرفين، يتغيّر حسب معناه اللغوي، وطبقاً لمختلف معانيه المُتداولة كذلك، والبحث عن الحقيقة واقتسامها، والعمل بمقتضياتها. وعلى ضوء هذه المُعادلة يتبين أن رامون لول لم يندمج في علاقته مع الإسلام والمُسلمين ضمن هذه الإستراتيجية. ومن ذلك لم يبحث قط عن حقيقة ما من وراء دخوله في هذه العلاقة، بل كان جل غايته الإعلان عن حقيقة مسبقة عنده والدفاع عنها، ومحاولة فرضها على مخالفه.

والمعلوم بأن الجدل لغة واصطلاحاً هو "اللد في الخصومة والقدرة عليها"، وعليه، تأكد أن رامون لول لم يكل عن بذل الجهد للإعلان عن هذه الخصومة في علاقته مع الإسلام والمُسلمين، والاستماتة فيها، هذا وكثيراً ما وقع لول حبيس مُعضلة تواريه بين الفينة والأخرى وراء تقنيات الحوار وأساليبه وأخلاقياته. ولاغرو في ذلك، لأن الحقيقة الدينية عند الكاثوليك لا تسمح له من حيث كونها كذلك بأن يخرقها بحقائق دينية أخرى. كما أن الشروط التاريخية النازمة لصراع النصرانية والإسلام في البحر الأبيض المتوسط، لم تكن لتتيح لرامون لول أية إمكانية للدخول مع الإسلام والمُسلمين في أي شكل من أشكال الحوار.

إنّ الحقيقة التي لم يستطع لول هضمها وعاصرها في زمنه، وانزعج وتحسّر منها كثيراً هي تزايد أعداد المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام، وقلة المُسلمين الذين ارتدوا عن دينهم للالتحاق بالمسيحية، والواقع أنه لو كان قد امتدّ به العمر إلى ما بين بداية القرن السادس عشر ونهاية القرن السابع عشر الميلاديين، لقوي انزعاجه وازدادت حسرته. وعلى الرغم من تغلب الإسبان على المُسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية وإجبارهم للموريسكيين، مثلما سُموا قسراً وقهراً، على الدخول في المسيحية، وعلى الرغم أيضاً من أسرهم لأعداد كثيرة من مسلمي إفريقيا واسترقاقهم بأوروبا، فإن عدد المنقلبين منهم عن دينهم لم يتناسب مع ما كان مأمولاً من حركة التنصير.

يُمثل لول حالة خاصة ضمن مشهد الفكر الإسباني في القرنين 13م و14م بأوروبا، ولا يُمكن إدراك أبعاده الحقيقية إلا بمعرفة بنية تفكير العصر الوسيط، والسياقات العقديّة والتاريخية والسياسية التي حكمتها. لقد كان "لول" مُفكراً متعدد الوجهات، تسودها شخصية واحدة، تفرض

قراءات مختلفة، تكون أحياناً متناقضة، غير أن تناقضها سرعان ما يذوب في طبيعة العالم التي يمثلها لول عشية المرحلة التي يصبح فيها المثقف أو الأستاذ الجامعي هو رجل المعرفة في أوروبا، وليس "رجل الدين"، أياً كانت الطائفة النصرانية التي ينتمي إليها ويظهر جلياً في هذه الخاتمة أن قراءة فكر "لول" مفيدة للإحاطة بتطور المعرفة الغربية بالإسلام وبالمسلمين، في نموذجها الإسباني، لأنها من ناحية، أمدت الفكر المعادي للدين الإسلامي بما يحتاجه من زاد وافر، ومن ناحية أخرى، كشفت عن بنية التفكير الغربي الذي سيفرز قيم الحرية والتقدم، ولكن سيمنعها عن الشعوب العربية والإسلامية التي تربّع عليها واقع الاستعمار، بعد أن فرض عليها الكثير من التشوهات والعاهات على مستوى الهوية والانتماء.

إن الفترة التي عاش فيها لول تنسم بالدقة والتأثير في رسم ملامح الراهن، سواءً عبر الوقائع والصراعات على امتداد الضفتين للبحر الأبيض المتوسط أو التفاعل بين مراكز قوى سياسية ودينية وأيضاً عبر الأفكار والتصورات التي أنتجت خلالها، أو أنماط التواصل السوسيو ثقافي بين شعوب العالم المتوسطي التي حددت صورة الآخر من الجانبين. ولا ريب أن لول مثال فريد في الغرب اللاتيني، من حيث مساره الحياتي والفكري لشخصيته وأعماله. وكانت مؤلفات رامون لول الوحيدة في الغرب التي طرحت مسألة المجابهة مع نظام آخر من الثقافة والفكر، أي النظام العربي والإسلامي. مما يسمح بإدراجه ضمن أحد أهم الرواد المبكرين للاستشراق في أوروبا وهنا تكمن فرادته فعلاً بالقياس إلى كل المفكرين المسيحيين المعاصرين له.

وعلى الرغم من أنه كان مسكوناً ببقية المسيحيين في عصره بالهم التبشيري، إلا أنه ترك نفسه تنغمس بالاهتمام بثقافة معاصريه المسلمين وأنماط تفكيرهم، دون أن يوفق في فهم الذهنية الإسلامية فهماً تاماً. وهكذا دشّن موقفاً فكرياً نادراً في زمنه، أقصد في العصور الوسطى حيث كانت التركيبات "الدوغمائية" للإيمان في النسخ الثلاث من دين التوحيد "اليهودية والمسيحية والإسلام" تتبذ بعضها بعضاً بشكل قاطع مانع، وحيث كان أتباع كل دين يعتبرون أنفسهم بمثابة الفرقة الناجية التي اصطفها الله، وأن بقية الأديان في الضلال. لكن البعض من الدارسين يُسمي

ما قام به لول انفتاحاً وهذا التطور لم يمنع سوء تفهم السكان لأفكاره سواء في تونس أو بجاية، كما أنه لم يحل دون إظهار هؤلاء السكان العداء ضده.

وما يُلاحظ من خلال العرائض والمخططات الصليبية التي كان لول يُحرّرها، أن البلاط البابوي كان هو المُتلقّي المُباشر لها. على أن البابوية لم تضع قضية البعثات التنصيرية السلمية في أجندتها لتعارضها مع السياسة الواقعية للكرسي الرسولي في روما، فبالنسبة لها، أن هذا النوع من النشاط غير فعّال بسبب بُطئه وعُقم وسائله السلمية بالمقارنة مع الحركة الصليبية التي تحتوي على عناصر تُهمين بها البابوية على العالم المسيحي. لقد كانت الأهداف التي تُسطرها تتحقق بعنف في نظر البابوية وهو أمر تفتن له لول فيما بعد، إذ حدد خطأً عسكرية من شأنها أن تُحرر الأراضي المقدسة ببلاد الشام وعندئذ يتواصل العمل ضد المسلمين في جميع الأراضي التي يقطنونها. وأدرك لول أن تحفظ البلاط البابوي على أي عمل تنصيري سلمي في ديار الإسلام، إنما مرده التصور الطوباوي لهذه العملية، بالإضافة إلى قناعة لول بصلابة المسلمين واستحالة تخليهم عن إيمانهم، ثم إن الحقيقة التي لا مرأى فيها ولا جدال هي أن المسلمين استطاعوا إدخال العديد من المسيحيين إلى الإسلام.

يُعدُّ لول أحد المؤيدين للحلول العالمية التي تطرحها الكنيسة الكاثوليكية، خاصة إذا تعلق الأمر بإعلان وتعبئة المسيحيين لحرب صليبية. ولم يثق قط بخصوصية البلاطات الوطنية ماعدا الملكيتين الأراجونية في عهد خايمي الثاني والفرنسية في عهد فيليب الوسيم. وبدا أن أطروحات لول في هذه القضية بالذات، جاءت رداً وتعقيماً على أطروحات "بيير دي بوا" الذي حاول بصفته مُؤيداً للبيت الملكي الفرنسي أن يُبرر الوضع الجديد ويُضفي الشرعية على الدور الذي سيلعبه الملك فيليب على الساحة السياسية الأوروبية، مُستخدماً في ذلك الحرب الصليبية.

وهناك حقيقة أخرى بارزة مفادها التفاوت الكبير بين مسعى لول الهائل وتأثيره المحدود في زمنه، ذلك أن أي دارس متخصص في العصور الوسطى الأوروبية يعرف أنه في تلك الفترة من تاريخ أوروبا أعطيت الأهمية الكبرى للواقع التاريخي السائد ودوائر النفوذ التي لا تقبل الأفكار الجديدة. وما يُلاحظ أيضاً هو أن المفكرين الذين تركوا مدرسة الفكر التقليدي عاشوا في أحلك

الظروف، وتتناسو أن أولئك هم الذين اتبعوا الأفكار الأكثر رواجاً، ومن الجلي أن رامون لول مثل "بيير دي بوا" ومُفكرين آخرين الذين جاءوا من الأنماط التقليدية، لم يكن لهم صدًى في الأوساط الفكرية والسياسية في عصرهم. ولكن حتى وإن لم يتلق كبار المفكرين الثناء والمدح من بيئتهم كما هي الحال مع رامون لول، فإن هذه الحقيقة هي علامة على أصالة وقوة شخصية من يقومون بصياغة مثل هذه النظريات. وصحيح أن تاريخ فكر لول وجهوده التنصيرية الصليبية ضد المسلمين ليس تاريخ نجاحات في زمنه، إلا أنه كان يسبق عصره بمراحل ودليل ذلك أن فكره تجسد في العصر الحديث، عصر الاستعمار الأوروبي الذي استعمل ثنائية الحرب والتنصير في مشروعه للهيمنة على مقدرات الشعوب التي احتلها ومن بينها الإسلامية خاصة.

وعلى كل، فلا غرورة إذا جرى اعتبار رامون لول أحد أخطر رجال الكنيسة وأكثرهم حرصاً وسعيّاً إلى إيذاء الإسلام والمسلمين، وينفرد لول بهذا التميّز أبان عصره على الأقل، من خلال مُخططاته غير التقليدية التي أعدّها لاحتواء البلاد الإسلامية، فعلى خلاف أسلافه من الدعاة الصليبيين، فقد دَعَمها بفكر رُوحى وفلسفي غزير مُوقد للهمم ومُلهب للمشاعر، مبني على رؤية واعية، دقيقة ومُمنهجة لا ترضى لصاحبها البوار، غير أن تطور الواقع فرض عكس ذلك، حيث انتهت كل مساعيهِ الصليبية إلى الفشل الذريع وخابت آماله بأرض الإسلام، مدينة بجاية، عندما طُرد منها شرّ طردة مذؤوماً مدحوراً، وغدا "مشروعه التنصيري الصليبي" الكبير مُجرد مُغامرة مشهودة لم يُقدر لها النجاح الموعود.

وفي ختام هذا العرض، وعلى ضوء هذه الدراسة العلمية المُتواضعة، ثمة سؤال يطرح نفسه على كل متأمل مُتبصر، ذلك أن رامون لول وبعد التأييد المعنوي والمادي الذي حشده من القوى المسيحية الداعمة له، قد سجّل انهزاماً ساحقاً والساحة الإسلامية تعيش انقساماً مُؤلماً فكيف ستكون ردّة فعل المسلمين شرقاً وغرباً إزاء هذا التحدي الصليبي الصارخ لو اجتمعوا على كلمة واحدة وتحركوا تحت إمرة مُشتركة؟

الملاحق

الملحق رقم 01

كرونولوجيا سيرة رامون لول.

1229 : غزو الملك خايمي الأول لجزيرة ميورقة.

1232 : ولادة رامون لول في مدينة ميورقة.

1257 : لول يتزوج من "بلانكا بيكاني" ويصبح مُقرباً من الأمير خايمي، الابن الأصغر لخايمي الفاتح، ملك ميورقة منذ عام 1253.

1263 : التحول المفاجئ للول في سن الثلاثين.

1265: بعد الحج إلى "روكامادور" و"سانتياغو دي كومبوستيلا"، يلتقي لول مع رامون دي بينيافورت، على الأرجح في برشلونة، الذي ينصحه بإكمال دراسته في ميورقة بدلا من باريس، كما يشتري لول أحد الأسرى المسلمين ويمضي فترة تسع سنوات من التكوين اللغوي والفكري العصامي.

1271-1274: في نهاية دراسته بعد تسع سنوات، يُحرر لول أعماله الأولى: منطق الغزالي وكتاب التأمل في الله.

1274: وفاة الأسير الذي علّم لول العربية. يتلقى لول تنويرا على جبل رندة، ويُحرر النسخة الأولى من الفن (مختصر الفن في العثور على الحقيقة)، وبداية المرحلة الرباعية من إنتاج لول.

1275: يُستدعى لول إلى مونبلييه من طرف الأمير خايمي ويُقدم لول مؤلفاته للتحليل من قبل خبير فرانسيسكاني، الذي يعطيه موافقته.

1276: مرسوم بابوي في السابع عشر من أكتوبر يؤكد تأسيس دير "ميرامار" في ميورقة بالقرب من مكان يدعى "ديا" بتمويل من خايمي الثاني، حيث يدرس ثلاثة عشر راهبا من الفرانسيסקان اللغة العربية والفن اللولي.

1283: يكتب لول رواية بلاكرنا، ويعيد كتابة "فن إظهار الحقيقة" في مونبلييه.

1287: زيارة لول الأولى إلى البلاط البابوي، التي لا تُسفر عن أي نجاح بسبب وفاة البابا هونوريوس الرابع.

1287-1289: زيارة لول الأولى إلى باريس أين يلتقي مع ملكها فيليب الرابع الوسيم؛ ويربط الاتصال مع "بيتر ليموج". وتُمنى أولى جهوده في التدريس في الجامعة بالفشل. يحرر لول بعدها كتاب "فيليكس أو كتاب العجائب".

1290: في مونبلييه، يعيد لول ويُبسّط صياغة نظامه في الفن بتحرير كتاب "فن ابتكار الحقيقة"، وبداية المرحلة الثالثة من فكره. يتلقى لول رسالة توصية من "ريموند جودفريدي"، القائد العام لهيئة الفرانسيסקان، مما يسمح له بالتدريس في الأديرة الإيطالية.

1292: تواجد لول في روما (كان له من العمر 60 عاما) أين يُخصص أول عمل له في موضوع الدعوة للحروب الصليبية للبابا نيكولاس الرابع.

1293: الأزمة النفسية في جنوة تليها أول رحلة للول إلى إفريقية (تونس).

1294: يُقيم لول في نابولي، مع زيارات قصيرة إلى ميورقة وبرشلونة. ويكمل "الجدول العام" الذي بدأه في العام السابق في تونس، كما كتب عريضة إلى البابا كليمنت الخامس، الذي لم تدم مدة بابويته سوى خمسة أشهر فقط.

1295: يقيم لول في روما، أين يُحرر عريضة مُماثلة للأولى مُقدمة للبابا بونيفاس الثامن، بعد انتخاب البابا الجديد في ديسمبر. و يكتب لول كتاب "الضيق" ويبدأ كتاباً آخر هو "شجرة العلوم" (الذي ينتهي منه في 1 أبريل من العام التالي).

1297-1299: الإقامة الثانية للول في باريس، حيث يُخصّص كتاب "شجرة فلسفة الحب" لملك ومملكة فرنسا. ويؤلف أيضاً كتب "تصريح رامون حول الجدل عن آراء بعض الفلاسفة"، و"أطروحة عن علم الفلك" و"كتاب الهندسة الجديدة".

1299: أمضى لول الأشهر الأخيرة من هذه السنة في برشلونة، حيث خصّص كتابي "إملاءات رامون" و"كتاب الصلوات" لملك أراجون خايمي الثاني، الذي يأذن للول بموجب مرسوم ملكي بالوعظ في جميع المعابد اليهودية والمساجد الإسلامية التي تقع في نطاق مملكته.

1300-1301: أول إقامة مطولة للول في ميورقة بعد سنوات عديدة، و يكتب خلالها "أغنية رامون".

1301-1302: رحلة لول إلى قبرص، أرمينيا الصغرى وربما القدس، كما يؤلف كتاب "البلاغة الجديدة".

1303-1305: لول يُقيم في جنوة ومونبلييه. ويقوم بالرحلة الثالثة إلى باريس.

1305: في مونبلييه يؤلف لول "كتاب الفهم الأعلى"، إضافة إلى أهم أطروحاته الصليبية "كتاب الغاية". وفي برشلونة، خلال الصيف، يتلقى منحنتين من الملك. في أكتوبر، عاد إلى مونبلييه حيث حضر الاجتماع مع البابا الجديد، كليمنت الخامس، وملك أراجون وميورقة. بتاريخ 14 نوفمبر، يحضر لول تتويج البابا كليمنت الخامس في ليون، ويقدم عريضة لهذا البابا، التي لم تُسفر عن أي نتيجة. ويبدأ في الصياغة النهائية لنظامه المعروف بالفن.

1307: الرحلة الثانية إلى بجاية، إفريقية، حيث سجن لول لمدة ستة أشهر، وتم طرده في الأخير. وتعرض قاربه للغرق بالقرب من بيزا.

1308: في بيزا يكتب "الفن المختصر"، وينتهي من تأليف "الفن النهائي العام"، ويُعيد مرة أخرى كتابة العمل الذي بدأه في بجاية والذي أضاعه في حادثة غرق السفينة، وهو "مُجادلة رايموندي المسيحي مع عمار السراسيني". كما قام بمحاولات لتعزيز الجهود المبذولة في بيزا وجنوة لاطلاق حملة صليبية. وفي سن 75، تواجد لول في مونبلييه، أين خصّص كتاب "الفن الإلهي" للبابا كليمنت الخامس و الملك الفرنسي فيليب الرابع من فرنسا، كما حدث اجتماع بين لول وأرنو فيلانوفا في مارسيليا.

1309: في مونبلييه، يُحرر لول عملا جديدا حول الحروب الصليبية، هو "كتاب استرجاع الأراضي المقدسة"، ورسالة إلى خايمي الثاني ملك أراجون، وسلسلة من الأعمال التي تمهد الطريق لرحلته الوشيكة إلى باريس.

1309-1311: الإقامة الرابعة والأخيرة في باريس، حيث حرّر لول ثلاثين عملاً، أغلبيتها حول

موضوع مكافحة الرشدية. ويُخصص سبعة منها للملك فيليب الوسيم. وفي عام 1310، وقّع أربعون أستاذًا في الفنون والطب وثيقة الموافقة على تدريس "فن لول المعروف بالفن المختصر"، كما تلقى لول رسالة توصية من فيليب الرابع. في عام 1311، حرر كتابي "ولادة السيد المسيح" و"تفجع الفلاسفة"، كما أنه أُملى سيرته على رهبان فوفرت، وحصل على موافقة من مستشار جامعة باريس. وفي الطريق إلى مجمع فيين في دوفينواز، ألف قصيدة "المجمع"، وفي الأخير حضر مجمع فيين حتى ربيع العام التالي.

1312-1313: يمر عبر مونبلييه (مايو 1312) في طريقه إلى ميورقة.

1313-1314: إقامة لول في ميسينا بجزيرة صقلية.

1314-1315: الرحلة الثالثة إلى إفريقية، والتي كانت وجهته مرة أخرى إلى تونس. وهو يخصص مؤلفات لسلطانها، ويحمل معه مراسلات خايمي الثاني ملك أراغون، الذي يطلب من الفرانسييسكان مساعدته على ترجمة كتاباته إلى اللاتينية. وتنتهي رحلته في ديسمبر 1315.

1316: في شهر مارس تقريبا، تزعم النقول المسيحية وفاة لول في تونس، وتم نقله في السفينة التي أعادته إلى ميورقة وفي رواية أخرى كانت وفاته في ميورقة نفسها. أين كان له من العمر 84 عاما.

الملحق رقم 02

مرسوم الموافقة على تأسيس دير ميرامار لتدريس اللغة العربية، في مكان يدعى "دييا Deia" في أبرشية سان بارثولوميو دي فالديموسا"، من طرف النبيل خايمي، أخي ملك أراجون صاحب الذكرى المستنيرة.

تم ترسيمه في "فيتيربو" بتاريخ 17 أكتوبر 1276م، من طرف البابا خوان الحادي والعشرين.

" إلى النبيل خايمي، ابن ملك أراغون، صاحب الذكرى المستنيرة. رغبة منا في الثناء على ذكرى أجدادك، الذين عرفنا عنهم التفاني المتألق والحماس الكبير للإيمان، ونظرا لمحاولتك تقليدهم وتوكل لتمديد وتوسيع حدود الإيمان، وطرقا لباب النعمة، من أجل التفوق في العظمة على الأرض، و للوصول إلى مكان عال مرتفع بغية خلاص روحك وتلك التي كانت مبتغى آمال أجدادك، كنت قد وضعت أنت ترتيبا لأمر جلل في جزيرة ميورقة، التي تنتمي لك من قبل حقك الوراثي، في مكان يسمى "ديا"، في أبرشية سانت بارتوميو دي فالديموسا، أين تم بناء دير أو بيت للرهبان على نفقتك الخاصة، حيث سيقيم ثلاثة عشر من الرهبان الفرانسيسكان، وفقا للوائح وأحكام النظام في المحافظات، حيث سيقومون هناك بشكل مستمر لدراسة اللغة العربية، لأنه عندما يتم توجيههم بطريقة كافية، يذهبون إلى أرض الوثنيين وهناك يلتزمون بإرشاد وإنقاذ النفوس المفقودة.

ولأن الحاجة لا تمنع أو تعرقل دراسة هؤلاء الرهبان، فإنك قد خصصت لهم على وجه التحديد بعض الدخل يمكن أن يحصلوا من خلاله على كل ما يحتاجون إليه، حيث أن رسائل البراءة التي تم إدخالها فيها يرد فيها ختمك. ومن أجل كل هذا، نتوسل بكل تواضع أن تُسبغ على هذا المكان بركة وحماية الكرسي الرسولي، والتي نسبغها لحماية أي مكان، وبفضل الإله، يقيم النظام في عدد من أديرة الرهبان، وبالفعل، الدراسة المذكورة أعلاه قد تم الإشادة بها بشكل جيد جدا، ولذا فإننا سوف نحرص على تأكيد النوايا الفاضلة الخاصة بك مع إسباغ الخير من مقرنا الرسولي. لذلك، فإننا نتلقى صلاتك بشكل إيجابي، واسمحوا لنا أن نعرف للسلطة الرسولية ما كنت قد فعلت ذلك

بحكمة ووقار حتى الآن، وهذا مكتوب تحت رعايتنا . ومع ذلك، نحن لا نريد للابن أن يتهور هو ووزيرنا العام، وكذا الرهبان في النظام الطموح المذكور أعلاه فعلى الرغم من نيتكم النبيلة يجب عليكم أن تتبعوا أوامرنا أنتم وأي رهبان آخرين من نفس النظام أو غيرهم في مكان ما وممنوع عليكم حيازة الممتلكات أو الهيمنة على الدير أو المكان المذكور أو تحصيل الدخل منه أو أي حق آخر في الحصول على الدخل من أماكن العبادة أو أي حق في طلب ريع ما، لذلك ولهذا السبب لا حق لكم في التدخل في حكم الرهبان المنخرطين في هذا النظام".

ارجع إلى:

Hillgarth J.N. , Diplomatarium Lullianum , Edicions de la Universitat de Barcelona , Barcelona , 2001 , pp.39-40.

الملحق رقم 03

أوامر خايمي الثاني لرامون لول التي تنص بوعظه لليهود والمسلمين في معابدهم
ومساجدهم

30 أكتوبر 1299م بمدينة برشلونة

Jacobus etc. tenore presencium notum fieri volumus universis presentes litteras inspecturis, quod nos concedimus et damus licenciam magistro Ro Lulii quod, electis per cum quinque vel sex probis hominibus et sibi adhibitis; possit predicare in sinagogiis iudeorum diebus sabbatinis et dominicis, et in mesquitis samcenorum diebus veneris et dominicis, per totam terram et dominacionem nostram, et exponere iudeis et sarracenis predictis fidei catholice veritatem, admissis religiosis quibuscumque ad' predicacionem ipsam accedentibus. nos enim damus per presentes, firmiter in mandatis, universis et singulis aljamis iudeorum et sarracenorum tocius terre nostre, quod ipsi, diebus predictis sub forma predicta, audiant et audire teneantur prefatum magistrum R. Lulii, et si voluerint, oportunitate captata, possint respondere eius predicacioni et exposicioni, non tamem cogantur nec cogeri possint eisdem super premissis si noluerint respondere. mandamus insuper universis oüicialibus nostris predictis quod predicta observari faciant et teneri ⁽¹⁾.

"نحن خايمي الثاني، نود أن نكون على علم بأننا سوف نتفقد هذه الرسائل الحالية المرسلة إلى جميع رعايانا، ونمنح إجازة للمعلم ريموندوس لولوس، مع خمسة أو ستة رجال ذي سمعة طيبة، بمقتضاها يمكنهم الوعظ في معابد لليهود أيام السبت، و كذا وعظ المسلمين في مساجدهم أيام الجمعة، والمسيحيين أيام الأحد، في جميع ربوع الأرض التي تتبع سيادتنا بغية نشر الإيمان الكاثوليكي، وذلك كله محاولة لرصد اعتراف ديني من اليهود والمسلمين. ونحن نعطي، من خلال هذه الهبات، تقليدا راسخ الجذور في الوصايا، إلى كل الجماعة اليهودية، والساسين الذين يعيشون

بين ظهرانينا ، ونرغب أن تلتزم هذه الجماعات بالاستماع إلى السيد المذكور، وإذا رغبوا في الاستفادة من هذه الفرصة، فبإمكانهم أن يفعلوا للرد على الوعظ ، وفي نفس الوقت لا يمكن إجبارهم على الاستماع، ولا ينبغي أن يكونوا غير راغبين في الإجابة.

ارجع إلى:

⁽¹⁾ - Rubio y Lluç , Documents per l'història de la cultura catalana medieval , Vol.I , Barcelona , 1908 , pp.13-14.

الملحق رقم 04

رسالة توصية من خايمي الثاني إلى ملك تونس من أجل تسهيل إقامة رامون لول بمدينة تونس.

De nos en Jacme per la gracia de Deu rey d'arago etc. al molt noble e molt molt honrat Miralmomonin Bujahie Zacharie rey de Tunij fill de almir Abhalabbez, fill dels almirs . . . ndins salut, axi con a rey, que molt amam e al quel desigam, que Deus donas molta donor e creximent de be.

Rey, fem vos saber, que havem entes, que en Ramon Luil, natural nostre es en la vostra ciutat de Tunij, En la qual li plau habitar et estar. On, rey, con nos conegam lo dit Ramon, que es hom bo e savi e de bona vida, e el qual nos amam, pregam vos, que vulats eus placia, que'l dit Ramon per honor de nos, hajats e tingats recomenat en la vostra gracia. E aço vos grahirem molt.

Dada en la ciutat de Leyda quatre dies anats del mes de Novembre en lany de nostre senyor de mill.CCC. quatorçe⁽¹⁾.

"من طرفنا نحن خايمي ملك أراغون بنعمة من الإله. إلى النبيل و الموقر جدا أمير المؤمنين أبو زكرياء ابن اللحياني ملك تونس ، ابن الأمير . . . نتمنى لكم موفور الصحة، و أننا نحب لكم ما نريده، وأن يمنحكم الإله الكثير من العطايا ودوام العز في مملكتكم.

أيها الملك، اسمحوا لنا أن نعلمكم، بأنه توارد إلى مسامعنا، أن رعيئنا رامون لول، موجود في مدينتكم تونس، ولذا نرجو أن يعيش أيامه فيها بسلام. أيها الملك، نحن نعرف رامون جيدا، واسمه ذو سمعة في مملكتنا و هو رجل جيد وحكيم وعاش حياة طيبة، ولذا نحن نحب، ونطلب

منكم، ما تيسر لكم، أن تيسرو إقامة رامون، ونحن فخورون بتوصيتكم أن يعيش في النعمة الخاصة بكم".

مؤرخة بـ 04 نوفمبر 1314 بمدينة لاردة.

(1) ارجع إلى:

Finke Heinrich , Acta Aragonensia , Vol.II , N.577 , Berlin-Leipzig , 1908 , pp.899-900.

الملحق رقم 05

صور لمعهد ميرامار لتدريس اللغة العربية بميورقة وهو من تأسيس رامون لول



تصوير شخصي بتاريخ 22 مارس 2017م.

أحد الممرات داخل دير ميرامار ببالما دي ميورقة.



تصوير شخصي بتاريخ 22 مارس 2017م.

الملحق رقم 06

صورة تعكس مجادلة رامون لمسلمي بجاية(1).



(1)- مُستمددة من كتاب: Liber disputationis Raimundi christiani et Hamar Sáraceni , Valencia , 1500

الواقع أن تسامح المسلمين كان يحظر عليهم القيام بالمجادلة في ظل هذه الوضعية التي تحدث عنها لول في سيرته والتي تصورها هذه الصورة المسيحية.

المصادر والمراجع

I- المصادر العربية والمُعَرَّبَة

- القرآن الكريم.

- الكتاب المقدس، العهد القديم والجديد، منشورات دار المشرق، بيروت، ط.3،

1994.

ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، ت 728هـ/1328م)،

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج.1 ، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر

وآخرون، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999.

- الرسالة القبرصية، تحقيق : قصي محب الدين الخطيب ، دار المطبعة السلفية،

الرياض، 1974.

الحموي (ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، ت 626هـ/1229م)،

- مُعجم البلدان ، مج.1، دار صادر، بيروت، 1977.

ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، ت 808هـ/1406م)،

- المقدمة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 1999.

ابن رشد (أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي المالكي، ت 595هـ/1198م) ،

- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق وشرح وتعليق: محمد عابد

الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998.

- فصل المقال ما بين الحكمة والشرعية من الاتصال ، تحقيق محمد عمارة ، ط.3 ،
دار المعارف، القاهرة، 1999.

- التهافت ، تحقيق وشرح وتعليق: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة
العربية، بيروت، 1998.

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم، ت 698هـ/1298م)،

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج.4 ، تحقيق: حسنين محمد ربيع ، القاهرة،
1960 .

الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، ت 560هـ/1165م)

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مج.1، القاهرة، 2002.

اوريليوس أغسطينوس هيبونيسييس (القديس أوغستينوس ت 430 م) ،

- إعترافات ، نقله من اللاتينية: إبراهيم الغربي ، ط.2، دار التنوير، بيروت، 2015.

دانتي الجييري (ت 1321م) ،

- الكوميديا الإلهية ، النشيد الثالث ، الجحيم، ج.1، ترجمة حسن عثمان ، دار
المعارف ، القاهرة، ط.3، 1988.

رشيد الدين فضل الله الهمذاني (ت 718 هـ / 1318م)،

- جامع التواريخ : تاريخ غازان خان ، دراسة وترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد ،
الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2000.

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، ت 346 هـ / 957م)،

- التنبيه والإشراف ، غني بتصحيحه ومراجعته: عبد الله إسماعيل الصاوي، مطبعة

الشرق الإسلامية، القاهرة، 1938.

-II المصادر اللاتينية

- **Bibliotheca Hispana nova sive Hispanorum scriptorum qui ab anno MD ad MDCLXXXIV floruerunt**, Ed. Nicolás Antonio , Volumen 2 , Madrid , 1788.
- **Chronica XXIV Generalium Ordinis Minorum** , Analecta Franciscana , 3 , 1897 .
- **Cronicón Mayoricense** , Palma , 1881.
- **De Sancto Francisco Christum praedicante coram sultano Aegypti** , Archivum Franciscanum Historicum , Ed. Leonardus Lemmens, 19 , 1926 .
- **Los documentos Arabes Diplomaticos Del Archivo De La Corona De Aragon** , Editados y Traducidos Por Maximiliano A. Alarcony Santony Ramon Garcia De Linares Madrid- Granda , 1946 .
- **Petri Ioannis Olivi “De renuntiatione papae Coelestini V** , Ed. P. L. OLIGER, Archivum Franciscanum Historicum, XI, 1918.
- **Regesta Pontificum romanorum (1198-1304)**, II, Berlín, 1875.

Bonaventure (St.) ,

- **Itinerarium mentis in Deum** , Vol.VI , Franciscan Institute, Saint Bonaventure University, N.Y. ,1956.

Finke Heinrich ,

- **Acta Aragonensia** , Vol.II , N.577 , Berlin-Leipzig , 1908 .

Hugh of Balma ,

- **Carthusian Spirituality: The Writings of Hugh of Balma and Guigo de Ponte** , translated by Dennis D. Martin , Paulist Press , 1997 , New York .

Humbert of Romans ,

- Opusculum Tripartitum , Fasciculus rerum expetendarum et fugiendarum , Vol.2 , E. Brown , London , 1960.

Marino Sanudo Torsello ,

- Liber Secretorum Fidelium Crucis , in Gesta Dei per Francos , V.2 , ed. J. Bongars , Hannau , 1611 , reprinted Jerusalem , 1973.
- Monumenta Iuris canonici , series C : Subsidia , v.7 (Vatican city , 1985).

Nicolas Eymerich ,

- Directorium Inquisitorum , Collectio Iudiciorum De Novis Erroribus , Vol.I , Duchesne, 1755 .

Odoric of Pordenone ,

- Relatio , ed. A. Van de Wyngaert , Sinica Franciscana , vol.1 , Quaracchi , 1929.

Petri Venerabilis ,

- Tractatus adversus sectam saracenorum , P.L. , CLXXXIX , Ds Migne , Paris , 1890.

Pierre Dubois ,

- De Recuperatione Terre Sancte , trans.W.I. Brandt , The Recovery of the Holy Land by Pierre Dubois , New York , 1956.

Raymundus Lullus,

- Libellus de fine (Palma: Typis Raphaelis Moya, 1665, reprinted in facsimile, Petra, Mallorca: Col.legials de la Sapiència, 1986.
- Quomodo Terra Sancta recuperari potest/Tractatus de modo convertendi infideles, ed. Jacqueline Rambaud-Buhot, Raimundi Lulli Opera Latina, fasc.III (Mallorca: Schola Lullistica, Studiorum Mediterraneorum, 1954.
- Ars compendiosa inveniendi veritatem , Vol. II. , en :M.O.G. , Francfort , 1965.
- Del concili , en O.R.L. , Vol.XX , T.II , Patrons: Diputació Provincial de Balears, Palma de Mallorca, 1938.

- Ars Brevis , in : Selected Works of Ramon Llull (1232-1316), edited and translated by Anthony Bonner, Vol.I , Princeton, N.J. , Princeton University Press , 1985.
- Ars Dei (=Ars divina) , en : R.O.L., Vol.37 , Brepols, 1983.
- Ars generalis ultima , en : R.O.L., Vol.33 , Brepols, 1986.
- De advent Messiae , ed. C. Ottaviano , in : Estudis Universitaris Ctalans , 14 , 1929 .
- Disputatio clerici et Raymundi phantastici , prologue , trans. in Gottron 1912.
- Disputatio latini et saraceni del Liber de quinque sapientibus , Ed.Salzinger, IV, Moguntiae, 1729.
- Disputatio Raimundi et Averroistae , Ed. Harada , en : R.O.L., Vol.VII , Turnholti , 1975.
- Doctrina pueril, en : O.R.L. , Vol.I , 1906 .
- Epístola Raimundi quam mísit ad iuratos Maioricarum , en : R.O.L., Vol.II.
- Felix, or the book of wonders , in : Selected works of Ramon Llul , edited and translated by Anthony Bonner , Vol.II , Princeton University press , N.J. , 1985 .
- la Disputa entre Fieles e Infieles (M.O.G. IV, 377)
- Liber Contra Antichristum , R.O.L., VOL.XXXVI , Brepols , 1975 .
- Liber contradictionis , Explicit ed. Harada , en : R.O.L. , Vol.VII .
- Liber de acquisitione terrae sanctae , III , E , fol. 547^{rab} , ed. Longpré , BS AL , XXIV , 1932-1933.
- Liber de acquisitione Terre Sancte , Paris , Bibliothèque Nationale , lat. 15450 , f.546^{ra}-547^{ra}.
- Liber de articulis fidei sacrosanctae et salutiferae legis christianae, siue Liber Apostrophe, ed. Salzinger, IV, Moguntiae 1729.
- Liber de civitate Dei, ed. Stóhr, R.O.L., II, Palmae Majoricarum, 1960.
- Liber de Demonstratione per aequiparantiam , in: R.O.L., IX .
- Liber de ente quod simpliciter est per se et propter se existens et agens (= De perseitate et finalitate Dei) , en : R.O.L., Vol.VIII , H. Harada (ed.) ,1982.

- Liber de ente quod simpliciter est per se et se existens et agens , Ed. Harada , en : R.O.L., Vol. VIII , Turnholti , 1980 .
- Libro de la orden de caballería , Nota preliminar y traducción de Luis Alberto de Cuenca , Alianza Editorial , Madrid , 2016.
- Liber de locutione angelorum , en : R.O.L., Vol.XVI , Brepols , 1988.
- Liber de participatione christianorum et sarracenorum , prologus , R.O.L., Vol.16.
- Liber de Passagio , en Raimundi Lulli Opera Latina, Edidervnt Blanca Garí,Fernando Domínguez Reboiras , Volume 28 , Brepols, 2003.
- Liber de Sancta Maria , en R.O.L., Edidervnt Blanca Garí,Fernando Domínguez Reboiras , Volume 28 , Brepols, 2003.
- Liber de Sancto Spiritu, Ed. Salzinger, 1722.
- Liber de syllogismis contradictoriis , Explicit ed. Harada , en : R.O.L., Vol.VII .
- Liber disputationis Raimundi christiani et Hamar Sáraceni , Valencia , 1500 .
- Liber lamentationis philosophiae , Explicit ed. Harada , en : R.O.L., Vol.VII .
- Liber lamentationis Philosophiae seu De Duodecim pricipiis Philosophiae , en : R.O.L., Vol.VII , Maioricensis Schola Lullistica, 1975.
- Liber natalis pueri parvuli Christi Jesu , en : R.O.L., Vol.VII , Brepols, 1975 .
- Liber reprobationis aliquorum errorum Averrois , Ed. Riedlinger , en : R.O.L., Vol.VI , Turnholti , 1978 .
- Liber super psalmum , Ed. Salzinger, IV, Moguntiae, 1729.
- Petitio Raimundi pro conversione infidelium ad Bonifatium VIII Papam , 1295, (Pla 75 : Bo III, 21)
- Petitio Raimundi pro conversione infidelium ad Coelestinum V Papam , 1294 , ‘pla 73 : Bo III,15)
- Petitio ad Coelestinum V, ed. Salzinger, II, Moguntiae, 1722.

- Petitio Raymundi in concilio generali ad acquirendam Terram Sanctam , in Wieruszowski (Helene) , Politics and Culture in Medieval Spain and Italy , Ed. di Storia e Letteratura, 1971 .
- Petitio Raymundi in concilio generali ad acquirendam Terram Sanctam , ed. E. Longpré , "Deux opuscles inédits du B. Raymond Lulle , La France Franciscaine , 18 , 1935 .
- Principles of Medicine , in : Selected works of Ramon Llul , edited and translated by Anthony Bonner , Vol.II , Princeton University press , NJ , 1985 .
- Quomodo Terra Sancta recuperari potest , en R.O.L., Vol.XXVIII .
- Sermones contra errores Averrois , Explicit ed. Harada , en : R.O.L., Vol.VII , Turnholti , 1975 .
- The Book of the Gentile and the three wise men , , in : Selected works of Ramon Llul , edited and translated by Anthony Bonner , Vol.II , Princeton University press , N.J. , 1985 .
- Tractatus de modo convertendi infideles , en R.O.L., Edidervnt Blanca Garí,Fernando Domínguez Reboiras , Volume 28 , Brepols, 2003.
- Tractatus de modo convertendi infideles, en R.O.L., Edidervnt Blanca Garí,Fernando Domínguez Reboiras , Volume 28 , Brepols, 2003.
- Vita coetanea (A Contemporary Life), ed. and trans. Andiony Bonner , Barcino-Tamesis, Barcelona and Woodbridge, 2010 .
- Liber de quinque sapientibus , ed.Salzinger, tom.II, Mogunliae, 1722, fol. 4, col.1

- Liber super Psalmum Quicumque vult sive Liber Tartari et Christiani, in Raymundi Lulli operum, 8 vols. (Moguntiae: Officina Typographica Mayeriana, per Joannes Georgium Haffner, 1729), vol. 4.
- Disputatio fidelis et infidelis, in Raymundi Lulli operum, 8 vols. (Moguntiae: Officina Typographica Mayeriana, per Joannes Georgium Haffner, 1729), vol. 4.
- Liber de differentia correlativorum divinarum dignitatum, STOHR, Introductio generalis (ad Opera messanensia) R.O.L., I.
- Liber de efficiente et effectu , Explicit ed. Harada , en : R.O.L., Vol.VII .
- De Locutione angelorum , R.O.L., Vol.16 ,
- Disputatio clerici et Raymundi Phantasticus , IV.
- Disputatio Raimundi christiani et Hamar sarraceni, Ed.Salzinger, 1729.
- In superne preeminencia , ed. Regestum Clement Papae V , Vol.1 , , Rome , 1885.
- Tractatus de modo convertendi infideles , ed. J. Rambaud-Buhot , Beati Magistri Raimundi Lulli Opera Latina , Vol.3 , Mallorca , 1954.

Ricoldo Da Monte Croce ,

- Libellus Fratris Ricoldi ad Nationes Orientales , in A. Dondaine , ed. , " Ricoldiana. Notes sur les œuvres de Ricoldo da Montecroce" , Archivum Fratrum Praedicatorum , 37 , 1967 , "Regule generales".

- Liber Peregrinacionis , ed. J.C.M. Laurent , Peregrinatores medii aevi quatuor , Leipzig , 1864 .

Roger Bacon,

- Opus Majus , Trans. R.B. Burke , Vol.1 New York , Russell and Russell , 1962.

Siger de Brabant ,

- Quaestiones in tertium de anima , De anima intellectiva, De aeternitate mundi , Philosophes médiévaux , XIV , Louvain , 1972.

Thomas Aquinas,

- On the unity of the intellect against the Averroists , translated from the Latin with an Introduction by Beatrice Hope Zedler , Marquette University Press , Milwaukee , 1968.
- Franciscus Assisiatis Opera omnia , Vol.MDCCCXLIX , recognita adjecit Joh. Jos. von Der Burg , Heberle, 1849.
- Summa contra Gentiles , A Guide and Commentary by Brian Davies, Oxford University Press , U.K. , 2016.

Thomas of Celano ,

- Vita prima , n.55 , Analecta Franciscana , 10 , Quaracchi , 1926-1941.

-III- المصادر القطلانية

Jaume I (خايمي),

- Crònica o Libre dels feits , a cargo de Ferran Soldevila , Edicions 62 , Barcelona , 1982.

Ramon Llull ,

- Del Cant de Ramon, O.R.L. , VOL.XIX .

- Blaquerne , Traduit du Catalan par Patrick Gifreu , editions du Rocher ,Monaco , 2007 .
- Darrer Llibre sobre la conquesta de Terra Santa , Introducció de Jordi Gayà , Traducció de Pèrre Llabrés , Departament de cultura de la Generalitat de Catalunya, Barcelona , 2002.
- Del Naixementde Jesús infant , Versió de Mossèn Llorenç Riber. Revisió i anotació de Miquel Batllori , S.J. , en Obres essencials , II ,Barcelona , 1960 .
- Desconort , O.R.L. , VOL.XIX , Diputació Provincial de Balears , Palma, 1936.
- Desconhort , O.E. , vol. I , Editorial Selecta , Barcelona , 1959.
- Libre de contemplació en Déu , en O.R.L. , Vol.II-VIII , Comissió Editora Lulliana , Palma de Mallorca , 1906-1914.
- Libre de Sancta Maria , in O.R.L. , Vol.X , 1915 .
- Llibre d'Amic i Amat , Tres homes de Déu en diàleg , Ramon; Verdaguer, Jacint; Xirinacs, Ramon Balasch editor , Barcelona , 2016.
- Lògica del Gatzell , Ed. Stöhr , R.O.L., I , Palmae Maioricarum , 1959.
- Phantasticus, en : R.O.L. , Vol.XVI .
- Llibre del Gentil e dels tres savis , ed. Antoni Bonner, 2nd ed., Nova Edici de les Obres de Ramon Llull (Palma: Patronat Ramon Llull, 2001.
- Poesies, ed. Ramon d'Alòs-Moner, 2nd ed. (Barcelona: Els Nostres Clàssics, 1928, reprinted in facsimile, Barcelona: Barcinó, 1980).

- Libre del Orde de Cavallería , ed. Mateu Obrador i Bennassar, O.R.L., Vol.I , Palma de Mallorca, 1906.

IV - المراجع

أ- المراجع العربية

إسحاق تاوضروس عبيد،

- روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين 869-1204م، دار المعارف ، القاهرة ، 1970.

إسمت غنيم ،

- الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية، دار المعارف، القاهرة، 1982.

أنطوان (فرح) ،

- ابن رشد وفلسفته ، نشرة جامعة الاسكندرية ، 1903.

حسام عيتاني ،

- الفتوحات العربية في روايات المغلوبين ، دار الساقى ، بيروت-لندن، 2011.

زينب محمود الخضيرى،

- أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار التنوير، بيروت ، 2007 .

سيسالم (عصام سالم) ،

- جزر البليار المنسية (708م-1287م)، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1984.

عادل زيتون ،

- العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى: بحث في النشاط التجاري للجمهوريات الإيطالية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط ق 13-14 م، دار دمشق للنشر ، دمشق ، 1980.

عاشور (سعيد عبد الفتاح)،

- الحركة الصليبية ، ج.2 ، ط.9 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2010 .

العسري (محمد عبد الواحد) ،

- الإسلام في تصورات الإستشراق الإسباني من ريموندس لولوس إلى آسين بلاثيوس، دار المدى الإسلامي ، ط.2 ، بيروت ، 2015 .

علية عبد السميع الجنزوري،

- إمارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.2، القاهرة، 2001.

قاسم عبده قاسم ،

- الحملة الصليبية الأولى: نصوص ووثائق تاريخية، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة، 2001.
- الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1999.
- ماهية الحروب الصليبية (الأيديولوجية-الدوافع-النتائج)، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1993.

محمد عبد الله عنان ،

- الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998.
- دولة الإسلام في الأندلس :عصر المرابطين والموحدين في المغرب ، القسم الثاني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط.2، 1990.

محمد محمود أحمد النشار،

- علاقة مملكتي قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك (1260-1341م) / 658-

741هـ)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997.

محمود سعيد عمران ،

- الحملة الصليبية الخامسة: حملة جان دي برين على مصر 615-

618هـ/1218-1221م ، دار المعارف، ط.2. القاهرة، 1985.

ب - المراجع العربية:

أركون (محمد) ،

- نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ، ترجمة وتقديم : هاشم صالح ، دار الساقى ،

لندن ، 2011.

أنطوني جوتليب،

- حلم العقل : تاريخ الفلسفة من عصر اليونان إلى عصر النهضة، ترجمة : محمد

طلبة نصار، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2015.

أورفوا (دومينيك)،

- المفكرون الأحرار في الإسلام ، ترجمة : جمال شحيد ، دار الساقى ، بيروت ،

. 2008

برانشفيك (روبير)،

- تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م ، تر.حمادي

الساحلي ، جزآن ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988.

برنارد لويس ،

- الحشاشون فرقة ثورية فى تاريخ الإسلام ، ترجمة محمد العزب موسى، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ط.2 ، 2006.

جان فلوري ،

- الحرب المقدسة: الجهاد، الحروب الصليبية، ترجمة غسان مایسو ، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، 2004.

جون تولان،

- السراسنة والإفرنج: مزاحمات ومنافسات وتلاقات، في : أوروبا والعالم الإسلامي تاريخ بلا أساطير، ترجمة: بشير السباعي ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016.

جوناثان رايلي سميث ،

- الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.2 ، القاهرة، 1999.

جيلسون (إتيان) ،

- روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط ، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2011.

خوليان ريبييرا ،

- الأصول العربية لفلسفة راييموندو لوليو ، في : دراسات أندلسية فى الأدب والتاريخ والفلسفة ، تحرير وترجمة: الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، ط.3 ، القاهرة ، 1987.

رنسيमान (ستيفن)،

- تاريخ الحروب الصليبية، المغول والمماليك ونهاية الشرق الفرنجي، نقله إلى اللغة العربية : السيد الباز العريني ، مج.3، القسم الثاني، دار الثقافة، بيروت، 1997.

ريتشارد سوندرن،

- صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى ، ترجمة: رضوان السيد ، دار المدار

الإسلامي، بيروت ، ط.2 ، 2006.

ريمي كونستابل (أوليفيا)،

- إسكان الغريب في العالم المتوسطي: السكن والتجارة والرحلة في أواخر العصر

القديم وفي العصر الوسيط ، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، دار المدار

الإسلامي، بيروت.

رينان (إرنست) ،

- ابن رشد والرشدية ، ترجمة عادل زعيتر ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ،

2013.

شاخت (جوزيف)، بوزورث (كليفورد)،

- تراث الإسلام ، ج.1 ، تر. حسين مؤنس وآخرون، سلسلة عالم المعرفة، ع.11،

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1978.

فوك (يوهان) ،

- تاريخ حركة الاستشرق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن

العشرين ، ترجمة : عمر لطفي العالم ، دار المدار الإسلامي، ط.2 ، بيروت ،

2001.

كاسترو (أميركو) ،

- إسبانيا في تاريخها ، المسيحيون والمسلمون واليهود ، ترجمة : علي إبراهيم منوفي،

المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2003.

كروث إيرنانديث (ميجيل)،

- تاريخ الفكر في العالم الإسلامي: منذ البدايات حتى القرن الثاني عشر الميلادي، مج.2، تر. عبد العال صالح، ط.2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016.

لودفيج (هاجمان) ،

- مسيحية ضد الإسلام: حوار انتهى إلى الاخفاق ، ترجمة محمد جديد، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، 2004.

لوكلير (جوزيف) ،

- تاريخ التسامح في عصر الإصلاح ، تر. جورج سليمان ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2009.

ماستناك (توماش) ،

- السلام الصليبي ، تر. بشير السباعي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط.2 ، 2009 .

ممدوح عدوان،

- حول اسم العرب في اللاتينية ، في دراسات قدمس، 6 ، بيروت، 2001.

هاوسلي (نورمان)،

- الحركة الصليبية 1274-1700م ، في تاريخ أكسفورد المصور للحروب الصليبية، تحرير جوناثان رايلي سميث ، ترجمة قاسم عبده قاسم، ج.2 ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، 2009.

2-المراجع الأجنبية

A. FLICHE-V. MARTIN,

- Histoire de l'Eglise, La Réforme grégorienne et la Reconquête chrétienne (1057-1123) , VIII, Bloud et Gay , 1940.

A. Forest , F. Van Steenberghen , M. De Gandillac ,

- Le mouvement doctrinal de IXe a XIVE siècle (Histoire de l'Eglise depuis les origines jusqu'à nos jours) , XIII , Paris , 1956 .

A. Llinarès ,

- Raymond Lull : Philosoph de l'action , Paris , 1963.

Abulafia (David) ,

- A Mediterranean emporium : The Catalan kingdom of Majorca , Cambridge University Press , U.K. , 1994.
- Monarchs and Minorities in the Christian Western Mediterranean around 1300: Lucera and its Analogues , in : Christendom and Its Discontents: Exclusion, Persecution, and Rebellion, 1000-1500, Cambridge University Press , 1996 .
- El comercio y el reino de Mallorca 1150-1450 , En : Abulafia David y Garí Blanca , En las costas del Mediterráneo Occidental , Las ciudades de la Península Ibérica y del reino de Mallorca y el comercio Mediterráneo en la Edad Media , Ediciones Omega S.A. , Barcelona , 1997 .

Alain de Libera ,

- Une figure emblématique de l'heritage oublié , Dans : Autour d'Averroès: l'héritage andalou , Editions Parenthèses, Marseille , 2003 .

Alphandéry (Paul) ,

- La Chrétienté et l'idée de croisade , Ed. A. Dupront , Vol.2 , Albin Michel , Paris , 1959 .

Altanar Berthold ,

- Die Dominikanermissionen des 13 Jahrhunderts : Forschungen zur Geschichte der kirchlichen Unionen und der Mohammedaner und Heidenmission des Mittelalters , Habelschwerdt , 1924.

Alvira (Martín) ,

- Muret 1213 : la Batalla decisiva de la Cruzada contra los Cátaros , Editorial Ariel , Barcelona , 2008 .

Anthony Bonner ,

- The Art and Logic of Ramon Llull: A User's Guide , BRILL, 2007 .
- Ambient Històric I vida de Ramón Llull , Obres selectes de Ramon Llull , vol. 1 , Palma, Moll, 1989 .

Asín Palacios ,

- Ibn Masarra y su escuela , en Obras escogidas , I , Madrid , 1946 .

Atiya Aziz Suryal ,

- Crusade in the Later Middle Ages , Second edition , New York , 1965 .

August Neander ,

- General History of the Christian Religion and Church , Vol.4 , Crocker and Brewster , Boston , 1851 .

B.Z. Kedar ,

- Crusade and Mission : European Approaches towards the Muslims , Princeton , 1984 .

Badia (Lola) , Bonner (Anthony) ,

- Ramón Llull: vida, pensamiento y obra literaria, Barcelona: Quaderns Crema, 1993.

Badia (Lola) ,

- Teoria i pràctica de la literatura en Ramón Llull , Edicions dels Quaderns Crema , Barcelona , 1991.

Barber (Malcolm) ,

- The New Knighthood , A History of the Order of the Templars , Cambridge University Press , Cambridge , 1995.

- The Trial of the Templars , Cambridge University Press , Cambridge , 1993.

Batlloiri (Miquel) ,

- Ramon Llull i el lul.lisme , Obra complete , Vol. II , València , Biblioteca d'estudis i investigacions, 1993.

Benjamin Liu ,

- The Mongol in the Text , in "UNDER THE INFLUENCE : Questioning the Comparative in Medieval Castile , EDITED BY CYNTHIA ROBINSON AND LEYLA ROUHI , Brill , netherlands , 2005 .

Bishko Charles Julian ,

- The Spanish and Portuguese Reconquest 1095-1492 , in K. Setton , et. Al. Eds. , A History of the Crusades , vol.3 , Madison , 1975 .

Bremond, Claude ,

- L'Exemplum médiéval est-il un genre littéraire? I. Exemplum et littérarité, Berilos, Jacques y Polo DE Beaulieu, Marie Anne (org.), Les exempla médiévaux: nouvelles perspectives, Paris, Honoré Champion, 1998.

Burns, Robert I. ,

- Islam under the crusaders : colonial survival in the thirteenth century kingdom of Valencia , (Princeton , 1973).
- Moors and Crusaders in Mediterranean Spain : collected essays , (London ,1978) .

Burr (David) ,

- Spiritual Franciscans: From Protest to Persecution in the Century After Saint Francis, Penn State Press , Pennsylvania , 2010.

C. Tyerman ,

- A Brief glance at the multivolume History of the Crusades , ed. K. Setton , et al. , Philadelphia , 1969 .
- The Holy Land and the Crusades of the Thirteenth and Fourteenth Century , in P. Edbury , ed. , Crusades and settlement , Cardiff , 1985.

- "Sed Nihil Fecit?" : The Last Capetians and the Recovery of the Holy Land", in J. Gillingham and J.C. Holt , eds. , War and Government in the Middle Ages , Cambridge , 1984 .

C.Samaran ,

- Projets Français de croisade de Philippe le Bel à Philippe de Valois , Histoire Littéraire de la France , 41 , 1981.

Carreras I Artau,

- Tomás y Joaquín, Historia de la filosofía española, Madrid, vol. I , 1939.
- L'esperit cavalleresc en la producció lulliana , La Nostra Terra. Palma de Mallorca, 1935.
- Historia de la filosofía española , Filosofía cristiana de los siglos XIII al XV, XV, Asociación Española para el Progreso de las Ciencias , Madrid , Vol.I , 1943.

Charles E. Dufourcq ,

- L'Espagne Catalane et le Maghrib aux XIII et XIV siècles : De la bataille de Las Navas de Tolosa 1212 à l'avènement du sultan mérinide Abou-l-Hasan 1331 , Presses Universitaires de France , Paris , 1966 .

Charles H. Lohr ,

- Christianus arabicus, cuius nomen Raimundus Lullus , Freiburger Zeitschrift für Philosophie und Theologie , 1984.

Christopher Dawson ,

- The Mongol Mission : Narratives and letters of the Franciscan Missionaries in Mongolia and China in the Thirteenth and Fourteenth Centuries , London , 1955.

Constantin Teleanu ,

- Raymundista et Averroista , La réfutation des Averroïstes de Paris chez Raymond Lulle , Schola Lulliana , Paris , 2014 .

Cruz Pontes (J.M.) ,

- Miramar en sus relaciones con Portugal y el lulismo medieval portugués , Actas del II congreso internacional de Lulismo , Palma de Mallorca , Maioricensis schola Lullistica , vol.I , 1979.

D. Cohen ,

- Le parler arabe des juifs de Tunis , Paris , 1964 .

D. Sinor ,

- The Mongols and Western Europe , in K. Setton et al. , eds. , A History of the Crusades , vol.3 , Madison , 1975.

Daniel (Norman) ,

- Islam and the West : The Making of an Image , 2nd ed. , Oneworld , Oxford , 1993 .

Daniel Poirion ,

- Milieux Universitaires Et Mentalite Urbaine Au Moyen Age, Colloque Du Departement D' Etudes Medievales de Paris- Sorbonne Et de l'universite de Bonn , Presses Paris Sorbonne , 1992.

David Thomas and Alexander Mallett ,

- Christian-Muslim Relations : A Bibliographical History (1200-1350) , Vol.4 , Brill , Netherlands , 2012 .

DE ORELLA Y UNZUE, Jose L.

- Partidos Politicos en el Primer Renacimiento (1300-1450), Madrid: Fundacion Universitaria Española, 1976.

De Rachewiltz ,

- Papal Envoys to the Great Khans , Stanford , 1971.

Delaville le Roulx J. ,

- La France en Orient au XIV^e siècle , Ernest Thorin , Paris , 1886.

Domínguez Reboiras (Fernando) ,

- Ramon Llull : El mejor libro del mundo , Arpa editores , Barcelona , 2016.

Dominique Urvoy ,

- Penser L'Islam : Les Présupposés Islamiques de l'Art de Lull , Librairie Philosophic J. Vrin , Paris , 1980 .

E. Allison Peers ,

- Ramon Lull : A Biography , The Macmillan Co , London , 1929 .

E. Christiansen ,

- The Northern Crusades : The Baltic and Catholic Frontier , 1980.

E. Gilson ,

- History of the christian Philosophy in the Middle Ages , New York , 1955

E.R. Daniel ,

- The Franciscan Concept of Mission in the High Middle Ages , Lexington , 1975.

Elizabeth Siberry,

- Criticism of Crusading 1095-1274 , Oxford University Press, Oxford UK , 1985.

Febrer (Thomas) , Moll (Dalmacio) ,

- Historia general del real Convento de Santo Domingo , Orden de Predicadores , de Palma , en la Ciudad de Mallorca , Tomo I , 1754.

Fernández-Armesto ,

- Before Columbus : Exploration and Colonization from the Mediterranean to the Atlantic (1229-1492) , University of Pennsylvania Press , 1987 .

Frances Yates ,

- The Art of Ramon Lull : An Approach to it through Lull's Theory of the Elements , in her Lull and Bruno , Collected Essays , Vol.1 , London and Boston ,1982 .

Franco Porsia ,

- Progetti di crociata: il De fine di Raimondo Lullo , Chimienti Editore, Taranto , 2005 .

Frederick Chamberlin ,

- The Balearics and their Peoples , London , 1927 .

G. Lander ,

- The Concepts of Ecclesia and Christianitas and their Relation to the Idea of a Papal Plenitudo Potestatis from Gregory VII to Bonifacio VIII , Sacerdozio e regno da Gregorio VII a Bonifacio VIII , Rome , 1954 .

G. Quadri ,

- La philosophie arabe dans l'Europe médiévale des origines à Averroes , Payot , París, 1960.

GALMÉS (Salvador),

- Lul.lisme , Barcelona: Publicacions de l'abadia de Montserrat, 1997.

Garcia Villoslada (Ricardo) ,

- Historia de la Iglesia Católica II Edad Media (800-1303) , Madrid , Biblioteca de Autores Cristianos , 2003.

Garcias Palou (Sebastian) ,

- El Miramar de Ramon Llull , Palma de Mallorca: Instituto de Estudios Baleáricos, Consejo Superior de Investigaciones Científicas, 1977.
- Ramon Llull y El Islam , Palma de Mallorca , 1981.

GAYÀ, Jordi ,

- La teoría luliana de los correlativos: Historia de su formación conceptual , Palma, 1979 y PRING-MILL, Robert D. F. , Estudios sobre Ramon Llull , Barcelona: Publicacions de l'Abadia de Montserrat, 1991.

Georges Minois ,

- L'Eglise et la science: Histoire d'un malentendu , Fayard , 1991 .

Gibert (Rafael) ,

- Lulio y Vives sobre la paz , In La Paix , Recueils de la Société Jean Bodin , 15 , Editions de la librairie encyclopédique , Brussels , 1962 .

Gilbert Dahan ,

- Disputatio contra Iudeos , Controverse avec les Juifs , Introduction , Edition critique et traduction , Paris , 1993.

Giménez Soler A. ,

- La Edad Media en la Corona de Aragón , Barcelona , 1930 .

González Antón (Luis) ,

- El reino de Aragón durante los siglos XIII y XIV, Historia de Aragón , vol.I , Generalidades , Resumen de las lecciones impartidas en el Curso 1986-1987 , Zaragoza: Institución Fernando el Católico, 1992.

González Casanovas, Roberto J.

- La novela ejemplar de Ramón Llull: interpretaciones literarias de la misión, Ediciones Jucar.

Gregg, Joan Young ,

- Devils, women and jews: reflections of the other in the medieval sermon stories, Albano: State University of New York Press, 1997 .

H. Moranvillé ,

- "Les Projets de Charles de Valois sur l'Empire de Constantinople" ,
Bibliothèque de l'Ecole des Chartes , 51 , 1890 .

Hames, Harvey J. ,

- The Art of Conversion: Christianity and Kabbalah in the Thirteenth Century , Leiden and Boston: Brill, 2000.

Hefele Leclercq,

- Histoire des Conciles , VI , d.p. , Paris , 1995.

HEUSSI-MULERT,

- Atlas zur Kirchengeschichte, III, A y B, Tübingen, 1919 .

Hillgarh J.N. ,

- El problemad'un imperi mediterrani català 1229-1327 , Editorial Moll , Palma de Mallorca , 1984 .
- Los Reinos Hispánicos , 1250-1516 , Vol.I : 1250-1410 ,Un equilibrio precario , Grijalbo , Barcelona , 1979 .
- Lull and Lullism in fourteenth century France , Oxford, Clarendon Press , 1971 .
- Modes of Evangelization of Western Europe in the Seventh Century, , klett-cotta publisher , 1987.
- Diplomatari Lul·lià , Edicions de la Universitat de Barcelona , Barcelona , 2001.
- Ramon Llull i el naixement del Lul·lisme , Publicacions de l'Abadia de Montserrat , Barcelona , 1998 .
- The Spanish Kingdoms , vol.1 , Oxford , 1976 .

Housley Norman,

- Documents on the later Crusades, 1274-1580 , Macmillan , 1996.
- The Italian Crusades : The Papal-Angevin Alliance and the Crusades against christian Lay Powers 1254-1343 , Oxford , 1982.
- The Avignon papacy and the crusades , 1309-1378 , (oxford , 1986).

J. AVINYO,

- Les otres autèntiques del beat Ramon Llull, Barcelona , 1935 .

J. GUTTON,

- L 'Ordre de Calatrava, Paris, 1955.

J. Ma. Millas Y Vallicrosa,

- Assaig d'història de les idees físiques i matemàtiques de la Catalunya medieval, 1, Barcelona, 1931.

J. Prawer ,

- Military Orders and Crusader Politics in the Second Half of the XIIIth Century , in: J. Fleckenstein and H. Hellmann, Die geistlichen Ritterorden Europas, Sigmaringen , 1980.

J.-H. Pignot,

- Histoire de l'Ordre de Cluny... jusqu'à la mort de Pierre-le-Vénérable, III, Paris, 1868.

J.K. Wright ,

- The Geographical Lore at the Time of the Crusades , London , 1965 ; John Black Friedman , The Monstrous Races in Medieval Art and Thought , Cambridge , Mass. , 1981 .

J.M. (Quadrado) ,

- Primeros años y conversión de Ramón Lull , in Museo Balear , Vol.I , 1875 .

Jacques Verger,

- Les universités françaises au Moyen Âge, BRILL, 1995.

James M. Powell ,

- Muslims under Latin rule 1100-1300 , (Princeton , 1990) .

Jean Richard ,

- La Papauté et les missions d'orient au moyen age (13-15 siècles) , Rome , 1977.

Jeremy Cohen ,

- The Friars and the Jews , Ithaca , 1982 .

Joan (Avinyó) ,

- El Terciari Francescà Beat Ramón Llull , Igualada , 1912 .

Jonathan Riley-Smith ,

- The Crusades : A Short History , New Haven and London , Yale University Press , 1987.

Jordi Gayà ,

- Ipsi non credunt, quod credamus sicut credimus'' , Cristologia en el Arbor scientiae, XIII, en : Fernando DOMÍNGUEZ REBOIRAS et alii (eds.) , Arbor scientiae , Turnhout , 2002.

Josep Perarnau i Espelt,

- Un text català de Ramon Llull: la 'Petició de Ramon al Papa Celestí V per a la conversió dels infidels': edició i estudi, Arxiu de Textos Catalans Antics 1 , 1982 .

Joseph Delaville Le Roulx ,

- La France en Orient au xiv^e siècle , Ernest Thorin Editeur , Paris , 1886 .

Juan Tusquets ,

- Ramon Lull : Pedagogo De La Cristiandad , Instituto San José de Calasanz, Madrid , 1954.

Julie Anne Taylor ,

- Muslims in Medieval Italy: The Colony at Lucera , Lexington Books, Oxford , UK , 2005 .

L. BREHIER,

- L'Eglise et l'Orient au moyen-age, Les Croisades, Paris, 1928.
- Les Missions Françiscaines au Moyen Age" , Saint François d'Assise: son œuvre-son influence 1226-1926 , Paris , 1927.

L. NICOLAU D'OLWER,

- L'expansió de Catalunya en la Mediterrrdnia oriental, Barcelona, 1926.

Le Goff, Jacques,

- "The Medieval West and the Indian Ocean : an Oneiric Horizon" , in Time , Work and Culture in the Middle Ages , trans. A. Goldhammer , Chicago , 1980.
- Saint Louis , University of Notre Dame Press, 2009 .

Lomax Derek William,

- The Reconquest of Spain , London , 1978.

Ludwig Hagemann,

- Der Islam als Anfrage . Schritte auf dem Weg: Raymundus Lullus und Nicolaus Cusanus , in : K. Hilpert/J. Werbick (Hrsg.) , Mit den Anderen leben . Wege zur Toleranz Düsseldorf , 1995.

Ludwig Vones ,

- Mission et frontiere dans l'espace mediterraneen: Tentatives d'une societe guerriere pour la propagation de la foi , en : Guyda Armstrong and Ian N. Wood (ed.) , Christianizing Peoples and converting Individuals , Turnhout , 2000 .

Lunt W. ,

- Financial relations of the Papacy with England to 1327 , Cambridge (Mass.) , 1939.

Luttrel (Anthony) ,

- The Crusade in the Fourteenth Century , In Europe in the Late Middle Ages , ed. J. Hale , R. Highfield , and B. Smalley , Faber and Faber , London , 1965 .

M. AMARI,

- Storia dei Musulmani di Sicilia , 2a. ed. , Catania , 1933-1939 , .

M. Bouyges ,

- Roger Bacon a-t-il lu des liures arabes?, Archives d'histoire doctrinale et littéraire du moyen âge, V, 1931.

M. Cruz Hernadez,

- La filosofía árabe, Madrid, 1963.
- Historia de la Filosofía Española, Filosofía Hispano-Musulmana, I, Madrid, 1957.

M. Grabmann ,

- Historia de la teología católica , (desde fines de la era patristica hasta nuestros días) , Madrid , 1940.
- Santo Tomás de Aquino , Barcelona , 1930.

M.D.A. Cassuto,

- The Destruction of the Academics in southern Italy in the 13th century (Hebrew), Studies in Memory of Asher Gulak and Samuel Klein, Jerusalem , 1942.

Mark D. Johnston ,

- Ramon Llull and the Compulsory Evangelization of Jews and Muslims , in Larry Simon , ed. Burns Festschrift , Leiden , 1995.

Marshall Baldwin ,

- Missions to the East in the Thirteenth and Fourteenth Centuries , in Setton et al. , eds. , A History of the Crusades , vol.5 , Madison , 1985 .

Martin (Sean) ,

- The Cathars: The Most Successful Heresy of the Middle Ages , Chartwell books , Great Britain , 2009 .

Martín De Riquer ,

- El mundo cultural en la Corona de Aragón con Jaime I , Jaime I y su época , Congreso X de Historia de la Corona de Aragón .
- Història de la literatura catalana , Edicions Ariel , Barcelona , Vol.I, 1964 .

Martínez Ferrando (J.E.) ,

- La tràgica història dels reis de Mallorca , Barcelona , 1979 .

Mauricio de Iriarte (S.J.) ,

- Vida y carácter (tres ensayos) , Escelicer, Madrid , 1955 .

Menache Sophia ,

- Clement V , Cambridge University Press , 2003.

Miguel Alcover,

- El Islam en Mallorca y la cruzada pisano-catalana , Palma de Mallorca , 1930 .

Miret i Sans Joaquim ,

- Itinerari de Jaume I El Conqueridor , Barcelona , 1918 .

Mollat Samaran-G. ,

- La fiscalité pontificale en France au XIV'siècle , París ,1905.

Olivar Bertrand R. ,

- El nostre Frederic de Sicilia , Barcelona, 1960.

Otto Keicher ,

- Raymundus Lullus und seine Stellung zur arabischen Philosophie , Beiträ zur Geschichte der Philosophie des Mittelalters , VIII , Münster i.W. , 1909 .

Pamela May Beattie ,

- Evangelization, Reform and Eschatology , University of Toronto , 1995.

Pietro Egidi ,

- Codice diplomatico dei Saraceni de Lucera 1235-1343 , Naples , 1917 .
- La colonia saracena di Lucera e la sua distruzione , Napoli , 1912.

P.Throop ,

- Criticism of Crusade : A Study of Public Opinion and Crusade Propaganda , Amsterdam , 1940 ; reprinted , 1975 .

Pasqual , Antonio Raymundo ,

- Vida del Beato Raymundo Lulio mártir y Doctor iluminado , Arqueológica Luliana , Palma , Vol.I , 1890 .
- Vindiciae Lullianae , sive demonstratio critica immunitatis doctrinae , R.L. , Avignon , Vol.I , 1778 .

Pau Cateura Bennàsser ,

- Mallorca en el segle XIII , Mallorca : El Tall Editorial , 1997 .

Pons M. (Antoni) ,

- Els reis de la Casa de Mallorca Barcelona, Ed. Barcino , Barcelona , 1957.

R. GARCIA VILLOSLADA, S. J.,

- Historia de la Iglesia Católica, II, Edad Media, Madrid, 1838.

R. Sugranyes de Franch ,

- Raymond Lulle : Docteur des Missions , Fribourg , 1954 .

R.I Burns ,

- Islam under the Crusaders : Colonial Survival in the Thirteenth-Century Kingdom of Valencia , Princeton , 1973.

RAMÓN GUERRERO (Rafael) ,

- Filosofías árabe y judía , Madrid: Editorial Síntesis, s/d.

Ramón Menéndez Pidal,

- Poesía juglaresca y juglares: orígenes de las literaturas románicas, 9th ed. Austral, 159 ,Madrid: Espasa-Calpe, 1991.

Ray C. Petry ,

- Late Medieval Mysticism , Westminster John Knox Press , Kentucky , U.S.A. , 1957 .

Raymond J. Loenertz ,

- La Societé des Frères Peregrinants , Institutum Historicum Fratrum Praedicatorum Dissertationes Historicae , fasc. VII , Rome , 1937.

Riera Antonio ,

- Mallorca 1298-1311 un ejemplo de planificación económica en la época de plena expansión , Estudios Históricos y documentos de los Archivos de Protocolos V. Miscelánea en honor de Josep Maria Madurell i Marimon , Barcelona , 1977 .

Robert Chazan ,

- Barcelona and Beyond : The Disputation of 1263 and its aftermath , Berkeley , 1992.

Robert D.F. Pring-Mill ,

- Estudis sobre Ramon Llull , Publications de l'Abadia de Montserrat , Barcelona , 1991 .

Roland Hissette ,

- Enquête sur les 219 articles condamnés à Paris le 7 mars 1277 , Philosophes Médiévaux, Vol.22 , Leuven, Belgique , 1977 .

Rubió i Balaguer (Jordi) ,

- Ramon Llull i el Lul.lisme , Publications de l'Abadia de Montserrat , Barcelona , 1985.

Runciman (Steven) ,

- The Sicilian Vespers , Cambridge , 1957.
- The Decline of the Crusading Idea , Relazioni del 10 congresso internazionale di scienze storiche , Storia del medioevo , v.3 , Florence , 1955 .

S. Gomez Nogales , S.J ,

- En torno a la unidad del entendimiento de Averroes , Múltiple Averroes , Les belles lettres , S.D , S.N .

S. Schein ,

- Fideles Crucis : The Papacy , The West , and the Recovery of the Holy Land 1274-1314 , Oxford , 1991 .

Sainz de Robles ,

- Esquema de una historia de las universidades españolas , M. Aguilar, Madrid , 1944 .

Samuel Marinus Zwemer ,

- Raymund Lull, first missionary to the Moslems , New York ; London : Funk & Wagnalls Co , 1902 .

Santa María (Alvaro) ,

- Creación de la corona de Mallorca : las disposiciones testamentarias de Jaime I , Mayurqa , N.19 , Universitat Palma de Mallorca , Facultat de Filosofia i Lletres , 1979-1980 .
- Ejecutoria del Reino de Mallorca 1230-1343 , Ajuntament de Palma , Mallorca , 1990 .

Simon Gaunt ,

- The Troubadours : An Introduction , Cambridge University Press , UK , 1999.

Stephen Neill ,

- A History of Christian Missions , Pelican History of the Church , ed. Owen Chadwick , Harmondsworth , 1964 , revised , 1986 .

Touron (Antoine) ,

- Histoire des hommes illustres de l'ordre de Saint Dominique , Tom.I , Torras i Bages , Paris, 1743.

U. Monneret de Villard

- Libro della Peregrinazione nelle Parti d'Oriente , 1948.

Vivian B. Mann ,

- Convivencia : Jews , Muslims and christians in Mediaval Spain , (New York , 1992) .

W.A.Eulen ,

- Unitas et pax , Religionsvergleich bei Raimundus Lullus und Nikolaus von Kues , Echter, 1990.

Wyngaert , Anastasius Van den,

- Itinera et Relationes Fratrum Minorum Saeculi XIII et XIV , Sinica Franciscana , I , Quaracchi , Florence ,1929 .

Youval Rotman,

- Les esclaves et l'esclavage : De la Méditerranée antique à la Méditerranée médiévale VIe-XIe s , Les Belles Lettres , Colle."Histoire" , Paris , 2004 .

المقالات

المقالات باللغة العربية:

خايمي بوسكيتس موليت ،

- المخطوط اللاتيني العربى حول تقسيم جزيرة ميورقة، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، ج.4 ، مدريد، سنة 1377هـ/1956م .

رشيد تومي ،

- حملة الإمبراطور الألماني، فردريك الثاني على بلاد الشام عام 626هـ/1229م، حملة عسكرية أم رحلة دبلوماسية؟ ، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع.19 ، جوان 2012، الجزائر.

مانويل وايشر،

- رامون لول والعالم الإسلامي، فكر وفن ، ع.13 ، يناير 1969.

محمد عبد الواحد العسكري،

- رسالة عبد المسيح الكندي إلى عبد الله الهاشمي، الغيرية الدينية في مجادلة النصرانية للإسلام، مجلة النقد الأدبي والبحث الفلسفي، السنة3، العدد 3، شتاء، 2001.

المقالات والملتقيات باللغة الأجنبية:

A. J. Martin Duque ,

- El inglés Roberto, traductor del Corán, Hispania, XXII, 1962.

A. Llinarès,

- La séjour de Raymond Lulle a Bougie (1307) et la "Disputatio Raimundi christiani et Hamar saraceni" , Estudios Lulianos, IV , 1960.
- Le dramatique épisode algérien de la vie de Raymond Lulle, Revue de la Mediterranée, 1959.

A. Luttrell ,

- "The Aragonese Crown and the Knights Hospitaller of Rhodes" , English Historical Review , 76 , 1961 .

A. Van der Vyver ,

- Les plus anciennes traduccions latines médiévales (Xe et Xle siècles) des traités d'astronomie et d'astrologie, Osiris, I , 1935.

A.J. Forey ,

- "The Military Orders in the Crusading Proposals of the Late Thirteenth and Early Fourteenth Centuries" , Traditio , 36 , 1980 .

A.Oliver ,

- "El beato Ramon Llull en sus relaciones con la Escuela franciscana de los siglos 12-14" , Estudios Lullianos , 9 , 1965 , ; 10 , 1966 ; 13 , 1969 .

Altanar B. ,

- Raymundus Lullus , U-Q. , sprachkanonen des konzils , Hist. Jahrbuch 53, 1993.
- Glaubenszwang und Glaubensfreiheit in der Missionstheorie des Raymundus Lullus , Ein Beitrag zur Geschichte der Toleranz gedankens, dins «Historisches Jahrbuch», 47 , 1928.

Álvaro Santamaría ,

- La reconquista de las vías marítimas, Anuario de estudios medievales, 10 , 1980 .

Angel Gonzalez Palencia,

- Noticias sobre don Raimundo, arzobispo de Toledo (1125-1152), en Spanische Forschungen der Gorresgesellschaft, 1, Reihe, Band, Miinsteri w.,1937.

Anthony Bonner ,

- L'Art Lulliana com a autoritat alternativa , Studia Luliana , 33 , 1 , 1993 .
- Ramón Llull: Autor, Autoritat, I Il.luminat”, Actes de l’Onzè Col.loqui Internacional de Llengua i Literatura Catalanes, Palma (Mallorca), Publicacions de L’Abadia de Montserrat, 8-12 de septiembre de 1997.

B. Bischoff ,

- The Study of Foreign Languages in the Middle Ages , SP. , 36 , 1961.

B.Z. Kedar ,

- Muslim conversion in Canon Law , Proceedings of the sixth international congress of Medieval canon law ,1980.
- Un projet de passage particulier proposé par l'ordre de l'Hopital 1306-1307" , Bibliothèque de l'Ecole des Chartes , N°.137 ,1979 .

Badia (Lola) , Bonner (Anthony) ,

- Cronología de Ramón Llull , Randa , N°.19 , Lògica , ciència , mística i literatura en l'obra de Ramón Llull , Barcelona , Curial , 1986 .

Batllori (Miquel) ,

- El lulismo en Italia , Revista de Filosofia, II, 1943.

Bienvenido Valverde ,

- Actualidad del método luliano en sus diálogos con los musulmanes, Estudios Lulianos, V, 1961.

Boyle, John Andrew,

- The Il-Khans of Persia and the Christian West , History Today, 23, 1973. Reprinted in The Mongol World Empire, 1206–1370. London: Variorum Reprints, 1977.

Burns, Robert I. ,

- Christian-Islamic Confrontation in the West: The Thirteenth-Century Dream of Conversion, The American Historical Review, 76 ,1971.

Bynum (Caroline) ,

- Did the Twelfth Century discover the individual?, Journal of Ecclesiastical History, 31, 1980.

Charles E. Dufourcq ,

- La Méditerranée et le Christianisme : cadre géopolitique et économique de l'apostolat missionnaire de Ramon Llull , Estudios lullianos , 24 , 1980 .

Charles H. Lohr ,

- Nicolaus Cusanus and Ramon Lull: A Comparison of three texts on human knowledge , Traditio, Vol. 59 , 2004.
- Les fondements de la logique nouvelle de Raymond Lulle , Raymond Lulle et le Pays d'Oc, Cahiers de Fanjeaux , Vol.22 , Privat ,Toulouse , 1987 .
- Ramon Llull , Alquindi and Liber Telif , Estudios Lulianos , XII , 1968 .

CHAURAND, J.

- La conception de l'histoire de Guibert de Nogent (1053-1124), Cahiers de Civilization Médiévale , 1965.

Coralba Colomba ,

- Ramon Lull at the Council of Vienne (1311-1312): the Last Anti-Averroistic Fight for the Demonstrability of the Faith , Mediaeval Sophia , Studie Ricerche sui saperi MEDIEVALI , N.13 , gennaio-giugno 2013.

Cortabarría Beitia Angel ,

- El estudio de las lenguas en la Orden Dominicana, Estudios Filosóficos, n. 51, 1970.
- Les sources arabes de l'explantio Simboli du dominicain catalan Ramond Martin , MIDEO , 16 , 1983.

Darío Cabanelas ,

- Un franciscano heterodoxo en la Granada nasri : Fray Alfonso de Mella , Al-Andalus , Vol.XV , 1950 .

Del Estal , Juan Manuel ,

- Reafirmación de Jaime II en su política de paz con el reino nazarí de Granada (Junio 1298), Miscelánea de Textos Medievales , 7, 1994.

Devin Deweese ,

- The Influence of the Mongols on the Religious Consciousness of Thirteenth Century Europe" , Mongolian Studies , 5 , 1978-1979.

Domínguez Reboiras (Fernando) ,

- El Dictat de Ramón y el Coment del Dictat , Texto y contexto, SL, 1996, vol. XXXVI.
- In civitate pisana, in Monasterio Sancti Domnini: algunas observaciones sobre la estancia de Ramón Llull en Pisa (1307-1308), Traditio , Studies in Ancient and Medieval History, Thought, and Religion , New York: Fordham University Press, 1986.

Dominique Urvoy ,

- La vie intellectuelle et spirituelle dans les Baléares musulmanes , Al- Andalus, N.37 , 1972 .
- Ramon Lull et l'Islam" , Islamochristiana 7 , 198.

E. Colomer ,

- Ramon Llull y Ramon Martí , Estudios Lullianos , 28 , 1988.

E. K. Neuvonen ,

- Los arabismos del español en el siglo XIII, en Studia Orientalia, XI, Helsinki, 1941.

E. Longpré ,

- Le B. Raymond Lulle et Raymond Marti , O.P. " , Estudios Lullianos , 13 , 1969 .

E.R. Daniel ,

- "The Desire for Martyrdom : a Leitmotiv of St. Bonaventure" , Franciscan Studies , 32 , 1972 .

Elizabeth Siberry,

- Missionaries and Crusaders , 1095-1274" , Studies in Church History , 20 , 1983.

F. Van Steenberghen ,

- La signification de l'œuvre anti-averroïste de Raymond Lull , Estudios Lulianos , IV , 1960 .

Francesco Fiorentino

- Raimondo Lullo in Sicilia: itinerario bio-bibliografico Il Mediterraneo del '300: Raimondo Lullo e Federico III d'Aragona, re di Sicilia. Omaggio a Fernando Domínguez Reboiras. Atti del Seminario internazionale di Palermo, Castelvetro-Selinunte (TP), 17-19 novembre 2005 cur. Alessandro Musco - Marta M.M. Romano, Turnhout, Brepols 2008 (Instrumenta patristica et mediaevalia. Research on the Inheritance of Early and Medieval Christianity 49. Subsidia Lulliana 3).

G. Bonafede ,

- La condanna di Stefano Tempier e la "Declaratio" di Raimondo Lullo , Estudios Lulianos , IV , 1960

G.Rosselló Bordoy ,

- La cerámica árabe en Mallorca: avances sobre su tipología y cronología , revista del Departament de Ciències Històriques i Teoria de les Arts, N° 14, 1975.

Galvano da Levanto ,

- El Libre sancti passagii chriticolarum contra sarracenos pro recuperatione Terrae sanctae (ed. KÖHLER, G., Revue de l'Orient latin , 6, 1898.

Garcias Palou (Sebastian) ,

- El beato Ramon Llull y la cuestión de la renunciabilidad de la Sede Romana, Analecta Sacra Tarraconensia, XVII, 1944 .
- Cisma y problema oriental, Ecclesia, XIX, n.942, agosto, 1959.
- El candidato de Ramon Llull para el cargo de Maestro General de la Orden militar del Espiritu Santo, Estudios Lulianos, 1972.
- El primer texto orientalista del beato Ramon Llull, Estudios Lulianos, XIII, 1969.
- La fecha del “Desconhort”, en relación con las visitas del beato Ramon Llull a la Corte papal, Estudios Lulianos, VII, 1963 .
- Ramon Llull ante la convocación del concilio de Vienne, Estudios Franciscanos , LXXXVI , 1975.

- Ramon Llull y la abolición de los templarios, Hispania Sacra , XXVI , 1973.

GAYÀ, Jordi ,

- Ramón Llull en oriente (1301-1302): circunstancias de un viaje”, S.L. , N°.XXXVII, 1997.

Gimenez Soler (Andrés),

- Episodios de las relaciones entre la Corona de Aragón y Túnez, Anuari de l'Institut d'Estudis Catalans, Vol.I, 1908.

Hillgarh J.N. ,

- Vida i importancia de Ramon Llull en el context del segle XIII , Anuario de Estudios Medievales 26 , Barcelona : Consejo Superior de Investigaciones Científicas , 1996 .
- Date de la rencontre de Llull et d'Arnaud de Villeneuve a Marseille , dans Raymond Lulle et le Pays d'Oc , Cahiers de Fanjeaux , 22 , Toulouse , 1987 .
- "some notes on Llullian Hermits in Majorca , Saec. 13-17" , Studia Monastica 6 , (1964) .
- "The life and Significance of Ramon Llull in the Context of the Thirteenth Century" , paper given at the Simposi Internacional Ramon Llull , Valencia , 27 October 1993.
- The problem of a Catalan Mediterranean Empire 1229-1327" , English Historical Review , Supplement 8 (London, 1975).

Hornstein, Lilian Herlands ,

- The Historical Background of the King of Tars, SP., 16, 1941.

James D. Ryan ,

- Nicholas IV and the Evolution of the Eastern Missionary Effort , Archivum Historiae Pontificiae , 19 , 1981 .

J. Garcia de La Torre ,

- Preocupación de Ramón Llull por el destino de los bienes del Temple, ante la disolución de la Orden , Estudios lulianos, Vol.XXIII, Issues 2-25, Escuela Lulistica Mayoricense, 1979.

J. Rubio Balaguer ,

- Lógica del Gazzali pasada en rims , Anuari de l'Institut d'Estudis Catalans , 1913-1914 .

J. Starr,

- The Mass Conversion of Jews in Southern Italy (1290-93), SP. , 21, (1946) .

J. Tusquets ,

- Posició de Ramon Lull en el problema de l'eternitat del món , Criterion , I , 1925 .

J. VERNET,

- Traducciones moriscos de El Corán, en Der Orient in der Forschung, Festschrift für otto Spies zum 5 abril, 1966.

J.A. Boyle ,

- The Il-khans of Persia and the Prince of Europe , Central Asiatic Journal , 20 , 1976 .

J.M. Coll ,

- "Escuelas de lenguas orientales en los siglos XIII y XIV" , Analecta Sacra Tarraconensia , 19 , 1946 .

James Muldoon ,

- A fifteenth century application of the canonistic theory of the just war " , proceedings of the fourth international congress of Medieval canon law (1971) , (Vatican city , 1976) .
- "Extra Ecclesiam non est imperium : The Canonist and the Legitimacy of Secular Power" , Studia Gratiana , 9 , 1966 .
- Popes, Lawyers, and Infidels , Philadelphia , 1979.

Joan I Vaientí ,

- Dues crisis en la vida de Ramón Llull , La Nostra Terra , Vol.VII, , Mallorca ,1934.

John Van Engen ,

- "The Christian Middle Ages as an Historiographical Problem" , American Historical Review , 91 , 1986.

Jonathan Riley-Smith ,

- Crusading as an Act of Love" , History , 65 , 1980.

Jose Ma.

- Escuelas de lenguas orientales en los siglos XIII y XIV, Analecta Sacra Tarraconensia, XVII, 1944.

López Alcalde (Celia) ,

- El Liber de anima rationali , primera obra antiaverroísta de Ramon Llull?, Revista de lenguas y literaturas catalana , gallega y vasca , 15 , 2010 .

M. BATLLORI, S. J.,

- El lulismo en Italia, Revista de Filosofía, 1943.

M. Bouyges ,

- Attention à "Averroista" , Revue moyen âge latin , IV , 1948 .

Miret i Sans Joaquim ,

- La esclavitud en Cataluña en los últimos tiempos de la Edad Media, Revue hispanique ,41 ,1917.

Morey Mora, G.,

- El primitivo ermitorio de Ramón Llull sobre el monte de Randa, in Estudios Lulianos 3/3 ,1959.

Norman Housley,

- Clement V and the Crusades of 1309-1310 , Journal of Medieval History , 8 , 1982.

Norman Zacour ,

- Jews and Saracens in the "Consilia" of oldradus de ponte , studies and texts 100 (Toronto , 1990).

Odilo Engels ,

- El Rey Jaime I de Aragón y la política internacional del siglo XIII , Jaime I y su época , Congreso 10 de Historica de la Corona de Aragón .

Ora Limor ,

- Missionary Merchants : Three Medieval anti-Jewish Works from Genoa , Journal of Medieval History , 17 , 1991.
- The Disputation of Majorca , 1286 : A Critical Edition and Introduction (In Hebrew with Latin text) , Jerusalem , 1985 ; a new

edition of the text is available in Ora Limor , ed. , Die Disputation zu Ceuta 1179 und die Disputation zu Mallorca 1286 : Zwei antijudische Schriften aus dem mittelalterlichen Genua , Monumenta Germaniae Historica , Quellen zur Geistesgeschichte des Mittelalters , Munich , 1994 .

P. Andreu

- Nuevos documentos lulianos de los siglos XIII y XIV, Estudios Lulianos, II, 1958.

P. Machaud-Quantin ,

- La double-vérité des Averroistes , Un texte nouveau de Boèce de Dacie , Theoria , XXII , 1956 .

P. Meyvaert ,

- Unknown Letter of Hulagu, Il-khan of Persia, to king Louis IX of France , Viator , 11 , 1980 .

P.F. Mandonnet ,

- Pierre le Vénérable et son activité littéraire contre l'Islam, Revue thomiste, I, 1893.

Pardo Pastor (Jordi) ,

- Diálogo Interreligioso en la Edad Media Hispánica : Consideraciones históricas a partir del Concilio Vaticano II , Estudios Eclesiásticos , 309 , 2004 .

Paul Rousset ,

- La Croisade obstacle a la mission , Nova et Vetera , 57 , 1982 .

Perarnau i Espelt, Josep ,

- La Disputació de cinc savis de Ramon Llull: estudi i edició del text català , Arxiu de Textos Catalans Antics , 5 , 1986.

Pindl (Theodor) ,

- Ramon Lull , Protagonist des interkulturellen Dialogs , Concordia , N°30 , 1996 .

R, Nardone ,

- St. Thomas Aquinas and the Condemnation of 1277 , Philosophical Studies , 209 , 1963.

R.I Burns ,

- Christian-Islamic Confrontation in the West : the Thirteenth Century Dream of Conversion , American Historical Review , 76 , 1971.

Ricardo da Costa ,

- Ramon Llull, la cruzada y las órdenes militares de caballería , Conferencia proferida en el Seminario “Cristianisme i l'Islam – el cas de Tortosa i Tartous a la Mediterrània”, evento organizado por la Facultat de Ciències Jurídiques i Polítiques da Universitat Internacional de Catalunya (UIC), Barcelona, en el día 03 de octubre de 2005. Apoyo: Agència de Gestió d'Ajuts i de Recerca de la Generalitat de Catalunya , p.21

Roth (Cecil) ,

- The Disputation of Barcelona (1263) , The Harvard Theological Review, Vol. 43, No. 2 , Apr., 1950 .

Rudolf Wittkower ,

- Marvels of the East : A Study in the History of Monsters , Journal of the Warburg and Courtauld Institutes , 5 , 1942.

S. Gomez Nogales , S.J ,

- Saint Thomas , Averroes et l'averroisme , Mediaevalia Lovaniensia , Series I , Studia V , 1976.
- La inmortalidad del alma , a la luz de la noética de Averroes , Pensamiento , XV , 1959 .

S. Schein ,

- Gesta Dei per Mongolos 1300: The Genesis of a Non-Event , English Historical Review , 95 , 1979 .

Salabert V. ,

- La expansión catalana-aragonesa por el Mediterráneo en el siglo XIV , Anuario de estudios medievales , N°7 , 1970-1971.

Soler i Llopart, Albert ,

- El Liber super Psalmum Quicumque de Ramon Llull i l'opció pels Tàrtars , Studia Lullistica , 32 , 1992.

Soto i Company (Ricard) ,

- Alguns casos de gestió 'colonial' feudal a la Mallorca del segle XIII , La formació i expansió del feudalisme català , Actes del col.loqui organitzat pel Col.legi Universitari de Girona , 8-11 de gener de 1985.

Teres (Elías) ,

- Le développement de la civilisation Arabe à Tolède , Les Cahiers de Tunisie , 69-70 , 1970.

Verlinden, Charles,

- L'esclavage dans l'Europe médiévale, 2 vols. Brugge: De Tempel, 1955. Vol. 1. Weckmann, Luis, La primera imagen de la Nueva España: un archipiélago 'asiático', In La herencia medieval de México. 2nd ed. México: Fondo de Cultura Económica, 1983.

القواميس والموسوعات

عبد الرحمن بدوي ،

- موسوعة الفلسفة ، ج.1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت.

E. Longpré ,

- Dictionnaire de Théologie Catholique , IX , Paris , 1926 .

William W. Kibler ,

- Medieval France: An Encyclopedia ,Garland Publishing, Inc. New York & London, 1995.

الرسائل والأطروحات الجامعية

رشيد تومي ،

- العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان منذ وفاة الملك روجر الثاني إلى سقوط المملكة (1154-1194م) ، إشراف أ.د. موسى لقبال ، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر ، 2006.

عاشوري قمعون ،

- نشاط هيئة الداوية في بلاد الشام وغرب أوروبا (513-710 هـ/1119-1311م) ، مذكرة ماجستير غير منشورة، إشراف أ.د. موسى لقبال، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر، 1994.

عبد العزيز بوكنة ،

- الحوض الغربي للبحر المتوسط وقواه: السياسة والدينية والإقتصادية قبل وأثناء الحركة الصليبية 442 - 691 هـ / 1050 - 1291م ، إشراف أ.د. موسى لقبال ، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر، 2007.

ABSTRACT OF THE THESIS

This thesis examines the life of Ramon Llull (1232-1316) , his thought and efforts of mission (Evangelization) and Crusading in the land of Islam. Ramon Llull is famous as a philosopher, mystic, and a missionary. He is also well known as an advocate of crusade and a writer of crusade plans. This thesis seeks to his life and the opposition between missionary efforts and crusade activities in the late Middle Ages by examining Llull's crusade and missionary ideology against the muslims .

The life of Ramon Llull is problematic, and the puzzling picture was the sudden change in the life of the son of the island of Mallorca, the essence of which lies in the movement of Loul from the noisy practices of stupidity and insanity and indulging in the life of the world to a life of fierce opposition to religious activity and spiritual devotion and keen passion for theology and the study of studies Both mental and Islamic. He was known throughout Latin Europe as an clergyman, philosopher, teacher and composer. His knowledge is a powerful catalyst in his anti-Muslim movement in the west and east.

Chapter One surveys "The Life of Ramon Lol 1232-1316" I tried through the content of the profile of the character of Ramon Llull, by trying to take note of the details related to his career, which was a lot of activity and complexity, including the assets of his family and the birth and development and education and included in the life of the Aragonese court in Mallorca well as its transformation Which changed his life and prepared for the beginning of his new composition, which has two basic goals: the evangelization of Muslims and the

restoration of the Holy Land and required him this project to organize tireless tours throughout the Mediterranean.

In chapter two, "The Evangelical Thought of Ramón Llull", in which he touched on all the views of Evangelical Thought of Ramón Llull and revealed the essence of his ideas which focused on intellectual and religious arguments against the Muslims, and described in great detail his offensive campaign against Latin Averroism prevailing at the University of Paris.

Chapter three deals with The Evangelical efforts of Ramón Loul, we followed the missionary who his missionary efforts in places where he traveled to Tunisia, Bejaia, southern Italy, Cyprus and Armenia in the eastern Mediterranean. He also referred to his role in establishing the Miramar monastery on the island of Mallorca .

The fourth chapter was entitled: "Ramon Llull Crusades".It traced the reality of the Crusader movement before the birth of Loul, and studied the schemes of the Crusader Loul through the pamphlets he edited. It rightly highlights the extent of his interest and his vigorous activity in the idea of Crusader propaganda and his keenness to send it as an effective way to encircle Islam.This is in addition to the study of his attitudes towards the contemporary military armed religious organizations and his role in any possible Crusader activity as well as his attitude towards the Mongols, who emerged on the international scene as a force that affected the balance of power at the time.

The fifth and final chapter is entitled "Evaluation of the Ramon Llull's Evangelical and Crusading Projects and Their Relationship". This chapter is a critical reading of the relationship between Christian and crusader schemes and each other's servant. In some aspects of this chapter, I attempted to re-review some of the ideas I mentioned in the previous two chapters in order to make an approach to clarify the reality of this relationship.

Llull is one of the proponents of the universal solutions put forward by the Catholic Church, especially when it comes to declaring and mobilizing Christians for a crusade. He never trusted the specificity of national plaques except for the Aragonese kingdoms of Jaime II and the French under Philippe Wissem. In this particular case, Loul's thesis appeared to be a response to the ideas of Pierre de Bois, who, as a supporter of the Royal French House, tried to justify the new situation and legitimize King Philip's role in the European political arena, using the Crusade.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوعات	ص
مقدمة	14-01.....
الفصل الأول	
حياة رامون لول 1232-1316م.....	80-15.....
1- أصول رامون لول	17.....
2 - مولد رامون لول.....	20.....
3 - التعليم الأول لرامون لول.....	25.....
4- انخراط لول في البلاط الملكي	26.....
5- التحول المفاجئ لحياة لول.....	28.....
6- سنوات دراسة لول بعد التحول.....	32.....
7- مساهمة رامون لول في المجال السياسي	39.....
8- رحلات لول إلى مُدن مونبيلييه، روما ، باريس و جنوة.....	47.....
9- صدمة رامون لول بعد سقوط مدينة عكا سنة 690 هـ / 1291م.....	53.....
10- رحلات رامون لول خارج إسبانيا (1293-1311م).....	56.....
11- مشاريع رامون لول المُقترحة في مجمع فيبين المسكوني 1311م.....	71.....
12 - سنوات رامون لول الأخيرة (1311-1316م).....	76.....

الفصل الثاني

فكر رامون لول التنصيري.....81-156

- 1- تكوين لول العصامي واهتمامه بالدراسات الإسلامية.....83
- 2- إشكالية معرفة الآخر والتحاور معه.....90
- 3- اعتراف لول بالإسلام ظاهرياً لاستدراج المسلمين إلى الحوار.....95
- 4- بحث لول عن الوحدة بين الأديان في إطار مسيحي.....104
- 5- عن تأويل الحوار بين المسيحيين والمسلمين على أساس العقل.....106
- 6- بين نجاح أساليب التنصير واللجوء إلى الانتحار.....112
- 7- محاربة رامون لول للرشدية (أفكار ابن رشد).....119
- أ- الفلاسفة المسلمون في مؤلفات لول.....120
- ب- ابن رشد والرشدية في مؤلفات لول.....122
- ج- حملة لول المُعادية للرشدية في جامعة باريس.....127
- د- نظرية الحقيقة المزدوجة أو التوفيق بين الفلسفة والدين.....130
- هـ- موقف لول من إدانة الأسقف إتيان تومبييه لآراء الرشديين اللاتين.....137

الفصل الثالث

جهود رامون لول التنصيرية.....156-228

- 1- تأسيس معهد ميرامار لتدريس اللغة العربية.....158
- 2- جهود لول التنصيرية من خلال أسفاره.....179
- أ- ظاهرة التنصير قبل رامون لول.....179
- ب- رحلة لول الأولى إلى تونس ومجاداته (1292م).....186

- ج- رحلة رامون لول الأولى إلى مدينة بجاية.....192
- د- إقامة رامون لول في جنوب إيطاليا.....203
- هـ- رحلة لول إلى شرق المتوسط.....213
- و- رحلة لول الأخيرة إلى إفريقيا.....219

الفصل الرابع

مخططات رامون لول الصليبية.....229- 296

- 1- واقع الحركة الصليبية قبل رامون لول 231
- 2- مفهوم الحركة الصليبية في مؤلفات رامون لول.....236
- 3- كتابات لول في الفكر الصليبي 238
- ت-كتاب الحملة 1291م.....238
- ث- كتاب الغاية 1305م.....259
- ج- كتاب استرجاع الأراضي المقدسة 1309م.....266
- 4 - أهمية ضريبة العشر عند رامون لول.....270
- 5 -رامون لول وهيئة فرسان المعبد Les Templiers 276
- 6 -رامون لول والمغول.....279

الفصل الخامس

تقييم مشروع لول التنصيري والصليبي والعلاقة بينهما.....297- 351

- 1-العناصر المميزة لمشروع لول لتنصيري 299
- أ- شخصية رامون لول وبيئته.....299
- ب- التوجه الفلسفي للمشروع التنصيري.....309

ج-الطابع المرن لبرنامج لولا لتتصيري.....	310
2- عقبات التنصير وفق لول	318
3-مميزات وأهداف الحرب الصليبية حسب لول	324
4- العلاقة الجدلية بين التنصير والحرب الصليبية في فكر لول.....	330
خاتمة.....	360-352
الملاحق.....	375-361
قائمة المصادر والمراجع.....	420-376
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية.....	423-421
فهرس الموضوعات.....	428-424